جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
قسم التفسير

القصص القرآني

الدكتور / عبدالباسط إبراهيم محمد بلبول

الأستاذ بجامعة الأزهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

((محتويات الرسالة))

الباب الثاني

مقارنة ودراسة

موسى في القصص القرآني

الباب الثالث

تطبيق ودفاع

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

الفصل الثالث :

بسم الله الرحمن الرحيم

((مقدمـــة))

اللهم ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سـلطانك، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

باسمك اللهم أبدأ ، وبك أستعين ، وما توفيقي إلا بـالله. عليـه توكلت وإليه أنيب :

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كان لنهتدي لولا أن هـدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسـول الله ، الرحمـة المهـداة، وصفوة خلق الله ، والسراج المنير ، صلوات الله، وسـلامه عليـه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

وبعد : فإن الذي يعيش بفكره متأملاً هذا الكون المنشور، وهذا القرآن المسطور ، يرى أن سنة الله قد جرت مع عباده – رحمة بهم – إذا تشعبت بهم السبل ، وألمت بهم الكوارث، أن يرسل إلـيهم رسـله، يردونهم إلى الفطرة التي فطروا عليها ، من الإيمان بالله واليوم الآخر، وما يحقق لهم الأمن ، وينأى بهم عن الكفر والضلال.

كل ذلك عن طريق الحكمة ، والموعظة الحسـنة ، ومخاطبـة العقل بالبرهان الصادق الذي يحق الحق ، ويبطل الباطل.

وقد قص الله علينا في كتابه العزيز قصصاً لبعض هؤلاء الرسل وما دار حولهم من أحداث. بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن وأنه – حقاً – من لدن حكيم خبير...

والقصة القرآنية – مع هذا الإعجاز – ميدان خصب للتوجيهات الهادفة لإقامة مجتمع إنساني متحرر من ربقة التقليد والانحلال ، فهي تحتوى على مادة لدراسة منهجية ، تاريخية صادقة ، وعلى بيان لأسباب قوة الأمم وضعفها وتماسكها وانحلالها.

وإن المكتبة العالمية على وجه العموم ، والعربية والإسلامية على وجه الخصوص في حاجة إلى هذه الدراسات كمنهج علمي عملي، له أثره في تطور الأفراد والجماعات لبناء أنفسهم وبناء حضارتهم.

وأظن أن صعوبة هذه الدراسات وتشابكها ، وما يحيط بها من شبهات واعتراضات حملت الكثير على عدم اقتحامها ، من حيث إنها فكر وعمل ، يتطلبان الجهد العنيف والوقت الطويل ، والتأمل الواعي، والمقارنة المتأنية ، حتى ينضج البحث ، وتكتمل الصورة.

من هنا وجدتنى مدفوعاً إلى كتابة هذه الرسالة لأمور :

أولاً : دافع علمي ناشئ عن إحساس بأهمية دراسة هذا الموضوع المتعلق بالقصة القرآنية ، أملا في الوصول إلى حقائق علمية ، تضاف للدراسات القرآنية ، ذلك أن القرآن قد اشتمل على

نحو ألف وخمسمائة آية في القصص لم تعط حقها من الدراسة والبحث.

ثانياً : دافع عملي : وهو إفادة المجتمع من هذه الحقائق لحل مشكلات الأفراد والجماعات عن طريق تعميق الإيمان ، وتثبيت قلوب المؤمنين ببيان سنة الله في الوجود ، وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات. واليقين بأن لهذا الوجود قوانين تحكمه.

والقصة القرآنية تحقق للمجتمع في إطار جوانب العقيدة والاجتماع والأخلاق والاقتصاد وغيرها أمنا واستقراراً في كل الظروف بوجه أعم ، وفي ظروفنا الراهنة بوجه أخص.

وقد رأيت أمامي مشكلة حقيقية تبحث عن حل: وهي البعد التام عن الاستفادة بتوجيهات القصة القرآنية ، مع إمكان إسهامها في تحقيق أمن المجتمع ورفاهيته.

ثالثاً : استعدادي منذ الصغر ، ونشأتي على حب القصص القرآني ، وإعجابي به وتأملي فيه ، وثقتي المطلقة بهدايته العامة، وشعوري بلذة روحية وعقلية بامتياز هذا القصص على غيره من حيث كونه يهز القلوب ويأسر المشاعر ، ويهدي للتي هي أقوم.

وكان منهجي في هذه الرسالة على النحو التالي:

أولاً : ذكرت تمهيداً تكلمت فيه عن الرسل والرسالات ، وضرورة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، وبينت أن المعرفة

الراشدة لا تحصل إلا عن طريقهم ، وأنهم عليهم السلام ، تحملوا مصاعب لا يطيقها غيرهم ، وذلك ناشئ عن الصراع بين الحق والباطل ، وتلك سنة الله في خلقه ، ودللت على أن قصصهم وغيرهم على النحو الذي ذكره القرآن حق ، وأن للإسلام موقفاً خاصاً من القصص عموماً ، وفى خاتمة التمهيد تكلمت عن المؤلفات في القصة القرآنية قديماً وحديثاً ، وجهود العلماء فيها.

والباب الأول ركزت فيه على القصة من حيث هي في المفهوم اللغوي وفى اصطلاح العلماء ، وتكلمت عن نشأتها وتطورها وذكرت أن العرب سبقوا الأمم الحديثة في أدب القصة، وأن أقدم القصص ما في التوراة والإنجيل وأصدقه ما ذكره القرآن الكريم.

ثم تكلمت عن العناصر والشروط اللازمة للقصة من حيث الشكل والمضمون بأنواعها المختلفة وختمت الكلام بعناية القرآن بالقصص وبينت الأهداف السامية المستخلصة من قصص القرآن الكريم.

أما الباب الثاني فقد بينت فيه ما تتميز به القصة القرآنية على القصة الأدبية المؤلفة مع الموازنة بين منهج القرآن ومناهج الكتاب في القصة والهدف من كل منهما وبينت أنه لا بديل عن القصة القرآنية في هدى الناس للتى هي أقوم ، واقترحت إصدار مجلة شهرية عن القصة القرآنية وعلاقتها بالمجتمع المعاصر.

ثم وازنت بعد ذلك بين القصة القرآنية والقصة في التوراة والإنجيل ، وبينت أن القرآن الكريم هو الحجة على ما في هذين الكتابين كل ذلك بالأدلة القاطعة ، وضرب الأمثلة لتتبين المعالم ويتضح المراد.

ثم تكلمت عن أسلوب القصة القرآنية ، وسجلت فيه حقائق عن علاقة القصة بما قبلها وما بعدها ، والعلاقة بين اللفظ والمعنى وخصائص اللغة العربية لغة القرآن ، ثم تعرضت إلى التذوق أسلوب القصة القرآنية ومعناه ، وحررت القول في المجاز القرآني ، وبسطت الكلام عن الاستعارات والكنايات في القصة القرآنية ، وذكرت نماذج لذلك كله.

وفى خاتمة الباب بينت حقيقة التكرار وفلسفته وأنواعه وفوائده وأفضت في الكلام عن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في القصص القرآني.

والباب الثالث تناولت فيه أثر القصص القرآني في بناء المجتمع مع بيان اختلاف المجتمعات ، وإمكان إصلاحها عن طريق القصة القرآنية وشرحت أسباب هلاك الأمم وألوان العقوبات التي نزلت بها.

ثم استوعبت أخطر الشبهات الحديثة وأهمها ما في رسالة الفن القصصي للدكتور محمد أحمد خلف الله ، وبينت الظروف التي ألفت

فيها هذه الرسالة ، والهدف منهـا ، ومضـمونها ، ثـم رددت علـى مطاعنها بالأدلة العقلية والنقلية .

وفى نهاية الباب أجملت القول عن التفسير بالمأثور والتفسـير بالرأي ، فيما يتعلق بالقصة القرآنية وبسطت القول فـي المتطـرفين والملحدين مثل الباطنية والبابية والبهائية والقاديانية. وختمت الفصـل ببيان الطريقة المثلـى التـي يجـب أن تتبـع فـي تفسـير القصـة القرآنية.

وفى خاتمة الرسالة ، تسجيل للمراجع العلمية التي أسهمت فـي بنائها ، وقد قرأتها بنهم وعمق ، أما ما أشرت إليه عرضا في صـلب الرسالة فلم أذكره في المراجع وهو كثير.

ثانياً : المراجع التي اعتمدت عليها وصنفتها في نهاية الرسـالة ما بين مخطوط ومطبوع ، وفي كليهما كتب نادرة سأتناولها بـالتحقيق في حينها بإذن الله.

وقد استعنت ببعض نصوصها وأفكارها ، وأسندته إلى أصله مع ذكر رقم الصفحة من المطبوع والورقة من المخطوط ، وقـد عنيـت بإثبات مكان وجود المخطوطة ورقمها.

ثالثاً : تعرضت لكثير من الأحاديـث الشـريفة فـي الرسـالة باعتبارها الأصل الثاني للتشريع وخرجتها ونسبتها لرواتها ، وبينـت

درجة كل حديث منها ، وأثبت مرجعه ورقمه من الكتاب حتى يتسنى مراجعتها. أو مزيد من التفصيلات لمن أراد المزيد.

رابعاً : كان لابد من الرجوع إلى كثير من كتب الأدب الشرقية والغربية ، ودوائر المعارف المختلفة – المترجمة وغيرها – حتى يمكن الموازنة المحررة بين القصة القرآنية والأدبية ، تجنباً لإصدار الأحكام بدون برهان أو تعميم ، أو تجن على الغير ، وكذلك الاطلاع على كتب علم النفس والاجتماع ، لنرى مدى أسبقية القرآن لهذه العلوم المختلفة ، وإجابته عن كل التساؤلات وحل المشكلات .

وقد حاولت في كل ما ذكرت أن تكون الفكرة واضحة والأسلوب سلسا كما حاولت البعد عن الاستطراد ، وكنت شديد الاهتمام بالجانب العلمي التطبيقي لأحداث القصص القرآني. وكل أملي من هذه الجهود هو البحث عن الحقيقة وإعلانها .

لهذا كله ... ...

عشت قصص القرآن ، وتحملت مصاعب الكتابة عنه ، وبدأت في أغلب جوانبه من حيث انتهى السابقون.

ولست أزعم أننى قد وصلت إلى نهاية المطاف ، وإنما هي محاولة أردت بها الكشف عن بعض كنوز القصة القرآنية ، وتحديد معالمها ، وأهدافها .

وإني بهذا البحث مجتهد ، فإن كنت قد أصبت ، فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى ، فلن أحرم ثواب الاجتهاد بفضل الله.

ولن أدعي أنني قد وصلت بهذه الرسالة إلى الكمال ، ولكنني أرجو أن أكون قد قاربت ووفقت في عرض مادة لهذه الدراسة الجادة المتميزة.

والله من وراء القصد ، وهو ولي التوفيق ،،

((**تمهيد**))

** الرسل والرسلات **

مقام الرسالة مقام خطيـر ، ورسـل الله – بمـا وهبـوا مـن خصائص – هم رجال خبرة بالحياة، يعرفون الخير من الشر بميزان. وهم بالتالي شخصيات حضارة يبنون الوجود بأحسن مـا تبنـى بـه المجتمعات قوة وأصالة مدعمة بالخلق النبيل ، والمثل العليا ...

ولديهم – صلوات الله وسلامه عليهم – بما أوتوا من مواهـب خاصة من التقويم الوجداني والفكري والنفسي ، وبصر بقـوانين هـذا الوجود مما يمكن إجماله فيما يلي :

أولاً : الإرادة القوية التي تمكنهم من إيصال المعرفة الإلهية إلى الناس، والقدرة على إقامة العدل بينهم ، وحفـظ أمـوالهم وأعراضـم ودمائهم.

ثانياً : الصفاء الروحي الذي يمكنهم مـن اسـتبطان النفـوس، والوقوف على دقائقها وانطباعاتها ، ومعرفة مـا وراء الأشـياء مـن مكنون.

ثالثاً : القدرة على ضبط النفس ، ومعالجة مختلـف المواقـف بحكمة وصبر ، وسياسة الرعية برشاد وتوفيق إلهي.

رابعاً : الحرب على الباطل بالإيمان واليقين وقوة الحجة ، والتصرف السريع في الأمور التي لا تحتمل التأخير ، وحسن تقدير المواقف والبصر بالعواقب.

خامساً : إنهم يأخذون القضايا على أساس مبدأ وليس على أساس وجهة نظر تقبل الصواب أو الخطأ. فالدعوى التي يدعيها الخصم لها وزنها المقدر لدى الرسول ، والرد عليها حاسم يملك على الخصم أقطار نفسه .

وشخصية الرسول يمكن التعرف على كل جوانبها من خلال مواقفه مع ربه أو محاورته مع قومه ، ويمكن للفطن أن يعرف الكثير عنها من عبارة واحدة في موقف واحد ، أو مواقف متعددة بينه وبين قومه.

فموسى عليه السلام – يعلمه ربه في أول مناجاته استخدام الحجة ، فيلقى العصا ويخرج يده من جيبه ، فإذا هي بيضاء من غير سوء. ثم يذهب إلى فرعون حاملاً عناصر الرسالة التي كلف بها كل رسول في كل زمان ومكان من التوحيد والبعث وتزكية النفس:

ففي التوحيد تقرا قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ (١)

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة طه آية ١٤ .

(٢) سورة الشعراء آية ٢٤ .

﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (1)

﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (2)

وفى البعث :

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (3)

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (4)

وفى تزكية النفس :

قال تعالى : ﴿ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾ (5)

وهو عليه السلام -- كذلك يحكي الله عنه مخاطبته لفرعون وهامان وقارون: ﴿ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (6)

وفي النص الكريم تسليم مطلق إلى الله ، والتجاء إليه ، وإقرار بربوبيته ومعاداة صريحة لكل عات يتعالى على غيره ، ولا يعتقد بأن

---

(1) سورة الشعراء آية ٢٦ .

(2) سورة الشعراء آية ٢٨.

(3) سورة طه آية ٥٥ .

(4) سورة غافر آية ٢٧ .

(5) سورة النازعات ١٨ ، ١٩ .

(6) سورة غافر آية ٢٧ .

هناك حساباً لما عمله في الدنيا .. نرى هذا إجمالاً .. وأما تفصيلاً فنرى :-

أولاً : تأكيد بأن ملاذ موسى وحصنه هو الله رب العالمين.

ثانياً : التكبر والتعالى على الناس مآله وخيم ، وأن الله يحمي رسله من العتاة الظالمين .

ثالثاً : التكبر والتعالي يدفع صاحبه إلى عدم الإيمان بيوم القيامة، وهذا يستلزم عدم الطاعة حيث لا خشية من الحساب ولا إيمان بلقاء الله.

ويواجه موسى – عليه السلام – مجتمعه بهذه المبادئ التي أشرب بها قلبه وتكونت منها عناصر شخصيته ، وهكذا تجد كل آية، بل كل جملة أجراها الله على لسان رسله قانوناً وأساساً وقاعدة ينطلق منها الرسول داعياً نظرياً وعملياً.

ولو طبقت هذا المنهج على ما جاء عن نوح وإبراهيم وعيسى وجميع الأنبياء والرسل عليهم لما تخلف .

وقد عانى الرسل من غطرسة المتكبرين آلاما لا يطيقها غيرهم: فنوح : – عليه السلام – يسمع الملأ يصفون قومه بالخسران لو اتبعوه من حيث إنهم بشر مثلهم : ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ [1]

---

(١) سورة المؤمنون آية ٣٤ .

ويلجأ نوح إلى ربه يسأله النصر عليهم لتكذيبهم إياه وافترائهم عليه. ويستجيب الله لرسوله ، ويهلك القوم الظالمين:

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ * قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

وهكذا يظن المتكبر بجهله أن من كان بشراً لا يطاع. وهذا من حجب التقليد الذي ورثوه عن آبائهم الضالين ، وإلفهم هذا الضلال ، وهم يهرعون على أثرهم ، ولولا ذلك لعلموا أن الله يمن على من يشاء من عباده . ولو واجهوا أمورهم بحكمة لفازوا باستقرار وثبات وأمن يكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

والحق أن الأنبياء بشر ، ولكنهم بشر ذووا استعدادات فطرية تؤهلهم للسلوك العملي والقيادة الحكيمة لقافلة الإنسانية عبر التاريخ.

وبأدنى تأمل ترى الفروق الكبيرة بين البشر العاديين وبين الأنبياء والمرسلين.

---

(١) سورة المؤمنون آية ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١.

فالإخلاص في الدعوة ، والشعور بعظم المسئولية ، والخوف من الله ، والصمود ضد الطغيان ، والرغبة في إسعاد المجتمع وهدايته، كل ذلك ظاهر في الرسل دون غيرهم من الناس، بدرجات لا تطيقها قوى البشر ، فهم في ثبات على الحق لا يلين ، وهم لا يخوضون في الباطل ، ولا يجنحون إلى الشك أو التردد أو التهاون في شأن التبليغ... وكثيراً ما جادل الكفار في بشرية الرسل ، ويرد الرسل عليهم بأنهم كذلك لكنهم قد امتازوا عليهم بالرسالة : ﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ* قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (1)

وإبراهيم : عليه السلام يخاطب قومه بقوة المنطق ونصاعة الحجة العملية فيكيد آلهتهم بالضرب فلا تستطيع الدفاع عن نفسها، وفي هذا تهكم بها واستخفاف بعقول عابديها وكأنه عليه السلام يقول لهم: "هل العقل يقر بعجز المعبود في الدفاع عن نفسه؟! أو العقل يقر بأن يكون المعبود أقل شأنا من عابده ؟! ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن

---

(1) سورة إبراهيم آية ١٠ ، ١١ .

﴿ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [١] ويبكتهم فيقول: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [٢]

والمتكبرون يتناقضون مع أنفسهم ويضطربون من حيث لا يدرون:

ففرعون يدعى الألوهية ، وأنها خالصة له لا يشركه فيها أحد، ويصرح قائلاً فيما حكاه الله عنه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [٣].. ولا يعلم أن العجز ليس من صفات الألوهية فتراه يقول لموسى عليه السلام: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [٤] انظر كيف يوجه هذا السؤال إلى بشر عادي في نظره ، مع دعواه الألوهية ، ثم يخاف أن يطيح بملكه !! .. وقد أضر بهذا الجهل قومه حيث القيادة طاغية ولا تلبية لصوت الحق...

وهكذا نرى كل متكبر مستبد لا يهدي أمته ، وإنما يوردها موارد الضلال والبوار.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) سورة الشعراء آية ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) سورة القصص آية ٣٨ .

(٤) سورة طه آية ٥٧ .

وعيسى : عليه السلام يلقى الله عليه سؤالا يوم القيامة وهو أعلم بجوابه ، هل دعا الناس وأمه لعبادته من دون الله؟ فيرد عيسى عليه السلام منزها بأنه لا ينبغي له أن يقول غير الحق ، وذلك القول لا حق فيه ، وإنما الحق الذى قاله هو أن يعبدوا الله وحده.. ورد عيسى أمامهم بعد السؤال أبلغ في النفي وأشد في التوبيخ والتقريع؛ حيث ادعوا زورا وبهتانا أنه عليه السلام قال لهم ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)

ونرى في الآيات الثلاث الأصول التالية :

أولاً: خضوع مطلق من عيسى – عليه السلام– لله رب العالمين، وإقراراً بعبودية عيسى لربه ، وأنه لا إله إلا الله .

(١) سورة المائدة : آيات ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

ثانياً: تنزيه الله عما أضيف إليه من هذه المقالة الشنيعة، إذ ليس من حقه عليه السلام أن يقول ذلك، بل الذي قاله حقاً هو عبادة لله الذي هو ربه وربهم ، ولما كان بينهم كان شهيداً عليهم بما قال..

ثالثاً: أمر الناس مفوض إلى الله وحده – دون سواه – فإن يعذبهم فإنهم عباده ، وإن يغفر لهم فليس ذلك عن عجز منه تعالى وإنما عن عزة وحكمة. وذلك مقام التسليم الكامل لأمر الله والتفويض لحكمه.(١)

وعلى هذه الأصول الثلاثة عاش ورفع السيد المسيح عليه السلام...

وهنا أسئلة تطرح نفسها ، مؤداها:

هل إرسال الرسل ضرورة؟ وهل يلزم لكل رسول معجزة؟ ومتى تكون هذه المعجزة ؟ والجواب عن السؤال الأول أن الله تبارك وتعالى أخذ على نفسه إرسال الرسل رحمة بالناس ، إذ لو ترك الناس وشأنهم ما عرفوا طريق الحق ، والشياطين تقعد لهم كل مرصد. وقد ركب الله في الإنسان القوة الشهوانية التي تدفعه إلى اللذة الجسدية أو لذة جمع المال أو طلب الجاه ، وركب فيه كذلك القوة الغضبية التي بها

---

(١) تفسير القرطبي ص ٣٧٤ جـ ٦ .

يظلم ويطغى ، والصراع دائم ما دامت الحياة ، وكل يريد الظفر وحده إلا من عصم الله. وقد جعل الله رسله وسيلة للتبصير والهداية – وتلك مهمتهم – وقصور الإنسان عما حوله لا يخفى ، فكيف بمعرفته بما غاب عنه ؟ فقد يظهر الخير شرا ، والشر خيرا ، وكثيرا ما تقوده انفعالاته وأهواؤه إلى البغي والعدوان. وقد يؤخذ من جهة الأمن.

نرى من ذلك أن إرسال الرسل اقتضته الحكمة الإلهية ، ووجوب الحكمة في أفعال الله تتبع لوجوب الكمال في علم الله وإرادته.(١)

يقول الشيخ محمد عبده – رحمه الله – في حكمة إرسال الرسل:

"أفليس من حكمة الصانع الحكيم ، الذي أقام أمر الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم ، الذي خلق الإنسان ، وعلمه البيان ، علمه الكلام للتفاهم ، والكتاب للتراسل ، أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يعد لها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه ، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ؟ يميزهم بالفطرة السليمة ، ويبلغ بأرواحهم من الكمال ما يلتقون معه للاستشراق بأنوار علمه(٢) ... الخ ... الخ" . ثم يضيف في خاتمة مقاله بيان الحاجة إلى الرسالة فيقول: "فبعثة الأنبياء – صلوات الله عليهم – من متممات كون الإنسان ومن

---

(١) انظر رسالة التوحيد ص٥٧ .

(٢) رسالة التوحيد ص ٩٣ ، ٩٤ .

أهم حاجاته في بقائه ، ومنزلتها من النوع منزلة العقل من الشخص، نعمة أتمها الله ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"[1] .

ونفهم من هذا النص أن إرسال الرسل لم يوجب على الله من الغير ، وإنما أوجبه الله على نفسه ، إذ لا يجب على الله شيء بهذا المعنى...

قال الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا﴾ [2]

"فإن قلت كيف قال "على الله رزقها" بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل ، قلت هو تفضل ، إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد" .

"قال أحمد[3] : "كل ما يسديه الله تعالى من رزق لبهيمة أو مكلف في الدنيا أو ثواب في الآخرة فذلك كله فضل، ولا واجب على الله تعالى وإن ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على أن الله عز وجل لما وعدهم فضله – ووعده خبر ، وخبره صدق – وجب وقوع الموعود أي يستحيل في العقل ألا يقع للزوم الخلف في خبر الصادق ، فعبر عن

(١) رسالة التوحيد ص ١٠٧.

(٢) سورة هود آية ٦ .

(٣) أحمد بن المنير السكندري له تعقيب على الكشاف بالهامش .

ذلك بما يعبر به عن وجوب التكليف ، وبينهما هذا الفرق المذكور هذه قاعدة أهل الحق"[١] .

ولهذا اصطفى الله بعض خلقه واسطة بينه وبين عباده، حياتهم كلها طهر وعفاف وامتن عليهم بالرسالة دون اكتساب منهم، وعصمهم ظاهرا وباطناً عن كل محرم. وهم أكمل الخلق على الإطلاق، وهم – من قبل ومن بعد بشر – يأكلون ويشربون وينامون ويمرضون مرضا لا ينفر الناس منهم، وهم أكثر الناس اضطهادا لأن الناس أعداء ما جهلوا...

وجواب السؤال الثاني: أن الله قد أيدهم بالمعجزات تصديقاً لدعواهم وليست هذه المعجزات بلازمة ، فبعض الأنبياء ليست لهم معجزات كنوح وشعيب وإدريس وإسماعيل وإسحق. وتلك المعجزات التي تظهر على أيديهم مقرونة بالتحدي ليست مستحيلة ، بل هي في حيز الإمكان العقلي يظهرها الله كيف شاء ومتى شاء.

والنبي يقر أن المعجزة ليست من صنعه بل هي من صنع الله، فهذا حديث القرآن عن موسى عليه السلام: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [٢]

---

(١) هامش الكشاف جـ٢ ص ٣٧٩ .

(٢) سورة النمل آية ١٠ .

فلو أن المعجزة من عند موسى لما خاف منها...

وليست المعجزة من قبيل السحر ، فللسحر أصول وقواعد يقدر على تعلمها كثير من الناس. وليست كذلك من قبيل الكرامة، فالكرامة لا يدعى صاحبها النبوة بخلاف المعجزة.

وجواب السؤال الثالث: المعجزة تكون عند تحدي القوم للرسول ونفي ما ادعاه فهو يرد عليهم بأن دليل رسالته أنه قادر – بإذن الله– على خرق العادة. والمعجزة بمثابة قول الله: ﴿صدق عبدي فيما يبلغ عني﴾.

طريق الحصول على المعرفة

الذي يريد المعرفة يحصل عليها من طريقين: طريق إنساني... وطريق رباني. والرباني يحقق في الوقت القصير ما لايحققه غيره في الوقت الطويل ، ولذلك لو وفق أحد الناس في شيء فيمكن أن لا يوفق في شيء آخر ، إذ الناس في انفعالات تضعف وتقوى ، وتبعاً لذلك يتغير حكمهم على الأشياء ، ومادة الكائنات حجاب يحول بين العبد وبين الرشد ، اللهم إلا إذا وجه عن طريق بشر معصوم من الخطأ. والأنبياء وحدهم هم الكفيلون بالتوجيه ، وحل مشكلات الحياة، كبرت أو صغرت:

(١) فيوسف – عليه السلام – حل مشكلة الفقر والجوع ، بعد طلبه أن يكون وزيرا (للتموين) بلغة هذا العصر.

(٢) وموسى – عليه السلام – خلص بني إسرائيل من سطوة فرعون وقهره.

(٣) وشعيب – عليه السلام – حارب التطفيف في المكاييل والموازين.

(٤) والمسيح – عليه السلام– عالج الترف وزهد الناس في الدنيا ؛ لما رأى الإقبال عليها.

وكل ذلك بحلول عملية لا يقدر عليها إلا الأنبياء. أما من عداهم من الفلاسفة كسقراط وأفلاطون وأرسطو أو غيرهم، فلم يقدموا حلولا عملية لكافة مشكلات البشر. والبشر جميعاً عاجزون عن التخطيط لأنفسهم ، فكيف يخططون لغيرهم ؟!

وسر ذلك أن الأنبياء يملكون سلطة روحية لا يملكها غيـــرهم. وكل الأنبياء على ذلك النهج من حيث الجد ورســم المنـــاهج وحــل المشكلات المعقدة.

قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (١)

وإقامة الدين تكون بإحكام أصوله وفروعه مــن أجــل تحقيــق سعادة البشر وأمنهم في الدنيا والآخرة.

وقد اقتصرت الآية على هؤلاء فقط لأنهم مشاهيرهم، وهم أولوا العزم فيهم – فنوح اشتهر بالطوفان وطول العمر في الدعوة، ووصفه الله بأنه شكور في قوله تعــالى : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ . (٢)

وحياته – عليه السلام – كانت بداية الطور الثـــاني للبشـــرية، وإبراهيم – أبو الأنبياء – ألقى في النار فجعلها الله برداً وسلاماً عليه، وكسر الأصنام وبنى الكعبة.

وموسى اشتهر بمواقفه مع فرعون وبني إســـرائيل، وعيســـى بولادته من غير أب وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله.

---

(١) سورة الشورى آية ١٣ .

(٢) سورة الإسراء آية ٣ .

وشريعتهم جميعاً واحدة من حيث الأصول فيما يتعلق بالتوحيد ، واليوم الآخر ، والإيمان بالكتب ، والرسل ، والتمسك بالأخلاق الفاضلة من الصدق والبر والوفاء بالعهد والرحمة وغيرها. أما من حيث العبادات الفرعية فهي تختلف من شريعة لأخرى وفقاً لحال الأمة.

قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١)

وقد اقتضت حكمة الله جعل الشريعة واحدة في الأصول لتأكيد وحدة المعبود ، ووحدة الإنسانية ، ووحدة الغاية .

وصلاح البشرية لا يتأتى إلا عن طريق هذه الوحدة.

ودليل ذلك سعادة من تمسك بالحق ، وأذعن لدعوات الأنبياء.

وقد أيد الله هذا المعنى في آية أخرى هي قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (٢)

وهنا سؤالان :

أولهما – لماذا لم يرسل رسول واحد للإنسانية كلها ما دامت الشريعة متفقة في الأصول ؟

---

(١) سورة المائدة آية ٢٤٨ .

(٢) سورة النساء آية ١٦٣ .

والجواب : أن التأثير الفعلى لا يتأتى إلا بوجود رسـول بـين قومه، ويرون بأنفسهم تطبيق مبادئه التي نادى بها على نفسه، حتى لا يدعوا صعوبة التكاليف والالتزام بها... وبالتالي لكل أمة خصائصـها التي تميزها ، والرسول يسوسها حسب ما يراه صالحاً لتقويمها ومـن هنا اختلفت معجزات الأنبياء ، فلو أتى إبراهيم بالقرآن مـثلاً ، لقـال قومه نحن لا نحسن العربية ، ولو أتى المسيح باليد والعصا لقال قومه: نحن لا نحسن السحر .. وهكذا لا يتأتى الإلزام. ولذا كانت المعجـزة قاطعة لعناد أهل البغى ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ (1)

والرسل – عليهم السلام – بما وهبهم الله من فطـر (2) متميـزة يصعب الحكم عليهم إلا ممن وصل إلى ما وصلوا إليـه مـن حقيقـة المشاعر واليقين والبصر المحكم بسنن الله وقوانينه التي لا تتخلـف ، ولا يكفى معرفة هذه القوانين فحسب ، وإنما لابد من نور يقذفه الله في القلب حتى تستعد أجهزة الاستقبال للتلقي الإلهي للوقوف بهـذا النـور على فطرة التوحيد دون ارتياب.

وثانيهما:لماذا لم يرسل الله رسلا إلى قوم دون آخرين؟ باعتبار أن الله يعلم مدى استعداد كل للهدى الإلهي؟

---

(1) سورة الأنفال آية ٤٢ .

(2) فِطر : جمع فِطرة وهي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به . لسان العرب : فطر ٢٨٦/١٠ ، ٢٨٧.

والجواب : كل الخلق أمام الله سواء. فلا عنصرية ولا تمييز إلا بالتقوى والعمل الصالح . ولو حاسب الله قوماً دون أن يرسل لهم رسولاً لأمكن لهم القول: كيف نحاسب على ما لم نعلم؟

ولذا قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١)

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (٢)

هذا وإن علم الاجتماع والفلسفة والأخلاق وعلم النفس غير قادرة على إسعاد البشرية ما لم تستمد مناهجها من رسالات السماء. وليس القرآن عاجزا عن مد هذه العلوم بالثراء والخصوبة ، فقد سبق المناهج الحديثة بقوانين لا تخطئ عن أسباب ضعف الأمم وانحطاطها، وأسباب قوتها وسموها، وأسباب زوالها وهلاكها ، وأسباب بقائها وعزها ، وشرح العلل الاجتماعية ومسالكها ، وكيف تعالج هذه العلل. وكل ذلك مما قصه الله علينا بأحسن القصص عن الأمم الغابرة.

وقد يظن المحدثون أنهم يبنون ، وهم يهدمون ما يستحق البقاء، وبذلك يشيعون الفوضى من حيث يدرون أو لا يدرون. والمشرعون من دعاة العلم والفلسفة ينقضون اليوم ما أثبتوه بالأمس، وبذلك يتناقضون في الزمن الواحد إذ هم يحكمون على ظواهر الأشياء عن طريق مادة هذه الكائنات ، وذلك لا يكفي إذ لابد من الدلالة المعنوية،

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥ .

(٢) سورة فاطر آية ٢٤ .

وإدراك القوى الخفية التي تحرك هذه المادة بالبصيرة. وحينما يتم هذا الإدراك تفتح أمام العقل آفاق من عالم أبدعه قادر حكيم.

ولعل هذا المعنى يشير إليه الحق – جل وعلا – حينما قال :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (1)

وليس المراد الرشد الذي يدرك شئون المادة فحسب وإنما هناك رشد آخر وراء هذا الرشد ، يدرك به عالم ما وراء الطبيعة ، باعتبار أن له سلطاناً على هذا الوجود المادي.. والرشد الأول عام لكل راشد، أما الرشد الثاني فلا يدركه غير إبراهيم وإخوته من الأنبياء والمرسلين ومن اتبع هداهم. ولذا تراهم جميعاً يدركون الصلة بين السبب والمسبب في لمحة واحدة ، حيث هم يستمدون هدايتهم من الله لا غير.

ونحن إذا كنا ندرك المعلومات بالعلم النظري المركوز في الطبائع والمرشد إلى التوحيد والإيمان بالفضائل ، والعلم النظري الذي نستنتجه بالبرهان والتجربة ، فإن الأنبياء – صلوات الله عليهم – يدركون المعلومات بالعلم الإلهي اللدني المباشر للوحي والكتب السماوية عن طريق الوجدان والرؤى القلبية. ولهذا نجزم بكذب من عادى الأنبياء والمرسلين من دعاة المذاهب الواقعية والمثالية والتجريبية والنقدية وغيرها.

ولذلك نرى أن هدايتهم لا تكون إلا عن طريقين :

---

(1) سورة الأنبياء آية ٥١ .

أولهما – الإيمان بوجود الله وإرساله الرسل .

ثانيهما – اليقين بصدق المرسلين بعد أن دلت المعجزة على صدقهم مع الاستجابة لأمر الله ونهيه ، والوقوف عند حدوده ، والغيرة على شريعته ، والدعوة إليها.

وأصحاب الدعوات يلاقون الكثير في سبيل دعوتهم مع أنها للخير والرشد العاجل والآجل ، فهم يطلبون تحرير العقول من التقليد ولكن المقلدين يأبون التخلص من هذا الأسر، وينقضون على الداعية تسفيها له وعدوانا عليه.

فنوح عليه السلام استهزأ به قومه ورموه ومن آمن معه بضعف الرأي والكذب وقالوا : ﴿ مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (١)

وإبراهيم عليه السلام أجمعوا على تحريقه ولكن الله حفظه من كيدهم: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة هود آية ٢٧ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

وعيسى عليه السلام أصروا على قتله ووشوا به لدى الحاكم الروماني ولكن الله نجاه من شرهم: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(١)

وهكذا تكون معارضة الحق في ضلالة وحمق ، وتكبر على الهداية الراشدة التي تكشف الحقائق وتقود إلى البر. ولكن من لطف الله بعباده أن يهدى بعض القوم إلى الاستجابة للهدى وإن كانوا قلة بجانب الكثرة الجاحدة.

فسحرة فرعون قدروا حجة موسى واستضاءوا بنور الفطرة، وغلبوا الثقة في الله على وعيد فرعون وتهديده قائلين له: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ ٧٢ ﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٢)

وهكذا أحوال الخلق وطباعهم في هدى مرة ، وضلال مرات وسنة الله فيهم لا تتخلف ، ويعمل أكثرهم لإشباع غرائزه من طعام

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧ .

(٢) سورة طه آية ٧٢ ، ٧٣ .

وشراب وشهوة وجمع مال ، وجموح هذه الغرائز لا يقيده عقل عاقل، إلا إذا اتجه بكليته إلى ربه فينشد منه الأمن والهداية ، حتى لا تطغى الغرائز على العقل.

فتيار الإلحاد وإن علا فإن تيار الحق يصرعه وإن طال المدى، ودعوات الأنبياء وإن طالت عشرات أو مئات السنين فهم مع ذلك لم ييأسوا من نصر الله ، وبهذا الإصرار على النصر تتنبه الأذهان وتتحرك القلوب. ولا يزالون على إصرارهم حتى يقضي الله أمره ولو تمادوا ، كما فعل قوم إبراهيم به ، وذلك فيما يحكيه الله عنهم: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ . (١)

وإنك لترى المعذبين من الدعاة – وإن لحقتهم ألوان العذاب – يواصلون جهادهم الأكبر في إيصال الناس إلى الكمال البشري ، وإنهم لا يدعون أحدا إلى ما لا طاقة له به، ولا يخاطبون من غاب عقله أو لم يميز. كل ما هنالك أنهم يريدون تثبيت العقيدة السليمة في القلوب وتهذيب الغرائز المادية والنفسية . ومن حق الفرد بعد ذلك أن يسعد بما يسعد به سائر البشر من رقى وحضارة.

---

(١) سورة الأنبياء آية ٦١ .

القصة القرآنية حق

الإنسان بفطرته يميل إلى القصة .. فالسؤال يوجه تلقائياً إلى الغير.. ما الأخبار ؟

وهى بواقعيتها وخيالها قديمة قدم النوع الإنساني. وتستطيع القصة أن تقوم بدور خطير لصالح الإنسان لهذا السبب. ولو روعيت أصولها وقواعدها ، وقدم منها للعقل البشرى وللإنسان ما يتناسب مع الحقائق الدينية في صور شهية. لأفدنا غيرنا الكثير.

وأعداء الإسلام يستخدمون أقوى عندهم لتقويض معالمه ، فعلينا بالتالي أن نستخدم أقوى ما عندنا كي لا ينالوا منا. إنهم يريدون أن ينتزعوا ثقتنا بمبادئنا ويزعمون أنها خيال لا حقيقة ، فإذا لم نستيقظ لما يريدون منا فقد مكنا لهم ، ومهدنا السبيل لفقد كل شيء نعتز به.

ونحن بكل أسف لم ندرس بعد مناهج العدو ، ولم نستبطن ضلاله وحيله وهيمنته على العقول المسلمة. فعلينا أن نبادر فنقتل أفكاره في مهدها.

إن "مرجليوث"[1] مثلا كان أول من أثار قضية الشعر الجاهلي، وتبناها "طه حسين" في كتابه المسمى بهذا الاسم. وقد تركت هذه

---

(١) مستشرق إنجليزي يقول : الشعر الجاهلي مصنوع على مثال القرآن ، مع أنه يجهل لغة القرآن ، وقد تأثر به طه حسين إلى حد الإلحاد . مصادر الشعر الجاهلي . ناصر الدين الأسد ٢٩٢ وما بعدها.

الفكرة أسوأ الأثر في الثقافية الإسلامية.[1] حيث ادعى – زورا – أن الشعر الجاهلي وبناء إبراهيم البيت الحرام لا أصل له.

إن مقصده الأول والأخير هو القضاء على مقدساتنا الإسلامية عن طريق نزع الثقة منها ، وتزييف أدلتنا ومناهجنا.

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2]

ويقول : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ﴾ [3]

والحق هو الأمر الثابت الذى يطابق الواقع ، وهو ذو أثر في تثبيت القلب وهدايته.

ويقول في آية أخرى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [4] ... من حيث الصدق والتأثير في النفس ، ومن حيث إشباع الرغبة في سماع هذا القصص وكيف كان سلوك يوسف وإخوته ومعاملتهم مع الله ومن حيث كماله – عليه السلام – الخلقي والعقلي والبدني والنفسي. ولكن أعداء الحق يتعالون على هذه الحقائق ، ولو وجهت إليهم لما أجابوا بغير سفاسف القول وباطل الكلام.

---

(١) انظر مقدمة مالك بن نبي في الظاهرة القرآنية ص ١٣ للشيخ محمد شاكر .

(٢) سورة يوسف آية ١١١ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٢ .

(٤) سورة الكهف آية ١٣ .

ولربما ظنوا أن قصص القرآن كغيره من القصص الأدبي الهادف منه وغير الهادف ، العربي وغير العربي ، الواقعي والخيالي. ولم يضعوا في اعتبارهم أن القرآن محكم الآي والسور وأنه: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (١)

ولذا نقول لهم : ما دامت القصة قرآنية فيلزم أن تكون صادقة لأنها إخبار من الله ، وأخبار الله لا يتطرق إليها الكذب لما يلزم عليها من المحال العقلي.

وإذا كانوا لا يؤمنون إلا بالمادة المشاهدة بأعينهم فإن القرآن من هذه الناحية وثائق أصدق من الواقع المادي الذي لا ينكرونه ؛ لأنها من رب العالمين ، فقد يخطئ الإنسان في نسبة الآثار لأهلها. أما القرآن فلا يخطئ في هذه النسبة من حيث إنه يصور الواقع الذي حدث، ومن حيث إنه يسوق هذا الواقع للعبرة بالسابقين الذين أجرى الله عليهم هذه الأحداث.

ونحن نبادر من جانبنا فنقول للذين يدعون عدم واقعية القصة القرآنية: إما أن يكون الله صادقاً أو أنتم الصادقون ، فإن قلتم بالأول، فنحن معكم ، وإن قلتم بالثاني فقد كفرتم بالله وبالقيم. ونعوذ بالله من جرأتكم على الله .

---

(١) سورة فصلت آية ٤٢ .

وسنشبع هذا الموضوع في الباب الثالث في الفصل الخاص برد الشبهات إن شاء الله. [1]

وإذا كانت القصة عند العرب لا تخلو من خيال فهي كذلك عند غير العرب كاليونان والفراعنة والفرس والهنود وغيرهم. فهي تمثل العقائد الباطلة التي نسجوها من الوهم ، وهم ينتزعون من الطبيعة آلهة تعبد ، ويظنون أنها تضر وتنفع. وكثيراً ما يحكي اليونانيون صراعهم مع الآلهة وصراع الآلهة فيما بينهم.

والقصة من قبل ذلك ومن بعده منهج الدعاة إلى الله ، ولا تقوم بدورها الحقيقي إلا إذا بنيت على الصدق الخالص والحق الصراح. وقد اعتبرت القصة إحدى مناهج القرآن إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل...

وقد كان صحابة رسول الله (ﷺ) يكتفون بالعبرة والعظة من القصة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [2]، ولم يكونوا يشغلون أنفسهم بالتفصيلات والجرى وراء ما لم يذكره القرآن أو طواه في القصة، إذ لو كان فيه كبير فائدة لما تخلوا عنه.

هذا إذا استثنينا بعض ما أخذ عن أهل الكتاب بحسن نية من باب الشاهد والعبرة كذلك. أما بعد عصر الصحابة فقد شغل الناس بالجدل في القصص والمتشابه من القرآن. وأكثر التابعون من الرواية

---

(١) انظر ص ٤١٨ من الرسالة .

(٢) سورة يوسف آية ١١١ .

الإسرائيلية ممن أسلموا ، وسنفيض في ذلك إن شاء الله عند الكلام على مناهج المفسرين في القصة القرآنية.[1]

أما موقف الدين من القصص عموماً فأقول :

إما أن يكون القصص حقاً ، وإما أن يكون باطلاً. فإن كان حقاً فإن الدين يدعو إليه ويحث على الانتفاع به لما اشتمل عليه من عقائد وتشريعات.

أما إن كان القصص باطلاً ، وخالياً من الأهداف الشرعية فإن الدين يمنعه ، ودليلنا : قول رسول الله (ﷺ) : "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه ، فهو رد" [2].

وفى سنن ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: "لم يكن القص في زمن رسول الله (ﷺ) ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر رضي الله عنهما" [3].

وغير خاف أن المراد بالقص هو القصص الذي لا أصل له أو ما فيه دخيل غير صحيح .

---

(١) انظر الرسالة ص ٦٥١ .

(٢) رواه البخارى حديث عائشة رضي الله عنها ، انظر فتح البارى ٥/٣٠١.

(٣) كتاب الأدب ، باب القصص ص١٢٣٥ . قال الحافظ العراقي وإسناده حسن الباعث على الخلاص من حوادث القصاص . مخطوطة للحافظ العراقي بدار الكتب برقم ٢٩٠ حديث تيمور ورقة (٢).

وفى مسند الإمام أحمد والمعجم الكبير للطبراني من حديث السائب بن يزيد قال: "إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله (ﷺ) ولا زمن أبي بكر"[1] .. زاد الطبراني ولا زمن عمر حتى كان أول من قص تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس قائماً فأذن له[2] .

وكان من قبل استأذن تميم الداري عمر في القص فلم يأذن له، وكرر ذلك ثلاث مرات. ففى المعجم الكبير للطبراني من رواية عمرو ابن دينار "أن تميماً الداري استأذن عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له ، ثم استأذن فأبى أن يأذن له ثم استأذن فأبى أن يأذن له ثم استأذن فقال إن شئت ، وأشار بيده يعني الذبح[3].

ونرى من هذه الآثار مدى تحرج الصحابة من القصص خشية الابتداع في الدين وإقرار ما لم يكن في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ العراقي: "فانظر رضى الله عنك موقف عمر في إذنه في حق رجل من الصحابة الذين كل واحد منهم عدل مؤتمن،

---

(١) مسند أحمد ٤٤٩/٣ .

(٢) المعجم الكبير ١٤٩/٧ رقم ٦٦٥٦ وقال الحافظ العراقي : إسناده جيد فيه بقية بن الوليد وقد صرح بالتحديث في رواية أحمد فزالت تهمة تدليسه . الباعث على الخلاص ورقه (٢).

(٣)٤٩/٢ رقم ١٢٤٩ وفي مجمع الزوائد ١٩٠/١ قال : ورجاله رجال الصحيح إلا أن عمرو بن دينار لم يسمع من عمر .

وأين مثل تميم في التابعين ومن بعدهم. وهذا يدل على أنه ليس لآحاد الرعية أن يقص إلا بإذن من ولى الأمر الذي يلي أمور المسلمين، إن كان يعلم من يصلح لذلك فيكون ذلك بإذن من أقامه لذلك من الحكام والعلماء. (١)

ومما يدل على مسئولية القاص ما رواه الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت عن النبي (ﷺ) قال : " لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف" (٢).

والحديث يبين أن القصاص ثلاثة: مسئول متمكن من قوله أو مأذون له فيه أو شخص لا يبغى بحديثه وجه الله تعالى.

وفى رواية عن عبدالجبار الخولاني قال : "دخل رجل من أصحاب النبي (ﷺ) المسجد ، فإذا كعب يقص ، فقال: "من هذا ؟ قالوا كعب يقص ، فقال : "سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال "فبلغ ذلك كعب ، فما رؤى يقص بعد"(٣)

وهذا يدل على أن أكثر الذين يقدمون على القصص آثمون إن زعموا أن الله ورسله قالوا قولاً لم تثبت صحة النقل فيه وإنما صورت

---

(١) الباعث على الخلاص من حوادث القصاص مخطوطة للحافظ العراقي ورقة (٤) .

(٢) إسناده حسن مجمع الزوائد ١/١٩٠ .

(٣) مسند أحمد ٢٣٣/٤ وفى الفتح الرباني جـ ٢٠ ص ٤٤ كتاب قصص الماضيين ، باب ما جاء في القصاصين قال : والظاهر أن المراد به : "كعب الأحبار" وفى مجمع الزوائد ١/١٩٠ قال : وإسناده حسن.

لهم أهواؤهم أقوالاً أقدموا عليها لعدم الإذن لهم بهاء وإقـدامهم عليهـا بدون علم ، لغرض مادي ، أو يتكلفون ما لا يحسنون ، أو يختـالون تيها وعجبا من حيث لا يدرون عاقبة كبرهم وجرأتهم على دين الله.

وفي النهي عن القص ثبت أن معاوية رأى قاصاً يقص في مكة فقال له: " ما حملك على أن تقص بغير إذن ؟" قـال : "أنشـر علمـا علمناه الله عز وجل "فقال معاوية: "لو كنت تقدمت إليك لقطعت منـك طائفة". رواه الحاكم في المستدرك من رواية أبي عامر عبـدالله بـن يحيى.[1]

والحق أن أكثر الذين يقصون لا يتحرجون من الكـذب بغيـة استمالة القلوب ، وحباً في الظهور ، ورغبة في الثنـاء علـيهم ولـو تحرووا القول فيما يقولون ما أكثروا وجعلوا همهم العمل أكثـر مـن اهتمامهم بالقص.

والناس حينما يجدون أنفسهم في فراغ يقصون ، وحينما تـدور عليهم الدوائر ، ويستضعفون يكثرون من القص. وأكثـر القصـاص يركنون إلى الدعة والخمول ، وفي هذا ضياع للدين والعمل بما فيـه. مصداق ذلك حديث خباب بن الأرت عن النبي (ﷺ) عليه وسلم قـال: "إن بني إسرائيل لما هلكوا قصوا"[2] .

---

(١) جـ١ ص ١٢٨ وكان ذلك أيام الحج والقاص مولى لبني فروخ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الطبراني في الكبير . نسخة "ميكرو فيلم" غير كاملة بجامعة الدول العربية . فن حديث ومصطلح بأرقام ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠.
وانظر مجمع الزوائد جـ١ ، ص١٨٩ وقال : رجاله موثقون

وفرق بين أن تكون القصة صحيحة تتخذ أداة لبث المبادئ الفاضلة ، وبين أن تكون كاذبة ، لا يقصد بها غير قتل الأوقات.

وهذا – في رأيي – ما دعا الصحابة إلى إنكار القص كابن مسعود وابن عمر ومعاوية وجبلة بن الحارث وأنس ومالك بن أنس[1].

ولو أنهم رأوا من يقرأ القرآن ويشرح قصصه بما لا زيادة فيه لما تحرجوا من ذلك ويوجه هذا الإنكار للمبتدعين الضالين المضلين. قال عمرو بن زرارة: "وقف على عبدالله ابن مسعود وأنا أقص فقال لي: "يا عمرو بن زرارة لقد ابتدعت بدعة ضلالة أو إنكم لأهدى من محمد (ﷺ) وأصحابه "قال عمرو بن زرارة فلقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد.[2]

وإذا كان هذا موقف ابن مسعود مع أحد الصحابة وهو ابن زرارة – رضى الله عنه– فكيف يجرؤ غيره على القص بدون إذن وهم في الزهد والصلاح والتقوى لا يشق لهم غبار؟

ونحن نرى اليوم شدة الإقبال على القصص والقصاص ، ويترتب على هذا الإقبال ترك العمل مع العجب والغرور ، والرياء. ولذلك فالكلام يخلو عن الصدق في أغلب الأحيان فهم يضيفون إلى القرآن ما لم يتثبتوا من نقله ، وينقلون قصصاً لا أساس لها من

---

(١) الباعث على الخلاص ورقة ١٢.

(٢) المعجم الكبير للطبراني . وانظر الباعث على الخلاص ورقة ١٢ وفى المجمع ١٨٩/١ إسناده حسن.

الصحة، وينسبونها إلى رســول الله (ﷺ) وأصــحابه والتــابعين زورا وبهتاناً. وهم يظنون بذلك أنهم يقدمون للإسلام منفعة كبيــرة مــع أن رسول الله (ﷺ) قد قال: "من قال علي ما لم أقل فليتبــوأ مقعــده مــن النار".[1]

والله تعالى يقول : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [2]... قال الحافظ العراقي: "كان التابعون يكرهون الكلام فــي رسول الله (ﷺ) بالظن" [3].

فكيف بمن يتكلم في القرآن الكريم بالظن ؟؟!

---

(١) صحيح البخارى بشرح فتح البارى كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي (ﷺ) . جـ١ ص٢٠٩ وما بعدها ، ومسلم بشرح النووى جـ١ ص٦٥ باب التحذير من الكذب على رسول الله (ﷺ) من رواية أبي هريرة كتاب الزهد باب التثبت في الحديث ، وحكم كتابة العلم من رواية أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ، المطبعة المصرية الأزهرية ١٣٤٧هـ ، ١٩٢٩م.

(٢) سورة النجم آية ٢٨ .

(٣) الباعث على الخلاص ورقة ١٥.

((الكتب المؤلفة في قصص القرآن قديماً وحديثاً))

التراث الإسلامي زاخر بالمؤلفات في قصص القرآن ، باعتباره جزءاً من كتاب الله عز وجل – أولاً ، ولما اشتمل عليه من العظات والعبر ثانياً ، وباعتباره مصدراً من مصادر التاريخ ثالثاً .

وبالضرورة اشتملت الكتب التي عنيت بتفسير القرآن الكريم على قصصه وهي أكثر من أن تحصى.

ونحن نرى ذلك في مدارس التفسير المختلفة ، غير أن أغلب المفسرين بالمأثور أكثروا من استيعاب تفسير هذه القصص ، وسرد أخبارها ، وترى ذلك واضحاً إذا كان المفسر يجمع بين التفسير والتاريخ ، أو التفسير والحديث. وعلى سبيل المثال:

ابن جرير الطبرى الذي ولد في طبرستان سنة ٢٢٤هـ وتوفى ببغداد سنة ٣١٠ هـ .

وابن كثير القرشي المتوفي سنة ٧٧٤هـ.

ترى كلا منهما مفسراً ومؤرخاً ، لكن الثاني يفضل الأول ببيان درجة الحديث فى كثير منها .

وبعض المؤلفات كتبت في التاريخ وجمع فيها قصص للأنبياء ومنها:

١) "التيجان في ملوك حمير" ومؤلفه أبو عبدالله الأنباوي[١] الصنعاني المعروف بوهب بن منبه[٢] والكتاب مطبوع في إحدى وتسعين وأربعمائة صفحة بدار المعارف النظامية بالهند سنة ١٣٤٧هـ الطبعة الأولى .

وروى الكتاب عن المؤلف أبو محمد عبدالملك بن هشام صاحب السيرة النبوية واستهله ببدء الخلق ، ثم الأنبياء ، ثم العرب وأنسابهم وأسواقهم وحروبهم. يقول فيه: إنه قرأ ثلاثة وتسعين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء.

وقد وجد أن الكتب المنزلة من السماء عليهم مائة كتاب وثلاثة وستين كتاباً[٣] . وأغلب الأحيان ترى الأخبار مجردة عن الإسناد ، تذكر بصيغة قال أهل العلم ، أو قال بعض أهل العلم، وفيه من الأحداث ما لا يقبل لخلوه من السند الصحيح ، مثل: إحياء الله سامَ بنَ نوح لعيسى عليه السلام حينما طلب الحواريون منه ذلك.[٤] وفيه قصة لقمانَ بنِ عادٍ الذي عاش عمر سبعة نسور وهي أربعمائة وألفا سنة.[٥]

(٢) تاريخ الأمم والملوك : للطبري ، المفسر الإمام ، الذي كان أول من ألف في التاريخ كتاباً جامعاً ، وما قام أحد بمثل ما صنع من

(١) الأنباوى : بالباء الموحدة سير النبلاء ٥٤٤/٤.

(٢) له ترجمة موجزة في ص ٤٧٥ من الرسالة .

(٣) ص٢ من الكتاب .

(٤) ص ٢٧ من الكتاب.

(٥) ص ٧٠ من الكتاب .

بعده ، والذي يؤخذ عليه أنه لم يعن بالسند ، فكثيراً ما يذكر الروايات بأسانيد ضعيفة ، ولا يعقب عليها بالنقد من حيث الصحة أو الضعف، كما أكثر من ذكر الإسرائيليات ، ومنهجه في التاريخ كمنهجه في التفسير فتراه يقول ناقلاً عن غيره في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [1] الآية : إن الله نادى آدم لم أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال يارب : أطعمتني حواء قال لحواء لم أطعمته ؟ قالت: أمرتني الحية قال للحية لم أمرتها ؟ قالت أمرني إبليس قال : ملعون مدحور. أما أنت يا حواء فكما أدميت الشجرة تدمين في كل هلال ، وأما أنت يا حية فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من لقيك بالحجر: ﴿ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [2]

إلى غير ذلك من الأخبار الإسرائيلية حيث تراه ينقل عن كعب الأحبار ، وهب بن منبه ، وابن جريج ، والسدي ، وغيرهم.

(٣) أخبار الزمان ، ومن أباده الحَدَثَانِ [3] وعجائبُ البلدان والعامر بالماء والعمران. ومؤلفه أبو الحسن على بن الحسين بن علي المسعودي المتوفي سنة ٣٤٦هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٧هـ ،

---

(١) سورة الأعراف آية ٢٢ .

(٢) التاريخ الكبير جـ١ ص ٥٤ تحقيق محمود محمد شاكر ومراجعه أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ١٣٧٤هـ ، وانظر التفسير جـ١ ص ٥٣١ تحقيق محمود شاكر ومراجعة أحمد شاكر. والآية الكريمة من سورة البقرة : ٣٦ .

(٣) الحدثان : بفتح الحاء والدال . الليل والنهار . المعجم الوسيط ١٦٠/١.

١٩٣٨م[1] وهو أول ما ألفه المسعودي ، وكان ينوه به كثيراً ، ويدعو إلى قراءته في كتبه التي بلغت أربعة وثلاثين كتاباً ، ولا يوجد في المكتبات العربية والإسلامية منها غير ثلاثة كتب ، والباقي فقد بعضه، والبعض الآخر بمكتبة "إكسفورد" ، والكتاب غاية في الجودة من حيث الأسلوب ، وروعة التنظيم ، وإحكام العبارات ، فضلاً عن التشويق لعجائب ما فيه من حكمة الخلق وبدئه ، وأحوال الأمم والبلدان، وأخبار الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام وهو يقع في اثنتين وخمسين ومائتي صفحة ، وطباعته جيدة تليق به .

(٤) قصص الأنبياء المسمى "عرائس المجالس" لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفي سنة ٤٢٧هـ[2] ذكر في المقدمة بعض وجوه الحكمة في ذكر القصص القرآني. ثم بدأ بصفة خلق الأرض وحدودها ، ومهد لحكمة الخلق ويتعرض لخصائص كثير من الأنبياء والمرسلين كآدم ، ونوح ، وإبراهيم – عليهم السلام – وذلك من مميزات الكتاب ، ولكن عيبه الأكبر كثرة ما فيه من إسرائيليات ، يرفضها العقل ، والنقل ، وفيه غرائب يقبلها العامة ، وينكرها الخاصة.

---

(١) مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي .

(٢) طبعة عيسى البابي الحلبي .

(٥) الكامل لأبي الحسن عز الدين على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، ابن عبدالواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجزري ، المولود سنة ٥٥٥هـ والمتوفي سنة ٦٣٠هـ أرخ لبدء الخلق، ثم الأنبياء والمرسلين ثم للخلفاء الراشدين ثم الأمويين ، ثم أخذ بمنهج الحوليات.. والكتاب جامع لخلاصة الكتب السابقة عليه ، كالتاريخ الكبير للطبري وزاد عليه. بدأه ببدء التاريخ الإسلامي ، وتعرض في القصص القرآني ، للآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالشرح والتعليق.. حقق الكتاب فضيلة الشيخ عبدالوهاب النجار رحمه الله .[1]

(٦) البداية والنهاية .. لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي المولود سنة ٧٠١ والمتوفي سنة ٧٧٤هـ. إتبع فيه منهج الطبري ، واستفاد منه ، ورجح بعض الروايات ، ثم ذكر الحوليات إلى سنة ٧٤٨هـ ، وأوله بدء الخلق من السموات والأرض، والكرسي ، والعرش ، والملائكة ، وآدم عليه السلام. ثم ذكر الأنبياء من بعده ، إلى عهد سيدنا محمد (ﷺ) ، وقد أفاض في شرح الآيات القرآنية المتعلقة بكل ما ذكر ، وكذلك الأحاديث النبوية ، والمؤلف يعقب على ما يذكره من الأحاديث ، وهو في الحكم عليها حجة ، وللكتاب عدة طبعات ، منها ما لم يحقق ، ومنها ما تم تحقيقه.

---

(١) مطبوع بإدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٤٨هـ.

(٧) أخبار الدول وآثار الأول لأحمد بـن يوسـف بـن أحمـد الدمشقي القرماني[١] المولود سنة ٩٣٩ والمتوفي ١٠١٩هـ ، بـدأه بمعنى التاريخ ، ثم بداية المخلوقات من الجـن والشـياطين وإبلـيس والأرض وسكانها والسموات ، وفي الفصل السادس تكلم عـن معنـى النبوة والرسالة ، وعدد النبيين وتفاوت ما بينهم مـن السـنين. وفـي الكتاب أخبار غريبة كقوله عـن آدم – عليـه السـلام – إن الحجـر والشجر كان يمشى معه ، ويتكلم الحصا في يده ، ويزرع ويحصد في يوم واحد، ويأخذ النار بيده فلا تحرقه[٢]. ومن مميزات الكتـاب أنـه ينسب كل خبر لصاحبه ، وهو يصف كثيراً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقول عن نوح. "كان رجلاً دقيق الوجه ، في رأسه طـول ، عظيم العينين غليظ الفصوص[٣] دقيق الساقين ، والساعدين ، كثير لحم الفخذين، ضخم السرة ، طويل اللحية ، طويلاً جسيما".

وهو يذكر الأنبياء والمرسلين ، وممن ذكرهم من الأنبياء إشعيا النبي، وختم الفصل السادس والثلاثين ، بذكر عيسى عليه السلام ، وقد أفاض في معجزاته.

---

(١) القرماني بالقاف.

(٢) لخَّصَهُ من البحر الزخار في أخبار الأوائل والأواخر لمصطفى بن حسن الحسيني الهاشمي.

(٣) الفصوص بالفاء: جمع فص والمراد المفاصل في العظام كلها إلا الأصابع. لسان العرب ٢٧١/١٠.

ثم تكلم عن الفترة التي بين عيسى ونبينا محمد (ﷺ) – نقلاً عن الكواشى، والزمخشري ، وغيرهما ، وقد ذكر أن هناك أنبياء كانوا بين عيسى ، ومحمد ومنهم "حنظلة بن صفوان" ، وقد بعث لأهل الرس.

والكتاب ثروة تاريخية علمية مفيدة.

وهو على هامش الكامل لابن الأثير ، برقم ٤٧٨٩ تاريخ بدار الكتب المصرية .

وقد لاحظت أن اللاحق يأخذ من السابق ، وغالباً ما يذكرون الأخبار بدون نقد لها ، أو تعليق عليها ، وأكاد أجزم بأن جميع من أتى بعد الإمام الطبرى كان عالة عليه .

وترى في كل ما ألف في القصص القرآني أنه رواية لحوادث التاريخ الصحيح منها وغير الصحيح .

أما المؤلفات في القصص القرآني حديثاً ، فمنها: ما هو سرد تاريخي كسابقه ، غير أنه سرد محقق بعيد عن الدخيل في الأعم الأغلب، حيث قد وضع مؤلفوها المرويات أمام النقد العلمي السليم.

ومنها: ما عنى بالقصص القرآني دراسة ، واتخذ فيه منهجاً لم يعهد لدى المؤلفين من قبل ... فمن الأول:

١- قصص الأنبياء للمرحوم الشيخ عبدالوهاب النجار، ويقع الكتاب في ثمان وستين وأربعمائة صفحة من القطع الكبير ، ومصادر المؤلف التي اعتمد عليها فيه هي القرآن الكريم ، والتوراة ، والإنجيل،

وكتب التاريخ ، والآثار التي اكتشفت وأضاف لذلك كله ، علم النفس، ووضع الأحداث أمام المنهج العلمي وإن كنت أخالفه في بعض ما ذهب إليه، مثل ما قاله جرياً وراء التوراة من أن انفلاق البحر لموسى كان بسبب هبوب ريح ليلية[1] ، وكذلك تفسيره للعجل الذي صنعه السامري ، بأن القوم قد اشتروه وعبدوه[2]، وادعاؤه أن قصة البقرة المذكورة في القرآن ، ليست على ظاهرها[3] ، وقد بذل المؤلف جهداً كبيراً فيه ، حيث جمع الآيات المتعلقة بكل رسول وأورد كثيرا من التساؤلات ، ورد عليها وعلق على كثير من المسائل برأيه الخاص. وأورد نصوص التوراة ، والإنجيل في القصة التي ذكرت فيها ... ...

وقد قوبل الكتاب بضيق شديد من الأوساط العلمية وألفت لجنة للرد عليه وقام هو بالرد على هذه اللجنة ، وتقرير اللجنة ورده عليها في هامش كتابه المطبوع سنة ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦[4].

ومن أبرز ما أخذته عليه اللجنة طعن المؤلف في بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت في صحيح الإمام البخاري رضى الله عنه.

---

(١) ص ٢٠٤ من الكتاب المذكور .

(٢) ص ٢١٨ من الكتاب المذكور .

(٣) ص ٢٣٥ من الكتاب المذكور.

(٤) مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع.

٢- قصص القرآن : لمحمد أحمد جاد المولى، ومن شاركه فيه، والكتاب يقع في أربع وستين وأربعمائة صفحة(١).

وقد كتب الكتاب بأسلوب أدبي جيد ، في عبارات قوية، فيها طلاوة ، ورقة ، وقد عمد فيه مؤلفوه إلى التأثير النفسي ، والكتاب لم يحقق تحقيقاً علمياً أصيلاً. ويذكر من القصص بلال بن رباح والإسراء، وبعض الغزوات وحديث الإفك ، وحادثة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، وغير ذلك مما كان في عصر الرسول، مع أن ما ذكر ألصق بالسيرة النبوية الكريمة ، وليس من باب قصص القرآن.

٣- الأنبياء في القرآن الكريم للأستاذ محمود الشرقاوى ط دار الشعب ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م تناول عشرين نبياً. بدأهم بآدم ، وختمهم بمحمد عليه الصلاة والسلام. ولم يتحدث عمن أشار القرآن إليهم بإيجاز كإدريس ، واليسع ، وذي الكفل عليهم السلام : وذلك بأسلوب سهل سلس بعيد عن الإسرائيليات واعتمد فيه على بعض الأحاديث الصحيحة.. ويقع في اثنتين وأربعين وثلاثمائة صفحة والكتاب عرض تاريخي لقصص الأنبياء مع دراسات هامة مثل جمعه بين خلق الإنسان من الطين والحمأ المسنون والصلصال والفخار(٢) ، وكذلك ما تراه في

---

(١) الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ ، ١٩٣٩م مطبعة الاستقامة.

(٢) ص ١٢٤ .

أن كل الأحياء قد خلقوا من الماء [1]، وكذلك إبطاله لمـذهب النشـوء والارتقاء [2].

ونادراً ما يذكر نصوص التوراة في حادثة ومن ذلك الملائكـة الذين جاد لهم إبراهيم في شأن قوم لوط – عليهم السلام[3] –.

وهناك مؤلفات أخرى ، ولكنها صغيرة الحجـم ومـع صـغر حجمها تراها تشتمل على معلومات قيمة ، وذلك كقصة آدم ، للأسـتاذ البهي الخولي ، وأبى الأنبياء ، للأستاذ عباس محمود العقاد ، وتفسـير سورة يوسف ، للسيد محمد رشيد رضـا ، تعـرض فيهـا لأسـلوب القصة وكونها أحسن القصص ، ودافع عـن سـيدنا يوسـف دفاعـاً مشكوراً ، عندما عرض لقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾[4] ، وذكر أن في القصة دلالة على نبوة سيدنا محمد (ﷺ) إلى غيـر ذلـك مـن الأبحاث.

وقصة آدم ، ونوح ، وإدريس ، للشيخ عبدالله محمد الصـديق الغمارى ، التي يعتمد فيها على كثير من الأحاديث الصحيحة ، التـي تؤيد ما ذهب إليه ، وفيها بحوث قيمة ، فيما يتعلـق بمـرض داود ،

---

(١) ص ١٢٥ .

(٢) ص ١٢٧ .

(٣) ص ١٥٠ .

(٤) سورة يوسف آية ٢٤ .

وفتنته ، وخاتم سليمان ويعقب على ذلك بقوله : "إن مقـام الأنبيـاء لا يجوز أن يوصم بما يخدش العصمة"[1] ، ويضيف: ((فعلى البحث أن يراعي ذلك كل المراعاة، مضافاً إلى وجوب التقيد ، بظاهر القرآن، وصحيح الأحاديث)) [2] ويرفض مالا يصح منها ، كحديث آدم الذي قيل فيه إنه لما هبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء ، فحطه الله إلى ستين ذراعاً ، يقول هنا معقباً: "فلا يعول عليه ، لمخالفته للحديث الصحيح"[3]

وهذا رد على ما ذكره الطبري في تفسيره .

ومن النوع الثاني ، وأعنى به ما اتجه نحو القصة بالدراسة، والرد على الشبهات ، والكشف عن مضمون القصص ، وأهدافه:

أولا : متشابه النظم في قصص القرآن الكريم مقارنة وتحليل، وهي رسالة ممتازة قدمها إلى كلية أصول الدين فضيلة الدكتور عبدالغني عوض الراجحي لنيل درجة العالمية وتقع في إحدى وستين وأربعمائة صفحة.

وموضوعها : المفارقات اللفظية ، التي ذكرت في قصص القرآن، وقد فصل مؤلفها هذه المفارقات بأسلوب علمي ، وشرحها

(١) ص ٦ ، ٧ من قصة آدم عليه السلام . ط . دار التأليف . ويخدش من باب ضرب يضرب.

(٢) المصدر نفسه ص ٧ .

(٣) قصة آدم ص ٥٧ .

شرحاً وافياً ، وأرى أن هذه الرسالة لازمة للمتخصصين في الدراسات القرآنية، وللباحثين عن أسرار تغاير ألفاظ النظم الكريم.

ولفضيلة المؤلف كتابان آخران هما :

أ) النهج القويم في علوم القرآن الكريم .

ب) المناهج الجديدة في آيات الله المجيدة.

تناول في الأول كثيراً من جوانب القصة القرآنية فيها عمق وأصالة... وتناول في الثاني قصة آدم -- عليه السلام – وناقش فيها رأي الشيخ محمد عبده في تفسير المنار.

ثانياً : منهج الفرقان في علوم القرآن.. لفضيلة الشيخ محمد على سلامة ، ط سنة ١٣٦١هـ ١٩٤٢م ذكر رحمه الله جانباً موجزاً عن القصص القرآني ، ومما ذكره فيه: فوائد تكراره ، وأنواعه ، بتركيز شديد ، لا يغني عن التفصيل والبيان.

ثالثاً : مؤلف لفضيلة الدكتور على محمود خليل ، الأستاذ بكلية أصول الدين ، والمشرف على رسالتي ، بعنوان القصص القرآني، حقق فيه كثيراً من الموضوعات المتعلقة بالقصص القرآني ، بالدراسة والتحليل ، ولفضيلة المؤلف مؤلف آخر بنفس العنوان ، ولكن له منهج يختلف عن سابقه ، تناول فيه قصص القرآن المتعلق بالأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، وحدهم من لدن آدم عليه السلام ، إلى نهاية حياة سيدنا موسى، وتعرض فيه إلى بدء الخلق، وأجاب على كثير من الاعتراضات ، والتساؤلات المتعلقة بالقصة القرآنية ، وأبطل مذهب النشوء والارتقاء ، وتعرض للعبرة في كل قصة.

رابعاً : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، للأستاذ عبدالكريم الخطيب ، كتبه بأسلوب أدبي شيق، وعالج فيه كثيراً من موضوعات القصة القرآنية ، مثل: مفهوم القصة في القرآن ، ومنهج في دراسة القصة، وقد ذكرت بعض ما ذهب إليه من آراء، وافقت على بعضها ، ورددت البعض الآخر. والكتاب يقع في ست وعشرين وأربعمائة صفحة [1].

وقد تناولت في رسالتي موضوعات لا أعرف أحداً تناولها على النحو الذي نهجته ، وهو الإفاضة في المفهوم اللغوي للقصة ، والموازنة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية ، المؤلفة، وكذلك القصة في التوراة ، والإنجيل ثم أثر القصص القرآني في بناء المجتمع ، ومناهج المفسرين للقصص القرآني ، إلى غير ذلك من الأبحاث التي عنيت بها، في صور متكاملة، وأبحاث متجددة ، ومنهج خاص له غاية محددة.

وفضلاً عن ذلك: ناقشت كثيراً من الآراء ، التي وافقت على بعضها وردت على البعض الآخر.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به وأن يجعله امتداداً في نمو المعرفة الإنسانية والدراسات القرآنية.

وهو ولي التوفيق ،،،

---

(١) دار الفكر العربي ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٥م .

الباب الأول

مدخل إلى القصة القرآنية

الفصل الأول

معنى القصة

القصة – من حيث هى – تعبير عن معان نفسية ، بأساليب متنوعة ، لها وجود في الواقع ، أو ليس لها وجود فيه ، قصد بها غاية معينة ، أو لم يقصد .

وأعنى بما له وجود في الخارج ، القصة القرآنية ، وبعض القصص غير القرآنى بأنواعه المختلفة .

والقصة القرآنية مع غايتها الدينية المقصودة للعظة والاعتبار ، تعد قصة أدبية واقعية ، من حيث الأسلوب والصدق .

أما القصة بالمعنى الحديث فهى لون من ألوان الأدب النثرى غالباً – تصف الحياة وتعرض مشكلاتها التى تواجه المجتمع ، وتصف صورها من خير وشر ، وحب وبغض ، وإخلاص ونفاق ، وصحة ومرض ، في أسلوب أدبى مهذب ، وإذا خرجت عن هذا التعريف ، فلا تعد في نظر الأدباء قصة أدبية .

ولا ضير بعد ذلك إن كانت القصة حقيقية أو خيالية ، أو مزيجاً من الحقيقة والخيال ، ولا يضير كذلك إن كانت قصة طويلة أو متوسطة أو قصيرة ، ويعتبر النقاد النوع الأخير ، أحدث ألوان الأدب العربى ، ذلك أنها لم تتخذ صبغة فنية ، إلا في القرن التاسع عشر ، مع أنها في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا .

هذا إذا اتفقنا معهم على مواصفات القصة الفنية وشــروطها ، فهم إذا قالــوا مثلا بضرورة الزمــان ، والمكــان ، والأشــخاص ، والعقدة ، والحل قلنا ذلك كله موجود في قصص القرآن الكريم ، أمــا إذا قالوا: إنه لا يلزم أن تكون القصة صادقة وواقعة فعلا ، قلنا : نحن نختلف معكم في ذلك .

فالقصة التى تكون من نسج الخيال ، ويقصد بها المتعة والتسلية لا غير ، بعيدة كل البعد عن القصص القرآنى .

ويتضح الفرق الكبير بين القصة ، والأسطورة ، في المفهــوم اللغوى، ذلك أن القصة فيها معنى القص ، وهو القطع فهى في أصــل وضعها صادقة تلتقى كما هى ، بدون زيــادة أو نقصــان ، بخــلاف الأسطورة التى هى كلام متخيل لا أصل له .

وهــذا الفارق غاية في الأهمية ، حيث قــد تجاهلــه بعــض المحدثين ، فلم يفرقوا بين القصة والأسطورة ، محاكاة لكتاب الغــرب وبعد قليل ، نعرف معنى الأسطورة في كلام العرب ، بما يزيد الأمر إيضاحاً .

وينطبــق مفهوم القصة بــالمعنى الحــديث ، علــى القصــة التــاريخية ، والاجتماعية ، والدينية (غيــر القرآنيــة) ، وكــذلك العاطفية ، والنفسية ، وغيرها من أنواع القصص الأخرى .

وأصل القصة في لسان العرب : المتابعة ، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضا ، تقول : قص أثره يقصه قصا ، وقصصا تتبعه واقتفاه.

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾[1] . أى تتبعى أثره ، والقص البيان ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[3] .

والاسم منه القصص ، والقاص : من يأتى بالقصة على وجهها، لأنه يتتبع معانيها وألفاظَها ، أو هو قاص لأنه يقص القصص تباعاً خبراً بعد خبر .

وجمع القاص قُصاص بضم أوله .

والقِصة بالكسر الأمر والحديث والخبر كالقصص بالفتح ، وتجمع على قصص بالكسر كعنب ، وجمع الجمع أقاصيص .

وإذا قلنا قَصص بالفتح ، فهو بمعنى الخبر المقصوص ، وضع موضع المصدر. [4]

---

(١) القصص ١١ .

(٢) الأعراف ١٧٦ .

(٣) غافر ٧٨ .

(٤) انظر تاج العروس ص٤٢٤ .

ويتبين من ذلك أمور أربعة :

الأول : أن القصص معناه المتابعة ، وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى.

الثاني : أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان ، وسرد الأحداث بصدق ، وقد أكد الجوهرى هذا المعنى فقال : " اقتص أثره ، وتقصص أثره ، والقصة الأمر ، والحديث ، وقد اقتصصت الحديث رويته على وجهه " [1].

ويؤيد ذلك أيضاً أنك تقول : " قص الشئ : قطعه من باب رد[2] . ويمكن أن نستدل بهذا المعنى اللغوى ، على أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها ، إلا إذا قطع بصحتها ، وليس فيها احتمال كذب ، أو شبهة احتمال . وأنت حينما تقول مراعياً مفاهيم العرب : فلان يقص فمعناه أنه يقطع بصحة ما يقول ، وحيث قلنا : إن معنى القصة هو تتبع الأثر ، كان معنى ذلك أيضا ، أنها في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة ، لأن القاص تتبع الأثر ، ويأتى به على وجهه ، مستوعبا كل وجوه الصحة والصدق فيه .

---

(١) انظر الصحاح جـ ٣ ص١٠٥١ .

(٢) مختار الصحاح ص٥٣٨ .

الثالــث : الاسم من القصة القَصص وضع موضع المصـــدر ، والجمع قِصص بالكسر ، وجمع الجمع أقاصيص ، وقد صح لغة أنـــه جمع لأقصوصة .

ويرى الراغب : أن القص هو الأثر نفسه ، مســتدلا بــآى القــرآن وبأقوال العرب قال ما نصه :

" القص تتبع الأثر ، يقال قصصت أثره ، والقص الأثر ، قال: " فارتدا على آثارهما قصصا "[1] . ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾[2]. ومنه قيــل لما يبقى من الكلأ فيتتبع أثره قصص ، وقصصت ظفره ، والقصــص الأخبار المتتبعة قال : ﴿ لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[3]. ﴿ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ﴾[4]، ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾[5] . نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[6] ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾[7] . ﴿ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[8]. ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾[9] ، أ هــ بنصه[10].

---

(١) سورة الكهف : آية ٦٤ .
(٢) سورة القصص : آية ١١ .
(٣) سورة آل عمران : آية ٦٢ .
(٤) سورة يوسف : أية ١١١ .
(٥) سورة القصص : آية ٢٥ .
(٦) سورة يوسف : آية ٣ .
(٧) سورة الأعراف : آية ٧ .
(٨) سورة النمل : آية ٧٦ .
(٩) سورة الأعراف : آية ١٧٦ .
(١٠) مفردات الراغب ص ٤٠٤ .

ونرى من خلال النص أنه قد وافق اللغويين علـــى أن القصـــة تتبع الأثر ، وزاد أنها الأثر نفسه ، كما نرى فيه أيضا أن القصة فـــي أصل وضعها لا تكون إلا صادقة ، ولا تعتمد على خيال .

ومادة القص فيها الفك ، والإدغام في المصـــدر ، وقصصـــت الخبر (بالإسناد إلى التاء) قصا من باب قتل ، وقصصا . أى حدثته على وجهه[1] . كما صح أن القص بمعنى المقصـــوص ، كـــالخلق ، والقبض ، بمعنى : المخلوق والمقبوض .

الرابع : كما أنه يطلق على القص البيان ، والأمر ، والحديث ، والخبر ، كذلك يطلق عليه الحكاية ، تقول : حكوت الحديث ، لغة في حكيت [2]. ولا تطلق بهذا الاسم على قصص القرآن تأدبـــا ، لأن الله تعالى لم يسمه إلا بالقصص ، كما لا تطلـــق عليهـــا الأحدوثـــة ، إذ الأحدوثة لا تكون إلا للمضحكات ، والخرافات ، وقد خصها الفـــراء بذلك ، وتستعمل الأحدوثة الآن في لغة العصر ، بمعنى أوســـع مـــن السابق . استناداً إلى أن بعض العرب يسوى بينها وبين الحديث فيمـــا يكون للخير والشر .

---

(١) انظر المصباح المنير ص ٦٩٣ .

(٢) تاج العروس جـ ١٠ ص ٩٤ .

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ ﴾[1]

ويجب التنبيه هنا ، إلى أن المادة قد وردت بالإطلاق اللغـوى في القرآن الكريم مرتين :

الأولى : في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾[2] . أى تتبعى أثره .

الثانية : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾[3] ، أى اقتصاصا وتتبعـا للأثر .

أما ذكرها بالمعنى الاصطلاحى بعد النقل من اللغة فقد ذكرهـا القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة . منها قوله تعالى :

* ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[4]

* ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[5]

---

(١) سورة طه : آية ٩٩ .

(٢) سورة القصص : آية ١١ .

(٣)سورة الكهف : آية ٦٤ .

(٤)سورة غافر : آية ٧٨ .

(٥)سورة هود : آية ١٠٠ .

* ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[1]

وهذه الآيات الثلاث ، وغيرها ، تفيد رواية ما حدث للسابقين ، وبيان أخبارهم بصدق ويقين .

هذا وقد يخرج عن كل ما ذكرت ، ويراد به اسم المفعول ، من باب تسميته بالمصدر ، وذلك كقولك : هذا علم فلان أى : معلومه ، وهذا قدر الله أى : مقدوره ، وفى القرآن الكريم :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[2] . ويمكن القول بأنه على المفعول ، وذلك لما اشتمل عليه من العبرة ، والحكم ، والعجائب ، التى لا توجد في غيرها[3] . وإذا نصبتها على المصدر على معنى نقص عليك أحسن الاقتصاص فهو مؤكد لمحذوف ، وتقدير الكلام : نحن نقص عليك قصصا أحسن القصص ، أو لاسم مفعول ، أو المراد : نحن نقص عليك هذا الخبر ، مقصوصا أحسن القصص .

والحسن هنا يعود إلى حسن البيان ، وحسن القصة معاً ، وذلك لفصاحة ألفاظها ، وبلوغها ذروة الإعجاز ، وكذلك ما فيها من تهذيب النفس ، والوصول بها إلى الكمال فضلا عن الترويح عنها ، وإزالة أسباب قلقها وحزنها ...

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦٢ .

(٢) سورة يوسف : آية ٤ .

(٣) انظر الفخر الرازى جـ ١٨ ص ٨٥ .

ومن الضرورى أن تفرق بين القصة بهـذا المعنـى ، وبـين الأسطورة ، ذلك أن الأخيرة بزنة أرجوحة ، ولا تطلق علـى غيـر الأكذوبة من الكلام ، وعلى القول الذى لا يعقل ، كتـأليف الأباطيـل والخرافات .

ولذا قال الزبيدى صاحب (تاج العروس) ما نصه :

" الأساطير : الأباطيـل ، والأكاذيب ، والأحاديث ، لا نظـام لها ، واستطرد قائلا : " قال اللـيث : يقال هو يسطر ما لا أصل له ، أى : يؤلف [١].

وفى المختار " الأساطير : " الأباطيل ، والواحدة أسطورة ، ثم نقل عن المبرد قولَه : " هو جمع أسطورة بزنة أرجوحـة وأراجـيح ومعنى الأساطير الأحاديث الباطلة " [٢].

وإذا عرفنا معنى القصة ، والأسطورة ، بقى علينا أن نعـرف معنى الأقصوصة ، والرواية ، والملحمة ، والتمثيلية ، والمسـرحية ، في عرف الأدباء ، توفية للموضوع ، وإمعاناً في معرفة الحقيقة بشئ من الإيجاز هنا ، وسأزيد الأمر إيضاحاً – إن شاء الله – عند الموازنة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية .

(١) جـ ٣ ص ٢٦٧ .

(٢) ص ٢٩٨ .

فالأقصوصة بمعنى : القصة القصيرة يقول الأدباء عنها : إنها " لون من أحدث الألوان ، في الأدب العربى ، حيث لم تظهر في الوجود إلا في القرن التاسع عشر .

والحق أنها موجودة في القرآن منذ اربعة عشر قرناً ، وكذلك القصة البالغة القِصَر .

والرواية : نوع من القصص ، يطول حسب الموضوع الذى تعالجه .

والملحمة : سرد أحداث لواقعةٍ عظيمة ، فيها فتن وصِرَاع [1].

والتمثيلية : تصوير المواقف بالكتابة ، أو الحركة ، أو غيرها.

والقصة والأقصوصة ، أغفلها علماء البلاغة ، فلم يعنوا بها ، مع أنها ألوان أدبية ، جديرة بالبحث ، والدراسة ، وبيان حدودها وقواعدها ، وشرح تعريفها وعناصرها .

أما في عصرنا الحديث ، فإن القائمين على شأن التعليم في مصر يولون هذه الألوان ، وغيرها ، عناية فائقة ، ويدرسونها في مراحل التعليم المختلفة .

---

(١) مختار الصحاح ٥٩٤ .

نشأة القصة وتطورها

لا أقصد بالقصة هنا المعنى الفنى الذى اصطلح عليه النقاد في العصر الحديث وإنما أقصد القصة على وجه العموم ، دينية أو غير دينية ، بأنواعها المختلفة ، والذى دعانى إلى هذا التعميم اعتبارى أن القصة القرآنية قصة أدبية بأدق معانى الكلمة . ويخطئ من يهمل القصة الدينية عامة والقصة القرآنية خاصة ، عندما يتعرض للكلام عن القصة من حيث النشأة والتطور .

وأقدم قصص واقعى لا يتطرق إليه شك ، هو ما ورد في القرآن الكريم ، عن الأمم السابقة ، وما حدث بينهم وبين من أرسلوا إليهم ، أو ما يحدث بين الأفراد والجماعات ، من غير الأنبياء قديماً .

ونحن لا ننكر أن في كتب العهدين القديم والجديد قصصاً ، ولكننا ننظر إليهما بعين الشك من حيث عدم الواقعية . كما سنرى في الموازنة بين القصة القرآنية وبين القصة في الكتب السالفة . ولا ننكر كذلك أنه كان للعرب قصص قبل القرآن ، ولكن هذا القصص فضلا عن قلته لا نعرف حقيقة مصدره . وإن كان يغلب على ظننا أنه وفد إليهم نتيجة اختلاطهم بالأمم المجاورة كالفرس والروم .

وأصدق نص نعتمد عليه في وجود قصص عربى جاهلى ، ما ورد في القرآن الكريم أن بعض الناس كان يلهو بأحاديث يضل الناس بها عن سبيل الله ، ويصرفهم عن سماع القرآن ذلك النص هو قوله

تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾[1].

ونقف عاجزين عن إثبات قصة واحدة من هذا اللهو المـــذكور في الآية الكريمة ، كما لا نستطيع أن نثبت كذلك القصص اليهـــودى والمسيحى الذى شاع ذكره بعد موسى وعيسى عليهما الســـلام . وزاد شيوعاً واتساعاً في عصر صدر الإسلام . ولأغراض معينـــة اخـــتلط هذا القصص اليهودى والمسيحي بالقصص القرآنى وكان المســـلمون يروونه بحسن نية .

ولما أراد بعض المسلمين أن يقص على الناس ، وكان ذلك في خلافة عمر تيقظ خوفاً من بث أساطير أهل الكتاب ، وما يعقبها مـــن أثر سئ على الإسلام ، فمنعهم من القص .

ففى المعجم الكبير للطبرانى من رواية عمرو بـــن دينـــار أن تميما الدارى استأذن عمر – رضى الله عنه – في القصص فـــأبى أن يأذن له ، ثم استأذن فقال : إن شئت ، وأشار بيده ، يعنى الذبح . قال الحافظ العراقى ورجال إسناده ثقا ت [2].

---

(١) سورة لقمان : أية ٥ .

(٢) الباعث على الخلاص ورقة (٢) وانظر المعجم الكبير ٤٩/٢ وفى مجمع الزوائد ١٩٠/١ قال ورجاله رجال الصحيح .

ويتبين من هذا أن عمر أراد ألا يخرج القاص عن مفهوم كلام الله ، ولا يزيد فيه ولا ينقص ، كما يتبين أن في القرآن ما يغنى عن قصص القصاص ، وهو أمر ميسر إدراكه لكل إنسان .

وكان على رضى الله عنه يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص في مسجدنا ؛ وذلك بسبب ما تنبه إليه عمر وعلى – رضى الله عنهما – من تشويه معالم الإسلام ، بهذا القصص الدخيل ، وبدليل أنه لم يخرج الحسن البصرى ؛ لأنه كان يعلم ورعه ، وثباته على الحق ، وعدم تجاوزه آيات الكتاب العزيز(١) .

وأول من قص على الناس بإذن عمر تميم الدارى ، وقد أسلم سنة تسع وكان نصرانياً ، من علماء أهل الكتاب ، وكان من مشاهير الصحابة (وتوفى سنة ٤٠ هـ)(٢) ولولا وثوق عمر منه ما أذن له .

وأول من قص من التابعين بمكة عبيدُ بن عميرٍ الليثىُّ ، وكان يحضر عبدالله بن عمر مجلسه .

وأول من لزم القص في المدينة مسلمُ بنُ جندبٍ الهذلى ، إمام المدينة ، وقارئها ولم يكن القص في غير القرآن ، والحديث ، وما يدور حولهما ، وما كان يحلو من أخبار أخذت عمن أسلم من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام الذى أسلم عند الهجرة إلى المدينة

---

(١) الشيخ على محفوظ هداية المرشدين ص٧٩ .

(٢) حسن المحاضرة ص٧٦ ، ٧٧ .

وكعب الأحبار ، الذى أسلم في خلافة عمر وتـوفى سـنة ٣٢ هـ ووهب بن منبه المتوفى سنة ١١٤ هـ .

وينتهى القرن الأول ، وينتهى بانتهائه كبار القصـاص ، مـن التابعين كالحسن البصرى وتضطرب الفتن ، فيعم الدخيل ، والخيال ، والكذب ، والإكثار من الحكايات ، والغرائب ؛ لاندماج العامـة فـي العلماء ، وتملق بعض العلماء لهم ، حتى ساء الظن بهم ، ولم يلتفـت إلى قصصهم حتى دعوا بالمخرفين إلا ما قل منهم .

وكان أول من عنى بهم عناية خاصة معاوية بن أبى سفيان .

فقد كان يجالسهم ، ويدون قصصهم . ولكنه لم يكن يطلق لهـم العنان [1]. ويمكن القول بأن الحال ظل على ذلـك ، حتـى العصـر العباسي ، فاتسع فيه نطاق القصة العربية ؛ والقصة المترجمة ، وجاء القرن الرابع ، فظهرت المقامات ، وكثر التأليف منها . وملأ القصص الشعبى ، والأسطورى الفراغ ، حتى كان العصـر الحـديث ، فقلـد العرب الغرب ، في مختلف ألوان القصة ، وفنونها ، وأخذت القصـة تتطور ، حتى وصل بعضها إلى مستوى القصة العالمية [2].

وهناك أمر يجب أن نتنبه إليه ، وهو أن الغربيين يزعمون أن العرب لا يمكنهم إبداع الفن القصصى ؛ نتيجة البيئة الصحراوية التى

---

(١) انظر الشيخ على محفوظ ص ٧٥ : ٧٩ .

(٢) انظر الموسوعة العربية الميسرة ص١٣٨٣ .

عاشوا فيها . ونتيجة العقلية الخاصة ، التى عرفوا بها ؛ إذ هى خالية من الخيال ، والفكر الخلاق . فالصحراء مجدبة ، والتغيير فيها محدود وليست هناك المادة التى يتخذ منها عناصر القصة وأحداثها ، فالصحراء الممتدة الواسعة هى كل ما يعرفه العربى .

ومن هنا كان خيال العرب صورة مما شاهدوه ، من هذه الصحراء ، وبعكس ذلك عقلية الآريين ، فطبيعتهم قاسية ، والمناظر أمامهم متلونة ، والجو لا يستقر على حال ؛ فالرعود ، والعواصف ، والأمطار ، والبرق ، والسحب ، كل ذلك ألهم الآرى الأساطير . وخياله شارد ، وعقليته واسعة ، ونظرته إلى ما حوله دقيقة ، وتلك كلها عماد القصة .

ولهذا كانت العقلية العربية ضعيفة ، بعكس عقلية الرجل الآرى[1].

وهذه الدعوى بما فيها من كذب متعمد ، جنت على بعض كتابنا ، ممن يقلدون الغربيين ، دون تبصر ، والمتأمل في كلام أرنست رينان[2] يرى العكس هو الصحيح .

---

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقى ص ٣٢٩ جـ١ والآرى : الثابت المتمكن والذى يضم بعضه إلى بعض تاج العروس ١٤/١٠ .

(٢) أرنست رينان ١٨٢٣ – ١٨٩٢ م مؤرخ وناقد فرنسى ، من أوائل المستشرقين . له اهتمام بالدين والعقيدة . الموسوعة العربية الميسرة ص٩١٣ ط سنة ١٩٦٥ م .

يقول أحمد أمين عن العربى: " إن خياله محدود ، وغير متنوع. وقلما يرسم له خياله عيشا خيراً من عيشه ، وحياة خيرا من حياته ، يسمى وراءها ، لذلك لم يعرف المثل الأعلى ؛ لأنه وليد الخيال ، ولم يضع له في لغته لفظة واحدة دالة عليه ، ولم يشر إليه ، فيما نعرف من قوله ، وقلما يسبح خياله الشعرى في عالم جديد ، يستقى منه معنى جديداً ولكنه في دائرته الضيقة استطاع أن يذهب كل مذهب [1].

ثم يقول عن وصفه للعربى بالذكاء مستدركاً في الوقت نفسه وطاعناً : " ولكن ليس ذكاؤه من النوع الخالق المبتكر ؛ فهو يقلب المعنى الواحد على أشكال متعددة ، فيبهرك تفننه في القول ، أكثر مما يبهرك ابتكاره للمعنى ، وإن شئت فقل : إن لسانه أمهر من عقله[2]".

وللرد عليهما ومن سلك مسلكهما نقول : إنهم تناسوا ما خَلَّفَه العرب من تراث أدبى ، في الشعر ، والنثر ، لا يزال باقيا ، إلى اليوم. وفى أدبهم من الابتكار ، والصور الخيالية ، والأسلوب ، ما يعز على الغربيين أنفسهم أن يأتوا بمثله . وكيف يقال : إنهم لم يعرفوا المثل الأعلى ، والقرآن قد نزل بلغتهم ، وألفاظهم ، التى كانوا ينطقون بها .

---

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين ص ٤٦ .

(٢) فجر الإسلام لأحمد أمين ص٤٧ .

وقد ذكر القرآن هذه الجملة مرتين ، أولاهما في قوله تعــالى : ﴿ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ ﴾[1] ... والثانية في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾[2] .

ومما قاله العربى في معنى المثل الأعلى :

ولو أنما أسعى لأدنى معيشــة ∴ كفانىَ ولم أطلب قليلاً من المــال

ولكنَّمَا أســعى لمجــد مؤثــل ∴ وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى[3]

والذى دفع بعض مفكرينا ، إلى متابعة الغربيين في هذا الزعم هو ضعف العرب ، أمام قوة الغرب ، كمــا يقــول الأســتاذ عمــر الدســوقى ، فاعتقدوا باطلاً أن الحق مع القوة ، وأن العقلية الآريــة ، لابد أن تكون متفوقة ، ما دام أصحاب هذه العقلية هــم المســيطرون على شعوب الأرض [4] .

وضعف العرب اليوم ليس دليلا على ضعف عقليتهم ونضوب تاريخهم من الفكر وليس الأمر كما زعم " أرنست رينــان " مــن أن الجنــس السامي أدنى من الجنس الارى إذا قورن به ، ويعلــل ذلــك بقوله : " ذلك أن الجنس السامي ليست له هذه الروحانية التي عرفهــا

---

(١) سورة النحل : آية ٦٠ .

(٢) سورة الروم : آية ٢٧ .

(٣) الشاعر امرؤ القيس الكندى ، شاعر اليمامة تقول : أثل أهله أحسن إليهم ، ومنحهم المال الكثير ، وكساهم أرقى الثياب . لسان العرب ١ /٧٣ .

(٤) في الأدب الحديث ص ٣٣٢ .

الهنود ، والألمان ، وليس للجنس السامي هذا الإحساس بالجمال ، الذي بلغ حد الكمال ، عند اليونان ... الخ ما يقوله شارحاً معللا لهذه النظرية الخاطئة وأعجب ما يقول " وإنما يختص الساميون بالبديهة الحاضرة ، ولكنها بديهة محددة. (١)

ويلاحظ أن كلامه متفق مع الأستاذ أحمد أمين ، وكلاهما على باطل . ذلك أن خصوبة العقلية العربية لا يختلف عليها عاقل ، وشاهد ذلك تراثها العريض ومن الذي قال : إن العرب في المجال الروحى أقل من الهنود والألمان ؟ إن ملايين الكتب ألفت في الأدب ، والفلسفة ، والتاريخ والتفسير والحديث وغيرها وهذه المؤلفات لا تقع تحت حصر ومن أمثلة ذلك :

في الأدب ــ نهج البلاغة للإمام على اختيار أبى الحسن محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضي .

في الفلسفة ــ حى بن يقظان لابن طفيل ، وفى التفسير ــ الطبري ، وابن كثير ، والقرطبى ، والألوسى .

أليست كل هذه ــ وغيرها أكثر من أن يحصى ــ مؤلفات عربية ؟ وللكتاب الأول شروح بالعربية ، والفارسية ، ما يزيد على أربعين شرحا كما ترجمت كتب حي ابن يقظان ، وتفسير الطبري ،

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٣٢ هامش

إلى اللغة الأوربية ، ويعتز علماء أوربا ، والباحثون هنـاك ، بهـذه المؤلفات .

وهل يفضل رينان اليونان على العرب لأنهم برعوا في ابتكار آلهة للحب والجمال والفن ولم يفعل العرب مثلمـا فعلـوا ؟ إذا كـان يقصد ذلك فنحن لا نرضى لأنفسنا بأن نضعها في مكان يخترع الآلهة ليشرك مع الله غيره . وليس للعرب أساطير للآلهة كأساطير اليونان .

وليس من شيمة العرب أن يصدقوا الأساطير ، ويدعوا ما ليس حقا . وكيف يقولون : إن العرب لا إنتاج لهم من القصـة ؟ مـع أن القصة وجدت مع العربي في جاهليته ، وظلت معه إلى يومنا هـذا . والقصة بالمفهوم الحديث لم تعرف لدى الغربيين إلا في سنة ١٧٤٠ م واعتبر النقاد هذا اليوم بداية القصة الأولى [١] . مع أن قصة حي بن يقظان تعد قصة فنية كاملة العناصر ، وقد ألفها ابن طفيل المتوفى عام ٥٨١ هـ [٢] وهو عربي قبل أن تظهر أول قصة غربية .

ويعد توفيق الحكيم رائد الرواية في العصر الحـديث وروايـة (عودة الروح) تعد من الأدب العالمي والرواية الغربية لـم تسـتكمل عناصرها الفنية إلا في خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

---

(١) انظر عمر الدسوقي ص ٣٢٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ١/ ٢١٢ .

وبهذا نلمس مقدرة العقلية العربية على إبداع هذا الفن وبالتالي فنحن أساتذة الغرب في هذا المجال .

والقصة التي تدور على ألسنة الناس أخذا عن غيرهم مكتوبة أو غير مكتوبة مرت – فيما أرى – بمراحل ثلاث :

الأولى ـ قصص غير محددة المعالم صادق أو كاذب بدأ مع الإنسانية في مهدها الأول .

الثانية ـ نظمت هذه القصص ، وسردت على الناس ، واعتنى بها القصاصون ، رغبة في الحصول على مراكز تقدير خاص لدى الجماهير ، قصدوا بها توجيه الناس أخلاقيا أو لم يقصدوا .

الثالثة ـ بتطور الزمن ، واتساع الحضارة ، وسهولة الاتصال ، ألفت القصة ، بما يتلاءم والمجتمع الذي تنتشر فيه ، ونية الكاتب ، وثقافته.

ومن هنا تنوعت القصة إلى اجتماعية ، ونفسية ، وتاريخية ، وأخلاقية , من حيث المضمون وإلى طويلة ، ومتوسطة ، وقصيرة ، من حيث الشكل .

وإلى قصة كاملة العناصر ، أو غير كاملة ، على ما يرى النقاد في الشروط اللازمة للقصة المعاصرة .

والقصة بالمعنى الحديث بدأت في المقامات المشهورة للحريري، وبديع الزمان الهمذانى , والزمخشرى .

وبعد عصر المقامات كانت القصة تضعف تارة ، وتقوى أخرى ، حتى اتصلنا بالغرب ومن هنا مرت القصة بمرحلتين :

(١) مرحلة الترجمة (٢) مرحلة الصياغة المبتكرة .

وبالنسبة للمرحلة الأولى بدأها رفاعة الطهطاوي [١] بالترجمة عن الفرنسية , ومن بعده محمد عثمان جلال [٢] .

وبعد هذا العهد ، وبالتحديد ، بعد الحرب العالمية الثانية ، ترجمت القصص بكثرة ، ولم يراع المترجمون اختيار الموضوع ، أو الأسلوب الأدبي الهادف لتربية الملكات ، وإنما ترجموا القصص لقتل الوقت وإشباع الغرائز الجنسية ، والنفع المادي . فأكثروا من القصص البوليسية ، والغرامية ، بأسلوب ساقط ، أضعف عقلية الشباب ، وحط من غرائزهم . هذا إذا استثنينا القليل من هذه القصص التي اختار فيها مترجموها الجوهر والشكل . [٣]

أما المرحلة الثانية : فقد بدأت في أول القرن العشرين

ويرى الأستاذ عمر الدسوقي ، أن الكلية الأمريكية ، ببيروت التي أنشئت سنة ١٨٦٠ ، وكذلك الكلية اليسوعية ، التي أنشئت بعدها بقليل ، كان لهما أكبر الأثر في توجيه النشء إلى القصة الغربية ،

---

(١) تراجم (مغامرات تليماك) .

(٢) ترجم لافونتين .

(٣) مثل عودة الروح .

وزاد الإقبال عليها بهجرة اللبنانيين إلى مصر ، حيث ترجموا الكثير من القصص الأوربي ونشروه بين الناس .

ومن ذلك عشرات الروايات الفرنسية بلغة ضعيفة ووضيعة . وظل أثر هذه الروايات الأجنبية يسرى في دماء المصريين ففسدت أخلاقهم بما تحمل من مبادئ غير أخلاقية . (١)

وهذه الروايات تعنيني كباحث في نشأة القصة عموما ، كما سنرى في الموازنة بين القصة القرآنية والقصة الأدبية . ولنقف على نوعها ، والهدف منها ، وهل تخدم المجتمع فعلا ، أم تهوى به إلى مكان سحيق ؟ خاصة بعد انتشار الترجمة ، وقد سرت عدواها إلى المسلمين فقلدوا هذه ، وأقبل عليها الناس بشغف ، حتى اختلطت سمومها ، بنفوس ، وعقول الشباب ، وذوى الأهواء ، والأطفال ، واخترع القصص الذي لا أصل له ، كعامل للتشويق ، والتسلية سيما ، والغربيون يرون أن القصة التاريخية لا يلزم أن تكون حقيقية في سرد الوقائع وإنما من حق المؤلف أن يكتب ما يشاء ، كما يحلو له . وقلدهم العرب وأعجبوا بهم فيما يرون .

وحينما تتفتح عيون الشباب ، وقلوبهم ، على تغير الحقائق ، ويرون الرواد كذلك ؛ ينهج الخلف ، منهج السلف ، وقد كان . ولذا فشا انتشار القصص التافه الذي يخلو من الصدق ، والواقعية ، والذي

---

(١) ٣٠٤ في الأدب الحديث لعمر الدسوقي والمسرحية للمؤلف المذكور .

يتاجر فيه أصحابه بعقول الناس ، وجوهر هذه القصص روايات عن الإجرام ، وألوانه ، والعشق الوضيع ، والإباحية المغرضة ، التي تفسد القلوب ، وتضلل العقول ، وتدفع إلى ارتكاب الجرائم ، محاكاة لأبطال هذه القصص ، الذين نالوا حظ الشهرة ، في أمريكا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وغيرها ، وقضت بذلك على الأخلاق ، والقيم الإنسانية ، بهدف إفساد الضمائر ، وجمع المال ولازلنا نجنى آثار هذا السخف إلى اليوم . (١)

ومسئولية تنقية الجو الأدبي من الأدب الرخيص ، تقع على الرواد ، الذين يقودون ركب الثقافة ، في ظروفنا الدقيقة ، ويحاربون انتشار هذه السموم التي تقتل الأرواح وتميت القلوب .

وإذا كنا قد تحركنا فيما مضى نحو الحضيض بهذا الأدب الغربي ، الذي حاكيناه ، دون وعى وبصر ، فعلينا أن نعرف أن نقاد الغرب قد أفاقوا ، ورأوا أن أدبهم قد أوقعهم في شرور لا نهاية لها ، وخير لهم وللناس أن يعنوا بالقصص الواقعي ، الذي يصور حياة الناس ، بما فيها من جزئيات ، وتفاصيل ، ويدفع بهم إلى التمسك بالقيم التي تحفظ عليهم دينهم وحضارتهم وإنسانيتهم .

ولنقرأ ما كتبه الأستاذ عمر الدسوقي عن نقاد الغرب ، وعن رأيهم في القصة الحديثة ، يقول :

---

(١) انظر للمراجعة في هذا عمر الدسوقي في الأدب الحديث ص ٣٠٤ وما بعدها .

" ولما كانت القصة حكاية تروى بالنثر ، وجها من أوجه النشاط والحركة ، في حياة الإنسان ، فخير لها إذن أن تقص قصة عادية عن الإنسان العادي الحقيقي ، كما تجرى حياته في عالم الواقع المتكرر كل يوم ". [1]

وبعد ذلك يقول عن النقاد الغربيين أيضا :

" ولا يمكن لقصة بمعناها الصحيح ، أن تنشأ إلا إذا اهتم الناس أولا بأجزاء الحياة ، وتفصيلاتها اهتماما يحول التافه إلى شئ ذي وزن وشأن [2] ".

ذلك رأى المدرسة الواقعية في الأدب العربي ، التي ترى أن الواقعية والبعد عن الخيال هما الضمان لسلامة الأدب من الضياع .

وإذا كنا قد عرفنا نشأة القصة الطويلة ، والقصيرة ، وتطورهما. فعلينا أن نعرف نشأة الرواية كذلك ، باعتبارها نوعا من القصة ، يطول ، أو يقصر ، حسب الموضوع ، وتكتب بالنثر , وأول ما عرفها الغربيون بهذا الاسم ، في انجلترا في القرن السادس عشر ، وبصورتها الفنية الحديثة ، لم تعرف إلا في القرن الثامن عشر .

وقد يسرت الطباعة انتشار هذا النوع من التأليف ، وأقبل الجمهور عليه بشغف متزايد . وإذا قلنا : إن الرواية هي القصة ، كما

---

(١) عمر الدسوقي ص ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق ص٣٣١ .

هو الواقع كنا أسبق من غيرنا في هذا الفن من التأليف ، حيث قد عرفنا القصة من زمن قديم ولم يعرفها الغربيون إلا حديثا .

ولى مع المسرحية موقف جاد في المقارنة بين القصة القرآنية ، والقصة والأدبية تراه في الفصل التالي , وحسبنا أن نعرف الآن أن توفيق الحكيم ينقل لنا اتجاهات الغرب ، وآخر صيحة له في مسرح اللامعقول واسمه يغنى عن التنديد به , وأنت ترى في " يا طالع الشجرة " و(طعام لكل فم) لتوفيق الحكيم نفسه ، ما يجعلنا نسئ الظن بالقائمين على هذا التمثيل المسرحي ، الذي يدفع الجمهور إلى حياة عابثة تستحق منا المراجعة ، والتأمل ، والنقد الصريح ..لا سيما إذا علمنا أن المسرحية مدرسة تدخل بيوت الجماهير ، وتوجه حياتهم عن طريق الكلمة ، والصورة ، والحركة ، والتأثير النفسى .

الفصل الثانى

عناصر القصة وشروطها

القصة بأنواعها المختلفة ، الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، والاجتماعية ، وغيرها لا تكون قصة في عرف كتابها المحدثين ، إلا إذا اشتملت على عناصر معينة ، اتفق على عدد منها ، واختلف على عدد آخر .

وقبل الكلام عن عناصر القصة المتفق عليها ، والمختلف فيها أقول : لا تكون القصة قصة بالمعنى الحديث ، إلا إذا كانت ذات عنوان يحدد موضوعها ، وحجم يقل أو يكثر ، حسب هذا الموضوع ، ويشترط فيها أن تكون نثراً ، وإذا وجد قصص شعرى ، فيلزم أن يقيد بهذا القيد ، ويرى بعضهم ألا تقل عن خمسين ألف كلمة ، والشرط الأخير لا ضرورة له ، إذ هناك قصص دينى وأدبى ، أقل من خمسين ألف كلمة ، وهو مع ذلك مشتمل على عناصر القصة الحديثة.

وهذه الشروط من حيث الشكل ، أما من حيث البناء الداخلى فيلزم أن تشغل القصة زماناً يطول أو يقصر ، حسب الموضوع الذى تعالجه ، وأن تشغل مكاناً قد يتعدد ، أو لا يتعدد ، حسب تشابك الأحداث ، وإمكان وقوعها فيه ، ويلاحظ أن يكون المكان ملائماً لنوع القصة ، ضرورة أن القصة الواقعية لا تسرد فيها أحداث وقعت لا تتفق مع العقل ، أو يدل عليها دليل صحيح ، وذلك بعكس القصة

الخيالية ، كما أنه لا بد لها من شخصيات تدور حولها القصة ، ولا بد من بيئة معينة تجرى فيها أحداث القصة ، وتؤدى إلى سيرها الطبيعى ، وتختلف القصة الطويلة عن القصة القصيرة ، من حيث إن الثانية لا تحتمل ما فوق الضرورة ، من شخصيات وزمان ينتهى في وقت قصير ، ومن حيث إن القصة القصيرة فكرة أو أفكار ، تحدد موقفا واحداً ، أو مواقف معينة ، بأسلوب لا يحتمل كثرة الكلام ، وبحركة سريعة يفهم القارئ لأول وهلة ماذا يريد الكاتب .

هذا فيما يتعلق بشروط القصة من حيث كونها نثراً وعدد كلماتها ، ثم الزمان والمكان ، والبيئة .

أما عناصر القصة عموماً فهى :

أولاً – الموضوع :

ويقصد به الأحداث التى تشتمل عليها القصة ، وقد يمهد لهذه الأحداث قبل الخوض فيها ، وقد لا يمهد ، ولا يخفى أن الأحداث تختلف من قصة إلى أخرى ، وذلك راجع لمضمون القصة وما اشتملت عليه ، وهذا العنصر لا تخلو منه قصة بحال .

ثانيا – الشخصية :

وقد تكون واحدة ، أو متعددة ، وذلك راجع لمضمون القصة ، فالقصة التاريخية ، أو الاجتماعية ، يغلب فيها تعدد الشخصيات ، والقصة النفسية لا مجال للتعدد فيها ، حيث يعتمد الكاتب على التحليل

من كل الجوانب ، مما يجعل المجال أمامه لا يتسع لتعدد الشخصيات في القصة وذلك هو الغالب .

وقد تكون الشخصيات واقعية ، كما تكون غير واقعية .. ويلزم ألا تتناقض هذه الشخصيات في سرد الأحداث التى تدور حولها القصة.

ويرى النقاد اليوم أن يترك أشخاص القصة وشأنهم ، يعبرون عن أنفسهم ، دون أن يتدخل الكاتب بإبداء رأى أو تصحيح فكرة ، إذ ذلك يجعله في موقف الواعظ الناصح ، وهذا يخرج القصة عما اصطلح عليه النقاد حديثا من عرض للأحداث بطريق غير مباشر دون وعظ أو إرشاد ، وقد تدور الأحداث عليهم ، أو هم الذين يديرون هذه الأحداث على غيرهم ، والبطل ضرورى للقصة الفنية ، وإن وجد معه أشخاص آخرون ، فقد يدور الحوار حوله ، أو يكون لهم اتجاه آخر بعيداً عنه .

لهذا نرى مناهج كتاب القصة تختلف في عرض الأحداث ، ولهم في ذلك طرق متعددة :

أولا : طريقة السرد : والكاتب فيها يسرد الحوادث ، كأنه مؤرخ يدون أحداثاً ، ويذكر شخصيات تاريخية ... وهى التى تتكلم .

ثانياً : طريقة الترجمة الذاتية : والكاتب هنا يكتب بضمير المتكلم ، وكأنه بطل القصة ، أو أحد شخصياتها ، وكأن الأحداث قد مرت عليه مشاهدة .

ثالثاً : طريقة الوثائق والرسائل المتبادلة : فأنت تقـرأ قصـة مضطردة ، لا تحجز بين موضوعها أبواب ولا فصول ، وإنما تراها رسائل تجرى أحداثها ، بين أشخاص القصة في تتابع ، وتكون هـذه الرسائل قد اشتملت على كل العناصر اللازمة للقصة الأدبية[1] .

ثالثا – الأسلوب :

ويقصد به المنهج الذى يسلكه القاص فـي عـرض أفكـاره ، بتعبير لغوى وألفاظ تحمل المعانى المراد إيصالها إلى الغير ، وهـذه المعانى ترتبط بالألفاظ ، ولا تنفصل عنها .

ولا يخفى أن الأسلوب يحمل إحساس الكاتب ، وصـدقه ، إن كان صادقا ، ويصل هذا الإحساس إلى القارئ أو السامع دون عناء .

ونرى أن للكلمات اللغوية إيقاعاً خاصا ، وتأثيراً نفسياً معينا ، يلمسه القارئ من خلال ما يقرأ .

والقصة تكون قصة بأى أسلوب ، ولكنها لا تكون في المرتبـة العليا إلا إذا صيغت بأسلوب يتناسب مع الفكرة قوة وضعفاً .

ويجب أن يكون الأسلوب في مستوى الفكرة ، التـى يعالجهـا الكاتب ، فيشتد في بعض ما يكتب ، ويلين عندما يقتضى الموضـوع ذلك ، وقد يكون في مستوى واحد في كلا الحالين ، إذا لم تكن القصة

---

(١) انظر فن القصة عند تيمور ص ١٣٧ .

واحدة ، والكاتب قد ينطق الأشخاص بما لم ينطقوا به ، ومن هنا لـــه أن يشتد أو يلين .

ويخطئ من يرى أن القصة الواقعية تلزم كاتبها باللغة العامية ، لتطـــابق واقع الناس . فذلك خطأ في المـــنهج ، حيـــث إن الواقعيـــة معناها : الصدق في سرد الأحداث ، والبعد عن الخيال ، وليس معناها سرد الكلمات كما ينطق بها ، فلو تحدث الكاتب بالعربيـــة الفصـــحى ناقلا عن العامية كان صادقا إذا التزم بالمعانى التى نقلها فـــي ألفـــاظ عربية .

ولو التزمنا بعامية القاص لجردنا الخواص عن القصـــة ، مـــع وجودهم حقيقة ، ونقل كلامهم باللغة العربية الفصحى .

وقد يحدث أن تذكر القصة حـــديثا عـــن أشـــخاص مختلفـــى الجنسية، واللغة ، ويريد الكاتب سرد أحداثهم إلى لغة أخرى ، غيـــر لغتهم جميعاً ، ولن تكون عندئذ القصة مجدية حقاً ، إلا إذا عبرت عن الأحداث باللغة الفصحى التى ترجمت إليها .

ومن المؤكد أن الواقعية لا تعارض العمل الفنى الذى تراعـــى فيه أصوله وقواعده .

رابعاً – الحوار :

ويقصد به الكلام الذى يدور بين شخصين ، أو أشـــخاص فـــي القصة قلوا أو كثروا ، وهو غير لازم في القصة المعاصرة ، ونحـــن

نجد في بعض الأحيان قصصا لا تقوم على الحوار ، مع أنـــه يلـــزم التأكيد هنا بأن الحوار قد يكون عاملاً مهما في التعبير عن الـــنفس ، عن طريق كشف المجهول في أغوارها ، وذلك إذا دار الحوار بـــين علماء النفس ، أو بين عالم نفسي ومريض ، مرضا نفســـيا ، ويريـــد الطبيب الحصول على ما يكون في العقل الباطن من عقد نفسية عـــن طريق التصريح ببعض كلمات أو شرح للمشكلة(١) .

خامساً – العقدة :

وهى نتيجة أحداث وأسباب تتتابع في القصة ، وقد تشتمل على سر غامض يحتاج إلى ذكاء خاص يتنبأ بالحـــل ، ولا يلـــزم التتـــابع الزمنى فيها .

من هنا يفرق بعض الكتاب بين الحكاية والقصة بقوله : " فـــإذا قلت مات الطفل ثم مات أبوه ، كان ذلك حكاية ، أما إذا قلـــت مـــات الطفل ثم مات أبوه على أثره ، ولا علم لأحد بسبب موت الأب ، كان ذلك عقدة ، لأن القارئ يشغل تفكيره بالسبب الذى من أجـــــله مـــات الأب " . والفرق الجوهرى بين الحكاية ، والعقدة في القصة ، هو أننا نسأل في الحكـــاية ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟ أما في العقدة فتسأل لماذا حدث ذلك(٢) ؟

---

(١) إقرأ تيمور والأقصوصة ص١٨٧ .

(٢) أركان القصة ص١٠٥ .

وذلك من حيث الاصطلاح الأدبى الحديث ، أمـا مـن حيـث المفهـوم اللغوى ، والعرفى العام ، فإنـه لا فـرق بـين الحكايـة ، والقصة ، مع احتراز أن الحكاية لا تطلق على القصص القرآنى تأدباً.

وقد تكون العقدة واحدة ، كما تكون متعددة ، ذلك أن القصة قد تشتمل على موقف ، أو مواقف متعددة ، لا تتصـل هـذه المواقـف بعضها ببعض ، وقد تتتابع الحوادث مع النوعين ، أو لا تتتابع ، وقـد تكون النتيجة واحدة ، كما تكون مختلفة .

وليس بلازم أن تكون كل قصة مشتملة على عقدة أو أكثر .

سادساً – حل العقدة :

ولكل عقدة حل موفق ، أو غير موفق ، وقد يكون الحل بالنسبة للقصة بداية لموقف آخر ، لا يعرف مصيره ، ولا تذكره القصة.

ونرى في بعض القصص أن المؤلف يترك العقدة بدون حـل ، أملا في وصول القارئ ، أو السامع إلى حلها ، أو يترك ذلك ليسـبح كلاهما بخياله في القصة ، دون نسيان لها مدة طويلة ، أو رغبة فـي بيان أن القصـة صورة من المجتمع لا حل لعقـدتها ، فـي بعـض الأحيان ، كما أن كثيرا من مشكلات الحياة لا حـل لهـا ، أو يعتمـد الكاتب إلى أن هذه هى القصة ، ويطلب حلا لها من أفراد المجتمع .

وبعد . . .

فهذه هى العناصر الرئيسة ، في كل قصة ، من حيث هى قصة.

ونرى أديبا انجليزيا ، وقصصيا مشهوراً ، هو أ . م . فورستر. يضيف إلى ما تقدم ثلاثة عناصر هى :

** الإغراق في الخيال .

** التنبؤ

** الإطار

أما الإغراق في الخيال فهو عنصر عند من يلتزمون به ، فى القصة ، ولا يقرون بالقصة الواقعية ، وهو كلام خال من الاعتبار .

وأما التنبؤ في القصة ، فنحن نتساءل عنه ، ماذا يقصد به ؟ هل هو التنبؤ من خلال قراءة القصة ، يريد به أن يدفع القارئ إلى التفكير في النتيجة التى ستكون ، أو هو التنبؤ بأثر القصة في الجمهور ؟ أو التنبؤ بعد القراءة بقصد الحكم على كاتب القصة من خلال ما قرأ ؟ أم ماذا ؟ وأرى أن هذا العنصر غير ضرورى ما دامت القصة مكتملة العناصر الأخرى .

وأما الإطار فهو خاص بشكل القصة ، ولا يدخل في عناصرها الجوهرية ، ومع ذلك كله ، يمكن إضافة عنصرين آخرين إلى عناصر القصة :

الأول : عنصـــر التشويق ، الذى يحفز القارئ إلى مواصـــلة القراءة ، ليرى خاتمة المطاف كيف تكون ؟

الثانى : الهدف .. ذلك أن قصة لا هدف لها ، عبث بـــالعقول وبالمجتمع . فوقت القارئ ملك له ولغيره ، وليس من حقه أن يلهو أو يعبث ، بما لا يعود عليه وعلى مجتمعه بفائدة .

عناصر القصة القرآنية

نلاحظ أن ما ذكرته من العناصر هو ما اتفق عليه كتاب القصة المعاصرون ، فهل هذه العناصر هى نفس عناصر القصة القرآنيـــة ، أم لا ؟

نرى قصص القرآن قد اشتمل على : موضوع وشخصـــيات ، وأسلوب ، وحوار وعقدة ، وحل ، وفضلا عن ذلك له هدف وغاية ، وتأثير نفسى بالإضافة إلى عنصر التشويق .

أما الموضوع ، فلكل قصة من قصصه اسم معين عرفت به ، كقصـــص : سيدنا آدم ، وسيدنا نوح ، وســـيدنا إبـــراهيم ، وســـيدنا موسى ، وسيدنا عيسى عليهم الصلاة والســـلام ، وكـــذلك أصـــحاب الكهف ، وأصحاب الأخدود ، وغيرهم .

أما الأسلوب : فالقرآن متميز على غيره من الأساليب من حيث النظم ، واختيار الكلمات الموحية ، وهو في ذلك فريد في نوعه ، فهو

تارة يكرر جانبا من القصة بأسلوب مختلف ، وتارة لا يكرره ، وقد يذكر الحوار في بعضها ، ولا يذكره في بعض آخر حسبما يقتضيه المقام ، وقد يبدأ القصة بذكر بطلها ، أو يبدؤها بذكر قومه ، وقد يسهب في الحديث ، وقد يختصره اختصاراً ، وذلك منهج حكيم ، وكل ما ذكرت مبسوط في الفصل الخاص بأسلوب القصة القرآنية ، وأما الشخصيات فسأتناولها بالتفصيل بعد قليل لطول الكلام عليها .

وأما الحوار فتراه قد حدث في الأعم الأغلب ، فقد ذكر في قصة نوح مع قومه وإبراهيم مع أبيه وقومه كذلك ، كما حدث لهود ، وصالح ، وموسى ، وغيرهم مع أقوامهم كأصحاب الكهف . ويظهر ذلك واضحا في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (١)

كما تظهر في أصحاب الجنة في سورة ((ن)) : " الذين أقسموا ليحرمن الفقراء من حقهم ، فحرمهم الله منها ، وفيها يقول تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا

---

(١) سورة الكهف : آية ١٩ .

تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ (١)

وقد لا نرى الحوار في بعض قصص القرآن مثال ذلك : قصة أصحاب الفيل ، وقصة أصحاب الأخدود ، تقرأ الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (٢)

فهذه قصة قرآنية كاملة العناصر ، لكنها خلت من الحوار

وكذلك ما تقرؤه في سورة البروج في قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (٣)

وأما العقدة وحلها بما تعارفوا عليه ، فذلك نراه في كل قصة قرآنية ، وإليك أمثلة لذلك ...

---

(١) سورة ، : آية ٢٦ – ٣٢ .

(٢) سورة الفيل

(٣) سورة البروج : آية ٤ : ٩ .

أولاً – قصة آدم عليه السلام فقد أكل من الشجرة ، والأكل منها مخالف للنهى ، فالقارئ أو السامع حينما يعلم أن آدم قد خالف النهى يفكر ويسأل وتذهب نفسه مذاهب شتى ، ويقول : ماذا سيحدث لآدم بعد مخالفته نهى ربه ؟ وهذه عقدة القصة ولكن بأسلوب إلهى معجز ، وليس بإلقاء كلام يستغنى عنه في أغلب الأحيان ، وحلها ما ترتب على الأكل من الشجرة من الخروج من الجنة ، والهبوط إلى الأرض ، ونزع اللباس عنهما ، وطلبه التوبة من ربه ، وقبول هذه التوبة ، تقرأ ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1]

كما تقرأ أيضا قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ، كما تقرأ أيضا قوله تعالى : ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة : آية ٣٥ – ٣٧ .

(٢) سورة طه : آية ٢١ .

ثانياً : قصة سيدنا نوح عليه الصلاة السلام ، فقـد أمـره الله بصناعة السفينة ، وقد قام بهذه المهمة الخطيرة ، وتلك عقدة القصة ، إذ يفكر الرائى أو السامع ما الذى سيترتب على صنع هذه السـفينة ، وهى في اليابسة ولا ماء ؟ أهى سفينة الهلاك ؟ وحل العقدة أنها كانت نقمة على القوم الكافرين ، ورحمة بمن اتبع نوحاً عليه السـلام مـن المؤمنين.

قال تعالى : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ * وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[1] والحل في قوله عز وجل : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[2]

وتتمثل العقدة لكل نبى في قوله سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ ﴾ وحل العقدة في قوله ﴿ جَاءهُمْ نَصْرُنَا ﴾[3] الآية .

ثالثاً : قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، حينمـا راغ إلى آلهتهم ، وكسرها إلا كبيرهم ، وعلـق الفأس في أحـدها ، هـذه عقدة ، والجميع كان يتطلع إلى ما حدث ، وما سيحدث لإبراهيم ، بعد أن كسر الآلهة ، واعتدى على حرمتها ، وحلها وهو ما ترتب عليها ،

---

(١) سورة هود : آية ٣٧ – ٣٩ .

(٢) سورة هود : آية ٤٠ .

(٣) سورة يوسف : ١١٠ .

من إجماعهم على إحراق إبراهيم عليه السلام ، اقرأ الآيات الكريمة : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾[1]

هذا فيما يتعلق بقصص الأنبياء ، وترى العقدة وحلها واضحاً كذلك في غير قصصهم ، ومن أمثلة ذلك :

أ) قصة أصحاب الكهف ، فكل من يسمعها ويصغى إلى مطلعها فى قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾[2] ، يتطلع إلى القصة بشوق ، ويتساءل عن تفصيل لهذه القصة ، وحينما يصغى بسمعه إلى آياتها الكريمة يقول : وماذا بعد أن لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ؟ ثم ماذا بعد أن بعثهم الله من كهفهم ؟ وما الهدف من وراء هذه الغيبة الطويلة ، والحل ما

---

(١) سورة الصافات : آية ٨٨ ــ ٩٨ .

(٢) سورة الكهف : آية ٩ .

قصه الله في قوله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾[1] (وتلك هى القيامة والحساب) .

ب) قصة ذى القرنين ، فالنفس تتطلع إليها متسائلة ، ماذا فعل ذو القرنين حينما بلغ بين السدين ، ووجد يأجوج ومأجوج وهم المفسدون في الأرض ؟ هل استجاب لندائهم في قولهم : ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[2] ؟ والنتيجة ما حكاه الله عنه بقوله: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾[3] وهنا عقدة أخرى هل استطاع القوم أن يتغلبوا على هذا الردم[4] الذى يوشك أن يدمرهم ؟ والجواب في قوله سبحانه : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[5] ، وهنا عقدة ثالثة وهى سؤال

---

(١) سورة الكهف : آية ٢١ – ٣٠ .

(٢) سورة الكهف : آية ٩٤ .

(٣) سورة الكهف ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) الردم : الحاجز الحصين ، وهو أكبر من السد الذى طلبوه ، واوثق ، لأنه ردم متكاثف بعضه فوق بعض ، يسد الخلل ، بما هو أشد من الحجاب ، وهو اللائق بشان العظام المصلحين ، الألوسى ٤٠/٢٦ .

(٥) سورة الكهف ٩٧ .

يطرح نفسه ، ماذا حدث لهم بعد ذلك ؟ وماذا فعلوا ؟ والجواب :
﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾[1] .

وهكذا ترى العقدة في القرآن تكون بعد مخالفة الأمر ،أو النهى كقصة آدم عليه السلام ، كما تكون بعد الاستجابة لعمل لا يعرف غايته ، كصنع السفينة ، أو بعد القيام بعمل خطير ، لم يكن متوقعاً ، كتكسير إبراهيم عليه السلام للأصنام ، وكذلك بعد الاستفهام ، انتظار للجواب ، كقصة أصحاب الكهف ، وقصة ذى القرنين ، ويمكن أن يكون كل استئناف بيانى عقدة تتطلب حلا .

ويجب التنبيه إلى أن عقدة القرآن تختلف عن القصص البشرى ، ذلك أن القرآن لا يلبث أن يسارع إلى حل عقدة القصة ، ولا يترك الإنسان في متاهات ، مسرفا في البحث عن حل لها ، كما هو الشأن في القصص الآخر .

ويجتمع مع ذلك كله في قصص القرآن ، التأثير المعجز ، الناشئ عن أسلوب القرآن المتميز ، على غيره من الأساليب ، فهو لا يلتزم الترتيب الزمنى ، في سرد حوادث القصة لأهداف يدركها من يتذوق بلاغة القرآن ، ومن ذلك قصة البقرة ، فبنو إسرائيل قد طلبوا من موسى عليه السلام أن يعرفهم عن قاتل مجهول فطلب منهم أن يذبحوا بقرة ، ولم يذكر القرآن في صدر القصة

---

(١) نفس المصدر ٩٩ .

لماذا تذبح البقرة ؟ كما لم يذكر اختلافهم في شأن القتيل وبحثهم عن القاتل ، كما لم يذكر أنهم وجهوا سؤالا إلى موسى عليه السلام للتعرف عليه ، وإنما جاء على لسان موسى أن الله يأمرهم بذبح بقرة ، واعترض القوم على موسى بتوجيه هذا الأمر إليهم ثم توجهت أسئلة من القوم له عليه السلام ، وأجاب عنها ، وفى النهاية يذكر الله تبارك وتعالى قصة القتيل : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ .

ثم تبدأ القصة بعد ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ

مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] . ويمكن القول بأن المعجـزة القصة هى العقدة .

أما ما يتعلق بشخصيات القصة القرآنية ، فقد أفـاض القـرآن الكريم في ذكر هذه الشخصيات على ألوان مختلفة .

نرى أن الله تعالى قد ذكر رسلا بدون ذكر لأسمائهم ، لبيـان فضل الله على جمـيع الخلق بإرسالهم – على كثرتهم للناس رحمـة بهم ، وبالتالى رحمة بنا نحن أمة سيد العالمين ﷺ حيث لا طاقة لنـا على حصرهم ، واستيعابهم إذا ذكروا في القرآن ، ثم لبيان أن القرآن ليس كتاب تاريخ ، يسرد الأحداث والوقائع ، وإنما هو كتـاب هدايـة للتى هى أقوم ، وما ذكر فيه من رسل يغنى عن ذكرهم .

كما نرى أنه تعالى قد ذكر أبطالاً في القصـة غيـر أنبيـاء ، وسجل صلتهم به سبحانه ، كأحسن ما تكون الصلة ، فهم قد كملوا ثم عمدوا إلى غيرهم ، يبثون فيهم الكمال وذلك كلقمان وابنه ، ومـؤمن آل فرعون ، ورسل عيسى عليه السلام ، وذكروا ليكونـوا نموذجـا لدعاة الحق من غير الرسل ، الذين يريدون للناس مسـتوى إنسـانياً فاضلاً ، وينأون بهم عن المادية الملحدة . .

---

(١) سورة البقرة : آية ٦٧ : ٧٤ .

كما ذكر أشخاصا في القصة ، كانوا أسوأ مثل فـــي الضـــلال وبعدا عن هداية الله ورسله ، كفرعون وهامان وقارون وجنودهم .

كما ذكرت المرأة المؤمنة المجاهدة في القصة القرآنية مع أنها تحت رجل كافر كامرأة فرعون ، لتكون مثلاً لمن هن على شـــاكلتها من النساء ...

وذكرت المرأة الكافرة الجاحدة نعم الله عليها ، مع أنها تحـــت رجل من صفوة خلق الله كامرأة نوح ، وامرأة لوط ، وذلـــك لتحـــذر النساء من بعدهما ما كانا يصنعانه في حياتهما ، وليتدبر ما حكـــاه الله عنهما من المصير المحتوم في العذاب الأليم ..

كما ذكرت القصة القرآنية الشباب المجاهد ، الذى لم تخدعـــه مظاهر الحياة ومفاتنها ، بل فر بدينه إلى ربـــه ، يســـأله العصـــمة ، وكانت عناية الله بهم ، وأثنى الله عليهم بجميل الثناء ، وهـــؤلاء هـــم أصحاب الكهف .

وذكرت الشباب الذي استسلم للشيطان ، ولم يـــرع حـــق الله ، وحق أخيهم كإخوة يوسف عليه السلام ، فقد كذبوا على أبيهم ورمـــوا بأخيهم في الجب ، وباعوه بثمن بخس .. وذلك ليحذر الشباب من مثل ما فعلوا حسدا وظلما .

كما ذكرت الذرية الصالحة ، في القصة وبين فيها أن الله هو الذى منح هذه الذرية لآبائهم ، وأنه تعالى يتولاهم وذلك كيحيى وعيسى وإسماعيل عليهم السلام .

وأما الذرية الظالمة فلن تنال المنح الإلهية ، وذلك كابن نوح عليه السلام ، الذى أهلكه الله ، لأنه عمل غير صالح ، وكبعض ذرية إبراهيم عليه السلام التى قال الله عنهم : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ أى من هذه الذرية ..

وهنا أود أن أناقش الأستاذ عبدالكريم الخطيب فيما ذهب إليه من أن الشخصية غير مقصودة في القصة ، وإنما الأحداث والوقائع ، هى المقصودة أولا وبالذات ، يقول : " وفى القصص القرآنى نرى تدبيراً عجيباً معجزاً في توزيع المشاهد القصصية ، توزيع المشاهد القصصية توزيعاً محكماً متوازياً ، بين الحدث والشخصية ، فلا تجد موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها ، أو الحادثة وحدها ، وإنما تلتقى الشخصية مع الحادثة أو الحادثة مع الشخصية فيتخلق من اجتماعهما مضمون " (١).

---

(١) القصص القرآنى ص٤٣ .

وهذا كلام لا اعتراض عليه من حيث منهج القصة القرآنية في سرد الأحداث بإعجاز وتوزيع هذه الأحداث على الشخصيات دون أن تطغى عليها ، وفى هذا النص اعتراف بأن القصة القرآنية لا تقوم على الأحداث وحدها ، وإنما تقوم على الشخصيات والأحداث .

والكلام الذى أناقش فيه الأستاذ الخطيب قوله بعد ذلك ..

" فالأشخاص في القصص القرآنى – أيا كانوا – ليسوا مقصودين لذاتهم ، من حيث هم أشخاص تاريخيون ، يراد إبراز معالمهم ، وكشف أحوالهم ، والتمجيد ، أو التنديد بأعمالهم ، وإنما يعرض القرآن ما يعرض من شخصيات ، كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة أو الشريرة ، وفى صراعها مع الخير والشر ، وفى تجاوبها أو تعاندها مع الأخيار والأشرار "[1] .

نراه يطلق القول هنا في أن الله لا يقصد من ذكرهم تسجيل أسمائهم ، وبيان حقيقة معدنهم ، ومعرفة الأجيال بما كانوا عليه من خير أو شر .

ويؤيد دعواه هذه بقوله : " ولو أن الشخصية كانت مقصودة قصداً أصليا ، لذكرت أحداثها ، ومواقفها ، في معرض واحد ، فكنا

---

(١) القصص القرآنى ص ٤٣ – ٤٤ .

نجـد قصة موسى مثلا في سورة واحدة وكـذلك قصـة إبـراهيم ، وعيسى ، ونوح وغيرهم[1] " .

وهذا النص يشعرُ أن الأستاذ الخطيب متردد وغير جازم بمـا ذهب إليه ، إذ لو لم يقصد ذكر الأشخاص لـذاتهم لـذكرهم الله فـي موقف واحد دون غيره من المواقف ، أو لم يذكرهم الله إطلاقا ، مـا دام ذكرهم لا يؤدى إلى غرض معين ، ولذا هو يجيب نفسه بقوله :

" وعلى هذا فإن التكرار الذى يقال عنه في القصص القرآنـى ليس تكراراً للحدث ، ولا إعادة للواقعـة بصورتها التى عرضت بها أولا ، بل إن أكثر القصص القرآنى تتكرر فيه الشخصية ، ولا تتكرر فيه الحادثة " .

" أليس ذلك دليلا على أن الشخصية في القصص القرآني ليست مقصودة لذاتها " ، " وإنما الأحداث والوقائع أولا ، ثم الشخصيات التى تلبست بها أو لابستها الأحداث ثانيا ؛ لأن مناط العبرة ، والعظة ، إنما هو في الحدث وفى موقف الناس منه " . ما يدل على اعتراف يكـاد يكون صريحاً بضرورة ذكر الأحداث في القصة ، ثم ذكر الأشخاص التى جرت عليهـا الأحداث ؟ ثم ما معنى التعليل في قوله : لأن مناط العبرة ... الخ .

---

(١) القصص القرآنى ٤٤ .

أليس معناه أن الحدث وموقف الناس فيه يكونان العظة والعبرة لدى من لديهم الاستعداد والتقبل ؟ وبالضرورة إذا قصد الحدث لذاته قصد الشخص كذلك لذاته .

ونحن لا نستطيع أن ننكر بحال أن الموقف لا يتأتى بدون الشخصيات ، فالموقف لازم ، وما يترتب عليه لازم كذلك .

ولنا أن نقول . هل الحادث يسبق الشخص أو العكس ؟

إن قلنا بالأول ، كان أقصى ما فيه أنه أصل في الوجود ، ولم يكن ذا أهمية بدون الشخص الذى جرى عليه هذا الحادث ، وإن قلنا بالثانى لزم أن يذكر لذاته ؛ لأن العبرة لا تؤدى الغرض منها بدون ذكره ، ولو أن القرآن ذكر أحداثا فقط لقالوا عنه : إنه كلام نظرى لا يصلح للتطبيق ، ولكن الله العليم بخلقه أراد أن يقرر أن هذا قد وقع ولأشخاص معروفين لبشر مثلكم ، ولا حجة لكم بأنكم عاجزون عن الاستجابة بما يأمرونكم به ، بعد ذكر أسمائهم ، كما سنرى ذلك مفصلا في الباب الثالث الخاص بأثر القصص القرآنى في بناء المجتمع[١] .

ثم ألست من قراءتك للقرآن تراه يذكر في كثير من قصصه الأشخاص في مثل قوله تعالى :

---

(١) انظر الرسالة ص ٣٧١ .

(١) ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾[(١)]

(٢) ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾[(٢)]

(٣) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾[(٣)]

(٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[(٤)]

وهذه الآيات الأربع لم يتقدم عليها ذكر لقصص آخر أو ما يتعلق بواحد منهم :

(٥) ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾[(٥)]

ثم قال بعد ذلك :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴾[(٦)]

ولم يتقدم عليها إلا التمهيد للقصة ، وقد سميت السورة باسمه ، كما سميت سور كثيرة بأسماء الأشخاص ، كيونس ، وهود ، وإبراهيم ، ومريم ، ولقمان ، وغيرها .

---

(١) سورة طه : آية ٩ .

(٢) سورة النمل : آية ٧ .

(٣) نفس السورة آية ١٥ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٣٣ .

(٥) سورة يوسف : آية ٤ .

(٦) نفس السورة : آية ٧ .

أفلا يكون ذلك كله دليلا على العناية بهم ، وأنهم مقصودون لذاتهم ؟ ولست أدرى لماذا يلح الأستاذ الخطيب على هذه الفكرة ؟ إننى أفترض فيه حسن النية ، ولكنى أخشى أن يكون وراء هذا الإلحاح أمر آخر .

يقول الأستاذ الخطيب ما نصه :

" والملحظ الذى نود أن نشير إليه هنا مرة أخرى هو أنه لو كانت الشخصيات – لا الحادثة – هى مناط القصة وواقعها الأصلى لجاءت قصة كل نبى أو كل شخصية غير نبى في موضوع واحد من القرآن في سورة أو بعض سورة "[1] .

وهذا الدليل يرد عليه فأقول : " لو لم تكن الشخصيات مناط القصة لجاءت قصة كل نبى في موضوع واحد ، لكن التالى لم يحدث فثبت أن الأول مقصود لذاته ، وتكرار الشخصية في أكثر من موضع لبيان أنها مقصودة لذاتها ، ولاعتبارات أخرى ، سنذكرها في حينها بإذن الله [2].

وتتأكد الأهمية القصوى للشخصية ، حينما يكون القرآن في موقف الدفاع عنها ، وذلك ما نراه في بعض مواقف موسى ، وعيسى ، وأمه مريم عليهم السلام .

---

(١) ص ٤٦ .

(٢) انظر التكرار في القصص القرآنى (ص ٣٠٩).

فقد أو ذى موسى عليه السلام ، ونزل في شأنه قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ .(١)

واتهمت مريم بالبهتان ، واتهم عيسى بأنه قتل ، في قوله تعالى في شأن اليهود ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا ﴿ قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ .(٢)

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٦٩ .

(٢) سورة النساء : آية ١٥٦ ، ١٥٧ .

أنواع القصة

القصـــة بالمعنى العام : أنواع كثيرة ، سواء كان ذلك من حيث الشكل ، أو المضمون ، وما دمت قد تعرضت فى رسالتي هذه للقصة الأدبية ، ووازنت بينها وبين القصة القرآنية ـــــ كما سيتبين ذلك فى فصل لاحق ـــــ فلا ضير إذا التزمت بسرد أنواعها ، ثم بينت ما يختص منها بقصص القرآن :

(أ) القصة من حيث الشكل :

اتفـــق الأدباء والنقاد المحدثون ، على أن القصة من حيث الشكل ، تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١) قصة طويلة ويطلق عليها اسم الرواية .

٢) قصة متوسطة ويمكن أن تدخل فى مفهوم الرواية .

٣) قصة قصيرة .

وبعضهم يحدد القصة الطويلة ، بأنهـــا ما تربو على عشرة آلاف كلمة ، والمتوسطة بما بين ألفين وعشرة آلاف كلمة .

والقصيرة بما لا يزيد عن ألفى كلمة ....

وهذا التحديد ـــــ فيما أرى ـــــ غير لازم ـــــ إذ هذه الأنواع اعتبارية .

ولعل هذا التحديد من مناهج الغربيين . أما الشرقيون فلا يعنيهم عدد الكلمات وليس ذلك مما عهد لديهم .

وإذا طبقنا هذا التقسيم على القصة القرآنية ، وجدنا من النوع الأول : قصة موسى وبنى إسرائيل ، مع ملاحظة أن قصة موسى عليه السلام فى سورة (النازعات) هى جزء من قصته الطويلة ، فى القرآن كله ، أما ما ذكر فى سورة (النازعات) وحدها فهى قصة قصيرة . وهذا التنويع لون من ألوان الإعجاز القرآني .

ومن النوع الثاني : قصص : آدم ، ونوح ، وإبراهيم عليهم السلام .

ومن النوع الثالث : قصص إدريس وهود ، وصالح ، وشعيب ، وأيوب عليهم السلام .

وهذه الثلاثة قد تعالج موضوعا واحدا ، أو موضوعات مختلفة ، غير أن القصة غالبا ما تعالج موضوعا واحدا محددا ويكون مشتملا على عناصر القصة المتعارف عليها .

وقد تمثل إحدى هذه الأنواع الثلاثة ، وذلك ليرى المشاهد الأشخاص ، والأضواء ، وطرق الحوار ، والأداء . ويعنى العالم كله بهذا النوع من التمثيل ، لما له من تأثير فى النفوس عن طريق السمع والبصر.

ولا يعنى القائمون بشأن التمثيل بالصدق فى سرد الأحداث ، والتزام الوقائع ، وإنما يضيفون ما يروق لهم ، لتكون الرواية ذات طابع نفسي خاص . وقد يعالجون جانبا من جوانب الحياة فى القصة القصيرة ، أو يعالجون جوانب مختلفة ، فى القصة الطويلة ، أو

يعكسون شذوذ المجتمع ، وأمراضه ، كالبخل والنفاق ، والكذب والغدر ، ومشاكل الأسرة وانحراف الشباب .

(ب) القصة من حيث المضمون :

وأما القصة من حيث المضمون ، سواء كانت واقعية ، أو خالية، أو مزيجا من الصدق والخيال ، فتنقسم إلى ثمانية أقسام :

الأول : القصة الدينية :

وهى ما نقرؤها فى القرآن الكريم ، والتوراة ، والإنجيل ، وغيرها من الكتب الدينية الأخرى ، وكذلك ما ورد فى السنة النبوية .

الثاني : القصة الأدبية :

وهى أنواع :

أ) **قصة عاطفية....** وتقوم بوصف العواطف ، والانفعالات الداخلية للإنسان

ب) **قصة شعبية ....** وهى ما تصور حادثا ، أو حوادث للعامة من أفراد الشعب ، وقد تكون بأسلوب عادى ، وواضعوها لا يقصدون الحقيقة غالبا .

جـ) **قصة بوليسية ....** وتعتمد على المفآجات ، وتشابك الأحداث والإثارة والغموض , ولذا نرى القارئ ، أو المستمع ، أو المشاهد لها ، إذا مثلت يهتم بكل تفاصيلها ؛ لما فيها من استثارة وأسرار .

د) قصة شعرية .... وذلك إذا اشتملت على موضوع محدد . وقد تكون مزيجا من الشعر والنثر .

هـ) قصة أسطورية .... وهى لا تمثل الواقع ، وإنما تكون من نسج الخيال .

الثالث : القصة التاريخية :

وهى التى تروى أحداثا مضت ، ولابد فيها من الواقعية .

الرابع : القصة النفسية :

وهى التى تعالج الانفعالات ، والاضطربات النفسية , وتصور ما تنطوي عليه النفس من غرائز , وذلك عن طريق التحليل النفسي لمحاولة الوصول إلى خواطر الإنسان الدفينة ، والكشف عن أفكاره ، التى تدور فى ذهنه ، وبيان حركاته اللاشعورية ، وكل ذلك لمحاولة فهم الإنسان .

الخامس : القصة الاجتماعية :

وهى التى تصور حياة الناس ، وعاداتهم وتقاليدهم .

السادس : القصة التجريبية :

وهى التى تشتمل على ابتكار ، وإضافة الجديد ، إلى التراث الانسانى .

السابع : القصة الرمزية :

وهى التى لا يراد ظاهرها ، وإنما يراد ما تشير إليه ، وتبعث على إعمال الفكر ، لتتبع الحوادث ، أملا في الوصول إلى المعاني

الحقيقية ، التى تشير إليها هذه الرموز الخفية . وهذا النوع من القصص يعد من الخيال الراقي ، الذي يختلف باختلاف البيئات .

الثامن : قصص البحث :

وهو ما يشتمل على دراسة الأحداث ، من أجل الوصول إلى أهداف لمشاكل محددة , ويقصد بهذه الدراسة استخلاص النتائج التى تدور القصة حولها .

ويجب التنبيه إلى أن هذه الأنواع متداخلة . فمثلا القصة الدينية يمكن أن تكون أدبية ، إذا صيغت بأسلوب أدبى رفيع ، ولا يخفى أن القصة القرآنية وهى أرقى أنواع القصص الأدبى ، وكذلك القصة الأسطورية ، قد تكون دينية وقد تكون عاطفية ـــ وهكذا كل نوع مما ذكر ـــ كما أنها على اختلافها ، قد تكتب بأسلوب أدبي ، أو عامي ، فيما عدا القصص المنزلة .

أنواع القصة فى القرآن

ذكرت أن القصة القرآنية من حيث الكم تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

((طويلة ، متوسطة ، وقصيرة))

أما من حيث المضمون – مع اعتقاد صدقها – فلها أنواع كثيرة باعتبارات مختلفة ، وذلك من حيث إن بعضها خاص بمواقف الرسل – عليهم السلام – مع أممهم ، وبعضها الآخر يتعلق بغيرهم .

أما ما هو خاص بموقف الرسل مع أممهم ، فقد يذكر القرآن القصة فى جوانب متعددة ، أو يذكر فيها جانبا واحدا ، وبالتالى اما أن تذكر فى سورة واحدة ، أو فى أكثر من سورة ، وقد تسمى السورة باسم الرسول ، أو باسم آخر ، وقد تنزل القصة لسبب ، أو لغير سبب، وقد يذكر أشخاص فى القصة ، أولا يذكرون ، إلى غير ذلك من التقسيمات .

أما فى النوع الخاص بغير الرسل ، فقد يكون تابعا للأنبياء ، وقد يعقب عليها . وقد تذكر الآيات فى أسلوب قصصى ولا يذكر فيها أسماء ، ولكنها تساق مساق المثل .

ومن هنا تنوعت القصة القرآنية وأخذت ألوانا مختلفة وإليك تفصيلا لما ذكرت :

أولا : ما يتعلق بقصص الرسل عليهم السلام

وينقسم إلى سبعة عشر نوعا ....

النوع الأول : قصص مستقل بذاته ، ويشمل ذلك :

(أ) ما له تابع من قصص آخر .

(ب) ما ليس له تابع .

فمن الأول : (الذى له تابع) قصص آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، عليهم السلام . إذ يتبع (آدم) قصة زوجه ، وقصة إبليس ، وإخراجهم من الجنة ، وكذلك يتبعه قصص بنى آدم... ويتبع (نوحا) قصة ابنه ، الذى ليس من أهله ، وقصة امرأته .. ويتبع (إبراهيم) قصة بنائه البيت الحرام ، وقصة ضيوفه من الملائكة ، وقصة الذبح .. ويتبع (موسى) قصة عبادة قومه العجل، وقصة البقرة، والخضر ، وقارون ، والجبارين ، ويتبع (عيسى) قصة المائدة ، التى طلبها الحواريون فى قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (1) .

ومن الثانى : (الذى ليس له تابع) قصص هود ، وصالح ، ويونس ، وإلياس عليهم السلام .

---

(1) سورة المائدة : آية ١١٢ إلى ١١٥ .

النوع الثانى : قد تكون القصة ذات جوانب متعددة ، تشتمل على حياة الرسول، حتى تظهر جلية واضحة ، وذلك كآدم ، وموسى ، وعيسى، عليهم السلام ، فآدم خلقه الله من طين ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وعلمه الأسماء كلها .

وموسى ، ولد فى مصر ، وكتبت له النجاة من موت محقق ، حيث ألقى به اليم إلى قصر فرعون ، ولكنه تربى فيه ، ثم خرج من مصر فارا بدم ، وتزوج ابنة شعيب ، وفى العودة من مدين كلمه ربه، وأمره بتبليغ رسالته ، ويبلغ الرسالة إلى فرعون وقومه ، ويؤمن به السحرة ، وينطلق مع بنى إسرائيل تجاه سيناء ، وينفلق له البحر معجزة ، ويمر سالما هو ومن آمن معه ، ويغرق فرعون وقومه . ويذكر القرآن مع قصته مقامه مع بنى إسرائيل ، حتى تلقى التوراة ويأمرهم بالعمل بما فيها .

وكذلك عيسى عليه السلام فقصته ذات جوانب متعددة : فهناك جانب ولادته المعجز ، وهناك معجزاته ، من تكليمه الناس فى المهد ، وخلقه الطير باذن الله ، وإبرائه الأكمه ، والأبرص ، وإحيائه الموتى بإذن الله ، ثم رفعه إلى السماء ، وزعم اليهود أنهم قتلوه ..

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (١) .

وقد تكون ذات جانب واحد لا غير ، وذلك مثلما نراه فى قصة أيوب ، وهود ، وصالح ، فأيوب قصة الصبر وتحمله البلاء ، وهو وصالح قصة الدعوة إلى نبذ الشركاء مع الله .

---

(١) سورة النساء : أية ١٥٧ .

النوع الثالث : ويشتمل على :

أ) قصص لرسل ذكروا فى أكثر من سورة ، ومثل ذلك كثير كآدم ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام : فقد ذكر آدم فى اثنتى عشرة سورة ، منها المكى ومنها المدنى ، وذكر إبراهيم فى خمس وعشرين سورة ، بين مكى ومدنى .

ب) كما يشتمل على قصة ذكرت فى سورة واحدة ، ولم تذكر فى غيرها ، كقصة (يوسف) عليه السلام فى سورة يوسف .

النوع الرابع : ويشتمل على :

أ) ما جاء بطلب من الصحابة ، وذلك كقصة يوسف السالفة الذكر . فقد ذكر الواحدى فى أسباب النزول ، بسنده عن عمرو بن مرة ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد بن أبى وقاص ، فى قول الله عز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾الآية قال : نزل القرآن على رسول الله ﷺ ، فتلا عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله : لو قصصت علينا ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ تلا إلى قوله : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾- الآية فتلا عليهم زمانا ، فقالوا : يا رسول الله لو حدثتنا ؟ فأنزل الله عز وجل " ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ (١) . وقال كل ذلك يؤمر بالقرآن (٢) :

---

(١) سورة الزمر : آية ٢٣ .

(٢) أسباب النزول ص ١٥٥ . وانظر مستدرك الحاكم جـ٢ ص ٣٤٥ كتاب التفسير وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبى .

ب)ما جاء من غير طلب – وذلك بقية القصص الأخرى ، كقصة إبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام وغيرهم .

النوع الخامس : ويشمل ذلك :

أ) ما هو خاص بالرسل وسميت السورة بأسمائهم ، كنوح ، وإبراهيم ، وهود ، ويوسف ، ويونس .

ب)ما لم تسم السورة بأسمائهم كآدم ، وعيسى ، وموسى ، وقد سميت سور في القرآن بأسماء الأنبياء ، مع أن قصتهم لم تذكر في هذه السور إلا في آيات قليلة بالنسبة إلى عدد آيات السورة: ومثال ذلك – هود ، وإبراهيم ، ويونس .

فسورة هود ذكرت قصته فيها من آية / ٥٠ إلى آية /٦٠ أي إحدى عشرة آية فقط مع أن السورة الكريمة ثلاث وعشرون ومائة آية.

وسورة إبراهيم ذكرت فيها قصته ، من آية /٣٥ إلى آية /٤١ أي سبع آيات لا غير ، مع أن السورة الكريمة اثنتان وخمسون آية .

وسورة يونس ذكرت فيها قصته في آية واحدة لا غير ، هي قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ آية / ٩٨ مع أن السورة الكريمة تسع ومائة آية .

وإذا ذكرت قصص أخرى ، مع من سميت السورة باسمه ، فإن هذه القصص تدور حول القصة الأصلية وكأنها فرع منها .

النوع السادس :

أ) قصص للرسل ، اشتمل على معجـزات – كصـالح ، وإبـراهيم وموسى ، وعيسى عليهم السلام .

فناقة صالح آية صدقه . قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ (١) . وإبراهيم نجاه الله من النـار . قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٢) .

وموسى كان يلقى عصاه فإذا هى حية تسعى ، ويخرج يـده مـن جيبه ، فإذا هى بيضاء للناظرين . قال تعالى : ﴿ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ (٣) . كمال قال عن اليد : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ (٤) .

وعيسى كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بـإذن الله ويبرئ الأكمه والابرص ويحيى الموتى بإذن الله . قال تعـالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ

---

(١) سورة الإسراء : آية ٥٩ .
(٢) سورة الأنبياء : آية ٦٩ .
(٣) سورة طه : آيات ١٩ ، ٢٠ .
(٤) سورة طه ٢٢.

وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ (1) .

أ) وقصص لم يشتمل على معجزات أصلا كإسماعيل ، وإسحق وشعيب – عليهم السلام .

النوع السابع : ويأتى فى :

أ) ما ذكر فيه امتحان للأنبياء وفتنة ، ثم قبلت التوبة منهم ، كآدم، ونوح ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، ويونس ، عليهم السلام .

فآدم تاب إلى الله بعد مخالفته النهى عن الأكل من الشجرة .

ونوح لما طلب من الله نجاة ابنه من الغرق ، وقال له ربه : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (2) . تاب إلى الله قائلا فيما حكاه الله عنه : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (3). فتاب الله عليه قائلا : ﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (4) .

---

(1) سورة المائدة : آية ١١٠ .
(2) سورة هود : آية ٤٦ .
(3) سورة هود : آية ٤٧ .
(4) سورة هود : آية ٤٨ .

وموسى رجع إلى الله تائبا بعد قتله القبطى ، الذى وكزه فقضى عليه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ﴾ [1] .

وأما داود ففتن حينما تسور عليه الخصم المحراب ، ودخلوا عليه ففزع منهم ، وظن أنهم أرادوا به شرا ، وإن يكن الخوف أمرا جبليا ، لكن ترتب عليه سوء الظن بهم ، وما كان يليق به ، وهو بين يدى مولاه أن يفزع من مخلوق ، وتلك فتنة داود ، كما حددها القرآن بقوله : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴾[2]، ومرجع الإشارة يعود إلى مذكور فى الآية السابقة وفيها يقول تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾[3]، والمذكور هو الفزع ، والنعجة فى القصة حقيقية ، وما ذكر من الإسرائيليات فيها دخيل لا يليق بسليمان – عليه السلام – أو غيره من الأنبياء .

ويقال إنه حكم لاحدهما قبل الاستماع إلى الأخر ، ولكن يضعف ذلك أن مثل سليمان – عليه السلام – لا يقدم على هذا الأمر البدهى إذ هو حاكم ونبى ، والله – تعالى – يقول فى شأنه ، قبل قصة الخصم مباشرة : " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " ، وما ذكرت يتفق وظاهر النص القرآنى ، ولا يعدل عن هذا الظاهر إلا بقرينة .

قال تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [4]
فقبل الله توبته وقال : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[5]

---

(١) سورة ص : ٢٥ .
(٢) سورة ص : ٢٥ .
(٣) سورة ص : ٢٢ .
(٤) سورة ص ٢٤ – ٢٥ .
(٥) سورة ص ٢٤ – ٢٥ .

وفتنة سليمان ذكرها البخارى ومسلم ، فى حديث مرفوع عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : " قال سليمان بن داود : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة ، تحمل كل امرأة فارسا ، يجاهد فى سبيل الله، فقال له صاحبه : إن شاء الله ، فلم يقل ، ولم تحصل شيئا إلا واحداً ساقطا إحدى شقيه ، فقال النبى ﷺ ، لو قالها لجاهدوا فى سبيل الله (١) .

وما دام الحديث قد صح ، فهو الفيصل ، وقد انتفت به كل شبهة ، فوجب الأخذ به ، وللرسل خصائص ليست لغيرهم ، وكل أحوالهم طاعات وقربات إلى الله – وتلك كانت فتنة سليمان ، عليه السلام.

وفى ذلك قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾(٢). والمراد أنهم ذهبوا بهذا الشق إلى سليمان عليه السلام ، على حالته الناقصة ، فعرف أنه فتن فاستغفر ربه .

ويونس نادى وهو فى بطن الحوت : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) . وكان قد ذهب مغاضبا قومه ، تاركا إياهم فخرج قبل الإذن له بالخروج .

أ) وما ليس فيه ما ذكر وهو غير ما نص عليه .

---

(١) رواه البخارى فى الصحيح سبع مرات ورواه مسلم فى كتاب الإيمان ، واللفظ للبخارى انظر فتح البارى ج ٧ ص ٤٥٨ ، باب " واذكر عبدنا داود ذا الايد أنه أواب " وانظره فى كفارة اليمين ، والتوحيد ، والجهاد ، وغيرها وتراه فى النسائى ، وابن حيان ، ومسند أحمد ، كلها بروايات خلاصتها ٦٠ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ والجمع بينها أن الستين حرائر ، والباقى سرارى ، أو العكس.

(٢) سورة ص آية ٣٤ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ٨٧ .

النوع الثامن : ويشمل ذلك :

أ) قصص مهد له قبل الحديث عنه ، كـآدم ، ويوسـف ، وموسـى عليهم السلام، فآدم مهد له فى سورة طه ، فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (١) .

وفى يوسف قال تعالى فى سورة سميت باسمه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢).

وتقرأ عن موسى فى سورة القصص قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (٣).

ويلاحظ أن القصة الممهد لها ، تكون تأكيدا للفكرة المذكورة فـى التمهيد .. ومن عجب أن التمهيد لم يعرف فى القصة المؤلفـة إلا حديثا ، وقد سبق القرآن مؤلفى القصص الحديثة فى ذلك بأربعـة عشر قرنا .

ب)وهناك قصص يساق بدون تمهيد كقوله عز وجل :

---

(١) سورة طه : آية ١١٥ .
(٢) سورية يوسف : آيات ٣ / ٥ .
(٣) سورة القصص : آيات ٣ – ٦ .

١- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ [١] .

٢- ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً ﴾ [٢] .

٣- ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [٣] .

٤- ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٤] .

النوع التاسع :

أ) قصص يذيل بخاتمة تساق للعبرة من القصة . ترى ذلك فى بعض قصص سورة هود .

فعقب قصة نوح فى هذه السورة قوله تعـــالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٥] .. وهنا إشارة إلى ما جاء بأول السورة .

وعقب على لوط بقوله تعالى : ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [٦].

وعقب على شعيب بقولــه تعــالى : ﴿ أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[٧].

---

(١) سورة هود : آية ٢٥ .
(٢) سورة هود : آية ٥٠ .
(٣) سورة هود : آية ٦١ .
(٤) سورة مريم : آية ٤١ .
(٥) سورة هود : آية ٤٩ .
(٦) سورة هود : آية ٨٣ .
(٧) سورة هود : آية ٩٥ .

وعقب على يوسف بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [1] .. وتأمل هنا كلمة "نوحيه" فى هذه الآية ، وعلاقتها بما جاء بأول السورة الكريمة .

وترى فى سورة آل عمران تعقيبا على زكريا ومريم قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [2] .

كما نلاحظ فى سورة هود ، أن الله تبارك وتعالى ، عقب على جميع ما فيها من قصص ، بقوله عقب قصة موسى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [3].

كما نرى فى سورة طه عقب قصة موسى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [4].

وفى سورة العنكبوت عقب على كل ما ذكر بقوله تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [5].

---

(١) سورة يوسف : آية ١٠٢ ثم آية ٤ .
(٢) سورة آل عمران : آية ٤٤ .
(٣) سورة هود : آيات ١٠٠ ، ١٠١ .
(٤) سورة طه : آية ٩٩ .
(٥) سورة العنكبوت : آية ٤٠ .

وفى سورة الشعراء عقب على كل قصة من قصصها على حدة يقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

وفى القصص : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٢) .

وفى القمر : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (٣) .

والمتأمل فى القصص القرآنى ، يجد غير ذلك كثيرا مما يبعث على العظة والعبرة .

ب) وقد يذكر قصص لا يعقب عليه ؛ لأن العبرة بدت واضحة، من خلال النص الكريم ، وذلك كما تراه فى سورة الأعراف فى قصة موسى ، وسورة إبراهيم فى قصة إبراهيم ، وقصة داود ، وسليمان فى النمل ، وغالب قصص سورة ص وسورة نوح .

فقصة موسى فى سورة الأعراف ذكرت بعد قصة شعيب ، وابتدأت بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٤). وانتهت بقوله تعالى : ﴿ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا

---

(١) سورة الشعراء : آيات ٦٧ ، ٦٨ .
(٢) سورة القصص : آية ٤٤ .
(٣) سورة القمر : آية ٥١ .
(٤) سورة الأعراف : آية ١٠٣ .

فيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [1].. أى أن القصة قد ذكرت على التحديد فى تسع وستين آية ولم يعقب الله عليها .

وقصة إبراهيم ، فى سورة إبراهيم ، قد بدئت بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [2] وختمت بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [3].. أى أنها ذكرت فى سبع آيات ولم يعقب الله تعالى عليها .

وداود ، وسليمان فى سورة النمل بدأت قصتهما بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [4].. وختمت بقوله تعالى : ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [5] .. أى أن القصة قد ذكرت فى ثلاثين آية ولم يعقب الله تعالى عليها ، وترى العبرة من خلال القصة .

وفى سورة " ص " تجد تمهيدا لبعض القصص ، ولا تجد فى الآخر ، كما تجد لبعضها تعقيبا ، ولا تجد تعقيبا لبعضها الآخر .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٧١ .
(٢) سورة إبراهيم : آية ٣٥ .
(٣) سورة إبراهيم : آية ٤١ .
(٤) سورة النمل : آية ١٥ .
(٥) سورة النمل : آية ٤٤ .

ففى قصة داود ، مهد لها بقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[1]. وفي قصة سليمان فى نفس السورة ، مهد لها بقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[2].

وانتهت بقوله تعالى تعقيبا وامتنانا عليه بالنعمة : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[3].

وفى نفس القصة عن أيوب يقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[4]. وعقب عليها بقوله : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[5].

جـ) وهناك قصص لا تمهيد لها ولا تعقيب :

ففى سورة نوح لم يمهد لقصته ، ولم يعقب عليها ، فقد بدأت بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[6] .. وانتهت بقوله عز وجل : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[7].

---

(١) سورة ص : آية ١٧ .
(٢) سورة ص : آية ٣٠ .
(٣) سورة ص : آية ٣٩ – ٤٠ .
(٤) سورة ص : آية ٤١ .
(٥) سورة ص : آية ٤٤ .
(٦) سورة نوح : آية ١ .
(٧) سورة نوح : آية ٢٨ .

د) كما تجد نوعا لا يمهد له ، وإنما يعقب عليه ، مثل قصة هود فى الاحقاف ، فقد بدئت بقوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ ﴾[1] ... وعقب عليها بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴾[2].

النوع العاشر : ويشمل ذلك :

أ) ما يتفرد بسورة بتمامها ، ولا يتخلل القصة قصة أخرى ، أو ينفرد بجزء من السورة ، ولا يتخللها آيات أجنبية عنها ، أو ينفرد بسورة ، ويتخللها آيات أجنبية عنها . مثال الأول .. قصة نوح فى سورة نوح، ومثال الثانى .. قصة هود فى الأحقاف ، وصالح، فى الشمس ، وإبراهيم ، فى سورة الأنعام ، ويوسف ، فى سورة يوسف ، ومثال الثالث .. قصة موسى فى القصص .

فقصة هود فى سورة الأحقاف ، تبدأ من قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾[3].. وتنتهى بقوله تعالى : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾[4].. ولم تتخلل هذه القصة قصة أجنبية عنها ولم يذكر فيها سواها .

---

(١) سورة الأحقاف : آية ٢١ .
(٢) سورة الاحقاف : آيات ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) سورة الأحقاب : آية ٢١ .
(٤) سورة الأحقاف : آية ٢٥ .

وكذلك قصة صالح فى سورة الشمس فى قوله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾[1] .. فهى قصة لم تتخللها قصة أجنبية عنها ، ولم تذكر معها قصة سواها.

وإبراهيم قد بدئت قصته بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[2].. وختمت بقوله عز وجل : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3] .. وهذه كذلك قصة لم تتخللها قصة أجنبية عنها ، ولم تذكر معها قصة سواها .

وقصة موسى ، فى القصص ، قد بدئت بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[4]... والحديث يستمر عن موسى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾[5]... وإن تخللها وعيد من الله لأهل مكة ، فى قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ

---

(١) سورة الشمس : آية ١١ – ١٥ .
(٢) سورة الأنعام : آية ٧٤ .
(٣) سورة الأنعام : آية ٨١ .
(٤) سورة القصص : آية ٧ .
(٥) سورة القصص : آية ٤٦ .

﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] ... ويستمر التهديد والدعوة إلى الزهد فى الدنيا فى قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢]، ويقرن الوعيد بالوعد: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٣].

ثم تبدأ قصة أخرى ، تابعة لقصة موسى ، وهى قصة قارون ابتداء من قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾. إلى قوله : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤].

ب) كما يشمل سورا تذكر القصة فيها ومعها غيرها من القصص، وذلك ما تراه فى الأعراف ، وهود ، والحجر ، والأنبياء ، والشعراء ، والمؤمنون ، والصافات ، والقمر .

فقصة آدم فى الأعراف ، معها قصص ذكر فيها نوح ، وهود، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى عليهم السلام[٥].

وقصة هود فى سورة هود ، ذكر معها قصص نوح ، وصالح، وإبراهيم ، ولوط ، وشعيب ، وموسى [٦] وفى سورة الحجر : آدم، وإبراهيم ، ولوط ، وأصحاب الآيكة (شعيب) ، وأصحاب الحجر (صالح) [٧].

---

(١) سورة القصص : آية ٤٧ .
(٢) سورة القصص : آية ٦٠ .
(٣) سورة القصص : آية ٦١ .
(٤) سورة القصص : آيات ٧٦-٨١ .
(٥) سورة الأعراف : وبداية القصص فى الآيات : ١١ ، ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠٣ .
(٦) سورة هود : الآيات ٢٤ / ٥٠ / ٦١ / ٦٩ / ٧٤ / ٨٤ / ٩٦ .
(٧) سورة الحجر : الآيات ٢٦ / ٥١ / ٥٨ / ٧٨ / ٨٠ .

وفى الأنبياء : ذكرت قصة إبراهيم ، وتحريقه ، ومحاكمته ، وإنجاء الله له ، وقصص لوط ، ونوح ، وداود ، وسليمان فى قصة الحرث وتعليم سليمان صناعة الدروع ، وتسخير الريح له ، وأيوب وقصة مرضه ، وذا النون وزكريا [١].

وسورة المؤمنون : ذكر فيها نوح ، ومن بعده رسول آخر (صالح) ذكر فى قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾[٢] وفى قومه قال : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾[٣]، والصيحة لثمود كما فى سورة القمر : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[٤] ﴿ وَمُوسَى وَهَارُونَ ﴾[٥].

وسورة الشعراء : ذكر فيها قصة موسى ، وموقفه من فرعون، ومعجزتا اليد ، والعصا ، وجمع السحرة ، ومعجزة البحر ، وقصة إبراهيم ، وعناد أبيه ، ونوح ، وعاد ، وسطوتهم ، وعلوهم ، ومجدهم، وثمود ، ولوط ، وأصحاب الأيكة [٦] .

وسورة الصافات : ذكر فيها نوح ، وإبراهيم ، ومحاكمته ، وقصة الذبح ، وبشراه بولده ، وموسى ، وهارون ، وإلياس ، ولوط ، ويونس وقصته مع الحوت وإيمان قومه جميعاً به [٧] .

---

(١) سورة الأنبياء : الآيات ٥١ / ٧٤ / ٧٦ / ٧٨ / ٨٣ / ٨٧ / ٨٩ .
(٢) سورة المؤمنون : آية ٣٢ .
(٣) سورة المؤمنون : آية ٤١ .
(٤) سورة القمر : الآيات ٢٣ ، ٣٢ .
(٥) سورة المؤمنون : الآيات ٢٣ ، ٣٢ .
(٦) سورة الشعراء : الآيات من ١٠ ، ٦٩ ، ١٠٥ ، ١٢٣ ، ١٤١ ، ١٦٠ ، ١٧٦ .
(٧) سورة الصافات : الآيات ٧٥ ، ٨٣ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٣٩ .

وسورة القمر : ذكر فيها نوح ، وعاد ، وثمود ، ولـــوط ، وآل فرعون [1].

النوع الحادى عشر :

التفصيل بعد الاجمال ، وذلك مثل ما قصه الله تعـــالى – عـــن نبى كان فى بنى إسرائيل من بعد موسى – عليه السلام . وقد طلـــب الملأ منه ، أن يبعث لهم ملكا ، ليقاتلوا فى سبيل الله ، فحذرهم النبـــى من التخاذل ، ولكنهم أظهروا العزيمة فى الجهـــاد ، وهـــذا إجمـــال ، فصلته الآيات بعده ، بما يفيد أن هذا النبـــى أخبـــرهم أن الله كلـــف " طالوت " بالملك عليهم ، ولكنهم اعترضوا عليه ، لأسباب منها فقره ، فرد عليهم النبى بأن الله قد اصطفاه ، وأن فيه ميـــزتين ، الأولـــى : العلم، والثانية القوة ، وجعل لهم آية ملك طالوت ، أن يأتيهم تـــابوت موسى الذى فيه التوراة ، والسكون والاطمئنان لهم ، وفيه كذلك بعض ما تركه آل موسى ، وآل هارون ، وهذا التابوت تحمله الملائكة .

ويختبر طالوت الجند ، بعد أن تحركوا للجهاد ، ليـــرى مـــدى تحملهم ، وصبرهم على البأس والقتال ، فلم يصمد أمام الاختبـــار إلا قليل منهم ، وقال من معه : لا طاقة لنا على قتـــال الأعـــداء ، لكـــن أقوياء الإيمان ثبتوا ووثقوا من نصر الله ، إذ الله مع من يصبر أمـــام العدو ، وكانت النتيجة النصر لهم ، والهزيمة لأعدائهم .

(١) سورة القمر : الآيات ٩ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٣٣ ، ٤١ .

ونقرأ الإجمال أولا في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ .

ويفصل هذا الإجمال قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة :

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1] .

---

(1) سورة البقرة : آيات من ٢٤٦ ـ ٢٥٢ .

نرى فى التفصيل ما يلى :

أولا : إجابة طلب الملأ من بنى إسرائيل ، وقد جـادلوا فيـه نبيهم، وذلك شأنهم منذ القدم ، – ولا يزالون حتى اليوم ، وكأن كل ما يعنيهم فى ملكهم ، أن يكون ذا مال .

ثانيا : من التفصيل فى القصة ، ما ذكره الله علامة لطـالوت فيها ما تسكن له نفوس القوم .

ثالثا : بينت الآيات أن أكثرهم لم يستجب لطالوت فى الاختبار الذى واجههم به حيث أمره الله – ومضمونه ألا يشربوا من النهـر ، وكان ذلك ليرى مدى صلاحيتهم لمواجهة الأعداء ، وقد صرحوا بعدم القدرة على القتال ، خلافا لما وعدوا به نبيهم من قبل .

رابعا : نصر الله المؤمنين ، بسبب القلة منهم التى بذلت نفسها فى سبيل الله ، وطلبت منه الصبر على الجهـاد ، وتثبيـت الأقـدام والنصر على القوم الكافرين .

خامسا : ختمت الآيات الكريمة بقانونين من قوانين القرآن :

أولهما : أن الحياة لا يستقيم أمرها ، إلا بـدفع الله المـؤمنين ونصره إياهم على الكافرين ، إذ لولا ذلك " لفسدت الأرض ، بغلبـة الكفار وقتل الأبرار، وتخريب البلاد، وتعذيب العباد" (١).

---

(١) النسفى ج ١ ص ١٢٧ .

ثانيهما : أن ما يقصه – الله تبارك وتعالى – من قصص فـــى القرآن ، هو الحق المطابق للواقع ، المنزل على سيد المرسلين .

النوع الثانى عشر : ويشتمل على :

أ) ما يذكر من قصص يراعى فيه الترتيب الزمنى ، من حيث الرسالات، كما تراه فى سورة الأعــراف ، وهــود ، والمؤمنــون ، والقمر .

ب) ما لا يراعى فيه ذلك الترتيب ، كما تراه فى سورة الحجر، والأنبياء ، والشعراء ، والنمل ، والعنكبوت ، والصافات .

وإليك جدولا يوضح ما ذكرت :

(أ) السور التى روعى فيها الترتيب الزمنى للرسالات :

م	اسم السورة	من ذكر فيها من الأنبياء مرتبين
١	الأعــراف	نوح – هود – صالح – لوط – شعيب – موسى
٢	هـــــود	نوح – هود – صالح – إبراهيم – لوط – موسى
٣	المؤمنون	نوح – صالح – موسى وهارون
٤	القمـــر	نوح – هود – صالح – لوط

ب) السور التى لم يراع فيها الترتيب الزمنى للرسالات :

م	اسم السورة	من ذكر فيها من الأنبياء غير مرتبين
١	الحجر	آدم – إبراهيم – لوط أصحاب الأيكة (قوم شعيب) – أصحاب الحجر (قوم صالح) [(١)]

(١) سورة الحجر : الوادى . وهو بين المدينة والشام . انظر الكشاف ٥٨٦/٢ .

		ففى السورة ذكر أصحاب الحجر فى آخر ما ذكر مع أنهم كانوا قبل إبراهيم عليه السلام .
٢	الأنبياء	إبراهيم – لوط – نوح – داود – سليمان – أيـوب – ذو النون – زكريا . وفى هذه السورة ذكر نوح ثالث من ذكر مع أنـه كان قبل إبراهيم عليهما السلام .
٣	الشعراء	موسى – إبراهيم – نوح – هود – صالح – لـوط – شعيب وفى هذه السورة نرى أن إبراهيم قبـل موسـى ، ونوح ثالث من ذكر وهو قبل إبـراهيم ، وكـذلك هود ، وصالح ، ولوط ، كان معاصرا له .
٤	النمل	موسى – داود – سليمان – صالح – لوط وفى هذه السورة أيضا نرى أن صالحا ، ولوطا ، كانا قبل موسى عليهم السلام .
٥	العنكبوت	نوح – إبراهيم – لوط – شعيب – هود – صالح وممن أرسل إليهم موسى ((قارون ، فرعـون ، هامان)) ، وقد ذكروا فى قوله تعـالى : " ولقـد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين " [١] .

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٣٩ .

		وفى هذه السورة ترى أن هودا وصالحا ، كانا قبل إبراهيم .
٦	الصافات	نوح – إبراهيم – موسى – هارون – إلياس – لوط – يونس . وفى هذه السورة ترى أن لوطا عليه السلام كان معاصرا لإبراهيم فهو قبل موسى وهارون وإلياس

والقرآن لم يلتزم السرد التاريخى فى هذه السور لأمرين :

الأول : أنه ليس كتاب تاريخ تدون فيه الوقائع والأحداث مرتبة كما وقعت لمجرد العلم بل هو للعبرة والعظة بأحوال السابقين .

الثانى : لبيان أن أول الرسل كآخرهم من حيث الغاية والهدف: فما جاء به نوح عليه السلام مثلا هو ما جاء به عيسى من حيث الأصول الدينية وأن اختلفا فى فروع التكاليف .

النوع الثالث عشر : وترى فيه :

أ) بعض القصص نجده فى صدر السورة مباشرة بعد آية واحدة من حروف المعجم وذلك كمريم ، والقصص .

ب)بعض القصص بعد آيات قليلة : كسورة يوسف (بعد آيتين) ، وسورة النمل (بعد ست آيات) .

ج) بعض القصص نجده بعد آيات كثيرة نوعا : كسورتى طه ، والقمر (بعد ثمان آيات) ، وسورة الشعراء (بعد تسع آيات) .

د) بعض القصص بعد طائفة كبيرة من الآيات : كسورة يونس (التى ذكر فيها القصص بعد سبعين آية) ، وهود (بعد أربع وعشرين)

فى سورة الأنبياء (بعد سبع وأربعين) ، والصافات (بعد أربــع وسبعين آية) .

النوع الرابع عشر : ويشتمل على :

أ) ما نزل فى مكة .

ب)ما نزل فى المدينة .

أ) **فالقصص المكي** : تراه فى سورة الأنعــام ، والأعــراف ، ويونس، وهود ، ويوسف ، وإبراهيم ، والحجر ، والكهف ، ومــريم ، وطه، والأنبياء ، والمؤمنون ، والشــعراء ، والنمــل ، والقصــص ، والعنكبوت، ولقمان ، وسبأ ، ويس ، والصــافات ، وص ، وغــافر ، الزخرف ، الدخان ، الأحقاف ، ق ، الــذاريات ، القمــر ، الحاقــة ، ونوح ، النازعات ، البروج ، الشمس ، والفيل.

وما ذكرته عن سورة الكهف بأنها مكية هو الصواب ، فقد ذكر ابن كثير أن سبب نزولها ، هو اختبار أهل مكة لرسول الله (ﷺ) ، بعد سؤالهم يهود المدينة عنه[1] ، وقال القرطبي عن هذه السورة إنها مكية فى قول جميع المفسرين[2] ، والقرطبي متوفي سنة ٦٧٢هـــ ، وقــد رأيت الزمخشري يقول عن السورة بأنها مكية مــا عــدا قصــة ذي القرنين فمدنية ، والزمخشري سابق على القرطبي حيث تــوفى ســنة ٥٣٨هـــ ، وقد عجبت من مصحف الوزارة طبعة الأميرية حيث قــد نص فى صدر سورة الكهف بأنها مكية مــا عــدا آيــة ٢٨ ، "**واصبر**

(١) ابن كثير جـ٣ ص ٧١ .
(٢) قرطبي جـ١٠ ص ٣٤٦ .

نفسك... الخ ، ومن آية ٨٣ إلى غاية ١٠١ فمدنية وتبدأ هذه الآيات بقوله تعالى :﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ** ﴾ إلى آخر القصة : وأظن أن كاتبي المصحف نقلوا ذلك عن الزمخشري مع أن الصواب خلافه، قال البيضاوي عن رسول الله (ﷺ) : "وسأله أهل مكة بإرشاد اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم، ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي بضعة عشر يوماً حتى شق عليه، وكذبته قريش...الخ" ما قال.[1]

ب) والقصص المدني : تراه في البقرة ، وآل عمران ، والنساء، والمائدة ، والأنفال ، وقصة أصحاب الجنة [2]، وصاحب الحوت[3] ، وقصة ذي القرنين[4].

ومن الموازنة بين القصص المكي والقصص المدني يتبين:

أ- التركيز على جانب العقيدة ، من الدعوة إلى التوحيد، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر في المكي أكثر منه في المدني ، وذلك ناشئ عن استقرار الدولة الإسلامية في المدينة، عما كانت عليه في مكة ، واهتمام الرسول (ﷺ) بالأحكام الشرعية، بعد أن ثبت دعائم الإيمان في القلوب.

ب- الجدال والمحاورة في المكي أكثر منه في المدني، كما ترى ذلك واضحاً في قصة نوح في سورة هود ، وقصة إبراهيم في

---

(١) بيضاوي ص ٣٨٢ .
(٢) سورة (ن) – ٧ – ٣٢ . سورة ن مكية، واستثنى منها قصة أصحاب الجنه الألوسى جـ ٢٧/٢٩.
(٣) نفس السورة : ٤٨ – ٥٠ .
(٤) سورة الكهف : ٨٣ – ٩٩.

الأنعام، ويشير لذلك قوله تعالى :﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ [1]

جـ- المكي يمتاز بالقصر ، وفخامة الألفاظ .

د - كما ترى أن قصصا لنبي واحد ، نزل في مكة والمدينة معاً مثل قصة "آدم" في الأعراف المكية ، وفي البقرة المدنية .

وكذلك قصة عيسى في سورة مريم المكية ، وفى سورة المائدة وآل عمران المدنيتان .

هـ- كما ترى أن أغلب القصص القرآني نزل في مكة - ذلك لما له من تأثير نفسي وتطهير للقلوب من العقائد الباطلة التي ورثوها عن الآباء والأجداد.

وقد جاء القصص بأساليب مختلفة من أجل هذه الغاية.

الباب الخامس عشر :

أ) بعض الرسل يسجل القرآن رسالته ويبين جهاده لأعداء الحق كما يبين نتيجة من آمن من قومه ومن كفر منهم وذلك كنوح وهود وصالح .

ب) وبعض الرسل لا يسجل لهم القرآن جهادا لاقوامهم وذلك كداود وأيوب عليهما السلام. كما لا يذكر أن قومهم هلكوا بسبب عصيانهم. ولعل سبب ذلك أنهم لم يكلفوا بجهاد وقتال لأعدائهم أو أن قومهم كانوا قلة فجهادهم لم يكن ظاهرة تستحق التسجيل .

---

(١) سورة الأنعام آية ٨٠ .

النوع السادس عشر :

أ) قد يذكر الرسول وتفصل حياته قبل البعثة كميلاده وكيف تربى ونشأ : كإسماعيل، وإسحق ويوسف وموسى وعيسى ويحيى عليهم الصلاة والسلام.

ب) وقد لا يفصل فيه هذا التفصيل : كإدريس ونوح وإبراهيم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام .

النوع السابع عشر :

من حيث المعاني والقضايا التي دارت حولها قصص الأنبياء على النحو التالي :

أ) **آدم عليه السلام** : يمثل الإنسانية بضعفها والتجائها إلى خالقها وبارئها فقد نسى وأكل من الشجرة مخالفاً النهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (١)

"ولكنه وزوجه تابا ورجعا إلى الله. ويشير إلى ذلك قوله عز وجل:﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢).

وتقبل الله منهما التوبة:﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)

---

(١) سورة طه الآية ١١٥.
(٢) سورة الأعراف الآية ٢٣ .
(٣) سورة البقرة آية ٣٧ .

ب) إبراهيم عليـــه الســـلام : يمثـــل الإنســـان الأواه الحلـــيم المنيب. قـــال تعـــالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [1] .. كمـــا قـــال: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ [2] كمـــا يمثـــل الرســـول الـــذي يـــرى ملكوت السموات والأرض: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [3]... كمـــا يمثـــل مـــن يملـــك الحجـــة النظريـــة والعملية.

دليل الأول ... ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [4]

ودليل الثانية... إبرازه الحجة في ثوب عملي ضد أصـــنامهم: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ [5]

جـــ) يوسف عليه السلام : يمثل الرجل العليم الصادق الصابر أمام الأحداث الجسام فقد صمد أمام امرأة العزيـــز بعـــد أن تهيـــأت له، وقد عرف إخوته ولم ينتقم منهم وإنما هيـــأ الظـــروف لتعـــرفهم عليه بعد حين. ولما قالوا عنه : إنه سارق أسرها في نفسه ولم يبـــدها لهم.

ففى سورته نرى آيات عن : الكيـــد ، والعلـــم ، والمـــراودة ، والمكر، والعفو .. وفيما يلي بيان الآيات الدالة على هذه المعاني:

---

(١) سورة التوبة آية ١١٤ .
(٢) سورة هود آية ٧٥ .
(٣) سورة الأنعام آية ٧٥ .
(٤) سورة الأنعام آية ٨٣ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٥٨ .

آيات الكيد :

﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ (١)

﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (٢)

﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ (٣)

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ﴾ (٤)

﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (٥)

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ (٦)

﴿ أَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ (٧)

آيات العلم :

﴿ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ (٨)

﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ (٩)

---

(١) سورة يوسف آية ٥ .

(٢) سورة يوسف آية ٢٨ .

(٣) سورة يوسف آية ٣٣ .

(٤) سورة يوسف آية ٣٤ .

(٥) سورة يوسف آية ٥٠ .

(٦) سورة يوسف آية ٧٦ .

(٧) سورة يوسف آية ٥٢ .

(٨) سورة يوسف آية ٦ .

(٩) سورة يوسف آية ٣٧ .

﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [1]

﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ [2]

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [3]

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ﴾ [4]

آيات المراودة :

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [5]

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ [6]

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ [7]

﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ ﴾ [8]

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ﴾ [9]

---

(١) سورة يوسف آية ٥٥ .

(٢) سورة يوسف آية ٦٨ .

(٣) سورة يوسف آية ٧٦ .

(٤) سورة يوسف آية ١٠١.

(٥) سورة يوسف آية ٢٣ .

(٦) سورة يوسف آية ٢٦ .

(٧) سورة يوسف آية ٣٠ .

(٨) سورة يوسف آية ٣٢ .

(٩) سورة يوسف آية ٥١ .

﴿ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (1)

آيات المكر : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ (2)

آيات الرؤيا : وفي الرؤيا تقرأ قول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ (3)

وتأويلها في قوله تعالى :

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (4)

وقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (5)

وتأويلها في قوله تعالى

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (6)

---

(1) سورة يوسف آية ٥١.

(2) سورة يوسف آية ٣١ .

(3) سورة يوسف آيات ٤ ، ٥ ، ٦ .

(4) سورة يوسف آية ١٠٠ .

(5) سورة يوسف آية ٣٦ .

(6) سورة يوسف آية ٤١ .

وفى رؤيا الملك تقرأ قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (١)

وفى تأويل ذلك قال الله تعالى :

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (٢)

آيات الحيلة : وتظهر الحيلة في استبقائه أخاه عنده بحيلة ترى بيانها في قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾

إلى أن قال :

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ (٣)

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ (٤) حيلة كذلك.

---

(١) سورة يوسف آية ٤٣ .
(٢) سورة يوسف آيات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .
(٣) سورة يوسف الآيات ٧٠ ، ٧٦ .
(٤) سورة يوسف آية ٣١ .

آيات العفو : ويتمثل عفوه حينما صفح عن إخوته بعد أن عرفهم وهم له منكرون قال تعالى :

﴿ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ (١)

فقد عفا عنهم بعد أن دبروا قتله ، وعفا عنهم بعد أن اتهموه بالسرقة :

﴿ قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾ (٢)

ويتجلى العفو الشامل فيما حكاه الله عنه إذ قال لاخوته :

﴿ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣)

(٤) موسى – عليه السلام – يمثل الإنسانية الكاملة بمختلف غرائزها ، فهو عليه السلام وكز رجلا فقضى عليه ، وفي يوم ثان قريب من اليوم الأول أراد أن يبطش بآخر ، وغريزة الخوف تتمثل حينما علم أن الملأ يأتمرون به ليقتلوه فخرج من المدينة خائفاً كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ (٤)

ويمثل الحذر لما أمره الله أن يذهب إلى فرعون ليبلغه رسالة ربه:

---

(١) سورة يوسف آية ٥٨ .
(٢) سورة يوسف آية ٧٧ .
(٣) سورة يوسف آية ٩٢ .
(٤) سورة القصص آية ٢١ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ (١)

وسرعة الانفعال ، حينما علم أن قومه عبدوا العجل ، ألقى ألواح التوراة وجر رأس أخيه ... قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ (٢)

أما حبه للعلم وشغفه به ، فيتجلى في نسيانه الوعد الذي قطعه على نفسه مع الخضر عليه السلام ، حينما اتفقا على أن لا يسأله موسى عن شيء مما يفعل ، حتى يحدث له منه ذكرا وكانت النتيجة أن قال له الخضر في المرة الثالثة : ﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ (٣)

هـ) جميع الأنبياء : يحرصون على تقوى الله عز وجل ، وعدم أخذ الأجر على تبليغ الرسالة: فكل من نوح ، وهود، وصالح ، ولوط، وشعيب ممن ذكرهم الله في سورة الشعراء يقول لقومه فيما يحكيه الله عنه:

﴿ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (٤)

---

(١) سورة القصص الآيات ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٥٠ .
(٣) سورة الكهف آية ٧٨ .
(٤) سورة الشعراء الآيات ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٦١ ، ١٧٧ ، وما بعدها.

(و) في سورة خاصة : نرى أنه في بعض القصص تشيع ألفاظ معينة : ومثال ذلك :

أ) ترديد ألفاظ الرحمة ومعناها : ففى قصص زكريا، ويحيى، وعيسى ، وإبراهيم ، وموسى، تبدأ سورة مريم بقوله تعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [١] ... وفى شأن يحيى : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [٢] ... وفى حكاية الله عن مريم: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [٣] ... أي فاستجب لضراعتي. وفى شأن عيسى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [٤] ... وقولها ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ [٥] ... وفى قصة إبراهيم ، يحكى الله عنه قوله لوالده : ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [٦] وبعد ذكر الله إسحق ، ويعقوب ، عقب على قصة إبراهيم بقوله تعالى :﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [٧] ...

---

(١) سورة مريم آية ٢.
(٢) سورة مريم آية ١٣ .
(٣) سورة مريم آية ١٨
(٤) سورة مريم آية ٢١
(٥) سورة مريم آية ٢٦ .
(٦) سورة مريم آية ٤٤ ، ٤٥ .
(٧) سورة مريم آية ٥٠ .

وفي موسى عليه السلام يقول سبحانه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ (1)...

وأرى بعد هذا البيان القرآني الواضح ، أن من أسرار ذكر الرحمة مع هؤلاء الأنبياء في قصصهم أن رسالات السماء إلى الخلق رحمة من الله بعباده ، حتى لا يحتج أحد فيقول : ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ (2)

وهذه منة تستوجب الشكر ، حيث يعود خيرها على المخلوق دون الخالق ، فهو سبحانه غني عن خلقه ولا يجب عليه تعالى أن يفعل شيئاً ، وكل ذلك من باب الفضل والجود.

ومع أن رسالة الرسل رحمة من الله بخلقه ، فقد كان الخلق في خصام مع أنفسهم ، سواء كانوا بشراً أم ملائكة ، أو كانوا في خصام مع رسلهم حيث قوبلت رسالاتهم بالإباء وعدم الخضوع، وكانت مجاهدة، وكان شقاق ، ويتضح ذلك في شيوع ألفاظ **الشقاق والخصام**(3) في سورة (ص) : ففي قصة داود من نفس السورة يقول تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ (4) ... ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ (5)

---

(١) سورة مريم آية ٥٣.
(٢) سورة طه آية ١٣٤ .
(٣) انظر الاتقان جـ٢، ص ١١٣
(٤) سورة ص آية ٢١
(٥) سورة ص : آية ٢٢ .

وفى قصة آدم يقول : ﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [(١)] .

وتلحظ في السورة الكريمة ما حدث بين الأنبياء وأقوامهم، وإن لم يكن بلفظ الخصام ، فقد كذبوا المرسلين. ويترتب على ذلك الخصومة بين الجانبين ، إذ هؤلاء الكفار أعداء أنفسهم ، لا يريدون لها الخير .. قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾ [(٢)]..

وهم إذ خاصموا الأنبياء ، فقد خاصموا الله ، ويظهر ذلك في استعجالهم العذاب إمعانا في التكذيب والعناد... قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ [(٣)] ..

---

(١) سورة ص آية ٦٩ .
(٢) سورة ص آية ١٢ – ١٥ . وفواق بمعنى : انقطاع . المحرر الوجيز ٤٩٦/٤ .
(٣) سورة ص آية ١٦ .

ثانياً : ما يتعلق بغير الأنبياء عليهم السلام

وينقسم إلى ثمانية أنواع :

النوع الأول : قصص مذكور بالاشتراك مع غيره ، كقصة زوج آدم عليه السلام ، وقصة إبليس أو تابع للأنبياء ، كقصة النملة ، والهدهد، وملكة سبأ ، التابعتان لسليمان عليه السلام ، ومن القصص التابع لسيدنا موسى ، قصة أمه ، وأخته ، ومؤمن آل فرعون ، وقصة البقرة ، ومن القصص التابع لسيدنا عيسى قصة المائدة.

(١) فزوج آدم في سورة البقرة في قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾ [١] وكذلك في سورتي الأعراف[٢] وطه[٣] ، نرى فيها آدم وزوجه وكيف أغواهما إبليس.

(٢) قصة إبليس في الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ الآيات[٤]كما ذكرت في سورة الحجر [٥]، والإسراء[٦] ، وص[٧].

---

(١) سورة البقرة آية ٣٥- ٣٨ .
(٢) سورة الأعراف آية ١٩-٢٥ .
(٣) سورة طه آية ١١٧ – ١٢٣ .
(٤) سورة الأعراف آية ١١ – ١٨ .
(٥) سورة الحجر آية ٣٢ – ٤٣ .
(٦) سورة الإسراء آية ٦١ – ٦٥ .
(٧) سورة ص آية ٧٥ – ٨٣ .

نرى هنا كيف خالف إبليس الأمر ، وما ترتب على هذه المخالفة من الطرد والإبعاد من رحمة الله.

(٣) قصة سليمان ، والنملة في سورة النمل ، في قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١)

نرى هنا النملة قد تكلمت بقدرة الله ، وأوضحت عن مرادها، ونصحت العاملات معها في أدب كريم.

(٤) قصة سليمان ، والهدهد ، وملكة سبأ ، في نفس السورة السابقة في قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾(٢) الآيات. والهدهد هنا ، قام بمهمة كبيرة ، أثناء غيابه عن عين نبي الله عليه السلام وأداها خير أداء ، ونراه قد أحسن الدفاع عن نفسه ، كأحسن ما يكون الدفاع ، وهذه معجزات حقيقية للنبي ، ولا غرابة أن تكون في الكائنات الحية ، فقد كانت العصا ، والحجر، لموسى عليه السلام معجزتان.

(٥) قصة أم موسى عليه السلام ، في سورة طه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴾ (٣)...

---

(١) سورة النمل آية ١٨ – ١٩

(٢) سورة النمل آية ٢٠ – ٤١ .

(٣) سورة طه آية ٣٧ – ٤٠ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ .

(٦) وقصة أخته في قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ الآيات [١]

ونرى الحديث هنا عن الأم ، والأخت ، وما جبلتا عليه من حب الأولى لابنها ، والثانية لأخيها ، وكيف أن الله حقق النجاة لموسى عليه السلام من اليم ، وهو من جنس ما يهلك به الآخرون.

(٧) مؤمن آل فرعون في سورة غافر ، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الآيات [٢]

نرى الرجل يرفع صوته مستنكراً على قومه إيذاءهم لداعي الحق.

(٨) قصة البقرة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الآيات [٣]

وهنا الأمر بذبح البقرة ، وكانت من جنس ما يعبد القوم ، وفى ذلك من السخرية ، والتهكم بهم ، ما يحملهم على التفكير السليم ، في شأن الألوهية...

---

(١) سورة القصص آية ١٧ – ١٣ .
(٢) سورة غافر آية ١٣ – ٤٥ .
(٣)سورة البقرة آية ٦٧ – ٧٤ .

(٩) قصة المائدة التابعة لعيسى عليه السلام في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الآيات [١]

وقد تقدم في الرسالة زيادة تفصيل لبعض هذه النماذج ، وسنرى في فصول تالية – بإذن الله – زيادة تفصيل[٢].

النوع الثاني : قصص لم يكن تابعاً لغيره ، كقصة الذي مر على قرية ، وهي خاوية على عروشها ، في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ الآية [٣]

وكذلك قصة ذي القرنين ، وأصحاب الكهف .

النوع الثالث : قصص سميت السورة باسمه، ولم يذكر فيها غير القصة ، كقصة الفيل في سورة الفيل ، وقصة نوح في سورة نوح عليه السلام ، ولقمان في سورة لقمان.

النوع الرابع : قصص سميت السورة باسمه ، وذكر فيها غير القصة، كقصة أهل الكهف ، في سورة الكهف ، وقصة لقمان في سورة لقمان.. وتبدأ الأولى بقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [٤] وتنتهي بقوله عز وجل : ﴿ وَلَبِثُوا فِي

---

(١) سورة المائدة آية ١١٢ ــ ١١٥ .
(٢) سورة ص آية ١٦١ .
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٩ .
(٤) سورة الكهف آية ١٩ .

﴿كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ (1)

ونرى من خلال هذه القصة ، أدلة القدرة الإلهية ، على الإحاطة والعلم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾(2) وفيها أن القصة حق لا شك فيه ، وأن أهل الكهف يقرون لله بالربوبية، وأن الله قد منحهم هدى على هداهم ، قال تعالى:﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (3) ، وتؤكد الآيات إمكان البعث والقدرة عليه في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴾ . (4)

أما قصة لقمان فتبدأ من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ﴾ (5) وتنتهي بقوله عز وجل:﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾(6) الآية وتخللتها غير القصة آيات في الهداية ، والوصايا، والترغيب ، والترهيب.

تأمل في القصتين كيف أن الله بث المبادئ والأفكار من خلال القصة ذلك أن النفس مقبلة على السماع ، متشوقة إلى التفاصيل ،

---

(1) سورة البقرة آية ٢٥ ، ٢٦ .
(2) سورة البقرة آية ١٢.
(3) سورة الكهف آية ١٣ .
(4) نفس السورة آية ٢١ .
(5) سورة لقمان آية ١٢ .
(6) نفس السورة آية ١٣.

وتلك ظاهرة نفسية ، يكون تثبيت دعائم الإيمان في القلب معها أقـــوى وأرسخ.

وقد تسمى السورة باسم ما ذكر فيها من قصة. ولكن مع ذكـــر آيات قليلة متعلقة بها ، وذلك كسورة البقرة ، وآل عمران ، والمائدة، والنمل.

فقصة البقرة ذكرت في ثمان آيات(١) ، مع أن السورة الكريمة ست وثمانون ومائتا آية ، وقصة آل عمران ذكرت في إحدى وثلاثين آية(٢) ، مع أن السورة مائتا آية ، وقصة المائدة ذكـــرت فـــي أربـــع آيات(٣)، مع أن السورة ثلاث وتسعون آية ، وقصة النمل ذكرت فـــي آيتين(٤) مع أن السورة ثلاث وتسعون آية.

وهنا يجب التنبيه إلى أن أسماء السور تـــوقيفي ، وغالبـــاً مـــا تسمى السورة بأعجب ما فيها.

وقد يذكر القرآن قصة بأسرها في سورة ، ومع ذلك لا تســـمى السورة بما ينبئ عن هذه القصة ، وإنما تسمى باسم آخر ، وذلك مـــا تراه في سورة البروج ، التي ذكر فيها قصة أصحاب الأخدود. ولعل سر ذلك تأكيد أحقية القصة بالقسم ، وتأكيد العذاب الشديد ، الذي أعده الله للذين فتنوا المؤمنين ، والمؤمنات ، ثم لم يتوبوا ، وقصة أصحاب الجنة في سورة (ن) .

---

(١) نفس السورة آية ٦٧ – ٧٤ .
(٢) نفس السورة من ٣٣ – ٦٣ .
(٣) سورة لقمان الآية ١١٢ – ١١٥ .
(٤) سورة لقمان الآيات ١٨ ، ١٩ .

النوع الخامس : قد تساق القصة بعد التمهيد لها ، كقصة أصحاب الكهف في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ [(١)] وفى هذا براعة استهلال ، متضمن للاستفهام الإنكاري ، الملاحظ فيه معنى النهي ، فكأنه تعالى قال :"لا تظن أن قصة أهل الكهف عجب دون غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى كخلق السماوات والأرض ، ولا تظن أنها أعجب الآيات ، بل من الآيات ما هو أعجب وأعظم منها ، كخلق السماوات والأرض"[(٢)]، وما ذكر في هذه الآية الكريمة إجمال يأتي بعده تفصيل مترقب.

وكذلك قصة أصحاب الجنة في سورة (ن) مهد لها بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ ثم أخذ يفصل القصة بعد ذلك قائلاً : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ [(٣)]

وقد لا يكون للقصة تمهيد ، أصلا وذلك كقصة لقمان في سورة لقمان ، وقصة ذى القرنين في سورة الكهف ، وقد مر بك قبل قليل أول قصة لقمان.

أما أول قصة ذي القرنين فتبدأ بقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ [(٤)]

---

(١) سورة لقمان آية ١٨ ، ١٩ .
(٢) حاشية الجمل جـ٣ ص ٦ .
(٣) سورة "ن" آية ١٧ – ٣٢ .
(٤) سورة الكهف آية ٨٣ – ٩٨.

النوع السادس : قد تساق القصة ، ثم يعقب الله عليها، وقد تساق بدون تعقيب.

فمما عقب عليه ، قصة الرجلين اللذين كان لاحدهما جنتان من أعناب في سورة "الكهف" فقد ختمها ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ (1)

وكذلك قصة أصحاب الجنة ، في سورة "ن" فقد قال تعالى عقبها: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (2)

وقصة أصحاب الأخدود ، في قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ (3)

وترى في التعقيب على كل قصة آيات تحسم الموقف ، وتجمع عبرة القصة ، من وجوهها المختلفة ، وتؤكد أن السلطان المطلق والتصرف في الكون لله رب العالمين ومن النوع الذي لم يعقب عليه...

قصة الذي مر على قرية ، وهى خاوية على عروشها، في سورة البقرة ، فقد ختمت بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (4)

---

(1) سورة الكهف آية ٤٣ ــ ٤٤ .
(2) سورة "ن" آية ٣٣ .
(3) سورة البروج آية ١٠ .
(4) سورة البقرة آية ٢٥٩ .

ومنه قصة لقمان ، في سورة لقمان ، وقصة أصحاب الفيل ، في سورة الفيل .

النوع السابع : بعض هذا القصص جاء بطلب ، كأصحاب الكهف ، وذى القرنين ، فقد ذكر ابن كثير عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، إلى أحبار اليهود بالمدينة ، فقالوا سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا ، من علم الأنبياء ، فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أحبار اليهود عن رسول الله (ﷺ) ووصفوا لهم أمره ، وبعض قوله ، فقالوا لهم : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقول ، سلوه: عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ، فإنه كان لهم أمر عجيب ، وسلوه : عن رجل طواف ، بلغ مشارق الأرض ، ومغاربها ، ما كان نبؤة، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم ، وبين محمد ، فجاءوا رسول الله (ﷺ) فسألوه فقال : أخبركم غدا بما سألتم عنه – ولم يستثن – فانصرفوا ومكث رسول الله (ﷺ) خمس عشرة ليلة ، لا يحدث الله في ذلك إليه وحيا ، ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ، وحتى أحزن رسول الله (ﷺ) مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه ، من أمر الفتية والرجل الطواف وقول الله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ هـ[1]

وأغلب القصص القرآني ، لم ينزل بطلب.

---

(١) جـ ٣ ص ٧١ من تفسيره .

النوع الثامن : قصص لغير الأنبياء ، لم يذكر الله أسماءهم، وكأنه مثل مضروب ، وذلك كثير ، ومن أمثلته :

أ) قصة الذين خرجوا من ديارهم ، وهم ألوف في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴾ (١)

وفي قوله : "ألم تر" كلام أعجبني لبرهان الدين البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ ، قال : "إما لأنه (الله) كشف له (الرسول) عنهم في الحالين (الموت والحياة) وإما تنبيها على أنه في القطع بأخبار الله تعالى على حالة ، هي الرؤية لغيره تدريباً لأمته " اهـ بنصه. (٢)

ومفاد كلامه أن الرسول (ﷺ) رأى القوم في الحالين كشفاً، والرؤية هنا قلبية ، وبصرية ، أو أن خبر الله عنهم مقطوع بصحته وكأن السامع رأى القوم ، في الحالين حقيقة ، وتكون الرؤية هنا بصرية.

(ب) قصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ، في سورة الأعراف، في قوله عز وجل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿ ١٧٥ ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى

---

(١) سورة البقرة آية ٢٤٣ .

(٢) نظم الدرر في تناسب الآي والسور جـ١ لبرهان الدين البقاعي مخطوط دار الكتب تحت رقم/١٥٥الخزانة التيمورية ورقة ١٣٠ .

الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1]

والمراد بالاسم الموصول هنا غير متعين ، من حيث عدم الاتفاق على شخص معين ، وإن كانت مدارس التفسير تميل إلى أنه رجل من بني إسرائيل ، يدعى بلعم بن باعوراء ، وتحديد الاسم لا يفيدنا كثيرا، والمهم أن رجلا اتصف بما ذكرته الآيتان ، وخير لنا ألا نخرج عن النص القرآني بانتحال الآراء ، فقد أخطأ بعض المفسرين خطأ كبيرا حتى زعم من غير سند أنه كان نبياً فانسلخ من النبوة . [2]

(جـ) القرية التي كانت آمنة مطمئنة ، في سورة النحل في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [3]

ولم تجمع مدرسة واحدة من مدارس التفسير المختلفة على تحديد هذه القرية ، فبعض المفسرين يرى أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة ، بينما يرى آخرون أن المراد بها مكة، وفريق ثالث يرى أنها المدينة ، وينسبون الرأي الأخير إلى السيدتين الجليلتين عائشة وحفصة رضى الله عنهما. [4]

والحق أنه لا داعى لتحديد هذه القرية ما دام القرآن قد أبهمهما ولم يرد في شأنهما عن المعصوم (ﷺ) حديث صحيح .

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٥ ، ١٧٦ .
(٢) انظر بن جرير الطبرى جـ ١٣ ص ٣٥٩ .
(٣) سورة النحل آيات ١١٢ ، ١١٣ .
(٤) القرطبي جـ ١٠ ص ١٩٤ ,

(د) قصة أصحاب القرية في سورة يس ، في قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [1] الآيات .

والقرية هنا غير معروفة ، وقد جرى الخلاف حولها ككل المبهمات ، والمراد بالمرسلين هنا: رسل عيسى عليه السلام الذين بعثهم إلى هذه القرية وقوبلوا بالتعنيف ، والتكذيب ، فردوا على أهل القرية بأحكم الرد وأبلغه.

ويجب التنبيه هنا ، إلى أن بعض القصص القرآني ، إذا كان قد طوى فيه أسماء قصصه ، فلم يذكرها ، كما تراه في سورة يس مثلا – فالمراد به إثبات حقائق تاريخية للعظة والعبرة ، وأن الله تعالى يريد منا العمل بمقتضى ما فيه . وكل ذلك حاصل من غير ذكر الأسماء.

كما يجب التنبيه على أن هذه الأنواع التي ذكرها القرآن للأنبياء عليهم السلام ، وغيرهم ، بهذا المنهج المتفرد ، إنما ذلك للإعجاز الذي يخرج عن طوق البشر الإتيان بمثله.

وبالتالي : لحفز الهمم ، والعزائم ، لدراسة هذه الألوان المختلفة، واستخلاص النتائج منها ، لتسعد بها الأمم والأفراد.

---

(١) انظر في أنواع القصة ، النهج القويم للدكتور عبدالغني الراجحي .

الفصل الثالث

عناية القرآن بالقصص

الدول المتحضرة اليوم ، تعنى عناية كبيرة بأدب القصة ، ذلك لما تقــوم به من رفع المستوى الفكرى ، والثقافى ، والقــدرة علــى التعبير ، والمتعة النفسية .

ودراســات هذه الدول لأدب القصة ، تتبــع طريقــة تحليــل المحتوى ، وطريقة الكتابة ، ودراسة الأسلوب ، بعد انتقاء عدد مــن القصص ، ثم استخلاص نتائج ما تشتمل عليه من الناحيــة الدينيــة ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها ، ثم معرفة مكان هــذه الــبلاد حضارياً ، وأهــم من ذلك كله : خصائص المجتمع ، الذى تناولته فيه القصة ، مع التركيز على الجوانب النفسية ، إذ القصة انعكاس لحيــاة المجتمع الذى أنتجها[1] .

وإذا كان البشر يعنون بهذا النوع من الأدب هذه العناية ، مــع قصورهم في كشف سمات الواقع الإنسانى ، أفلا يعنى القرآن الكــريم – وهو كتاب الإنسانية الخالد والمنزل من حكيم حميد – بالقصــص ؟ وهو الوصف الصادق ، الذى لا زيــادة فيــه ، ولا نقصــان بحــال مجتمعات سابقة تتكرر أحداثها مع الزمن ، ويصف في الوقت نفســه عللها ويعالجها ، بما يكفل لها الاستقرار والفلاح ؟ !!

وعلينا أن نتابع الإجابة على هذا السؤال ...

---

(١) أصول علم الاجتماع للدكتور عبدالباسط محمد حسن ص٥٤٦ .

لماذا عنى القرآن الكريم بالقصص ؟؟

والإجابة عليه فيما يلى :

أولاً – الدعوة إلى التوحيد ، فلم يرسل الله رسولاً قط إلا بدعوة قومه إلى توحيد الله عز وجل ، ونبذ عبادة ما سواه ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١)

وكذلك الدعوة إلى أصول الديانات ، من البعث ، والإيمان ، بالكتب والرسل ، والأخلاق العامة ، التى لا تصلح المجتمعات بدونها.

قال تعالى في قصة نوح عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٢) وقال في شأن صالح عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ (٣) .

ويوسف عليه السلام ، وهو في السجن يأمر صاحبيه بالتوحيد فيقول تعالى فيما يحكيه عنه : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٤).

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .
(٢) سورة الأعراف ٥١ .
(٣) سورة النمل : ٤٥ .
(٤) سورة يوسف : آيات ٣٩ ، ٤٠ .

انظر هل تجد حرصا على نشر الوحدانيـــة أكثـــر مـــن هـــذا الحرص ، فيوسف في السجن يدعو إلى توحيد الله ، ولكـــي يـــتمكن التوحيد في قلب كل من صاحبيه يؤخر تأويل الرؤيا في قولـــه: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(1) فليس المهم الرؤيا وتعبيرها ، وإنما توحيد الله عز وجل وعدم اتخاذ أرباب معه ، أهم من تعبير الرؤيا .

ثانيا – في القصة القرآنية دلالة على قدرة الخالق ، من حيـــث الإعطاء والمنع ، والإنجاء والإهلاك ، وخلـــق خـــوارق العـــادات ، كعصا موسى ، ويده التى يدخلها في جيبه ، ثم يخرجها ، فـــإذا هـــى بيضاء للناظرين ، من غيـــر مـــرض ، وإبـــراء عيســـى للاكمـــه ، والأبرص ، وإحياؤه الموتى ، بإذن الله ، وإخراجه من الطين كهيئـــة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيراً ، بإذن الله ، وكذلك ناقة صالح ، التـــى جعلها الله آية له ، وتفجير الماء من الحجر ، ونبع اثنتى عشرة عينـــا منه لموسى وقومه ، وإنجاؤه ومن معه من الغرق ، وإهلاك فرعـــون ومن معه ، وإماتة الله رجـــلا مائة عام ، ثم بعثه ، وإحياء أربعة من الطير لإبراهيم عليه السلام ، إلى غير ذلك من الخوارق ، التى تـــدل على قدرة قادر ، وتدبير إلهى حكيم .

ثالثاً – بيان أن الدعوة إلى الله لا تكون بأجر ، ذلك أن الدعوة التى تكون بأجر ، ترتبط بهذا الأجر ، ولا تنفك عنه ، فإن هو أعطى

---

(١) سورة يوسف : ٤١ .

أجره ، سلك مسلك الدعاة ، وإن منع الأجر ، تخلى عـن الـدعوة ، وبهذا يكون الدافع المحرك للدعاة ماديا ، وتكون المادة بالتالى أولـى بالحصول عليها من الكسب المعنوى ، الذى يحصل عليه الداعى فـي هداية البشر ، والدعوة التى ترتبط بالمصلحة الشخصـية ، وبـالنفع المادى ، لا يمكن أن ترتفـع إلى المستوى الإنسانى ، لا مـن قبـل الداعى ، ولا من قبل المدعوين أنفسهم ، إذ هم لم يفرقوا بعـد بـين الإيثار والأثرة ، أو بين حياة الروح ، وحياة الجسد ، ويلفت الرسـول الكريم النظر إلى هذا الجانب فيقول : " لأن يهدى الله بك رجلا واحداً، خير لك من حمرْ النَّعمَ " . [1]

ولو عمل الدعاة من أجـل المادة وحدها ، سقطوا مـن أعـين الناس ، وسقطوا كذلك من عين الله ، حيث إنهم لم يقصـدوا بعملهـم وجه الله ، ومن هنا يكلهم الله إلى ما قصدوه ، وحسبهم أن المادة هى التى توجههم ، وليس الأمر بالدعوة ، وهم إن غفلوا عن هذه الحقيقة ، فلا أمل في إنجاح دعوتهم ، مهما طال بهم الزمن .

إن صاحب الدعوة قدوة ، ولا يستجيب له من لم يجـده أهـلاً للاقتداء به .

ولقد كانت الدعوة بدون أجر سنة الرسل – عليهم السلام – فقد حكى الله عن نوح ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، أن كلا مـنهم قـال لقومه : ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [2] كما حكى

---

(١) رواه البخارى . انظر فتح البارى ٧ / ٤٧٨ وحمر النعم من ألوان الإبل المحمودة .
(٢) الشعراء : آيات ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ١٨٠ .

عز وجل عن هود عليه السلام قوله : ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

رابعاً – بيان ما عاناه الرسل من قومهم :

فنوح سخروا منه ، وهود قالوا لـــه : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[2] وإبراهيم ألقوه في النار ، وشعيب قالوا له : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[3] .

وعيسى أرادوا أن يقتلوه ، وهذه الصور وغيرها كثير ، مـــن ألوان الصبر على الجهاد ، تقوى من قلوب الدعاة ، ولولا ذلـــك لمـــا نجحت لهم دعـــوة ، وهم صلوات الله وسلامه عليهم ، يدركون مـــدى العبء الذى يقومون به ، من حيث إنهم ينقلون الناس من عقيدة إلـــى عقيدة ، وذلك يستلزم تطهير القلوب مما تمكن فيها من الباطل الراسخ الذى ورثوه عن الآباء والأجداد ، وذلك يســـتلزم كثـــرة المواقـــف ، وطول الجدال ، وتحمل كلام الخصم ، والرد عليه برفـــق ، وبســـط الأمور أمامه بالعقل والمنطق حتى يلين .

ونتيجة صبر الرسل ، وإصرارهم على الدعوة يجعـــل بعـــض القلوب حتما ترضخ لصاحب الدعوة ، إذ لم يخلق الله النـــاس جميعـــا

---

(١) هود : ٥١ .
(٢) الأعراف : ٦٦ .
(٣) هود : ٩١ .

أشراراً ، بل منهم من يتأمل كلام المرسلين ، وأنهم لا غاية لهم فيهم ولا غرض ، اللهم إلا إنقاذهم من عذاب أليم .

تأمل هذه الآية : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١)

ولو كان الذين يستجيبون قلة ، فهذا كسب لصاحب الدعوة ، وثمرة لجهاده الأكبر فى سبيل دعوته .

ويتأكد صبر الرسل في أننا لا نعلم أن أمة بأسرها قد انقادت لأحد من المرسلين – على كثرتهم – إلا قوم يونس – عليه السلام – بعد ابتلاء الله الشديد له .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ (٢) .

وصبر الرسل – عليهم السلام – يعود إلى تقديرهم للمسئولية التى كلفوا بها من قبل مولاهم جل وعلا . انظر إلى قوم صالح – عليه السلام – فيما يحكيه الله عنه :

﴿ فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴾ (٣)

أى من الذى يجيرنى من العذاب إن خالفت أمره .

خامساً – التعرف على عبرة كل قصة . فآدم أبو البشر يتمثل فيه تصارع قوى الخير والشر ، في الإنسانية على مدى الحياة ، ونوح ، وموسى ، وصالح ، وهود ، كل منهم تمثل قصته نجاة المؤمنين ، وهلاك الكافرين :

---

(١) النساء : ٦٤ .
(٢) يونس : ٩٨ .
(٣) هود : ٦٣ .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ ﴾[1]

ذلك أن وظيفة القرآن هى الهداية إلى الطريق المستقيم ، ودليل ذلك أن القرآن لم يسرد تاريخ البشر أفراداً وجماعات ، أو تفصيلاً لحياة أمة من الأمم للمتعة والتسلية وإنما يعنى بالعظة ، والذكرى ، فقد ذكر تعالى في القصص أنه ﴿ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

وتجد ذلك التأكيد في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾[3]

وبعدها بقليل يقول : ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[4] .

بهذا ترى في القصة الإفادة من الطاعة ، والتحذير من المخالفة ، والتفطن لوحدة الأديان في التوحيد ، والإيمان باليوم الآخر ، وأصول العبادات .

سادساً – تسلية الرسول ﷺ والتأسى بالسابقين من إخوانه ، على صبرهم قال تعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[5]

---

(١) يوسف : ١١١ .
(٢) هود : ١٢٠ .
(٣) الأنعام : ٦ .
(٤) الأنعام : ١١ .
(٥) هود : ١٢٠ .

وقال: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [1]

كما قال : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [2] .

وقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [3].

والنصان الأخيران يفيدان أمر الرسول بمتابعة أحوال إخوانه ، من الرسل السابقين ، حتى لا يكون أقل شانا منهم ، في تحمل الأذى ، فقد رموا بالكذب وأهينوا ، بألوان العذاب المختلفة ، فصبروا ثقة منهم بوعد الله ، وتأييده لهم .

ولذا كان عليه السلام يذكر إخوانه كثيراً فيقول فيما يرويه البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوى إلى ركن رشيد ، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى "[4] .

ويفصل الرسول قصة موسى والخضر ، ويبين سبب التقاء موسى به ، ذلك بأن الله عتب عليه حين ادعى أنه أعلم الناس[5].

ويقول عليه السلام عن داود : " خفف على داود القرآن[6] " وفى رواية " القراءة " .

---

(١) الأحقاف : ٣٥ .
(٢) طه : ٩٩ .
(٣) الأنعام : ٣٤ .
(٤) فتح البارى جـ٦ ص٢٢٢ ، وانظر ص٢٢٩ .
(٥) فتح البارى جـ ١٠ ص٢٤ .
(٦) المصدر نفسه جـ ٧ ص ٢٦٥ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، والمرأة بالقرآن : التوراة والزبور .

ولما قدم عليه السلام المدينة ووجدهم يصومون " عاشوراء " وعلم أنه اليوم الذى نجى الله فيه موسى من الغرق ، صامه وأمر بصيامه وقال : " أنا أولى بموسى منهم " [١]

ولما مر عليه السلام بالحجر قال : " لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا باكين ، أن يصيبكم ما أصابهم " ثم يضع القناع على رأسه ، ويسرع في السير حتى أجاز الوادى[٢] .

وحينما يناله عليه السلام أذى من قومه يقول: " يرحم الله موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر [٣]"

ويقول تواضعاً : " لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس ، زاد مسدد يونس بن مَتَّى[٤] " ويقول : " ما ينبغى لأحد أن يقول إنى خير من يونس بن متى[٥] " .

ولعل قوله عليه السلام : " شيبتنى هود وأخواتها[٦] " يشير إلى استيلاء ذكراهم على قلبه الكريم ، وانفعال ذاته الكريمة بهم ، فقال هذا الحديث . ولعله كان يخشى أن يكون أقل من إخوانه الذين ذكروا في

---

(١) المصدر نفسه جـ٧ ص٢٤٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(٢) المكان الذى أحيط به الحجارة والمراد به هنا ديار ثمود مفردات الراغب ص١٠٨ .
(٣) فتح البارى جـ ١١ / ١٣٦ .
(٤) رواه البخارى كتاب أحاديث الأنبياء ب ٢٦ " وإن يونس لمن المرسلين " .
(٥) رواه البخارى ، انظر كتاب التفسير باب : " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح " .
(٦) إسناده حسن انظر الصحيحة للألبانى ٢/٥٥٥ رقم ٩٥٥ .

هذه السورة الكريمة فيقدم على ربه ، ولم يحقق الاستقامة المطلوبة منه في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ (١)

وهذه النصوص تؤكد مدى تقدير الرسول ﷺ لإخواته السابقين ، وتأسيه بهم ، وتواضعه عليه السلام ، والعناية ببسط أحوالهم على الناس ، باعتبارهم قادة البشرية ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٢)

وليس في قصص القرآن - تسلية للرسول وحده - وإنما للمؤمنين كذلك قال تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٣)

وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ *إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ *وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٤) .

كما قال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (٥) .

وبهذا نجد غاية القصة تظهر في التربية للأفراد ، والجماعات عن طريق الاختبار الحازم ، الذى يبين الصادقين من الكاذبين ، كما

---

(١) هود : ١١٢ .
(٢) الأنعام : ٩٠ .
(٣) العنكبوت : ٢ ، ٣ .
(٤) ص : ١٧١ - ١٧٣ .
(٥) غافر : ٥١ .

يبين عاقبة المنكرين ، وعاقبة المؤمنين ، وبالتالى النصر المؤكد للرسل ومن معهم في الدنيا . وتلك سنة لا تتخلف .

وقد ألح القرآن على هذه النتيجة ، وأوضح في قصصه أن الناس فريقان منذ أقدم العصور مؤمنون وكافرون ، والعاقبة نجاة أو هلاك .

والقاعدة العامة لهذه السنة الإلهية قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1] ، وسبب الإهلاك هو ظلم الظالمين لأنفسهم ، واعتداؤهم على حرمات الله ، وعبادة غيره قال تعالى :

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[2] .

وسنة الله في الخلق لا تتخلف ، وصدق الله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[3] .

وقد بينت القصة القرآنية أن هذه السنة المضطردة لم تحمل أكثر الناس على الهداية ، بل العكس هو الصحيح ، فالكافرون عددهم أكثر من المؤمنين ، ذلك أن الحق على خلاف ما يرضى أكثر البشر ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ *

---

(١) الرعد : ١١ .
(٢) العنكبوت : ٤٠ .
(٣) إبراهيم : ٥ .

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[1] كما قال عز وجـل : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[2] .

والنـص الأول يفيد أن كل رسول أرسل إلـى قومـه رمـى بالسحر ، أو الجنون ذلك أن القوم ما كانوا يظنون أن عاقلا يصـرفهم عن موروثات عاشوا عليها ردحا من الزمن ، والمعجزة التى يأتى بها في ظنهم ليست من قبيل الحقيقة ، بل هى من قبيل السحر ، والغرض منها صرف الناس إليها ، وإبعادهم عما كان عليه أبـاؤهم ، وإذا لـم يكن ساحراً فهو قد غاب عقله ، إذ كيف يكون فرد واحد على حـق . وجماعات كثيرة على باطل .

وهذا الاتهام الباطل منهم يوجه إلى كل رسول ، كأن الناس قد وصى بعضهم بعضا به .

والحق أنه الطغيان الذى نبع مـن قلـوب محجوبـة عـن الله ورسوله الذى جاءهم من قبله .

والنص الثانى فيه ترويح عن الرسول عليه الصـلاة والسـلام ببيان أن الكفر لم يبتدعه قومك ، وإنما كان راسخا في قلـوب الأمـم السابقة ، وكانت عاقبتهم الدمار الذى لا رجعة بعده .

---

(١) فاطر : ٤٣ .
(٢) الحج : ٤٢ ـ ٤٤ .

والنصان معا يشيران إلى أن أكثر القوم كانوا كافرين ، وذلك لئلا ييأس الدعاة من بعدهم ، إذ أتباع الحق هم الأقلون في كل عصر ومكان قال تعالى : ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

يقول الحكيم الترمذى : " فالأقل من كل صنف هو الأعز ، ألا ترى أن المؤمنين قليل في الكافرين ، والأتقياء قليل في المؤمنين ، والأولياء قليل في الأتقياء ، والأنبياء قليل في الأولياء ، والرسل عليهم السلام قليل في الأنبياء "(٢) .

وهكذا رفع الله الناس بعضهم فوق بعض درجات .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (٣)

سابعاً : القصص القرآنى ركن من أركان الدعوة الإسلامية ؛ لما له من تأثير نفسى ، وهيمنة على القلوب ، تتأثر به النفوس ، بل يمس العواطف عند سماعه ، ويسيطر على العقل والتفكير ، حتى يدفع الإنسان إلى عدم التفكير فيما سواه ، وذلك للأتقياء وغيرهم ، ذلك أن الآخرين يشعرون أنهم المقصودون بهذا الكلام ، والنتائج التى ترتبت على فعل غيره ، يمكن أن تترتب عليهم ، من حيث اشتراكهم جميعاً في السلوك والنتائج ، التى لا ترفع مستوى الإنسانية ، ويستفاد من هذه القصص أكثر ، لو أنها درست بتفهم ، وعاش معها الإنسان في وحدات متناسقة ، وأمكن الوصول بها إلى غايات محددة ، واعتبرت هذه الغايات مناهج يعيش عليها الإنسان ، والداعى إلى الحق يلزمه

---

(١) يوسف : ١٠٣.
(٢) علم الأولياء ورقة ١٢ ب مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن مخطوطة أخرى في النسخ مجاميع طلعت رقم ٦٩٤ .
(٣) القصص : ٦٨ .

بالضرورة أن يستند إلى هذا القصص باعتباره تراثا صادقاً ، للتعرف على ماضى الأمم ، وسنة الله فيها .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[١].

ثامناً : للقصة القرآنية تأثير على الأمراض النفسية ، وعلاجها علاجاً حاسماً ، وأمراض القلوب على وجه الخصوص ، ويمكن بحسن استخدام القصة القرآنية علاج الأمراض ، بأنواعها المختلفة كالقلق ، والاضطرابات النفسية ، وما ينشأ عنها من اضطرابات جسمية وقد ثبت طبيا للقصة المؤلفة آثاراً طيبة في علاج هذه الأمراض أفلا يكون للقصص القرآنى تأثير أكبر وأعمق ؟

عرضت حالة على الطبيب الإنجليزى " بورتر " لفتاة تخطونحو الموت ، وكانت تتابع قصة مسلسل لحالة تشبه حالتها ، وبطلتها لها نفس ظروف المريضة ، فاتصل الدكتور بمؤلف القصة ، وعلم منه أن القصة تنتهى بموت البطلة ، فرجاه أن يعكس النهاية وقد كان ذلك سببا لنجاة المريضة من موت محقق [٢].

وقد قرأنا أن سيدنا عمر بن الخطاب قد استراح بعد الكفر من سماعه سورة " طه " .. وأن النجاشى قد بكى لسماع سورة " مريم " .

وأن النفوس الحزينة يزول حزنها لسماعها سورة " يوسف " .

---

(١) سورة إبراهيم : ٥ .

(٢) العربى عدد ١١٧ ص٣٠ .

ولو أن الذين يقدمون على الانتحار – مع كثرتهم – يقرأون قصص القرآن ، وما فيه من ألوان تتضمن نجاة المعتصمين بالله ، وأن للصابرين على ما أصابهم حسن العقبى – لما أقدموا على فعلهم المنكر ، ولما ظلموا أنفسهم ومن على شاكلتهم .

تاسعاً : جاءت القصة القرآنية لتأييد رسالة سيدنا محمد ﷺ ، ولبيان أنه بشر كجميع الأنبياء السابقين ، فلا غرابة أن يؤمن به قومه ولا يقولوا : ﴿ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾[1] . ولا يقولوا كذلك : ﴿ لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً ﴾[2] قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾[3] . وأى غرابة في إرسال بشر من جنس من أرسل إليهم ؟

هل يمكنهم مخاطبة غيرهم من ملك أو جان ، والتعرف على ما جاء به ؟ .. إنهم لا يستطيعون ذلك . فليس في مقدور البشر ما عدا الخواص منهم التجاوب مع الملائكة والجن ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[4] .

عاشراً : يعرض القرآن في قصصه صورا من الأدب الذى يتأدب به الرسل مع ربهم تبارك وتعالى وإليك أمثلة :

---

(١) الإسراء : ٩٤ .
(٢) فصلت : ١٤ .
(٣) يوسف : ١٠٩ .
(٤) الأنعام : ٨ و ٩ .

أ) فنوح عليه السلام يستغفر ربه ، حينما دعاه أن ينجي ولده ، ويقول في خوف ووجل : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] ، ويستجيب له ربه ، ويمنحه من فضله لتواضعه واستغفاره وأدبه مع مولاه . فيقول تعالى :

﴿ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .

ب) وإبراهيم عليه السلام يتبرأ من أبيه بعد تيقنه أنه عدو لله ، وكان من قبل لا يعرف ذلك ، ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[3] .

ولما أسكن من ذريته البيت الحرام ، نادى ربه في خضـــوع ، وكان مما قاله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء * الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء * رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾[4]

وتجد من هذا النص الكريم :

---

(١) هود : ٤٧ .
(٢) نفس السورة : ٤٨ .
(٣) التوبة : ١١٤ .
(٤) إبراهيم : ٣٨ – ٤١ .

١- الاستسلام لله عز وجل ، والتفويض المطلق إليه ؛ لأنه علـــيم بكل شئ .

٢- الشكر لله على أن وهبه ولديه الرسولين الكـــريمين إســـماعيل وإسحاق على الكبر .

٣- الدعاء بالتوفيق إلى الطاعة . هو ومن صلح من ذريته .

٤- الدعاء بالمغفرة له ولوالديه – قبل أن يتبـــين عـــداوتهما لله – وكذلك الدعاء للمؤمنين والمؤمنات رحمة بهم .

وهـــذا من تمـــام كمـــال الرســـل ، الروحـــى ، والخلقـــى ، والاجتماعى ، والنفسى.

جـ) وموسى عليه السلام يعتذر لربه ، ويتوب إليـــه ، لمـــا طلب رؤيته على الجبل ، وقال له ربه: ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ ولما أفاق عليه السلام من صعقته قال : ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)] .

أول المؤمنين بعظمة الله في زمانه ، وأنه تعالى لا يرى بحاسة الإبصار في الدنيا ، وإن أمكن رؤيته تعالى بالبصيرة .

حادى عشر : الأسلوب المنهجى ، والتخطيط للـــدعوة ، فـــلا عشوائية ، ولا ارتجال ، وإنما دعوة بالحكمة والمنهج السليم .

فهذا إبراهيم عليه السلام يترك بلداً ويذهب إلى آخـــر ، باحثـــا عن مجال جديد للدعوة ، فهو أولا فـــي: " أور الكلـــدانيين " جنـــوبى

---

(١) الأعراف : ١٤٣ .

العراق ، وكانوا يعبدون الأصنام ، ثم في " حرّان " بأعلا الفرات لقوم كانــوا يعبدون القمر ، ثم في " فلسطين " وكانوا يعبدون الأصنام ، ثم إلى " مصر " وكانت وثنية آنذاك ، ثم يعود إلى أرض " كنعان " ثــم إلى مكة لبناء البيت الحرام ، ومعه زوجه هاجر ، وابنه إســماعيل ، حيث أمره مولاه[1] ، وينكر على قومه عقيدتهم الباطلة .

ويبدو المنهج واضحا فى انتقاله من الكوكب إلــى القمــر ثــم الشمس ، ويغيب الأول فيقول : ﴿ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴾ ، ثم يغيب الثــانى فيقول : ﴿ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ، ثم تغيــب الشــمس فيقول : ﴿ يا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

وذلك منهج روحى نفسانى وعلمى في وقت واحد .

ويضع في مخططه تحصيل الخير الحسى والمعنوى للإنســانية كلها في حياته وبعد مماته قائلا فيما حكاه الله عنه :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[3] .

---

(١) قصص الأنبياء للشيخ النجار ص٨٣ ، ٨٣ ، ١٠٣ واور الكلدانيين مدينة قرب الفرات في الشاطئ الغربى ، الموسوعة العربية الميسرة ص٢٥٧ .
(٢) الأنعام : ٧٦ – ٧٩ .
(٣) البقرة : ١٢٩ .

هذا خير معنوى كثير ، أما الخير الحسى فيتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (١)

فهو – عليه السلام – يحرص أولا على أن يبعث الله محمداً – ﷺ إذ هو عربى يأتى بكتاب الله ، وهو القرآن الكريم ، يعلمهم إياه ، ويطهرهم من العقيدة الباطلة ، وهو القادر على أن يحقق هذه الغاية النبيلة .

وبهذا تتم النعمة التى تستوجب الشكر من الله عز وجل على تحقيق السعادتين في الدنيا والآخرة ، وصدق رسول الله حينما سئل عن بدء أمره فقال : " دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى (٢).

ثانى عشر : ذكر الفخر الرازى أن من غايات ذكر القصص في القرآن إلزام الخصم بما لا ينفره ، أو يحمله على المعاندة ، ويذكر لذلك مثلا في سورة " ص " في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ (٣) ولم يذكر الله الجواب على قولهم ، بل قال : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ (٤) .

---

(١) إبراهيم : ٣٧ .
(٢) حديث صحيح ، انظر فتح البارى ٥٨٣/٦ .
(٣) ص ١٦ .
(٤) ص ١٧ .

يقول الفخر ما نصه :ومعلوم أنه لا تعلق لذكر داود – عليه السلام – بأن القول بالقيامة حق " ثم بين أن الإطناب في قصة داود ، وما فيها من إثبات الحشر والنشر ، والثناء على القرآن ، لا علاقة له بما تقدم ، فما سر ذلك إذن ؟

يجيب بما ملخصه : إن العقلاء إذا ابتلوا بخصم جاهل مصر ، يصرفون النظر عن الكلام بينهم وبين مجادلتهم ، ويصرفون محاولتهم إلى كلام آخر ، يطيلون فيه ، ويناسب الموضوع الأول وهم إذا فعلوا ذلك فإن المتعصب يسلم .

فالكفار لما أطنبوا في إنكار الحشر ، قال الله لرسوله : اقطع الكلام معهم في هذه المسألة ، وأسرع في كلام أجنبى ، وهو قصة داود عليه السلام ، مهما كانت لا تتعلق بالموضوع الأصلى ، لأن من سمع قصة داود عليه السلام . قال نعم ما فعل حيث أمره الله بالحكم الحق ﴿ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾[1] . والخصم يقر ذلك ، يقول الفخر : يقال للخصم حينئذ : ما دمت أقررت بهذا ، لزمك الإقرار بالحشر والنشر.

وبهذا لا يمكن الخلاص من هذا الدليل .

ولهذه الطريقة اللطيفة ، أثنى الله على القرآن الكريم [2].

وتلك غايات عامة في القصص القرآنى ، ويمكن استنباط غايات أخرى ، لكل قصة على حدة ، ففى كل قصة عظة وعبرة وذكرى للمؤمنين .

---

(١) سورة " ص " : ٢٦ .
(٢) الفخر الرازى سورة " ص " جـ٢٦ ص٢٠٢ ط عبدالرحمن محمد .

ثالث عشر : سوق الأوامر والنواهى من خلال القصة ، يجعل لدى القلوب استعدادات لتقبلها إذ القصة تميل إليها القلوب بالفطرة ، وعلام الغيوب ، يعلم أسرار النفوس ، وفطرة الإنسان السليمة ، تقبل الخير العام ، إذا سيق لها في أسلوب مشوق ومدعم بالبرهان .

والقصص القرآنى بما له من الخصائص في الأسلوب ، والتأثير ، والمنهج الذى لا نظير له ، قادر على تثبيت الأخلاق ، والقيم وإرساء دعائم المجتمع الحضارى ، الذى يسبق كل المجتمعات حضارة وتقدماً ، ذلك أنه سجل العديد من تراث الأمم ، وحضارتها ، وأسباب بقائها ، وفنائها ، وهذا مما يحفز الأمم الأخرى ، على التمسك بأسباب البقاء ، والبعد عن عوامل الهلاك والفناء .

وبذا يمكن دراسة حياة الشعوب المختلفة ، دراسة علمية منهجية ، فضلا عن أن تنوع مناهج القرآن يجعل النفس البشرية دائماً في حال انشراح وإقبال ، قال صاحب كتاب : " سبق الغيايات في نسق الآيات[1]" إعلم أن القرآن يهتم بهذه الأنواع الثلاثة علم التوحيد ، وعلم الأحكام ، وعلم القصص ، والمقصود إما تقرير دلائل التوحيد ، وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف ، وهذا الطريق هو الطريق الأحسن ، لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد ، لأنه يوجب الملال ، فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ، ويفرح به القلب ،

---

(١) ومؤلف الكتاب هو الشيخ محمد على بن على محمد حامد بن محمد صابر المعروف بالتهاونى الهندى الفاروقى ، من علماء أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ط الحجر بالهند سنة ١٣١٢ هـ .

فكأنه سافر من بلد إلى بلد آخر ، وانتقل من بستان إلى بســتان آخــر ... ... والانتقال من تناول طعام لذيذ ، إلى تناول نــوع آخــر ، ولا شك أنه يكون ألذ وأشهى[1].

ولهذا نجد أن نحو ربع القرآن وهو ألف وخمسمائة آية تقريباً ، يختص بالقصص ، وهو ما يعادل نحو مائتين وستة آلاف آية .

وآى القصص تذكر ألواناً مختلفة للرسل وغيرهم ، كما وقعت في الخارج وبتكرار في بعضها مع إبراز مواطن العبرة .

كل ذلك لخير الفرد والمجتمع الصالح منه والطالح ، من حيث إن الأول يستزيد صلاحاً ، والثاني ينصرف عن غيه وضلاله ، بهــذه الكثرة من حقائق السنن الكونية – لو أراد لنفسه الهدايــة – ، لا مــن أجل أنه تاريخ يسرد ، مرتب الوقائع والأحداث ، وإنما من أجل مــس القلوب بالعظة والعبرة ، وجذب النفوس الشاردة بتنوع موضوعاته ، فهو يفيد عالم الخلاق ، وعــالم الــنفس ، والفلســفة ، والاقتصــاد ، والاجتماع ، والتاريخ ، بحقائق لا تقبل الــنقض والتشــكيك ، وذلــك بتطبيق عملى ، عن طريق اليقين ، الذى لا ينقض ، والذى لا تكلــف في أسلوبه ، كما نرى في كلام البشر ، وإنك لتجد ذلك في كل قصة ، إذا قدرت على تفصيل عناصرها وتعمقت في مراميها ، ومقاصدها ، بل تأملك في مقدمات القصة وخواتيمها ، يكفل الخير الكثير في بنــاء نفسك ، ومجتمعك .

---

(١) المرجع السابق ، ص١٩ ، ٢٠ .

رابع عشر : القصة القرآنيـــة مـــنهج يقتـــدى بـــه الكتـــاب ، والمؤلفون ، من حيث أسلوبه وأفكاره ، ومبـــادؤه وقيمـــه ، وثروتـــه اللغوية ، ولو أن كتاب القصة فقهوا هذا ونهجـــوا نهجـــه ، لأفـــادوا واستفادوا .

فقصة آدم ، وإبليس ، يمكن على ضوئها تفصيل قصة الخيـــر والشر.

وقصة نوح ، تبين الصراع بين الحق والباطل ، الذى يطـــول مداه .

وقصة إبراهيم ، تبين التحدى الحقيقى ، ولو كان بين الأقربين.

وهكذا حتى لا نبعد بأنفسنا عن خط الإنســـانية الراشـــد إلـــى متاهات تضر أكثر مما تنفع .

يقول الأستاذ عمر الدسوقى :

" لا يستفاد من القصص القرآنى ، إلا بتسرب مبادئه ، والسير على هداه والاستفادة بنوره ، ولن يستطيع كاتب أن يكتـــب كتابـــاً ذا قيمة، وهو ضعيف لغوياً وفكرياً ، وخلقياً وثقافياً ، ولن يستطيع أحـــد أن يكتب كتابة ذات قيمة ، إلا إذا نهل من هذا المنهل العذب ، منهـــل القرآن الكريم ، لأنه الأستاذ الحقيقى لكتـــاب القصـــة ، وهـــو النبـــع الصافى الفياض ، الذى يصب في قلوب العارفين علما وخلقاً [1].

خامس عشر : من حيث إن هذا القصص لم يذكر بعناصره في كتاب غير القرآن ، فهو إخبار بالغيب ، وفيه دلالة لذلك على صـــدق القرآن ، وصدق ما فيه ، من أنباء لكونها مـــن عنـــد الله ، وصـــدق صاحب الرسالة ، إذ هو المبلغ عن الله ، وإنه لا معرفـــة لـــه بهـــذه

---

(١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقى ص١٠٣ .

العلـــوم ، عن طريق غير طريق الوحى ، لأنه أمى ، لم يقرأ كتابا ، ولم يجلس إلى معلم ، ولذلك ثبت تاريخياً كما سجل القرآن ذاته ، أنهم كانوا يسألون الرسول ﷺ عن أشياء ليعرفوا بها صدقه ، ومـــا كـــان يعرفها غير اليهود إذ ذاك ، وكان الرسول يجيبهم إلى ما سألوا وذلك كقصة أهل الكهف ، وقصة ذى القرنين [1].

قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[2] .

وذلك في شأن السيدة مريم ، وسيدنا زكريا عليهما السلام . قال عز وجل : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[3] ، وذلك عقيب قصـــة نـــوح عليـــه السلام .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[4].

وتفيد هذه النصوص أموراً منها :

---

(١) انظر الرسالة ص ١٦٤ ، ١٦٩ .
(٢) سورة آل عمران : ٤٤ .
(٣) هود : ٤٩ .
(٤) القصص : ٤٤ – ٤٦ .

أولاً – إثبات إعجاز القرآن ، وأنه مـن عنـد الله لا غيـر ، ودعوة رسول الله إلى الصبر ، على مفتريات قومه .

ثانياً – إثبات رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فإن مـا ذكر لم يعرفه محمد إلا عن طريق الوحى ، ولا علم لأحد من الخلـق به ، وما عند أهل الكتاب لا يعتمد عليه ، لأنـه خلـيط مـن الحـق والباطل.

سادس عشـر : الأوامر والنواهى النظريـة ، تتـيح فرصـة التنصل منها ، للأفراد ، والجماعـات ، بدعوى أنها ليست في مقدور الإنسان ، لما فيها من قيود على الحرية الخاصة والعامة ، ولـم يشـأ القرآن الكريم أن يدع الناس حيارى مع هذه النظريات .

لذلك عرض أمامهم الصور العمليـة الحية ، في كثيـر مـن الأحيان ، وأوضح لهم نتائج هذه الصور العمليـة ، وأبـان أن قومـاً كبحـوا جماح شهواتهم ، واستعملوا عقولهم ، فاهتدوا سواء السبيل ، وآخرين لم يستجيبوا إلى نداء الحق ، فضلوا وأضلوا .

ولنقرأ على سبيل المثال – سورة هود المكية التى نزلت لتقويم العقيدة ، وتثبيت الإيمان في القلب ، عن طريق سرد سـبع قصـص لنوح[١]، وهـود [٢] ، وصـالح [٣] ، وإبـراهيم [٤]، ولـوط [٥] ،

(١) آيات ٢٥ – ٤٩ .
(٢) آيات : ٥٠ – ٦٠ .
(٣) آيات : ٦١ – ٦٨ .
(٤) آيات : ٦٩ – ٧٦ .
(٥) آيات : ٧٧ – ٨٣ .

وشعيب [١] ، وموسى[٢] عليهم السلام .. فتجد في صدر السورة بعد الثناء على القرآن ، وبيان أنه محكم الآيات ، ومفصل من لدن حكيم خبير ، الأمر بعبادة الله وحده دون سواه وتأكيد أن الرسول ﷺ أنذر بالعقاب ، وبشر بالثواب ، كما تجد الأمر بالاستغفار عما مضى ، ثم التوبة ، والرجوع إلى الله ، فيما هو آت ، وأن من يستجيب لذلك له المثوبة في الدنيا والآخرة . ومن لم يستجب فالعقاب نازل به لا محالة ، إذ مرجع الكل إليه ، وهو سبحانه – لا يعجزه ثواب من آمن ، وعقاب من كفر .

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣]

وتأخذ الآيات في بيان سعة علم الله بكل شئ ، وأنه الرازق لكل شئ ، والخالق لكل شئ ، والقادر على كل شئ ، وبيان طبيعة الإنسان أمام النعمة ، وطبيعته أمام سلب النعمة عنه ، وموقف الكفار من رسول الله ﷺ ، وادعائهم أن القرآن مفترى ، والتهديد من الله لمن يقول ذلك ، ويريد الدنيا دون سواها ، ويفترى الكذب على الله ، وبيان أنهم سيعرضون على ربهم ، وينالون جزاء ظلمهم وكفرهم ، وأنهم لن

---

(١) آيات : ٨٤ – ٩٥ .
(٢) آيات : ٩٦ – ٩٩ .
(٣) سورة هود : الآيات ١ – ٤ .

يعجزوا الله في الأرض ، وليس لهم نصراء من دونه ، حيث فقدوا الإحساس لسماع الحق ، ﴿ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (1) . خسروا أنفسهم في الدنيا، وغاب عنهم الذين عبدوهم من دون الله وظهرت آثار ذلك في الآخرة ، فهم الأخسرون يوم القيامة ، حيث لا ثواب لهم ولاستجابة من شركائهم الذين لا يسمعونهم إذ يدعون ، أو ينفعونهم أو يضرون .

ومن خلال هذه الآيات ، نقرأ مقارنة بين المؤمنين بالله ، الواثقين بما له من صفات الكمال ، المنزهين له عن صفات النقصان ، وبين من يكفر به – سبحانه – وتصدر الآية بصيغة الاستفهام الإنكارى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَـٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (2) .

وتأمل حذف جواب الشرط في قوله: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أى كمن ليس على بينة من ربه ؟ وهو الذى أوعده الله بالنار .

وترى بعد هذه الآيات كلها ، تأكيد ما أعده الله للمؤمنين بالله ، واطمأنت قلوبهم إليه ، وخشعت له خوفاً ووجلاً : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (3) .

---

(1) سورة هود : ٢١ ، ٢٢ .
(2) سورة هود : ١٧ .
(3) سورة هود : ٢٣ .

ثم ترى بعد ثلاث وعشرين آية ، أن الله يضرب مثل الكافرين بالأعمى والأصم ، والمؤمنين بالبصير والسميع ، من حيث إن الفريق الأول لا يهتدى لمراده ، والثانى يحصل على مطلوبه ، والفريقان عند العقلاء لا يستويان ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ لا يستويان ﴿ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾[(1)] .

آى من القرآن ، يقيم الله عليه الشواهد من الوقائع بضرب صور حدثت لأمم سابقة ، وأرسل الله إليهم رسلا ففريق كفر وفريق آمن .

فقوم نوح ، غرق منهم الأكثرون ، ونجا منهم الأقلون .

وقوم عاد ، هلكوا بالريح العقيم ، الذى سمى بالعذاب الغليظ ... ﴿ وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[(2)] ، ونجا المؤمنون .

وقوم صالح ، هلكوا بالصيحة ، ونجى الله المؤمنين : ﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[(3)] .

وإبراهيم عليه السلام ، يدافع عن قوم لوط ، لكن الله يهلك من كفر منهم ، وعثا في الأرض ، وارتكب الفاحشة ، وينجى من آمن ،

---

(1) سورة هود : ٢٤ .
(2) سورة هود : ٥٨ .
(3) سورة هود : ٦٦ ، ٦٧

وذلك فيما يحكيه عن الملائكة ومخاطبتهم للوط عليه السلام : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(١) .

وكذلك قوم شعيب وقوم موسى عليهما السلام .

وهكذا يريك الله التطبيق العملى ليتقرر في النفوس أن أقواماً لم يستجيبوا فهلكوا وأن غيرهم استجابوا لدعوات الأنبياء . فنجاهم الله .

وليس ذلك قصصا لا يتكرر مثله مع الزمن ، فإن ما يصيب الأمم من ويلات في أى مكان وزمان ، سببه بعدهم عن الحق ، فالأمطار الكاسحة ، والزلازل المدمرة ، والأمراض المهلكة . كل ذلك لبعد أصحابها عن الله ، والذى يخاف الآخرة ، هو الذى يحرص على تلبية نداء الحق وينأى بنفسه عن موارد الهلاك .

ولذا نقرأ من تعقيب الله على هذا القصص قوله تعالى :

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾(٢) .

---

(١) سورة هود : ٨١ – ٨٣ .

(٢)انظر عناية القرآن بالقصص المنهج القويم للدكتور عبدالغنى عوض الراجحى .

الباب الثانى

مقارنة ودراسة

الفصل الأول

القصة القرآنية والقصة الأدبية

مع هذا العنوان يتبادر إلى الذهن سؤال مؤداه ، كيف نقارن بين القصة القرآنية ، والقصة الأدبية ، والثانية من كلام البشر ، والأولى من كلام خالق القوى والقدر ، وما أبعد الفرق بين الاثنين .

والجواب : أن ذلك أمر مدرك عقلا ، ومعروف شرعاً ، لا يختلف فيه اثنان ، ولكننا نرى إقبالاً على القصة الأدبية في العالم كله ، وهذا الإقبال أضعف إلى حد كبير – الاتجاه إلى القصة القرآنية والرغبة فيها ، حتى إن الغالبية العظمى من الأدباء قد لا يعرفون شيئا عنها .

ومن هنا جاز لنا المقارنة ، لنرى مدى ما عليه المندفعون نحو القصص الأدبى من حق أو باطل ، ونرى بالتالى مدى الفارق الكبير بين الاتجاهين ، وأثر كل منهما في التوجيه الإنسانى ، وخير البشرية.!!

وإذا كان علماء البلاغة – منذ قديم – يوازنون بين النص القرآنى ، وكلام العرب ، ليتميز الفرق بين الكلامين ، وأيهما أفصح وأبلغ من الآخر ، أفلا يجوز لنا – ونحن في عصر أخذت التيارات المختلفة تعصف فيه بعقول الشباب ، حتى وصلت به إلى الإلحاد ، والخروج عن جادة الصواب – أن نقارن بين القصة القرآنية والقصة الأدبية ؟؟

لهذا كله وجدنا المقارنة تلح علينا ، للتعرف على نتيجة هذه المقارنة .

ويجدر بنا قبل أن نوازن بين المنهجين ، أن نلقى ضوءا على رواد القصة الأدبية في العالم عامة ، وفى بلدنا خاصة ، ثم ننظر هل يصلحون لتوجيه الإنسانية أم لا ؟

وإليك نماذج من أساتذة أدب القصة في انجلترا ، وفرنسا ، وأمريكا والسويد ، وأيرلاندا ، ومصر .

ففى انجلترا تجد :

(١) – ديكنز :- (١٨١٢ – ١٨٧٠) الذى كان يعد أعظم القصاصين يحقد على المجتمع ، ولذا نراه يسهب في الحديث عن جرائمه ، ومع ذلك كان كثير العيوب في كتابته ، فقصصه مليئة بالمتناقضات ، وهو يطنب حيث يمكن الإيجاز وهو في إطنابه يصل إلى حد الثرثرة التى لا تجدى .

فهل ترى كاتبا غير معتدل في تصرفاته ، حاقدا على مجتمعه متناقضا في مبادئه وأفكاره ، ثرثارا ، يصلح بعد ذلك أن تترجم كتبه إلى جميع اللغات – ومنها العربية ، ويتأثر به الكتاب الذين يوجهون الشعوب[١] ؟

(٢) – صامويل بتلر : (١٨٣٥ – ١٩٠٢) من قادة الفكر الإنجليزي نرى من مبادئه – مع أنه موجه للحضارة – التشكيك في الماضى ، والتحذير من المستقبل ، والسخرية من الأديان عامة ،

---

(١) انظر مجلة القصة عدد٣ ، ص ١١١ . السنة الأولى مارس سنة ١٩٦٤ .

والمسيحـــية خاصة ، ولهذا ظل يبحث عن دين عقلى آخر ، فلم يهتد إليه ، وليس له حسنات فيما يتعلق بالأديان إلا قوله : إن المســـيح لـــم يصلب ، أما آراؤه ففيها تقلب وشذوذ ، وانحراف ، فهو يقـــول : إن الجريمة مرض يجب ألا يعاقب عليها القانون ، والذى يجب أن يعاقب عليه القانون فعلا ، هو المرض ، مهما يكون وراثياً .

ويقول عن الاختلاس ، والتزوير ، والسرقة ، وغيرهـــا مـــن أنواع الجرائم الأخرى : إنها تخضع للعلاج الخلقـــى ، والنفســـى ، لا غير .

وتلك بعض أفكار أدباء عالميين من أمثال " الدوس هكسلى " ، " فورستر " ، " جورج أوريل "[1] .

أترى أن هؤلاء الكتاب يصلحون للتوجيه ، وبناء المجتمع على أسس سليمة من المبادئ والخلق .

إن بعض المثقفين المصريين الآن ينادون بنفس مبادئهم التـــى تقـــول : إن قطع يد السارق وحشية ، ويعللون ذلـــك بـــأن الســـارق مريض ، يجب أن يعالج ، وهكذا كان تفشى أفكارهم في المجتمعـــات خسارة لا حد لها .

ويذكرنى هؤلاء بأشهر كاتب قصصى بريطانى ، ولد بعد وفاة " بتلر " بعامين ، وذلك الكاتب هو " جريهام جرين " كان يرى نقيض ما ذهب إليه " بتلر " ، من أن العودة إلى الدين ، هى الحل الوحيـــد ، لأزمة الإنسان المعاصر ، وأن فقدان الإيمان هو السبب في الكـــوارث

---

(١) انظر مجلة القصة عدد ١٣ ص١٢٠ .

التى حلت بالعالم ، وأن وجودية " سارتر " خطر على الجنس البشرى.

وهذا عدل لو أن قائله استلهمه من خالقه ، إلا أنه اجتهاد شخصى ولهذا يضيف إليه قوله :-

" إن شفاء الإنسان يكون بالعودة إلى الدين ، وبالإقبال على ملذات الحياة ، وإشباع رغبات النفس [1] فيما يأذن به الدين .

(٣) - " إدوارد مورجان فورستر " ولد في يناير عام ١٨٧٩ كاتب عقلى متحرر ، يرى أن حرية الفكر ترتكز على دعامة عقلية ، قوية وتطرح الدين ، والإيمان والمثل العليا جانباً .

ويشير هذا النص إلى إن الرجل ملحد ، مغرق في الإلحاد ، ومع ذلك تترجم مؤلفاته الكثيرة إلى لغات العالم المختلفة ، ويهتم به أدباء مصر اهتماماً بلغ حد التقدير لشخصه ، ولأدبه ومن كتبه المترجمة عندنا " أركان القصة " .

ويهتم النقاد به باعتباره كاتبا في النقد ، والحضارة ، والسياسة ، وله مكانة مرموقة في العالم ، يقول عنه النقاد : " إنه المفكر الحر ، المرهف الحس ، الذى وجد نفسه مسئولا عن تكوين الحضارة وتوجيهها [2].

---

(١) مجلة العربى عدد ١٠٠ .

(٢) القصة عدد ١٦ ص٤٧ د : طه محمود طه .

والحق أن رجلا لا يحفل بالمبادئ ، والقيم ، والمثـل العليـا ، ويرفض الدين صراحة ، غـير جدير بهذا الثناء ، ومن عجـب أنـه يوجه ، وهو في حاجة إلى توجيه .

ويشبه " فورستر " في إلحاده " توماس هـاردى " " ١٨٤٠ - ١٩٢٨ " غير أنه يعترف بالمسيحـية ، يقول النقاد عنه : " إن وثنيته نبيلة "[١].

وممن له شهرة عالمية كـ " فورستر و" هربرت جورج ويلز" ١٨٦٦ - ١٩٤٦ - يعرفه كتاب القصة في كل مكان من العالم ، وهو كاتب ملحد ، أوصى بأن تحرق جثته في جنوب فرنسـا ، ثـم يـدفن رمادها في " كاتدرائية كنتريرى " بانجلترا .

وقد بدأ كثير من الناس يوصون بإحراق جثثهم ، فـي أواخـر القرن الماضى ، وأوائل هذا القرن ، ويعللون ذلك بعلل غير منطقية ، ولا معقولة وهى :

أ - ضيق مساحة الأرض .

ب - وقاية الناس مع الأوبئة[٢] .

وهو اتجاه فلسفى ، مغرق في البعد عن الله ، ودينه الحنيـف ، الذى كرم الإنسان ، حيـاً وميتاً ، ولكنهم يأبون إلا إهانـة أنفسـهم ، أحياء وأمواتاً . وممن سنوا مناهج سيئة لشباب العالم وأدبائه الكاتـب الأشهر " سومرت موم " المتوفى سنة ١٩٦٥ م ، إذ كان كـل همـه

(١) العربى أغسطس ١٩٦٩ م .
(٢) العربى عدد ١٢٥ .

جمع المال ، وكان يكره الناس ، ولا يحب اللقاء بهم ، وكـــان يعمــل جاسوساً لبريطانيا – ومع ذلك كله يكاد شباب العالم يعبدونه .

وإننى لأعجب كيف يفيد الناس وهو يكرههم ، ولا يختلط بهم ، وكيف يدعوهم إلى الإخلاص ، وهو خائن ؟؟ !!

ولهذا كله كان يضطرب في كلامه ، يقول عنه النقاد إنه يصور الناس على غير حقيقتهم [1].

(٤) – (الدوس هكسلى) (١٨٩٤ – ١٩٦٤) كـــان يعتبـــر نفسه مسئولاً عن مستقبل البشرية ، وكان ذا شهرة دولية ، وكان يقول بوحدة الوجود ، وقرر في كتابه (لا بد للزمن مـــن وقفـــة) ســـنة ١٩٤٤ م تفسيراً جديداً للبعث فقال :

" إن البعث اختيارى ، وليس اضطراريا ، بخلاف حياتنا التـــى نحياها ، فهى اضطرارية ، والبعث ليس المراد به قيامنا بعد الموت ، وإنما هو الرغبة في السمو بالنفس عما هى عليه ، يقـــول بـــالحرف الواحـــد .

" فنحن نجد أنفسنا مضطرين لأن نعيش كما نحن ، ونسير من سئ إلى أسوأ ، إلى مالا نهاية ، حتى نرغب في الصعود مرة ثانية ، كشئ يختلف عما كنا عليه ، سيحدث هذا حتمـــا ، إلا إذا لـــم نســـمح لأنفسنا بأن نرتقى " .

وهذا هو القصّاص العالمى ، وتلك بعض أفكاره ، التى يقرأها ملايين البشر ، ويعشقون كتبه ، أليست هذه الأفكـــار تـــؤثر فـــيهم ،

---

(١) القصة عدد ٣ ، ص ١٢٤ . السنة الأولى مارس سنة ١٩٦٤ .

ويعتقدون صحتها ، وينكرون بعث الأجساد بعد الموت ، كما أثبتته ووضحته القصة القرآنية بأوفى بيان وأصدق برهان ؟

نرى ذلك في قصة سيدنا إبراهيم ، فيما يحكيه الله عنه: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[1] .

وفى قصة سيدنا موسى ، من خلال قصته في سورة طه ، وفى معرض الحديث عن آثار القدرة الإلهية ، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[2] .

ونفس المنهج في قصة أصحاب الكهف ...[3]

وما عنيت القصة القرآنية بشأن البعث هذه العناية ، إلا لما يترتب عليه من الخوف من الله ، والعمل لمرضاته ، والبعد عن معاصيه ، ذلك أن الإنسان محاسب على ما قدم ، ولم يخلق في هذه الحياة عبثا ، ولن يترك سدى .

أما ما يزعمه دعاة المذاهب الإلحادية ، من تفسير البعث بما لا يتفق مع العقل ، ونصوص القرآن ، فذلك خلط وتخبط ، واتجاه بالإنسانية إلى الهاوية .

والحق ما ذكره القرآن .

وبعد :

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .
(٢) طه : ٥٥ .
(٣) آيات ٩ – ٢٢ .

فهذه صورة من بعض من أخذوا على عاتقهم مسئولية التوجيه في العالم عن طريق القصة الأدبية في انجلترا .

وإليك نموذجاً آخر من رواد القصة في أمريكا – أعظم دولة مادية في العالم ، وتأمل هل يصلحون للتوجيه وبناء المجتمعات الإنسانية أم لا ؟

أولاً : ((جون أوهارا)) سنة ١٩٠٥ ، لم يقلع عن شرب الخمر ، إلا بعد وفاة زوجته ، وهو الذى بيع من كتبه نحو خمسة عشر مليوناً من النسخ ، في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، وترجمت كتبه إلى أكثر لغات العالم(١).

ثانياً : ((إبتون سنكلر)) في الربع الثانى من القرن العشرين. سمومه التى يبثها في كتبه ، لا تخرج عن الترويج للشيوعية ، ويدعو في كل سطر من كتاباته إليها (٢).

ثالثاً : " ارنست همنجواى " (١٨٩٩ – ١٩٦١ م) كان معروفاً بالشذوذ في التصرف وله قصص كثيرة لم تنشر ، لأنها تسئ إلى سمعته ، انتحر في ٢ يوليو سنة ١٩٦١ م (٣).

أترى أن هؤلاء يصلحون للتوجيه ، بعد أن عرفنا النظرية النفسية ، وهى تقليد الضعيف للقوى ، والقوى للأقوى ، والفقير للغنى ، والمغمور لذى الشهرة والجاه ؟

---

(١) القصة ص١٥٢ عدد ٣ ٣ مارس سنة ١٩٦١ .
(٢) بين الكتب والناس . عباس العقاد ص٢٢١ .
(٣) العربى يوليو سنة ١٩٦٨ .

وكل هؤلاء كانوا من الثراء الفاحش ، الذى يكفى عـددا مـن العائلات عدة أعوام ...

فإذا كان بعضهم يدمن الخمر ، ويدعو آخر إلى الشيوعية وهدم الأديان ويشذ ثالث في تصرفاته وينتحر ، فكيف يصلحون للتوجيه بعد ذلك ، ويتحملون مسئولية بناء الحضارة العالمية . ؟ !!

وكل هذه الأحداث تنتقل إلى المعجبين بهم من التلاميذ السُّـذج ضعاف العقول وإذا لم نبادر فنحصِّن قلوبهم بامثال القصص القرآنـى الذى يعصم من الزلل ، ويحذر من العبث والانحراف ، فـإن الـبلاء سيكون أكثر مما هو عليه ، والطامة الكبرى ستحل بالعالم لا محالة .

وإليك كاتبا واحدا من كتاب فرنسا ، وذلك هو " إميـل زولا " (١٨٤٠ – ١٩٠٢) : نهج منهج الواقعية ، ودافـع عـن منهجـه . واشتهر بالعطف على الناس إلى حد قوله عن المجرمين: إنهم ضحايا البيئة ، ولا لوم عليهم ، إذ البيئـة والوراثـة جعلـتهم مجبـورين لا مخيرين ، وأنت تذكر ما قاله ((بتلـر)) القصَّـاص الإنجليـزى السالف الذكر في هذا الصدد من الرحمة بالسارق ، حتى وصلت إلينا نحن المسلمين دعوته المسمومة ، وتأثر بها ضعاف الإيمان وأعلنوها في مصر .

وإذا عرفت ذلك عن فرنسا ، فإليك كاتباً آخر من " السـويد " ذلك هو " أوجست سنرند برج " – ١٨٤٩ – ١٩١٢ " يقولون عنـه : إنه رائد التجديد في المسرح المعاصر ، كما يقولون عنه أيضاً : " إنه

الكاتب المسرحى الأول وأنه مع القصاص الأشهر ((ابسن)) قد أسسا المسرح الحديث .

تأمل : رجلاً يكتب للمسرح في جميع أنحاء العالم ، ويوجه الناس من خلال النص والصورة والإخراج يعانى من أزمة نفسية لازمته طول حياته ، خلاصتها أن أمه قد أنجبته مع اخ له من عامل قبل الزواج منه رسميا بطريق غير شرعي .

ولذا كان يفتقد الحنان من كلا أبويه ، وكان يحتقر النساء لخيانتهن ، وعدم ثقته فيهن ، ويضاف إلى ذلك – وتحت تأثير هذه العوامل النفسية أنه قد فشل في إصلاح نفسه تماماً ، إذ لم يسعد في زواجه الذى كرره ثلاث مرات ، وفشل فيها كلها ، حتى اضطرب عقله وحاول الانتحار أكثر من مرة ، ولهذه الأحداث كلها كان شاذا في تصرفاته المختلفة ، إلى حد أن صور نفسه بالكائن الأعظم وقال صراحة : إنه يستطيع أن يفاوض الله على أعلا مستوى [1].

قل بربك : أى عاقل يلتفت إلى أعمال رجل كهذا ، بعد كل ما صدر عنه ؟ – بكل مرارة – إن الرجل كان عالميا يخطط للمجتمعات والأفراد ، ما يجب أن يكونوا عليه في حياتهم ، وتتشرب قلوب أتباعه حُبَّه ، ويَدَعُون قصص القرآن الذى يدعو إلى الإصلاح الحقيقى للأفراد والجماعات ، في كل زمان ومكان . وفيها يقول الله :

﴿ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2].

---

(١) سيكلوجية الابتكار ص٢٧٣ – ٢٧٦ ، د. حلمى المليجي دكتوراه في علم النفس من جامعة لندن ، وأستاذ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية .
(٢) هود ١٢٠ .

وإليك مثالاً واحداً من " أيرلاندا " ذلك هو " ألكسندر دوماس " الكاتب المسرحى ، الذى كان عاقا لوالده ، حيث لم يوجه إليه الدعوة طول حياته ليحضر مسرحياته .

أفيصلح ذلك العاق موجهاً للشعوب ، ويقبل الناس على قصصه ، ومسرحياته يقرءونها ويشاهدونها ، ؟ ويعجبون بها ، ويقلدون المؤلف فيما يقول ويفعل ؟؟ !!

ونحن نرى من خلال قصة لقمان الوصية بالوالدين والداعى لهذه الوصية .... فهل ندع كلام الرحمن ، ونقبل على كلام يضر أكثر مما ينفع ؟؟ !!

هذا عن القصة في أوربا وغيرها من بلدان العالم ، أما القصة في مصر ، فقد أشرت في الفصل الأول إلى أن كتابنا سنة ١٩١٢ م ، التى ظهرت فيها أول قصة مصرية كاملة العناصر الفنية في العصر الحديث ، لمحمد حسين هيكل ، كانوا يترجمون عن الغربيين ، وينقلون إلينا ما لا يصلح لنا من الأدب الرخيص الخيالى تارة ، والواقعى الذى لا يهدف إلى بناء مجتمعنا تارة أخرى .

وقلت : إن ممن يعد من رواد القصة في مصر محمود طاهر لاشين المتوفى في مايو سنة ١٩٥٤ م ، وهو من أبرز أعضاء المدرسة الحديثة ، الذين أثروا في غيرهم تأثيراً كبيراً ، وقد كان متعلقا بالقصص الغربى ، الذى يصور حياة الأجانب بتناقضاتها ومآسيها ، وكان الشباب يقبلون عليه حبا في أفكاره الجديدة وعقله

المرتب ، وأسلوبه المنظم ، فقد كان مهندسا انعكس عملــه الهندســى على كتابته ، ومع اهتمامه بالإصلاح الاجتماعى ، أساء شغفة بالأدب الغربى إلى حياتنا المصرية ، ففضلا عن أنه كان يكتب الحوار باللغة العامية ، ويستعمل في بعض الأحيان الأساليب العادية كان يبث فـــي الناس بين حين وآخر سموماً تدفعهم إلى الإثم من حيث لا يشعرون .

ففى قصته التى سماها " القدر" ترى مآسى آثمة ، عــن شـــاب علمته أمه حتى تخرج ، وظهــر بعد ذلك أن أمه كانت تفــرط فـــي عفافها ، من أجل تعليمه وتربيته ، ويعلم الإبن بما كانت عليه أمـــه ، لكنه يعفو عنهـــا ويقول بملء فيه راضيا كل الرضا عما كانت تقترفه من الخطيئة :-

" إنك امرأة ماجدة ، إنك غالبــت القــدر القاســى ، فنجونـــا وتحطمت ، إنك شريفة كبيرة النفس ، يا أمى قومى سامحينى واغفرى للقدر "[1] .

أليس هذا تهاوناً في شأن جريمة الزنا ؟ ويثنى على أمه التـــى ترتكـــب هذه الفاحشة ؟ إنه لم يقل لها : توبى إلى الله من هذا الإثم ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾[2] ، ولكنه بدلاً من ذلك يثنى عليها ، لأنها فرطت في عفافها من أجل تعليمه :

---

(١) القصة عدد (١٩) ص٢٨ .
(٢) الشورى : ٢٥ .

يقول " عباس خضر " معقبا على هذه القصة :

" وفكرة الغفران للمرأة البغى ، وتعليل خطيئتها تعليلا يعيد إليها اعتبارها ، وإسناد المشاعر الإنسانية إليها ، برغم سقوطها ، فكرة أجنبية دخيلة على جونا " (١).

ولعل مؤلف القصة كان يرى أن سياقها على هذا الأسلوب خير من سياق النصح للأم على يد الإبن ، ذلك أن النصيحة في القصة لا تتلاءم مع الأدب الرفيع :

ودليل ذلك أن المؤلف نفسه ، في قصصه عن المجتمع ، وإصلاح عيوبه ، يتعرض في بعض الأحيان للنصائح فيواجه بالنقد اللاذع ، ولا يزال أدباؤنا يرون أن العظة في القصة عيب .

يقول " يحيى حقى " عن قصص " محمود طاهر لاشين" :

" وكأن الكاتب وقع فريسة سهلة لإرهاب الفكرة القائلة بأن الأدب مرآة للمجتمع ورسالته ، فكلف نفسه عمداً أن يفرد قصته لعلاج كل عيب من عيوبنا الاجتماعية ، فهذه قصة عن : (بيت الطاعة) ، وقصة عن : (تعدد الزوجات) ، وقصة عن: (هدم الخمر لكيان الأسرة) ، وقصة عن : (الزواج بالأجنبيات ، وجنايته على الأولاد) ، وقصة عن: (البخل)، وأخرى عن: (أولياء الله الزائفين ، وخطرهم) .

لذلك لم تسلم هذه القصص من الخطب المنبرية ، واللهجة الخطابية ونغمة الوعظ والإرشاد (٢).

---

(١) القصة عدد ١٩ ، ص٢٨ .

(٢) العدد السابق .

أترى أن " يحيى حقى " على حق فيما يقول ؟

ماذا في كون القصة مرآة للمجتمع تعالج مشاكله بعد دراستها وتحديد معالمها ؟ ثم ماذا في النصيحة توجه من خلال القصة ؟ كما يتناولها القرآن الكريم .

هل تفقد القصة الأدبية مقوماتها الفنية " إذا اشتملت على توجيه وإرشاد ؟ أليس قصص القرآن الكريم في أعلا درجات الإجادة والبلاغة والبيان ؟ وهو مع ذلك : كله توجيه ونصح وإرشاد ؟ وما رأينا عاقلاً يعترض على توجيهاته الراشدة ، وهو يحكى القصة بما يتلاءم وموضوعها .

ومن عجب أن الناقد قد تناقض مع نفسه ، وهو يكتب عن " لاشين " في قصته عن " الفلاح المصري " يقول :

" إنه استطاع بمهارة فائقة ، وإحساس مرهف ، ونغمة مكبوتة ، أن يقدم لنا في قصة صغيرة جداً ، صورة كاملة لمعيشة الفلاح المادية ، والعقلية ، والروحية ، لا أظن أنها تزول من النفس سريعاً بعد القراءة "(١) .

ونعود إلى السموم التى كان يبثها " لاشين " في المجتمع المصري ، بعد أن نقلها إلينا عن غيرنا ، ففى إحدى قصصه يسوق من حيث يدرى أولا يدرى مثالاً يضر بعقلية الشباب ونفوسهم ، بل يدعوهم إلى الانتحار ، حيث يقص علينا أن شابا قتل رجلا ، فأصيب الشاب بالاضطراب العقلى وكان ينظر دائما إلى خيال القتيل في

---

(١) العدد السابق والصفحة السابقة .

المرآة ، وبينما كان ينظر إليها ذات يوم ، أطلق مسدسه على خيال القتيل فتحطمت المرآة ، ثم دخل عليه رجل مجهول ، كان يسكن قبالته وعلم بالحادث ، فحطم مرآته ، ثم قذف بنفسه من النافذة .هذا خيال جامح لا علاقة له بحياتنا ، وصُوَرٌ يجب أن تكون بعيدة عن عقول شبابنا وقلوبهم ، ذلك أن كثيرا منهم يقلدون أحداث القصة المقروءة والرواية التى تمثل ويترتب على ذلك مالا تحمد عاقبته .

ثم إذا كان القاتل قد اضطرب عقله ، وحطم مرآته ، فلماذا ينتحر جاره بعد علمه ؟ إنه فيما أرى – ترف عقلى معيب .

وكثيراً ما نسمع عن شباب وأطفال ، يقومون بأعمال إجرامية ، ويقولون : قرأنا مثل ذلك أو رأيناه بأعيننا على الشاشة .

ولذا نرى " عباس خضر " يقول : إن قصة " لاشين " تشبه قصة المساكين لمكسيم جوركى[1] البعيدة عن جونا الدينى والاجتماعى.

ومن هذا النوع ، ما قصه علينا من ثورة ابن على أبيه ، لأن الأب قد رفض أن يعطيه مصاريف المدرسة .

وهذه القصة مأخوذة عن " تشيكوف " الروسى " وكان عنوانها: " زوبعة منزلية " فسماها " لاشين " (الانفجار) .

وما تمرد بعض الشباب ، وتجرأوا على أهليهم ، ومجتمعهم ، إلا بعد اطلاعهم على أمثال هذا النوع من القصص ، الذى أفسد عليهم حياتهم ، وجرد نفوسهم من الحياء .

---

(١) العدد السابق والصفحة .

وهذا النهج وما شاكله في كتابة القصة ، هو الذى دفع " أحمد خيرى سعيد " (١٨٩٤ – ١٩٦٢) إلى أن يقول :

" نريد أن يكون لمصر أدب مصرى ، وفن مصرى ، وتفكير مصرى ، ننكر التفكير بعقول الغربيين ، والذين يفكرون بعقول الجاهلين ، أو العابثين فكلهم مقلد ، وكلهم بوق لا يحس الحياة [١].

وهو يقول ذلك عن خبرة وتجربة ، إذ كان زعيما لمدرسة كان لها الفضل في بناء صرح القصة المصرية ، وكان محرراً لجريدة الفجر ، ومن الذين شاركوه في الثورة على القصة الرخيصة " محمد عبدالله عنان " الذى يقول :

" وكل ما يخرجه كتابنا اليوم من أدب القصة تافه ، غث ، عاطل ، من كل فن ، وخيال ، وابتكار حقيقى "[٢] .

أترى بعد هذه الشواهد أن بداية مطلع القصة المصرية ، كان موفقاً ، وموجهاً ، ويمكن أن يصلح مجتمعا تتصارع فيه المشكلات ؟ على اختلاف ألوانها ؟ أم ترى أنهم لو أنصفوا وكانوا يريدون حقا خدمة مجتمعهم ، لما أجهدوا أنفسهم في هذا الغث التافه ، على حد قول الأستاذ عنان ؟ ووجهوا كل جهودهم نحو القصة القرآنية يدرسونها ، ويحللون أفكارها ، ويستخلصون النتائج منها ، ويقدمونها إلى الناس هدية من الله إليهم ورحمة بهم ؟

---

(١) مجلة الفجر عدد ٢٤ .
(٢) قصص اجتماعية ونماذج من أدب الغرب سنة ١٩٦٢ ص٦ .

ولست أزعم أن جميع كتاب القصة على هذا النحو حتى عصرنا هذا . فمعنا " محمود تيمور " أحد الرواد القلائل في صياغة القصة الأدبية ، فهو قادر على تحليل النفس البشرية ، وتسجيل الدوافع الخفية وراء الظواهر الإنسانية ، وهو صاحب مدرسة ، وله ثلاثون كتاباً في القصة ، ترجمت إلى الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية والروسية ، واليوغوسلافية ، والإيطالية ، والهنغارية ، والمقدونية ، وغيرها .

وهو أشهر قصاص عربى عرفته أوروبا ، ويعده الغربيون رائد القصة الحديثة في مصر ، غير أنهم أخذوا عليه أنه لم يتعمق في بحث المشاكل الاجتماعية ، وأنه كان يكتب بالعامية ، ثم انتقل إلى الفصحى ، وقد أحسن النقلة ، ذلك أن اللغة العربية ، هى الرباط الذى يربط بين الأمة العربية ، ويميز شخصيتها ، ويحافظ على تراثها .

ونحن لا ننسى في هذا المجال " إبراهيم عبدالقادر المازنى " وتوفيق الحكيم " ، وطه حسين " ، ومن الجيل الجديد " محمد عبدالحليم عبدالله " ويوسف السباعى و " أحمد على باكثير " وغيرهم ، ممن بذلوا في القصة المصرية جهدا رفع من شأنها في التراث العربى عامة ، والغربى خاصة ، من حيث تنوعها وغزارتها ودراستها ، لكل جوانب الحياة ، وأنها حطمت كثيراً من الحواجز التى صنعها الاستعمار بين الدول العربية ، ومع تقديرنا لأدبهم وقصصهم فإن بعضهم – حتى الآن – يكتب بالعامية ، بل يدافع عنها ولا يزالون يختلفون في قضايا مثل :

(١) العامية والفصحى .

(٢) التخطيط والعشوائية .

(٣) المادية والمثالية .

(٤) الفوضى والحرية .

(٥) الكم والكيف .

(٦) الفرد والمجتمع .

مع أن جهودهم حول هذه القضايا ، يجب أن توجه إلى ما هو أجدى فيما يتعلق بأحداثنا المعاصرة .

ثم هم لم يتفقوا على منهج خاص ، أو عام ، يوجه الإنسانية عن طريق القصة الأدبية إلى حل مشكلاتها المختلفة .

وهذا يعد قصوراً في رسالة القصة الأدبية المعاصرة .

ولو أنهم عمدوا إلى القصة القرآنية ، وجعلوها أساساً لمناهجهم ، وانطلقوا منها في كتاباتهم ، واستفادوا من عظاتها وعبرها ، ودرسوا أسلوبها ، وتخلصوا مما رسخ في أذهانهم بزعمهم أن مما يعيب القصة الأدبية الحديثة الوعظ والإرشاد فتلك فكرة استعمارية للقضاء على أنفس ما لدينا ، وهو كتاب الله عز وجل ...

لو أنهم فعلوا ذلك مخلصين – لأسدوا إلى مجتمعهم – خدمات حقيقية ودفعوا به نحو الكمال النفسي والخلقي والاجتماعي .

منهج القرآن الكريم ومناهج الكتاب في القصة

يختلف القرآن الكريم اختلافا بينـا فـي الموضـوعات التـى تعرضها قصصه ، وذلـك فـي الأسـلوب الـذى يعـرض هـذه الموضوعات ، كما يختلف في الغاية والهدف مـن ذكرهـا ، وفـى التزامه الصدق في سرد هذه الموضوعات عن مناهج كتـاب القصـة الأدبية .

ذلك أن القرآن يعرض موضوعات تتعلق بالعقائد والسـلوك ، والهدف من وراء ذلك كله : تطهير القلـوب ، والسـمو بـالاخلاق بأسلوب محكم لا خلل فيه ولا اضطراب ، ولا تناقض فـي أفكـاره ، وذلك أثر من آثار الإعجاز القرآنى .

وإليك تفصيلا لما ذكرت :

أولاً : القصة القرآنية لها غايات تعود على المـؤمنين بهـا ، والعاملين بمقتضاها بالنتائج المحققة ، والثواب الجزيـل فـي الـدنيا والآخرة ، ولذلك فهى تدعو أول ما تدعو إلى تقويم الاعتقاد ، وتثبيت دعائم الإيمان بالله ووحدانيته ، والإيمان بالكتـب والرسـل ، واليـوم الآخر ، ثم بالاخلاق الثابتة من الصدق ، والوفاء ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والعبادات والمعاملات ، التى تتفـق وظـروف العباد ، ولا تكون فوق طاقاتهم . وكل ذلك صادر من مصدر واحد ، هو الله الذى يعلم حاجة خلقه ، فيشرع ما يتفق وبشريتهم ، وما يكمل أرواحهم ، وكل ذلك مسجل في القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بـين يديه ولا من خلفه .

أمـــا القصة الأدبية فلا تعمد إلى شئ من ذلــك فـــي أغلــب الأحيان ، وإنما تدور على قصص الحب والمغامرات ، وقــد تعــالج المشاكل الاجتماعية ، ولكنها في علاجها لهذه المشاكل لا تعتمد علـــى إبراز الموضوعات التى تربى الفرد والمجتمع ، عقيدة وســلوكاً بــل يرون ذلك عيبا في القصة الأدبية الحديثة .

هذا فضلاً عن تنوع المدارس الأدبية ، التى يتجه أفرادها إلـــى التركيز في القصة علـــى حادثـــة ، أو شخصـــية ، أو يســـهب فـــي موضوعات عامة بدعوى أن القصة صورة من المجتمـــع ، ومـــا دام المجتمع يدعوا إلى الملل ، فيجب أن تكون القصة كذلك ، وقد يركـــز على البيئة الزمانية أو المكانية ، وقد يعمد إلـــى التحليـــل النفســـى للأفراد ، أو يكون معجبا بالبطولة ، أو يكون من الذين يميلـــون إلـــى ذكر العيوب الخلقية والاجتماعية ، وكثيراً ما يكـــون علاجـــه لهـــذه الموضوعات بطريق غير مباشر ، وغير مقنع ، أو تكون موضوعاته خاصة بمجتمع آخر ، كالمجتمعات الغربية ، وكثيراً ما تتناول حادثـــة لأسرة ثرية تعبث بالأخلاق والفضيلة ، وهو لا يعنى غيـــر عـــرض حالتها على المجتمع لا غير .

وأغلب القصص الذى من هذا النوع لا يقصدون به غير الثراء أو الشهرة ومن ذلك القصص الذى يثير الشباب ، ويعبـــث بالشـــرف والفضيلة ، ويدفع إلى الفسق ، ويستخف بالعفـــاف ، ويقبـــل عليهـــا الجماهير في شكل قصة أو عرض تمثيلى ، أو مســـرحية ، يتشـــربها الجمهور والنتيجة انحلال وانحدار إلى الهاوية .

وكثيراً ما نرى أدباءنا لا يعالجون موضوعات لمجتمعاتنا فعلا ، وإنما يتصيدون أفكاراً للغربيين ، ثم يخرجون على الناس بقصة لا هدف لها ولا غاية مثلما نراه في مسرح " اللامعقول " .

وترى في بعض هذا القصص دعوة إلى الإلحاد صريحة ، أو غير صريحة .

كما ترى فيها أخطاء فكرية تضر بالمجتمع بانتشارها فيه ، وتسرب مبادئها إليه ، مثل : الاتكالية ، والوجودية ، والانعزالية . فالأولى لا تدفع إلى العمل والبناء ، مثلما نراه في قول بعضهم على لسان أحد شخصيات قصته .

" ألسنا كلنا مسيرين ، في هذه الدنيا ؟ كل شئ يسير وفق الأقدار فهى التى تحكم إرادتنا ، ما نحن إلا يدها التى تضرب ، أو على الأصح صدرها الذى يتلقى الضربات "(١).

ولو قال الكاتب : ليس هذا رأيى ، بل هذا كلام جرى على لسان أحد الأفراد قلت : أنت لم تصحح هذا الخطأ وهذا واجبك ..

ومن الخطأ البين ما قاله أحد الأدباء " إن يوسف الصافى هو الرجل الوحيد الذى فهم سر الوجود ، لأنه عاش خمسة وثلاثين عاما وحيداً في هذا العصر " .

ألست ترى في هذه العبارة دعوة صريحة إلى " الانعزالية " ؟ ثم هل الذى لا يعيش مع الناس هو الرجل الوحيد الذى يفهم سر الوجود ؟ !!

---

(١) فن القصة عند تيمور ص٣٣ .

وقصص الحب والغرام في السينما والمسرح ، أكثر من أن تحصى ، وأغلبها يضر ولا ينفع – ذلك أن أغلب موضوعاتها خال من العناصر الجادة ، ويتخللها خمور ، ورقص ، وتصرفات معيبة ، وهذا ما دعا المؤتمر السادس للأدباء العرب المنعقد في القاهرة في ١٦ مارس سنة ١٩٦٧ إلى أن يطالب رجال العلم في البلاد العربية أن يترفعوا عن الابتذال ، في معالجة الموضوعات القومية والاجتماعية ، التى تمس مصير الأمة العربية ، والأجيال الناشئة ، وأن تكون الموضوعات التى يعدونها للإنتاج السينمائى والتليفزيونى والإذاعى متسمة (بالجدية) والعمق والصدق[1].

هذا عن القصص الأدبى ، أما القصة القرآنية فإنها تتضمن من خلال سرد الأحداث مقاييس سنن الله في الكون ، التى تنطبق على جميع الناس أيا كانوا ، وفى أى زمان حلوا ، وفى الوقت نفسه تحسم المواقف بقص أسباب هلاك المكذبين ، ونجاة المؤمنين كقانون للوجود، ومنهج لحياة كل الأمم .

هذا بعكس القصة الأدبية فإنها كثيراً ما تكون للتسلية ، وقتل أوقات الفراغ ، وليس وراء ذلك هدف آخر إلا في قليل من الأحيان .

ثانياً : الأسلوب

القارئ للقصص القرآنى يرى فصاحة في اللغة العربية ، لا تكلف فيها ، كما يرى مراعاة لكل مقام ، فلا إيجاز حيث يحسن التفصيل ، ولا تفصيل حيث يحسن الإيجاز ، كما لا يرى سردا لجميع

---

(١) العربى عدد ١١٥ يونيو ١٩٦٨ م .

الأسماء التى دارت حولها القصة . من الأشخاص والأماكن ، وكذلك تحديد الزمن ، كما يلمس ألفاظا موحية .

أما في القصة الأدبية فيلاحظ ما يلى :

أ – الأسلوب البشرى يرجع إلى مزاج الكاتب ، ولذا تراه يختار الألفاظ التى تلائم مزاجه ، ويدع الألفاظ الذى تناسب الموضوع الذى يكتب فيه .

ومن هنا يقوى أسلوبه في موضع ، ويضعف في موضع آخر ، وبالتالى يختلف أسلوبه أيام شبابه عنه أيام كهولته ، وكذلك إذا عاود كتابة القصة مرة أخرى ، فإن أسلوبه في المرة الثانية ، يختلف عنه في المرة الأولى .

يقول محمود تيمور : " الفنان له الحق في إخراج مؤلفاته القديمة بمظهر يرضى عنه ، ويكون مسايراً لتطوره الحديث[1] " .

أما القرآن فهو يرتفع عن ذلك كله لأنه منزه عن شائبة النقص ، إذ هو كلام من أحاط بكل شئ علما ، فالحرف في مكانه من الكلمة والكلمة في مكانها من الجملة ، والجملة في مكانها من الآية لا يختلف ذلك أبداً .

ب – كثير من كتابنا لا يكتبون باللغة العربية ، والأدهى أنهم يدافعون عن العامية ، باعتبارها لغة الشعب ، ولو حققوا الأمر لعلموا

---

(١) القصة عند تيمور ص٢٤ .

أن سلامة اللغة العربية بالمحافظة عليها ، والذود عن حماها ، حماية للوطن العربى والإسلامى كله ، ذلك أنها المظهر البارز للشخصية العربية ، وكسب كبير للوقوف على أسرار لغة القرآن الكريم .

وحسب الكتاب أن يعلموا أن العامية لغة السوقة ، ولا يلجأ إليها إلا العاجزون عن معرفة قيمة اللغة العربية ، أو ضعاف المستوى في تعلمها ، وهم لا يدركون أسرارها ، ودقتها ، وجمالها الأدبى .

وقد عجبت حينما قرأت أن جائزة الدولة التقديرية منحت لكاتب قصة باللغة العامية ، وكنا نود أن يكون كل من يحصل عليها متمكنا من اللغة العربية ، خبيراً بأسرارها ، لا يتكلف في محسناتها وزخارفها البديعية ، دقيقاً في اختيار ألفاظها الموحية بالموضوع الذى يتناوله .

ولا يخفى أن من يكتب بالعامية لا يكتب لخاصة الشعب ، وإنما يكتب للجماهير ، وقد يكون ذا غرض تجارى ، يرى أن رواج بضاعته لا يصلح لها الخاصة .

ويلاحظ أن بعض الكتاب يكتبون بالعربية بعد العامية ، وهذا تطور حضارى ، وقد تعجب إذا علمت أن بعضهم كتب بالعامية بعد العربية[1] . وبعضهم يمزج بين اللغتين وهذا أخف ممن يكتب بالعامية وحدها .

---

(١) عمر الدسوقى ص٩٤ .

وأرى أن وراء ذلك هدفاً لا يقصد به خدمة اللغة العربية وكتابها .

وقد لاحظنا أثر " محمد عثمان جلال " (١٨٢٨ – ١٨٩٨) الذى كان حربا على اللغة العربية ، وعلى قواعدها ، في محمد حسين هيكل حيث كتب قصته " زينب " بالعامية أولاً ، كما أثر في غيره . وكأنهم يستشعرون خطأ ارتكبوه بجنوحهم نحو العامية ، فقد كان جلال يرمز تحت كتابته بأول حرف الاسم م . ع . ج ، وكذلك كان هيكل يكتب على قصته بقلم فلاح مصرى . ذلك لعلمهم أن العامة لا يقبلون عليها ، وستلاقى نقدا من المتخصصين في اللغة العربية لا قدرة لهم على احتماله .

وفى الوقت الذى كان فيه محمود تيمور يكتب قصصه باللغة العامية أهدى إليه " مجمع الخالدين " جائزة القصة ، ويقول عميد الأدب العربى في الحفل الذى تسلم فيه الجائزة :

" وسبقت أنت إلى شئ لا أعرف أن أحداً شاركك فيه في الشرق العربى إلى الآن ، وإذا ذهب أحد مذهبك ، أو جاء أحد فيما بعد مما جئت به فلن يستطيع أن يتفوق عليك " .

ثم قال :

" وسجلت به لنفسك خلوداً في تاريخ الأدب العربى ، لا سبيل إلى أن يمحى " الخ ... الخ هذا الكلام المتناقض الصادر ممن كان ينتظر منه أن يقول كلمة عن القصة العربية ، ويطالب بعدم الركون إلى العامية .

ونحن نحمد للأستاذ تيمور ، مراجعته لكتبه ، وصياغتها باللغة العربية ، بعد حصوله على الجائزة في ١٩٤٧/٤/٥ [1].

وكذلك فعل في كل إنتاجه ، وهنا ننبه إلى سلامة لغة القرآن الكريم ، واختيار ألفاظه ، التى تتلاءم ملاءمة شديدة مع الموضوع .

وقد نجد من يسرف فيتجمد في كتابته بالعربية ، فتكون لغة لا روح لها ولا تأثير وقد أشرت إلى أن لغة الضاد هى لغة الأمة العربية كلها ولا تحقق اللغة العامية هذه الوحدة ، وذلك أن اللغة العامية في كل بلد ، تختلف عنه في بلد آخر .

فعامية مصر ، غير عامية ليبيا ، غير عامية السودان ، وعامية الوجه القبلى ، غير عامية الوجه البحرى .

وهكذا فالعامية محلية ، بخلاف اللغة العربية .

جـ - من النادر أن يسلم كتاب القصة في العبارات ، و الأفكار ، و المحسنات البديعية ، وفى القدرة على الأسلوب العلمى وترتيب الأفكار ، ذات المقدمات والنتائج ، والقدرة على سياق البراهين والأدلة ، وصدق التجربة والإخلاص ، وكل ما يبدو أن الكاتب يريد أن ينتهى من القصة على أى حال .

وقد تطول مقدماته بدون غرض جوهرى ، إشعاراً منه للقارئ بأنه قادر على السرد ، والإطالة ، فهو يذكر أسماء وأماكن كل ما يحيط بالقصة ، من أحداث ويتصل بها من قريب أو بعيد ، وقد يستطرد فيذكر حادثة لشخص أو مكان لا صلة لكليهما بالقصة

---

(١) القصة عند تيمور ص١١ .

الأصلية ، وقد يحلل موقفا لشخص في القصة لا يتصل بجوهرها ، أو يدور حول عقدة القصة ، ليزيد من شوق القارئ " وكان يمكنه تقصير الطريق ، بدون إسهاب ، وتقرأ كثيرا عن قصص يتحدث أصـــحابها عن طول شخص أو قصره وعمره وصفاته الخلقية ، والخلقية وعــن حياته الاجتماعية ، وقد يصل الحد إلى صفات خاصة به .

وأكثر من هذا أنك لو حذفت فصلا أو فصلين أو أقل أو أكثــر من بعض القصص ، لا يؤثر ذلك الحذف في جوهر القصة بشئ .

وهذا دليل التكلف المعيب .. مثلما تراه من المحسنات البديعية التى يضيق بها القارئ ، والتكلف ينشأ من الفقــر اللغــوى ، ونــدرة الخبرة بالأساليب الأدبية النابعة من اللغة العربية الأصــلية ، وأدبنــا الحديث – ملئ بهذا النوع من الكلام الــذى لا يــتلاءم مــع الســليقة والفطرة ، وتكون النتيجة أن يقحم في الأسلوب إقحاماً ، فيأتى ضعيف التركيب ، ســئ النهج ، تافه المعنى ، والتكلف لا يكون في الألفــاظ فقط ، بل تراه كذلك في الأفكار التى لا يقبلها العقل :

مثال ذلك :

(١) التقاء عاشقين في لحظة واحدة ، في ظــلام الليــل ، عنــد ساقية مهجورة ، دون موعد سابق .

(٢) موت زوجة العاشق ، في نفس الليلة التى يموت فيها زوج العاشقة .

(٣) موت العاشق بين يدى حبيبته ، بعد انتهاء كل المشاكل التى كانت تعترض طريقهما .

والذى يدفع الكاتب إلى ذلك ، اللعب بعقل القـــارئ ومشـــاعره وأنت لا تجد شيئا من هذه القضـــايا التافهة في كتـــاب ربنـــا تبـــارك وتعالى ، إذ هو براء من الباطل واللهو والعبث ، كما أنـــه لا يفصـــل فيما لا يفيد مثلما يفصل مؤلفوا القصص الحديثة .

بل على العكس من ذلك تراه قد يبهم ، وإبهامه لأهدافه ســـامية منها .

(١) الاستغناء بذكره في مقام آخر ، مثل عدم ذكـــر ولادة موســـى عليه السلام ، في سورة النازعات وغيرها من السور ، التـــى تحدثت عن قصته ، وذلك اكتفاء بذكرها في سورة القصص.

(٢) قصة الستر عليه مثال ذلك : عدم ذكر اسم " امرأة العزيز " في سورة يوسف .

(٣) ألا يكون في ذكره كبير فائدة ، كعدم تفصيل أســـماء وتـــاريخ المرسلين في سورة يس .

(٤) التنبيه على العموم لا على الخصوص بصاحب الحاثـــة كنبـــأ الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها في سورة الأعراف .

(٥) تعظيمـــه بالوصـــف الكامـــل دون الاســـم " كذى النـــون " أو " صاحب الحوت " والمقصود به سيدنا يونس عليه السلام .

(٦) تحقيره بالوصف الناقص ، مثل قوله فيمن جادل إبراهيم عليـــه السلام " فبهت الذى كفر " .

تأمل هذا المنهج المحكم فإنك واجد فيه خير الكلام ، من حيـــث توافق اللفظ والمعنى وسهولة العبارة ، وقوة التأثير ، وقرب المنـــال ،

وتشعر أنك أمام آيات تسرى في عروقك ، وتملك عليك حواسك ومشاعرك ، دون قلق أو اضطراب .

تأمل الفرق بين الكلامين واحكم أنت . ونحن الآن في عصر لا يتحمل الإسفاف في القول ، وضياع الوقت ، أفلا يكفينا قصص القرآن الموجز المؤثر في القلوب من أقرب طريق ... ؟ !!

ومع كل ما ذكرت تجد في القصة القرآنية ما يفخر به كتاب القصة الأدبية اليوم من :

أ – طرق الكتابة .

ب – عنصر التشويق .

فطرق الكتابة مثل الطريقة التحليلية وهى حديث المؤلف عن شخصيات القصة تراه مذكورا في قصص القرآن الكريم بكلام الله ذاته ، إذا تطلبه المقام وبأسلوب معجز ، وفى الوقت نفسه بإيجاز يفى بالغرض المطلوب مثال ذلك : ولادة موسى عليه السلام ، وتربيته وحياته في مصر وانتقاله إلى سيناء .

وكذلك الطريقة الذاتية وهى أن تتكلم الشخصية عن نفسها ، وتعبر عن أفكارها ، وذلك أيضا مذكور في كثير من قصص القرآن الكريم .

مثال ذلك ما قاله عن " موسى " ، وعيسى عليهما السلام في شأن دعوتهما :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١)

وعنصر التشويق أظهر ما يكون في قصة يوسف عليه السلام ، وكذلك في قصة البقرة ، كما تقرؤه بأسلوب القرآن المعجز .

يقول أبوالسعود أحد مفسرى القرآن في القرن العاشر:

" إن أول القصة هو قوله تعالى :" وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها، فقلنا اذبحوا بقرة ، فاضربوه ببعضها " ثم يقول :

" وإنما تأخر الترتيب عند التلاوة ، لتكرير التوبيخ ، وتثنية التقريع ، "

والرأى عندى أنه للتشويق ولفت الأنظار ، وتحفز القوم للاستفسار حتى يقولوا بعد أن أمروا بذبح البقرة : لماذا ذبح البقرة ؟ هل وراء ذلك سر ؟

نعم هناك سر ، وهو أن بنى إسرائيل قتلوا نفسا ، واختلفوا في القاتل ، فأمرهم الله بذبح البقرة ، ليضربوا القتيل بأحد أجزائها فيحيا ويخبرهم عن القاتل .

ذلك هو التشويق .

---

(١) الصف : ٥ ، ٦ .

وعلة ذبح البقرة تبكيتهم ؛ حيث قد عبدوا هذا الجـنس الـذى أمروا بذبحه وكأنه تعالى يقول : " كيف يـذبح المعبـود ؟ وكيـف لا يستطيع الدفاع عن نفسه ؟ !!

ويستفاد من هذه القصة أمور منها :

أ – عنت اليهود ، وكثرة جدلهم مع أنبيائهم .

ب – عدوانهم على غيرهم بغير حق .

جـ – القدرة الإلهية على إحياء الميت .

د – الذى يجب عبادته حقا ، هو الله وحده دون سواه .

الهدف من القصة القرآنية والقصة الأدبية

القصة القرآنية مسوقة للعظة والعبرة ، والتوجيه العملى إلـى السلوك الأقوم في الحياة ، وهذا الهدف لا يتخلف في قصة واحدة من قصص القرآن الكريم ، فنجد في قصة آدم عليه السلام قوله تعالى :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [1]، وفيها: أن الله كرم الإنسان ، باعتباره خليفة عنه في الأرض ، وزوده بـالعلم الذى يضئ له سبل الحياة ، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [2] .

وفى قصة ولدى آدم بعد أن قتل أحدهما الآخر يخـتم الله جـل وعلا قصتهما بالتحذير من القتل فيقول :

---

(١) طه : ١٢٣ .
(٢) البقرة : ٣١ .

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

وترى التوجيه من خلال القصة القرآنية ، يعرض نفسه عليك ، ويدفعك دفعا إلى الكمال الإنساني ، والتأسي بأكمل البشر ، أنبياء الله ورسله ، تقرأ ذلك في كثير من قصص القرآن كقوله تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾[2]

في مجال الخضوع إلى الله في قصة هود حكاية عنه عليه السلام بعد أن دعاهم إلى عبادة الله دون سواه ، وطلب منهم الاستغفار عما سلف منهم ، والتوبة والرجوع إلى الله، والعزم على ألا يعودوا مستقبلا ، إلى ما كانوا عليه من الإثم ، ويعدهم إن هم حققوا ذلك ، بالخير الكثير ، يقول عز من قائل : ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾[3].

---

(١) المائدة : ٣٢ .
(٢) مريم ٥٦ ـ ٥٨ .
(٣) هود : ٥٢ .

وفى نهاية القصة ، وعيد بالعذاب الشديد ، للمخالفين ووعد بالنعيم المقيم بعد النجاة للمؤمنين قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾[1].

وأمثال ذلك في القرآن كثير .

وتخالف القصة الأدبية ، القصة القرآنية في ذلك كل المخالفة .

فمن أول تناولك للقصة تعلم مقدما أن نهايتها إما موت البطل ، أو موت البطلة ، أوهما معا ، أو تختم القصة بالزواج ، وإذا لم يكن الزواج قد تم ، فالانتحار بأى صورة من الصور ، أو الهروب ، أو القتل . ذلك في أغلب القصص الأدبى .

أما الأثر الخلقى والبناء النفسى ، للأفراد والمجتمعات الذى كنا نريده ، وننتظره فذلك أمر لا يلتفت إليه كثيراً .

وأرى أن القصة لا فائدة منها ، إذا لم تكن مدعمة بالتوجيهات الخلقية ، وبانتهائها يكون القارئ قد استفاد ، واكتسب خبرة جديدة ، وتخلص من صفات أظهرت القصة أنها صفات سيئة لا تليق بكرامة الإنسان .

وأنت تصل إلى الغاية الخلقية من القرآن بعد عرض الموضوع مباشرة .

---

(١) هود : ٥٨ – ٦٠ .

أما القصة الأدبية ، فلا تصل إلى نهايتها التى عرفتها آنفا ، إلا بعد تمهيد قد يكون فصولا لا داعى لها .

والعبرة في القرآن تكون عظة بليغة موجهة ، وصريحة ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1] .

أما القصة الأدبية ، فلا يذكر فيها غالباً عظة إذ ذاك في زعمهم عيب كبير ، لأنه من باب الإرشاد الذى لا يليق بالأدب ، بل يليق بالمساجد ، وعلى المنابر ، فهم يرون أن إسداء النصح للبعد عن رفقة السوء ، أو البعد عن الزنا ، أو القتل ، أو السرقة ، وغيرها ، إضعاف للمستوى الأدبى للقصة ، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر أو عن طريق السرد .

وكثيرا ما نقرأ غاية وهدفاً في القصة الأدبية يدعو إلى الإلحاد والمروق من الدين ، والرضا بالأخلاق السيئة ، مثلما تراه في كل القصص التى لا يجد بطلها حلا لمشكلته فيهرع إلى الانتحار بأى صورة من الصور فيتردى من مكان عال ، أو يشرب مادة قاتلة ، أو يطلق الرصاص على نفسه .

---

(١) هود ١٠٠ – ١٠٢ .

وينعكس أثر ذلك علي النفس ، فحيثما يجد قارئ القصة أو مشاهدها نفسه في موقف مشابه ، تقفز في ذهنه صورة البطل الذى انتحر فيفعل مثلما فعل على الفور إلا من عصم الله .

وكثرة الانتحار في العالم مردها إلى هذه القصص ونشرها على الناس . وفارق جوهرى بين القصة القرآنية والقصة الأدبية .

فالقصة القرآنية لحمتها وسداها الصدق الذى لا مرية فيه ، فكل ما أخبرنا الله به عن أحوال السابقين واقع ، مع ما فيه من العظة والعبرة والبصر بسنة الله في الخلق .

وإذا كان ذلك بلغة غير لغتنا ، فلغتنا قادرة على حمل المعنى الحقيقى الذى نطقوا به ، بدون تزيد عليه قال تعالى :

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ ﴾(1) والأنباء في الآية بمعنى الأخبار ، التى لها شأن وخطر ، وبيان أنها حق ثابت ، قال عز شأنه :

﴿ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾(2) كما قال :

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾(3) .

وهذه التأكيدات والحصر الذى في الآية لا يفيد غير الحقيقة ، المطلقة المنزلة من قبل الله .

---

(1) هود : ١٢٠ .
(2) آل عمران : ٦٢ .
(3) الإسراء : ١٠٥ .

أما القصة الأدبية فيزعم كاتبوها ، أن للفن حقا ، وللتاريخ حقا، ولهم كذلك الحق في التصرف إزاء الحوادث التاريخية ، فلهم أن يزيدوا ما شاءوا ، كما ينقصوا ما شاءوا ، بل أكثر من ذلك ، لهم أن يختلقوا أحداثا من أساسها ، بحجة أن ما يقال يمكن أن يقع ، ولذا يقول أحدهم : " فالصدق في الأدب عموماً ، هو الصدق لما يحتمل وقوعه دائما في حياة الإنسان على وجه الأرض ، فالصدق في التاريخ وفى العلم هو الصدق بالواقع ، أما الصدق في الفن ، فهو الصدق بالإمكان والصدق ، بالإمكان ، أكثر شمولا وأشد عمقاً "[1] .

ونحن نرى الأديب لا يستطيع أن يجيد الأداء فيما يكتب ، لأنه بشر ، كما لا يستطيع أن يلعب بالعقول إلا إذا أطلق العنان لقلمه فيكتب ما يحلو له ، ولا يضيره بعد ذلك الواقع أو الخيال .

ومن هذا الأساس يتجه الأدباء إلى الخيال الجانح ، الذى لا يصدقه عقل ، ولا يقره دين ، فيقولون مثلا عن ملك الموت كلاما يحرم عليهم كتابته ، أو التفوه به ، من حيث نسبة أشياء إليه من نسج الخيال ، وهم يعللون ذلك بأن الجمال ، والمتعة ، لا تأتى بالواقع وحده ، وإنما بما يمكن أن يقع وهذا غير صحيح إذ لا يلجأ إلى الخيال إلا العاجزون عن إثبات الحقيقة ، وعجز الأديب يدفعه إلى إثبات ما يمليه عليه مزاجه الشخصى ، وخياله ، ورأيه فيما حوله ، ولما يمكن أن يستخلص من نتائج .

---

(١) فن القصة عند تيمور ص٤١ .

أما القرآن الكريم فيؤثر في النفس البشرية ، ويستهوى لب السامع ، ويستأثر بكل اهتمامه ، بحيث يتجه إلى سماعه وهو الصدق المصفى ، والحق الصراح .

فنحن نقرا فيه القصة ، وثيقة الصلة بلب الحياة ، وواقعها ، وفيها الأصالة والعمق ، والتأثير الذى لا نجده في كتاب آخر . نرى ذلك لأقوام لم يستجيبوا لأنبيائهم ، فأنزل الله عليهم سخطه وعقابه وأصبحوا أثرا بعد عين ، وآخرين استجابوا فنجاهم الله من العذاب أما في القصة الأدبية فتقرأ أو ترى انتحار فتاة لأنها فشلت في حبها ، أو أن البطل قد قتل نفسه ، لأنه لم ينتصر على أعدائه ، وذلك فضلا عن عدم وقوعه .

والخلاصة أن مقياس القصة ، القرآنية الصدق وغايتها العظة ، والعبرة بأحوال السابقين ، وأن مقياس القصة الأدبية ، الخيال فى أكثر الأحيان ، أو مزج الخيال بالواقع ، في بعض الأحيان ، والواقع في أقل من القليل ، وغايتها في الأكثر قتل الوقت فيما لا يفيد ، أو الانحراف عن النهج السوى .

نماذج من القصص الأدبى

ذكرت أن أكثر القصص الأدبية المؤلفة إما خيال لا يمت إلى الحقيقة بصلة أو عبث لا يليق بذى كرامة أن ينشره على الناس ، أو أحداث ينحرف بها المؤلف ، أو المخرج والممثل عن الطريق الصحيح .

وإليك ثلاثة أمثلة لما ذكرت :

أولاً :

تقرأ في قصة " نائب عزرائيل " للأستاذ يوسف السباعى حلما ، خلاصته أن "عزرائيل" ، ذهب إلى موعد غرامى ، وأن نائبه كلف من قبله بقبض أرواح الناس ، فرأى أن الموت يتم بدون تخطيط سابق وبطريقة عشوائية ، ولهذا يموت من يجب أن يعيش ، ويعيش من يستحق الموت ، ثم رأى هذا النائب ألا يقبض من الأرواح إلا من يستحق الموت وهم الزعماء دون سواهم (١).

وأعتقد أن المؤلف لا يريد الحقيقة ، وإنما يعالج بعض المشكلات الاجتماعية ، كما يدور في أذهان بعض الناس ، عن هذا الملك الكريم ، ببيان ما يشبه التناقضات في ظاهر الأمر ، ويريد المؤلف الوصول إلى المثالية الأخلاقية ، وتخفيف حدة "عزرائيل" على النفوس البشرية .

لكن أمثال هذا التصوير الأدبى ، لا يليق بملك من أكابر ملائكة الله عز وجل ، ولو كان ذلك على سبيل الرمز ، أو الأحلام .

فالمواعيد الغرامية ، والاعتراض على الحكمة الإلهية ، بموت بعض الناس دون بعض ، غير جدير بمواقف الألوهية ، التى يجب ألا نقتحم أبوابها بمثل هذا اللون من القصص .

---

(١) ص ٥٥ من نائب عزرائيل .

فضلا عن ذلك نرى عبارات غير لائقة ، مثل قول المؤلف عن "عزرائيل " – عليه السلام – وقد ألقى إليه سؤالا :

" فأجابنى بخبث " ، ويقول "عزرائيل" العاشق ، الولهان [١].

وأن "عزرائيل" يقضى طوال اليوم في الجنة مع عشيقاته ، ويترك أعماله في أيدى البشر[٢] وفى موقف آخر يقول عنه :

" كان بينه موعد غرام ، لأنه كان حديث العهد بالحب ، ولذا أصيب بالخجل [٣] " فيقول:

" لأعطيتك درسا في كيفية القيام بواجبك ، ولعلمتك ، كيف يجب أن يكون الموت ؟ إن ما تفعله هو الحمق ، لا ما أفعله أنا [٤] ..الخ كلام لا يليق بشخص عادى ، فضلا عن ملك عظيم من ملائكة الله عز وجل .

ومثل هذه العبارات قد شجع بعض الناس ، على الاستخفاف بمبادئ الدين وقضاياه من ذلك قوله :

" فلقد عودنا الموت أن يكون طائشا أحمق[٥] " .

وهذه ألفاظ يقرؤها العامة بشدة إقبالهم على هذه القصص فيتأثرون بها وتحفز الشباب على تقليدها ، حتى رأينا مثلها في أغانينا التى نسمع منها عبارة يقول فيها مؤلفها " قدر أحمق " .

وذلك عبث بالدين والفضيلة والفن ..

---

(١) ص ٢٣ ، ٣٩ ، ٤٠ .
(٢) ص ١٧٩ .
(٣) ص ٣٩ .
(٤) ص ١٧٨ .
(٥) ص ٢٦ .

استمع إلى الأستاذ / السباعى في نفس القصة يصف فتاة علـــى الشاطئ ترتدى ملابس البحر بقوله : " وأنزلت إحدى حمالات المايوه " وانتظروا لتنزل الحمالة الأخرى ، فعطس صاحبه عطسة ، زلزلـــت منها الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقالت الفتـــاة مـــا لها[1].

صحيح أن المؤلف قال عزرائيل الجميل وكررها[2] لكنه بجانب ذلك قال "عزرائيل" الخبيث ، والعاشق الولهان ، والأحمق وعزرائيـــل النحس[3] هل هذه حقيقة "عزرائيل" التى يقول المؤلف عنها في مقدمة كتابه وهو يخاطبه :

" حاولت فيه بجامع الحب لك ، أن أظهـــرك للبشـــر ، علـــى حقيقتك وأننى راض كل الرضا ، عما أقول[4] .

وهل مثل تلك الكلمات مما يصح أن تؤلـــف فيـــه القصـــص ، وتنشر بين الناس ، وتطبع أكثر من مرة :

استمع إلى ما يقوله النائب ، مما يشجع الناس على المنكر فـــي فصل بعنوان نائب عزرائيل [5]:

" وكم صادفتنى في الحياة ظروف ، كان الكذب فيها خير ألف مرة من الصدق " إلى غير ذلك مما تطول الإفاضة فيه فـــي القصـــة المذكورة .

---

(١) ص٧٧ عن نائب عزرائيل .
(٢) في ص٥٦ ، ٢٢ ، ٢٥ .
(٣) ص١٧٩ ، نفس المصدر .
(٤) ص ٧ .
(٥) ص ٥٥ .

وحسبى أن أسجل هنا بعض ألوان أدب القصة في مصر ، الذى يجب أن نعزل أقلامنا عنه ، ونجرد أفكارنا منه ، ونتجه إلى أدب هادف مستمد من قصص القرآن وروح الإسلام .

ثانياً :

وإليك نموذجين من القصص الأوربي ، الذى تأثرنا به في عصرنا الحاضر تأثراً كبيراً ، وأجهزة الإعلام تمجد المؤلف ، الذى نقله إلينا ، ذلك هو قصص " اللامعقول " وزعيم هذا اللون من الأدب هو " يوجين يونسكو " وهو يعلل أدب "اللامعقول" بقوله .

" المجتمع هو "اللامعقول" لا الأدب ، والمجتمع "اللامعقول" ، هو المجتمع الذى لا غاية له ، وهو المجتمع المنفصل عن جذوره الدينية ، وتقاليده وفى مثل هذا المجتمع يكون المرء ضائعاً ، ويكون كل ما يصدر عنه لا معنى له ، ولا فائدة ترجى منه ، وبهذا يكون لا معقول [(١)].

ترى أن القصة هنا تمثل المجتمع في نظر كتابها ، إذ ما دام المجتمع في نظرهم يتصرف الأفراد فيه بدون عقل ، فيجب أن يكون الأدب انعكاسا لحال هذا المجتمع ، وإذا كان الأدب يعطى صورة عن المجتمع ، فما فائدته ؟ ما دمنا نرى الأحداث أمامنا ؟ وإذا لم يكن الأدب موجها ، وناقدا ، ومصلحا وداعيا إلى الفضيلة فأى قيمة له ؟

ولا تجد لذلك ترتيبا منطقيا ، أو نتيجة للقصة التى من هذا النوع ويعتبر " ألبير كامو "[(٢)] أول من استعمل مصطلح " اللامعقول " وقد ظهر هذا الأدب لأول مرة في باريس ، ومثل في خلال سنة

---

(١) العربى عدد ١٢٤ ص ١٣٦ – بقلم الأستاذ محمود السمرة عميد كلية الآداب بالجامعة الأردنية .

(٢) المصدر نفسه ص١٣٨ .

١٩٤٧ بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم سرت عدواه إلى إيطاليا ، وألمانيا ، وبريطانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تعجب إذا علمت أن الذى رفع من شأن أدب اللامعقول وشجع تمثيله على المسرح ، وأخرجه إلى الوجود هو الأديب " جان جيته " الفرنسى الذى كان يستشعر الغربة عن وطنه روحياً ، ذلك أنه لقيط حتى قضى جزءا كبيرا من حياته في الملاجئ والسجون .

انظر: رجل لقيط يقيم الدنيا ويقعدها ، ونحن بدورنا بكل أسف – نتأثر بهذا الباطل ونبثه في حياتنا العربية والإسلامية ، مع أن مبادئنا تختلف كل الاختلاف عن مبادئه .

وبصمتنا على هذا السخف ، كأننا نقرر أن أوربا من حقها توجيه القصة العالمية ، بما فيها العربية والإسلامية .

وإليك نموذجين لتحكم عليهما أنت .

أ – " انتظار جوتولبيكيت " قصة متوترة لشخصيات صورية لا تقوم بعمل شئ من بدايتها إلى نهايتها ، اللهم إلا أنها تنتظر مجئ شخص يدعى " جوتو " وهل يأتى ؟ ونرى منه ما يعود بالخير ؟ كلا العجيب أنه لم يأت ، وتنتهى القصة دون مجيئه .

ب– " أميديه ليونسكو " الزوجة تعمل على " تليفون " في بيتها، والزوج لم يكتب إلا سطورا قليلة من قصته ، وفى غرفة النوم خشبة مضت سنوات لا يعرف مصدرها ، ويظهر أنها خشبة تحتوى على عشيق الزوجة الذى قتل بيد زوجها ، والجثة تكبر يوما فيوما حتى تمتد القدم إلى حجرة أخرى وهى لضخامتها تهدد الزوجين بالخروج من المنزل ، وتنتهى القصة عند هذا الحد العابث .

فهل ترى بهذا أن القصة العابثة أو أدب اللامعقول أدبا بعد أن ترى الحوار فيها كلاما تافها وثرثرة ، دون غرض أو هدف محـــدد ، وشخصياته كأنها دمى متحركة ؟ ثم لا تجد تصويرا للواقـــع ، وهــم يدعون أن مسرح العبث يصور الواقـــع ، وبالتـــالى لا يقـــدم حلـــولا للمشاكل الاجتماعية .

وإذا لم توجد هذه الحلول ، فالقصة عبث ، وقـــد صـــدقوا مـــا قالوا. إذ القصة تدور في حلقة مفرغة ، وتنتهى من حيث بدأت .

ولا فائدة اللهم إلا ضياع الوقت والجهد والمال .

ذلك : أدب مستورد ، ولو أردنا الحلول لمشاكلنا علـــى أســـس علمية سليمة فلنتجه بقلوبنا وجوارحنا إلى قصص القرآن الهادف .

ثالثا :

من القصص التى ألفت ومثلت عندنا قصـــة زوجـــة لا تحـــب زوجها ، فتركت المنزل ، وأحبت رجلا نتيجة ترددها على (البارات) وأماكن اللهو ، والعبث ، وتواعدا على الزواج ، وهى لا تمـــانع مـــن هذا الزواج ، حيث أغراها الزوج بالسفر معه إلى ألمانيا ، وطلقت من الزوج الأول ، بعد أن سافر خطيبها إلى ألمانيا ، وأرسل لها خطابـــا بموعد العودة ، فذهبت لمقابلته ، وبينما كانت في انتظـــاره بالمطـــار سقطت الطائرة ومات الحبيب .

هذه إحدى القصص المصرية ، التى تعرض عندنا ، وأمثالهـــا كثير وهى لا تعالج موضوعا اجتماعيا ، وإنما تـــدعو إلـــى مشـــاكل اجتماعية فهى :

أ – تعرض خروج الزوجة من بيت زوجها رغم أنفه .

ب- تعرض ترددها على البارات وأماكن الــرقص والقــبلات والخمور.

جـــ- التقاؤها برجل أجنبى عنها ، وتواعدهما على اللقــاءات مرات وتحدث أمور بينهما ، ينكرها الدين والفضيلة .

وهذه مشكلات فرضتها القصة . ثم لماذا كانت المفاجأة التـــى فيها سقطت طائرة الخطيب بعد عودته ؟ لم كل هذا ؟ ولــم الانفعــال والتكلف بها ؟ وأين حل المشكلات الحقيقية . ولماذا تترك قصة كهذه بدون نقد لهذه التصرفات إذا كنا مخلصين في القول بأن القصة تمثــل حياة المجتمع الذى نعيشه .

تلك نماذج من القصص الأدبى ، يقرؤها ويشــاهدها ملايــين الناس ، وأثرها ينعكس عليهم وعلى بيئاتهم .

هل ترى الأدب بذلك قد أدى غرضا ؟ أو أصلح مجتمعــاً ؟ أم ترى عكس ذلك قد حدث ؟

وحسبك أن تشاهد عناوين الأفلام مبعثرة هنا وهناك – ويكفـــى إيحاء أسمائها :

أ – زوجة لخمسة رجال .

ب – كيف تسرق مليونيراً .

جــ- سارق الملايين ؟

هذا وأمثاله لا يصح السكوت عليه بحال ، في مجتمــع يبنـــى نفســه أولا ، ويحارب عدوا يجب أن توجه لـــه طاقاتنـــا الخلقيـــة ، والعلمية ، والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بدون إسفاف أو ضـــياع للوقت .

اقــــتراح :-

من هذه النماذج التى ذكرتها – مضطرا – حتى لا يقال – لــو أجملت لماذا لم تفصل ، وتذكر لنا نماذج للقصة التى تعترض عليها ، وقد ذكرت بعض النماذج وأرى أن العقل الســليم لا يقبــل الضــياع النفسى ، والانحدار الخلقى ، مما لا يتفــق ومجتمعنـــا الإســلامى ، والنتيجة إذا كانت عكسية . فالأجدر ترك ما يســـبب هــذه النتيجــة ، حفاظا على مجتمعنا وتقاليدنا الدينية .

ونحن بمتابعتنا لاتجاهــات القصـــة ، وكشــفنا لمضـــامينها ، وفحـــواها ، نرى أن مسئولية نشر وعرض أمثال هــذا اللـــون مـــن الأدب ، يقع على عاتق المفكرين ، وأولى الأمر مـــن أبنـــاء الأمـــة الإسلامية ، وإذا أردنا الخير لبلدنا وأمتنا فلندرس واقعهـــا ، ونعمـــل على تغييره إلى ما يفيد ، وإذا كانت حصيلة الثقافة عام ١٩٦٩ تطلعنا على كتب مخزونة بدور النشر ، بيعـــت بـــالطن لتـــتخلص منهـــا ، والمشترون أعادوا تحويلها من جديد إلى ورق أبـــيض يقـــدر ثمنهـــا بثلاثين ألفا من الجنيهات ولذلك سبب واحد – فيمـــا أرى – هـــو أن المجتمع لم يعد يرى فائدة ترجى من هذه الكتب ، فلم يقبل عليها ، ولو أنها عرضت للقصة القرآنية بأسلوب أدبى ، وجنـــدت لهـــا أجهـــزة الإعلام لما بقى منها كتاب واحد .

ودار المعارف تطبع كتاب " الأيـــام " لطـــه حســـين الطبعـــة الخامسة والأربعين من ثلاثين ألفا من النسخ ، ومـــرد ذلـــك الدعايـــة للكتاب بينما ترى كتابا مثل قصص الأنبياء للشيخ عبدالوهاب النجـــار

لا يطبع غير مرتين ، مع أن تقارير عام ١٩٦٩ تقول : الكتب الدينية هى أوسع الكتب انتشاراً هذا العام .

وإذا كانت وزارة الثقافة تنشر شهريا مجلات الكاتب ، والمجلة ، والفكر المعاصر ، والمسرح ، والسينما ، والكتاب العربى ، وتراث الإنسانية . أفلا يجدر بنا إصدار مجلة شهرية عن " القصة القرآنية " وعلاقتها بالمجتمع المعاصر ....

وإذا كان عام ١٩٦٩ قد مثل فيه ٥٢٦ مسرحية ، في المسارح المختلفة ، وقال النقاد إنها لم تؤد رسالتها المرجوة ، وهى في حاجة إلى تخطيط جديد ، حيث مثلت مسرحيات بعيدة عن عالمنا كل البعد .

فلماذا لم تمثل القصة القرآنية بمنهج عصرى كعلاج لأمراض المجتمع ؟ ؟ .

ولهذا أقترح أن توفر الدولة آلاف الجنيهات التى تنفق على هذه المؤلفات وأمثالها ، وتتجه إلى القصة القرآنية ، تعرضها بما يتلاءم مع ظروفنا الراهنة ، من شرح لمشكلاتنا ، في ضوئها ، ومجتمعنا يعتقد أن الدين روح الشعوب ، ولو كان عميقا وقويا لما حدثت النكسة في عام ١٩٦٧ .

الفصل الثانى
القصة القرآنية والقصة في التوراة والإنجيل

يقرر القرآن الكريم أن الله أنزل التوراة والإنجيل ، كما أنـزل القرآن ، وأنه مصدق لما فيهما ، فهل ما صدقه القـرآن لمـا فيهمـا موجود حتى الآن ؟ وهل هو مثل القرآن في الأسلوب والمنهج ؟ وإذا كان اليهود والنصارى يدعون أن الذى بين أيدهم هو التوراة والإنجيل المنزلان ، فهل هذا صحيح ؟ ... والجواب على ذلك كله ضـروري للكشف عن حقيقة هذا الأمر ، ومن هنا تتم المقارنة بين القرآن مـن جهة وبين التوراة والإنجيل من جهة أخرى مع التركيز على ما نحـن بصدده من الكلام عن القصة ...

صحيح أن القرآن قرر صحة التوراة والإنجيل ، ودعـا أهـل الكتابين إلى التمسك بهما ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1] بل يصرح بأن التوراة هدى ونور وإمام ورحمـة فيقـول سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[2] .

---

(١) المائدة : ٦٨ .
(٢) المائدة : ٤٤ .

ويقول : ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ (1) .

كما أثنى القرآن على موسى وعيسى ، أكثر من ثناء كتابيهما عليهما ، تسجيلا لفضلهما وتمجيدا لرسالتهما ، ولا يثنى القرآن عليهما فحسب ، بل يذكر موسى مقرونا بمحمد عليهما الصلاة والسلام في كثير من الآيات إشارة إلى وحدة الدين ، ووحدة العقيدة ، ووحدة الهدف والغاية .

قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (2) .

تأمل كيف يبطل دعواهم ، ويحتج عليهم بالتوراة التى جاء بها موسى ، نورا وهدى للناس ، ولكنهم يخفون كثيرا من نصوصها ظلما وبغياً ، مع أن الله قد امتن عليهم بها .

ومن مفاخر التوراة أن الله قرر أن القرآن مصدق لما فيها ، ولو كانت بين أيدينا اليوم ، كما أنزلها الله ، لما وجدنا تعارضا

---

(1) الأحقاف : 12 .
(2) الأنعام 91 ، 92 .

واختلافا بينها ، وبين القرآن ، وفى نفس السورة يقرن الله بين التوراة والقرآن فيقول : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1] .

ومعنى إتيان موسى الكتاب تماما أى تماما للكرامة والنعمة على هذا العبد الصالح الذى أحسن الطاعة في التبليغ وفى الأوامر والنواهى ، وأتقن علم التشريع ، وأجاد معرفة بكل شئ "[2] وقد أبان أنه كتاب فصل كل ما يعود على الناس بالخير ، وأنه هدى ورحمة ، وأعقب ذكره بالقرآن الكريم تشريفا له ، ووصف القرآن بأنه : هدى ورحمة ، ووصف القرآن بأنه : مبارك ، وأمر باتباعه كما أمر بتقوى الله ، وبين أن من يتبع القرآن فهو متبع للتوراة ، حيث لا تعارض بين الكتابين ، إذا الكل من عند الله ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3] .

ومن أسرار ذكر التوراة مقرونة بذكر القرآن الكريم ، بيان أنهما من نبع واحد ، تدبر قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾[4] .

---

(١) الأنعام : ١٥٤ ، ١٥٥ .
(٢) الكشاف جـ٢ ص٨٠ .
(٣) آل عمران : ١٠١ .
(٤) الأنبياء ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

فهل تجد أعدل من هذا الكتاب ؟ وهل أسمى من سماحة دين محمد ﷺ ؟ فذلك أمام الباحث المنصف تكريم لا يعادله تكريم لنص التوراة الأصلية ، التي لا يمكن أن تتعارض مع القرآن ، لأن الله لا يجوز عليه بحال أن يتناقض في أخباره ، أو يفرض على الناس أصول العقائد في دين ، ثم ينقض هذه الأصول في دين آخر ، وغير ذلك من آى القرآن كثير ومن يريد الوصول إلى الحق فليلتزم بمنهج البحث والنظر الصحيح .

وكما يقرن التوراة بالقرآن ، يقرنهما بالإنجيل ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ . . ﴾[1] ويثنى على الإنجيل : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[2] .

بل يأمر بالحكم به فيقول : ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾[3] .

والمنصف يرى ذلك من عظمة القرآن وعدله ، وإنصافه للرسل والرسالات .

وبمطالعتنا للتوراة والإنجيل نجد الحقيقة ضائعة بين المتناقضات في النصوص والأباطيل الظاهرة البطلان ، يضاف إلى

---

(١) آل عمران : ٣ .
(٢) المائدة : ٤٦ .
(٣) المائدة : ٤٧ .

ذلك ضعف الأسلوب ، نتيجة الترجمة السيئة عن اللغـــة الأصـــلية ، ونرى أنفسنا ونحن نقرأ فيهما أن أسلوبهما يخلو من طلاوة العبارة ، ومن التركيز على العظة والعبرة كما ترى ذلك واضحاً في قصـــص القرآن الكريم ..

واليهود قد اختلفوا في كتابهم ، والنصارى مـــن بعـــدهم أشـــد اختلافا ، وسنرى تفصيلا لذلك بعد قليل ، ولهذا يخطئ من يـــرى أن القصة في القرآن مثلها عند أهل الكتاب ، فالموازنة بينهما تثبت الخطأ الشنيع لدى من يحتجون بالتوراة والإنجيل ، في كثير من الأحيـــان ، من الشرقيين والغربيين ثقة منهم بصلة القرآن بهما ، ونسيانا لآيـــات كثيرة ، نعت عليهما الاختلاف والتناقض ، بل صححت لهما معلومات كثيرة ، والحق أنهما ثقة ، إذا لم يعارضهما القرآن ، ونحن لا نـــدعى أن الكتابين قد فقدا أولا نقول كذلك : إنهما موجودان ، وإنما نقرر مـــا قرره القرآن فيها بالتحريف والتبـــديل عـــن طريـــق إضـــافة الآراء البشرية، والتواريخ التى لا صحة لها ، وتبديل بعضها بآخر ، وحذف ما لا تهواه أنفسهم .

وبالنظرة إلى العهد القديم ، نجد كثيرا من قصـــص الأنبيـــاء ، وغير الأنبياء ، وكثير من هذا القصص مـــذكور فـــي القـــرآن مـــع المفارقات الكبيرة بينهما ، وقد لاحظت أن هذه الكتب لم تهتم بـــأمور لازمة الذكر ، وقد أكثر منها القرآن ، كما اهتمت بأمور غير لازمـــة لم يذكرها ، مثال الأول :-

أ – إنهاء العالم الدنيوى .

ب – الحساب يوم القيامة .

جـ– ذكر الجنة .

د – ذكر النار .

وإذا ذكر فى التوراة والإنجيل شئ من هذه الأمور الأربعــة ، فهو ضئيل جدا بالنسبة لحجم كل منهما ، وبالتالى لما ذكــره القــرآن عنها ، وهذا راجع إلى انغماس اليهود في الدنيا ، وعدم حــبهم لــذكر الآخرة ، وذلك طبعهم منذ القدم ، وأما النصارى فليس فــي كتــابهم صورة صحيحة عن هذا العالم الأخروى .

ومثال الثانى كثرة التفصيلات والتفريعات التى لا تفيدنا كثيــرا في العبرة والعظة .

وبهذا حوت التوراة كما حوى الإنجيــل ، الحــق والباطــل ، ومعارضة القرآن ذاته ، من حيث إنه صدق لا شبهة فيه ، وقد وقــع في التوراة من وصف الله ورسله ما لا يليق بهم ، بينما القرآن نزه الله ورسله عما لا يليق بهم ، عقلا ونقلا ... فأى الكتابين أهدى سبيلا ؟؟ !!

إلى غير ذلك من الدعوة إلى التفرقة العنصرية ، بادعائهم أنهم أفضل من سائر البشر ، ولا يمكن أن يصدر عن الله كلام يتنافى مــع الفطرة ، أو يخالف المعقول أو يناقض القرآن ...

تقرأ في التوراة ما يفيد أن الله يدبر المكايد لبنى إسرائيل ؛ لأنه يخشى أن تصبح لديهم القدرة على عمل كل ما يريدون [1]. ويقولون : إن الله تأسف في قلبه ، وندم على إبداع الخلق ، وأن الله قال : "أمحو عن وجه الأرض الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنى حزنت أنى عملتهم[2] " وفى صمويل : " وقال الرب لصمويل ندمت على أنى قد جعلت شاؤل ملكا "[3] .

وهكذا ترى صفات البشر ، يطلقونها على الله تعالى ، وجهلوا أن الندم نقص ، محال عليه ، وقدنا قضوا أنفسهم فقالوا : في سفر العدد : " ليس الله برجل فيكذب ، ولا ابن الإنسان فيندم "[4].

والتناقض واضح في هذه النصوص ، مع قولهم إن الإله خاص بهم دون سواهم إذ كيف يكون إلههم وحدهم ، وهم أحباؤه ، ثم يبخل عليهم بالسعادة ، وسعة الرزق ، والسلطان في الأرض ، وهذا جنوح بالعقيدة إلى خطأ جسيم ، كما جنح المسيحيون بعقيدتهم في الإله فجعلوه إنساناً " !!

ونظرة اليهود إلى الجانب المادى تطغى على أى جانب روحى ، نرى ذلك من خلال القصة المسرودة في كتبهم ، فهم لم يقولوا عن إبراهيم مثلا : إنه بلغ رسالة ربه كما ينبغى ، وعليهم أن يتبعوا ملته الحنيفية ، وإنما يقولون عنه : إنه كان " غنيا جدا في

---

(١) سفر التكوين اصحاح ١١ .
(٢) تكوين ٦ / ٦ .
(٣) اصحاح ١٥ فقرة ١٠ .
(٤) باب ٢٣ / ٩ .

المواشى والفضة والذهب "[1]. كما يقولون عن لوط : إنه كـان لـه أيضا غنم ، وبقر ، وخيام، حتى ضـاقت بهـا وبرعاتهـا الأرض ، فتفـرق إلى كل وجهـة "[2] – كمـا يقـولون عن سليمان : كان له " أربعون ألف مزود ، واثنا عشر ألف فارس "[3].

وكأنه لا يعنيهم في إبراهيم ، ولوط ، وسـليمان إلا الثـراء ، الذى لا حدود له كما أنه لا يعنيهم ، رحلة إبراهيم ، وإسماعيل عليهما السلام وأمه هاجر وقد أسكنهما الخليل وادياً غيـر ذى زرع ، عنـد البيت الحرام وهدفهم من ذلك إبطال رسالة سيدنا محمد عليه الصـلاة والسلام...

وليس لليهود توراة يقدسونها فقط ، بل لهم كتاب آخـر محـل تقديس يدعى " التلمـود " وهو شـروح وتعليقـات علـى التـوراة ، وفيه مسلكهم نحـو الله ، والإنسان ، بغـرور وصـلف ، لا حمـق بعده...

فهم يزعمون أنه قد وصلت إليهم – غير التوراة – معلومـات أخرى عن طريق الرواية اللسانية ، من مشايخهم جيلا بعـد جيـل ، وليست هذه المعلومات أقل من التوراة ، بل هى أفضل منها ، وهـى واجبة التسليم ، وقد جمعوها في كتاب أسموه " المسـناه " ويقولـون عنه: إنه بمنزلة الروح لجسد التوراة ، ولذا فمن ينكره فهو متعصـب جاهل، وقد شرحوا هذه المعلومات وأسموا ذلك كله " التلمود " ومعناه

---

(١) تكوين ١٣ / ١ .
(٢) تكوين ٥/١٣ .
(٣) الملوك الأول ٢٦/٤ . والمزود : وعاء الزاد . المعجم الوسيط ٤٠٦/١ .

": تعليم ديانة اليهود وآدابهم " ، وهم يتعصبون للدفاع عن التلمود إلى حد أن قالوا فيه:" إن تعاليم " الحاخامات " لا يمكن نقضها ، ولا تغييرها ولو بأمر الله "(١) .

أرأيت خطأ أكثر من تقديم أقوال مشايخهم ورؤسائهم على أقوال الله ورسله ؟ كما ادعوا فيه أن العصمة ليست من صفات الله ، وأن غير اليهود يدعون الكفرة والأنجاس ، وفيه : أن الله قد غضب مرة على بنى إسرائيل ، فاستولى عليه الطيش ، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، لكنه ندم بعد أن هدأ غضبه ، ولم ينفذ قسمه ، لأنه فعل ما هو ضد العدالة ، ومع ذلك يقولون : إن اليهود جزء من الله ، ولذا لو ضرب أمى إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ؛ إذ اليهود أرفع منزلة من الملائكة "(٢) .

وإذا كانوا يفضلون أقوال " الحاخامات " على الأنبياء فذلك لأن الأنبياء عندهم غير معصومين ، وكيف لا يكون الله معصوما من الخطأ في نظرهم ثم يعصم الأنبياء ؟ !!

ولذا يقولون عن السيد " المسيح " : إنه في لجات الجحيم بين القار ، والنار ، وأنه قد جاء عن طريق الخطيئة من أمه " مريم " بالزنا من العسكرى بندارا "(٣) .

أرأيت إفكا وزوراً أعظم من هذا الإفك ، الذى يبطله المعقول والمنقول ؟!!

---

(١) من التلمود ص٢٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(٢) من التلمود ص٤٣ .

(٣) التلمود ص١٣ .

أيمكن أن يكون هذا كلام الله ؟ وهل تتناقض شرائعه ؟ فيقـــرر في كتاب منزل : المساواة بين الناس ، ثم يفرق بينهم في كتاب آخـــر – وهذه النصوص إن دلت على شئ ، فإنما تدل على صفات نفســـية متأصلة في الشعب اليهودى ، تحت رغبـــة التعـــالى علـــى الغيـــر ، والسيطرة على مقدسات الشعوب الأخرى ...

ولا غرابة فى فالتمرد من طبيعتهم قديما ، فقد افتـــروا علـــى يعقوب – عليـــه الســـلام – وهـــم أول جيل منه ، وكـــذبوا عليـــه ، حينما تآمروا على " يوسف " عليه السلام وأرى لذلك أن كل ما خالف القرآن مما لدى اليهود من كتب ، وكـــذلك النصارى من الاســـتخفاف بصفات الله ، وعدم الاعتراف بعصمة الأنبيـــاء ، أو تعـــاليهم علـــى غيرهم من البشر ، أو ما ادعاه النصارى من التثليث ، كل ذلك لـــيس كتبا منزلة من السماء ، فضلا عن كونها لا سند لها ، ولا تتفـــق مـــع العقل .

أصل التوراة

التوراة كلمة عبرية معناها : الضياء ، والنور ، ويؤيده الآيـــة الكريمة ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾[1] واشـــتقاقها مـــن التوريـــة تعسف...

وليس للتوراة الحديثة التى بين أيدينا سند آحادى ، فضلا عـــن أن يكون متواتراً ، وعلى ذلك فهى فى رتبة المظنون الذى لا يغنـــى من الحق شيئا .

---

(١) انظر مفردات الراغب ص١١٤ وسورة المائدة آية ٤٤ .

وقد ضاعت التوراة الأصلية من اليهود ، بسبب الكوارث التى لحقت بهم " فبختنصر " قتلهم قتلا عاما ، وأسر أطفالهم وظلوا سبعين عاما فى الأسر ، وكان ذلك فى سنة ٥٨٩ ق.م ، ولم يكن أحد يحفـظ التوراة من اليهود ، وبعد ثلاثين عاما من السبى ، أحيا الله " عزيرا " وكتب لهم التوراة إلهاما فى زعمهم ، ولم يتفق اليهود على ذلك ، فقد زعم بعضهم أن كتب العهد العتيق وصلت إليهم عن طريق أنبيـاء الله قبل " عيسى " ... وهذا الزعم لا دليل عليه ، ومن حقنـا أن نقـول لهم: " إما أن يكون " عزير " نبيا ، أو غير نبى ، فإن كان نبيـا فـإن الأنبياء عندكم يرتكبون الكبائر ، فعزير فى نظرهم ليس معصوماً من الخطأ ، كما أنه ليس معصوما من النسيان ، والتغيير ، والتبديل ، وإن لم يكـن نبيا فمن باب أولى يجـوز عليـه النقصـان ، والزيـادة ، والتحريف ، والتبديل فيها .

والحق أن عزيرا ليس على نبوته دليل قاطع ، ورجـل يكتـب التوراة عن ظهر قلب لا يعتمد عليه باعتباره خبرا لواحـد ، وخبـر الواحد مرفوض فى الاعتقادات ، وخاصة إذا ضـم إليـه التنـاقض الصريح.

ولو سلمنا أن عزيرا كتبها بالإلهام ، وأنها صحيحة ، فإنها قـد ضاعت مرة أخرى ، بعد رفع عيسى إلى السماء ، حينما غـزا ملـك فارس بنى إسرائيل وأشبعهم قتلا ، فأقبل علماؤهم يجمعونها من هنـا وهناك ، وذلك يعرض الكثير منها للضياع ، ومن الخطأ البين إثبـات مظنونات لا تعتمد على أساس علمى صحيح . والقـارئ أول سـورة

الإســراء يرى الحادثتين ثابتتين فى القرآن الكــريم ، الأولـــى قبــل الميلاد ، والثانية بعد الميلاد ، ولو أن أحداً يقول إننى أحفظ صــحيح البخارى ولم نجد من يصدقه فيما يقول ما قبلنـــا دعـــواه ، ولـــو أن علماءهم فى الجمع الثانى لم يخطئوا ، لما وجدنا خلافا لدى اليهـــود ، حتى رفضوا ثم أقروا ، ثم رفضوا ما كتبوه ...

موسى عليه السلام كان قبل المسيح بنحـــو ألـــف وأربعمائـــة سنة[1] وقد ظهر أول أسفار العهد القديم بعد عصر موسى بخمســـمائة عام ، ومعظم سفرى التكوين والخروج ، ألفا حوالى القـــرن التاســـع والتثنية فى الرابع ، والعدد فى الخامس ، واللاويين فى الرابع ، قبـــل الميلاد[2] وعلى ذلك يكون الأخير ألف بعد موسى عليه السلام بنحـــو تسعة قرون وهل يصدق عاقل أنه يمكن كتابة وثيقة صـــحيحة ، بعـــد مضى تسعمائة سنة على نفادها ... هذا إذا أضفنا ما لحق باليهود من كوارث واضطرابات تسببت فى ضياع التوراة .

هذا ونحن نقرأ فى التوراة التى بين أيدينا أسلوبا بالحكاية عـــن الغير ، فلو أنها توراة موسى لعبر عما فيها بضمير المتكلم ، فى النقل عن ربه ، أو أنها بأسلوب صادر عن الله ذاته ، يخاطب بـــه رســـله وأقوامهم ، أو تجمع بين النوعين ...

وهى تشتمل على ثمانية وثلاثين كتابا تبـــدأ بســـفر التكـــوين ، وتنتهى بملاخى النبى وقدماء المسيحية يسلمون بهذا العدد ، ما عـــدا

---

(١) إظهار الحق ص٣٨ .
(٢) إظهار الحق ج١ ، ص٤٢ – ٤٤ .

السامرية منهم ، فلا يسلمون بغير سبعة منها[1] ولذا تختلف نسختهم عن النسخ الأخرى .

ومع أن التوراة احتوت ثمانية وثلاثين كتابا ، فإنه لم يشتهر منها غير خمسة وهى :

(١) التكوين : اشتمل على التاريخ القديم ، من بدء خلق السماوات والأرض ، إلى موت يوسف عليه السلام وهو ابن عشرين ومائة عام .

(٢) الخروج : اشتمل على تاريخ خروج بنى إسرائيل من مصر إلى سيناء ، وشرح المسائل التشريعية .

(٣) اللاويون : اشتمل على تقديم القرابين ، وتنفيذ موسى أوامر الرب .

(٤) العدد : اشتمل على تاريخ خروج بنى إسرائيل من " سيناء" إلى شرق الأردن .

(٥) التثنية : اشتمل على إعادة الشريعة مرة أخرى ، بغرض تطهيرها من الداخل .

وقد عقدت مجالس فى شأن التوراة متعددة ، منها مجلس قسطنطين سنة ٣٢٥ م ، ومجلس لوديسيا سنة ٣٦٤ م وغيرهما ، ولم تتفق هذه المجالس على رأى واحد ، فيما تثبته ، وفيما تنفيه ، بل على العكس كان اللاحق ينقض ما أبرمه السابق منها .

---

(١) وهى التكوين والخروج والأحبار والعدد والاستثناء وهو شع والقضاة .

وفى سنة ١٢٠٠ هـ وبظهور فرقة " البروتستانت " ألغيت جميع أحكام هذه المجالس ، وبهذا تدرك ألا اعتماد على هذه الكتب ، إذ الحق أنها دونت تحت تأثير ظروف سياسية ، واجتماعية مختلفة .

ويجب التنبيه إلى أن كل سفر من أسفار العهد القديم فيه خلاف مستقل فسفر " عزرا " عند بعض الكنائس واجب التسليم ، وعند البعض الآخر هو من الأكاذيب المصنوعة .... وكذلك كل منها جرى فيه الخلاف ، مما يدل على التشكيك فى صحتها ونسبتها إلى سيدنا موسى – عليه السلام – .

تحريف التوراة

القرآن الكريم ثبت لدينا بالتواتر القطعى ، ويعد وثيقة تاريخية ، جمعت بأدق الأساليب العلمية ، وقد بذل الصحابة رضوان الله عليهم جهدا مشكورا فى هذه السبيل ، وعلى هذا فما يصدقه القرآن نقطع بصدقة ، وما يكذبه نقطع بكذبه ، وقاعدتنا: أن كل ما يخالف القرآن من كتب العهد القديم ، ليس منزلا من عند الله ، ولا يقال : إن القرآن قرر أن الله أنزل التوراة ، فكيف تنكرونها ؟ وهم إن قالوا ذلك – وقد قالوه – قلنا إن ما قرره القرآن حق ، ولكن أين التوراة التى تحدث عنها القرآن . وإذا كان القرآن قد أقر بها فعلا ، فقد أقر فى الوقت نفسه بأنها حرفت . وفى سفر التثنية من التوراة ذكر موت موسى عليه السلام ، ودفنه ونصه " فمات هناك موسى ، عبدالرب ، فى أرض موآب " [١].

---

(١) التثنية اصحاح ٣٤ فقرة ٥ .

فهل ذكر موسى ذلك حقاً ؟؟ وإليك الأدلة العلمية على تحريف هذه الأسفار .

وقبل أن نسوق هذه الأدلة نعرف معنى التحريف :-

قال الراغب : " تحريف الشـئ إمالتـه ، كتحريـف القلـم ، وتحريف الكلام : أن تجعله على حرف من الاحتمال ، يمكـن حملـه على الوجهين " [١].

ويفهم من هذا أنه تغـيير ، وعدول بالكلام عن جهته ، ويفرق بينه ، وبين التبديل ، بأن الأخير جعل شئ مكان آخـر ، وقـد يقـال للتغيير مطلقا ...

قال تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ [٢]

وعلى ذلك فالثانى أعم من الأول وله صور :-

أ) نقص فى الكلمات .

ب) زيادة فى الكلمات .

جـ) إظهار بعض الكلام وإخفاء بعضه .

د) حمل الكلام على غير معناه .

وهذه الصور وقعت فى التوراة ، وذلك بسبب الأحداث التـى لحقت بها فى عصورها المختلفة ، وإن سلمنا معهم بأن التوراة أملاها " عزير " فليس هناك من دليل على نبوته ، إذ ليست محل قطع ، وهم

---

(١) مفردات الراغب ص١١٤ .
(٢) الأعراف ١٦٢ .

لا يثبتون عصمة الأنبياء ، ولا تسلم توراتهم لما اختلف عليهـا مـن التغيير والتبديل .

وهذا رد إجمالى ، أما التفصيلى فيمكن بيانه فيما يلى :-

أولاً :

يقرر القرآن فى أكثر من آية أن أهل الكتاب حرفـوا التـوراة كقوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِه ﴾ وقد ذكـرت فـى القـرآن الكريم مرتين[1] وقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2] وقوله : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3] إلى غير ذلك من الآيات. والنعى عليهم يظهر من قولـه : "فويل لهم " وتكرارها ثلاث مرات ، والويل لا يكون إلا لأمر منكر ..

ثانيا :

روى البخارى قال : قال رسول الله ﷺ كيـف تسـالون أهـل الكتاب ؟ ؟ وكتابكم القرآن الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحـدث : " أقرب نزولا إليكم " تقراونه محضاً خالصا لم يخلط ، ولا شائبة فيـه"، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبـوا بأيـديهم الكتاب ، وقالوا: هو من عند الله ، ليشتروا به ثمنا قليلا ، ألا لا ينهاكم

---

(١) النساء ٤٦ والمائدة ١٣ .
(٢) البقرة ٧٩ .
(٣) البقرة ٧٥ .

ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله ما رأينا منهم رجلا ، يسألكم عن الذى أنزل عليكم "[1].

وقد بذل الإمام البخارى وحده فى سند هذا الحديث جهودا لم تصل إليها جهودهم مجتمعين فى سند التوراة بأكملها . لذا فالحكم عليه بالصحة وعلى التوراة بالضعف والتحريف غير مستبعد .

والحديث صريح فى التبديل إشباعا لرغبة دنيوية ، ليحققوا مطامع ذاتية على حساب الدين .

ثالثا :

حدثت خلافات حققها علماؤهم ، بين النسخ المختلفة ، وقد قسم أحد محققيهم هذه الخلافات إلى ستة أقسام :-

القسم الأول – اختلافات فيها النسخة السامرية أصح من العبرانية ، وهى أحد عشر اختلافا .

القسم الثانى – اختلافات يقتضى السياق ، والقرينة فيها أن السامرية أصح ، وهى سبعة اختلافات .

القسم الثالث – اختلافات توجد فيها زيادة فى السامرية ، وهى ثلاثة عشر اختلافا .

القسم الرابع – اختلافات فيها حرفت السامرية بفطنة وذكاء ، وهى سبعة عشر اختلافا .

القسم الخامس – اختلافات فيها السامرية ألطف مضمونا ، وهى عشرة اختلافات .

---

(١) البخارى : عن ابن عباس : كتاب الشهادات ، وكتاب الاعتصام ، وكتاب الرد على الجهمية. وفى القسطلانى كتاب الاعتصام .. و انظر الحديث في عمدة القارى شرح صحيح البخارى جـ٢٥ ص٧٥ .

القسم السادس – اختلافات فيها السامرية ناقصة ، وهما اختلافان[1] .

ومن هذا نرى أنه قد وقع بين نسختين : اثنتان وستون اختلافا ، فإلام يصل الخلاف بين عامة النسخ ؟؟ !!

وليس هذا كلامنا ، حتى لا يظن فينا التعصب ، وإنما ذلك كلام المحققين المنصفين من علمائهم .....

رابعًا :

طبيعة الشعب اليهودى فى تعامله مع الله ورسله ، تفرض علينا القول بأن هذا الشعب يرفض الاستسلام لأوامر ونواهى خارجة عن طبيعته ، حتى لو كانت صادرة عن الله تعالى . فقد سبق [2] قولهم : إن أقوال الحاخامات لا تبدل ، حتى لو كان التبديل من الله ، وتمردهم على موسى – عليه السلام – ثابت فى الكتاب الذى بين أيديهم ، كما هو ثابت فى القرآن الكريم .

وقد عرفوا قديما وحديثا بأنهم قتلة الأنبياء ، وذكر القرآن الكريم ذلك عنهم فى سبع مواضع[3] ، بل كتابهم نفسه يشهد عليهم بذلك .

---

(١) إظهار الحق جـ٢ ص٦٠ .

(٢) انظر الرسالة ص٢٥٧ .

(٣) هى قوله تعالى : " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق " البقرة ٦١ وقوله : " أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون " البقرة (٩١) وقوله : " إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق " آل عمران ٢١ وقوله : " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق " آل عمران ١١٢ ، وقوله : " سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق" آل عمران ١٨١ . وقوله : " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق " النساء ١٥٥ .

واقرأ " نحميا "[١] و " عبرانيين " من العهد القديم[٢] ومتى[٣] من العهد الجديد ففيها جميعا ما يثبت قتلهم لأنبياء الله ،وسر ذلك أن الرسل أرادوا أن يخلصوهم من المادية القاتلة ، والاستغلال الممقوت ، ولكنهم يأبون إلا ما تهوى أنفسهم ، من جمع المال، وأكل السحت .

وإذا كانت تلك طبيعتهم – وما أسوأها من طبيعة – أفنستبعد عليهم بعد ذلك تحريف كتابهم .

ومما يدل على تأصل طبيعة التحريف فيهم ، ما ثبت من تحريفهم للقرآن حديثا ، وطبعه في مصاحف تحمل الشعار الإسرائيلي ، وإهدائه إلى شعوب إفريقيا وآسيا ، وبعض بلاد أوربا ، بعد أن حذفوا ما قضت مصلحتهم حذفه .

خامساً :

في تفسير العهد القديم " لهارسلي " وفي مقدمته لكتاب " هوشع" النبي ، قال : " إن المتن المقدس حرف ، لا ريب فيه ، وظاهر من اختلاف النسخ ، لأن العبارة الصحيحة في العبارات المختلفة لا تكون إلا واحدة ، وهذا الأمر مظنون ، بل أقول: قريب من اليقين ، إن العبارات القبيحة جدا ، دخلت في بعض الأحيان في المتن المطبوع ، لكن لم يظهر لي دليل على أن التحريفات في كتاب " هوشع " أكثر من سائر كتب العهد العتيق "[٤].

---

(١) أصحاح ٩ فقرة ٢٦ .
(٢) أصحاح ١١/٣٧ .
(٣) أصحاح ٢٣/٣٥ .
(٤) إظهار الحق جـ١ ص٢٢١ .

نرى فى هذا النص تأكيد التحريف بدليل قوله : " لا ريب فيه " والدليل على ذلك اختلاف النسخ ، فى العبارات ، بل قد دخلت فى النص عبارات قبيحة جدا ، بنص قوله ، وهذا التحريف فى سائر الكتب، ولم يسلم منها كتاب واحد قط .

سادسا :

المشهور لدى اليهود نسخ ثلاث من التوراة هى :-

أ) **العبرانية** : وهى معتبرة لدى اليهود ، وعلماء " "البروتستانت " حديثا ، وكانوا يعتقدون تحريفها قديما .

ب) **اليونانية** : اعتبرت إلى القرن الخامس عشر .

جـ) **السامرية** : معتبرة لدى السامريين ، ومشتملة على سبعة كتب لا غير . وهى الخمسة المنسوبة إلى سيدنا موسى ، ثم " هوشع " " والقضاة " ، وهم لا يسلمون بغيرها من الكتب الأخرى ، وهى تزيد على " العبرانية " بفقرات وألفاظ كثيرة ، ومحققوا العلماء يعتبرونها أقل صلاحية من النسخ العبرانية ، مع ثقتهم كذلك أن اليهود ، قد حرفوا العبرانية .

تأمل كيف تكون التوراة صحيحة ، مع هذا الاختلاف والزيادة فى البعض دون البعض الآخر ، وطعن العلماء فى بعض النسخ دون

بعض ، وثقة بعض الطوائف فى نسخة واحدة ، دون بقيـــة النســخ ؟ ذلك ما لا يقول به عاقل .

وحيث ثبت بالدليل العلمى تبديل التوراة ، فنحن فى حــل مــن الرفض ، وأشد ما يكون الحذر فـــى معلومـــات التـــوراة عـــن الله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، فإنها أمور اعتقادية ، لا يسلم فيها بغيـــر اليقين ، الموافق للقرآن الكريم .

وسترى مدى الخلاف بين هذه النسخ وبين القرآن الكريم فـــى الكلام على :

القصة فى التوراة :-

نقرأ فى الكتب التى بين أيدى اليهود ، والتى يطلقون عليها اسم " العهد القديم " ويعنون به " التوراة " ، وإن كنا لا نسلم بما فيها مـــن عناصر لا علاقة لها بقصص الأنبياء .

ويلاحظ أن بعض قصص التوراة ، لم يذكر فى القرآن أصلا " كصمويل " و " هوشع " النبيين ، وكذلك " شاول " الذى كان ملكا فـــى عهد " داود " – عليه السلام – كما لم تذكر بعض الأنبياء الذين ذكروا فى القرآن الكريم مثل سيدنا " هود " وســـيدنا " صـــالح " – عليهمـــا السلام – ، مع أن بنى إسرائيل كانوا يعلمون يقينا أخبار عاد الأولى ، والثانية ، وترى ذلك فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه الســـلام :

﴿ وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ * أَلَمْ يَأْتِكُمْ

﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾(١) .

ففـــى هذا النص الكريم ما يؤكد معـــرفتهم بنـــوح ، وعـــاد ، وثمود ، وغيرهم ... وكاتبوا التوراة قد تركوا ذكر " هود وصالح " – عليهما السلام – دون نوح – لأنهم أجداد العرب ، حسداً منهم لرسول الله ﷺ .

يقول ابن كثير القرشى : " ولكن لما كانت هاتان الأمتان مـــن العرب ، لم يضبطوا خبرهما ، ولا اعتنوا بحفظه ، وإن كان خبرهما مشهوراً فى زمان موسى – عليه السلام – "(٢) أما تـــركهم لغيرهمـــا فناشئ عن هوى فى نفوسهم .

وتركهم لقصص غير الأنبياء ، مع ذكرها فى القرآن ، مثـــل: أهل الكهف ، وذى القرنين مع أنهما منذ زمن بعيد ، وكانوا يعلمـــون أخبارهما قطعاً ، وقد سألوا رسول الله ﷺ عن ذى القـــرنين ، وأهـــل الكهف ، وعدم ذكر هذه الأخبار وغيرها فى كتبهم دليل على عبـــثهم بها ، أو أنهم نسوا حظا مما ذكروا به ، كما نص على ذلك كتابنا .

ومن الأنبياء الذين ذكروا فى " التوراة " آدم ، نوح ، إبراهيم ، لوط ، إسماعيل ، إسحاق ، يعقوب ، يوسف ، موســـى ، وهـــارون ، وداود ، وسليمان ، وأيوب ... كما نقرأ فيها " إدريس " باسم " خنوخ" و " يونس باسم " يونان " .

---

(١) إبراهيم ٩ .
(٢) البداية والنهاية ص١٣٢ .

ويجب التنبيه على أن داود ، وسليمان ، وأيوب ، ليسوا في التوراة الأصلية قطعا إذ زمنهم متأخر عن زمن موسى – عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

ونرى أن أسلوب كتابة هذه القصص لم يصل إلى درجة من المتانة ، بحيث نستطيع القول بأن العقول التي أملت هذه المعلومات لا تتصف بالذكاء والحصافة .

ولو أن هذه الكتب قد ترجمت عن لغة أخرى ، لكن الترجمة غير أمينة ، وغير دقيقة ، بحيث نقول : " إن القوم كانوا يختارون اللفظ المناسب ، للغة الأصلية ، كما نرى من قراءة هذه الكتب أنها غير مسوقة للعظة والعبرة ، وإنما هي حكايات غير منظمة ، وكثير منها لا يقره العقل والمنطق .

وهي تعنى عناية كبيرة بالترتيب الزمني ، مما يشير إلى وجه شبه بينها وبين كتب التاريخ ، ولو أننا نجد في معظم كتب التاريخ دقة ، ومستوى أرفع مما فيها من معلومات وأسلوب .

وإليك أمثلة تبين الاختلاف في نسخ التوراة .

	العبرانية	اليونانية	السامرية
أ – الزمن من عهد آدم إلى الطوفان	١٦٥٦	٢٢٦٢	١٣٠٧سنة
ب– زمن ولادة نوح بعد آدم	٠١٢٦	٠٧٣٢	٠٠٠٠سنة
جـ– من الطوفان إلى ولادة إبراهيم	٠٢٩٢	١٠٧٢	٩٤٢سنة

وذلك خلاف فاحش كما ترى ، ومن هنا لم يعتمد محققوا المسيحية هذه النسخ الثلاث ، ولم يستطيعوا الدفاع عن هذا الخطأ .

د - بالاطلاع على حياة سيدنا نوح عليه السلام ، في العهد القديم ، نجد سفر " التكوين " يقرر أنه عاش خمسين وثلاثمائة عام[١] بعد الطوفان ويكون نوح بذلك أدرك من عمر إبراهيم - عليهما السلام - ثمانية وخمسين عاماً ، حيث ذكرت النسخة العبرانية ، أن الزمن بينهما هو اثنتان وتسعون عاما بعد المائتين ، وهذا ما لم يقل به مؤرخ.

وكيف ينزل الله كتابا يتناقض مع الواقع التاريخي ، وإن مؤلفا يحترم عقله ، لا يكتب بهذا المنهج الخاطئ ، المتعثر ، فكيف بالله الذى يعلم السر وأخفى ؟ !!

ولذا نرى أحد محققى علماء المسيحية يقول بعد أن رفض هذه التواريخ ، ولم يعتمد عليها لخطئها : " إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية ، فى بيان زمان الأكابر ، الذين قبل زمن الطوفان وبعده ، إلى زمن موسى - عليه السلام - " .

ويعلل هذا التغيير بوصمة فى جبين اليهود فيقول :-

" وتعمدوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحى "[٢] .

أى أن تعمد الخطأ كان لسببين :-

---

(١) باب ٢٨/٩ .

(٢) انظر إظهار الحق جـ١ ص١٦٠ والمحقق هو " هنرى واسكات " في القرن الرابع الميلادى.

أولهما :- طمس معالم النسخة اليونانية ، لما فيها من مبادئ لا تتفق وأهواءهم .

ثانيهما :- لأنهم غير مقتنعين بالدين المسيحى ذاته .

وحينما نوازن بين القصص القرآنى ، وقصص العهد القديم ، بما زيد فيه ، ونقص منه ، نجد مضمون القصة يختلف فى كل منهما عن الآخر ، وكثيرا ما تكون زيادات فى كتاب اليهود ، مشتملة على أباطيل وتناقضات صريحة ، مع كتاب الله عز وجل ، كما نرى إغفال جوانب ذكرها القرآن .

ولا يقال : إن فيها نسخا ، فالأخبار لا تنسخ ، كما لا يقال : ذكر فى أحد المواضع ، ما لم يذكره الآخر ، فذلك لأن الجانب الذى اختلفت فيه القصتان واحد .

وإليك تفصيلا لهذا الإجمال :-

(١) **آدم عليه السلام** :

لم تذكر التوراة عنه أن الله علمه الأسماء ، مع أن التعليم اختبار من الله للملائكة وإظهار لمكانته عليه السلام أمامهم ، وقد استأثر بذكره القرآن .

ولم تذكر أمر الله للملائكة بالسجود لآدم .. مع أنه اهتمام بشأن أبى البشر ، ولعلهم كانوا لا يعتقدون أفضلية أحد عليهم حتى آدم عليه السلام .

كما لم تذكر توبته ، ولذا يعلق صاحب كتاب " طريق الأولياء " فيقول : " إن آدم أذنب عمدا ، ولم يعترف بذنبه ، لما طلب الله منه

الاعتراف " ويضيف " يا أسفى على أنه لم تثبت توبته ، وعلى أنه ما استغفر لذنبه مرة واحدة " [1].

وهذا جهل بالحقائق التى نص عليها القرآن ، والتى تفيد توبته عليه السلام : قال تعالى : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [2] .

وتذكر التوراة أنه كان فى جنة فى الدنيا ، هى جنة " عدن " وظاهر القرآن غير ذلك ، وكذلك ما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وأبى مالك الأشجعى ، عن ربعى ، عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : " يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون ، حين تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : ياأبانا : استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ؟ "[3] . والقاعدة أن المعرفة إذا أعيدت معرفة ، كان الثانى عين الأول .

وتقول التوراة : " إن آدم وحواء – عليهما السلام – كانا عريانين ، ولم يخجلا ، والله يقول فى شأنهما ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ [4] وهذا يفيد أن الأمر ليس كما ذكر فيها .

---

(١) إظهار الحق ج٢ ص٢٠٨ ، ٢٠٩ ومؤلف " طريق الأولياء " (هذا الكتاب) هو القس " وليم اسمت " بروتستنتى ط الهند سنة ١٨٤٨ .
(٢) البقرة ٣٧ .
(٣) كتاب الإيمان الجزء الأول ص١٨٦ رقم ٣٢٩ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى ط عيسى البابى الحلبى .
(٤) الأعراف ٢٧ .

كما يقول : إن الشجرة التى منعا من الأكل منها هـى شـجرة معرفة الخير والشر ، وتابعها فى ذلك الرأى " محمد إقبال "[1] .

والحق أنها شجرة محسه لكنها غير معينة فى القرآن والسنة ، وقد أثبت القرآن أنهما أكلا منها ، مما يرشح أنها محسوسـة ، وهـذا ينفى ما فى التوراة من أنها شجرة معنوية . ونصها :

" وأما شجرة معرفة الخير والشر ، فلا تأكل منها ، لأنك يـوم تأكل منها موتا تموت "[2] .

والمعروف عن طريق القرآن أنه عليه السلام لم يمت بمجـرد الأكل منها ، وإنما أمره الله بالهبوط من الجنة ، وتاب إليـه وقبلـت توبته ...

(٢) نوح عليه السلام :

أغفلت التوراة فى قصته دعامتين :

الأولى : جوهر الرسالة ، وهو الدعوة إلى التوحيد .

الثانية : معارضته – عليه السلام – ومجادلته لقومه .

وهاتان الدعامتان من صميم دعوته ، وإغفال التوراة لهما أثـر من آثار التغيير والتبديل ، الذى لحقها على أيدى أصحاب الأهـواء ، ولعل الباعث لهم على ذلك ، هو تلك العقدة التى استقرت فى نفوسهم باستئثارهم بالإله واستئثار الإله بهم .

---

(١) تجديد التفكير الدينى ص١٠٢ .
(٢) تكوين ١٧/٢ .

وفى شأن بناء السفينة ، نرى سفر التكوين ، يشير إلـــى أن الله أمره أن يحمل من كل ما يؤكل سبعة أزواج ، ومما لا يؤكل زوجين ، ذكـــر ، وأنثى ، ومن البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة ســبعة ذكــر وأنثى ، ومن البهائم التى ليست بطاهرة ، اثنين ذكر وأنثـــى ، ومـــن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكر وأنثى ، لاستبقاء نسل على وجـــه الأرض" [1].

وهذا مخالف لصريح القرآن الذى يقول : ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾[2] وظاهر النص أن المحمول زوجان مـــن كـــل نـــوع ، والقرآنولم يفصل ما يؤكل مما لم يؤكل . وقوله : " من كل " إشارة إلى كل كائن حى . فدل ذلك على أن المحمول زوجـــان مـــن الجميع ...

وإذا كان نص التوراة يدل على أن المأمور به ، ســبعة مـــن البهائم الطاهرة ، ومن طيور السماء كذلك ، ومما ليس بطاهر اثنان لا غير ، فإن نصا آخر يحكى ما فعله نوح يقول كاتبوه : " ودخلت إلـــى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد ، فيه روح حياة ، والـــداخلات دخلت ذكرا وأنثى ، من كل ذى جسد كما أمره الله "[3] .

وفى هذا موافقة للنص القرآنى ، وتعارض ظاهر لما ذكرتـــه التوراة أولا .

---

(١) تكوين ٧ من ١- ٣ .
(٢) هود ٤٠ .
(٣) تكوين ٧/١٣ – ١٦ .

والقوم لم يفطنوا إلى هذا التعارض ، فالأول سبعة واثنان ، والثانى اثنان لا غير ، من كل ما فيه حياة ، والأول يفيد أنه أمر من الله أما الثانى فهو تنفيذ الرسول لأمر الله ....

ويقرر القرآن أن نوحا نادى ابنه ، وكان فى معزل عنه قائلا فيما يحكيه الله عنه : ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾[1] وفى آية أخرى يقول تعالى :- ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿ ٤٥ ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[2] .

ولكن التوراة تذكر أن أولاد نوح جميعا ، دخلوا السفينة ، ولم يغرق واحد منهم[3] ، ثم تهمل شأن ابنه الذى عصاه ، والمفسرون يقولون : إنه يدعى " كنعان " وتقول التوراة : إن " كنعان " بن حام[4].

ومن هنا ترى القرآن أكثر توضيحاً وبياناً ، كما أنه يفصل الحق بدون تعارض نصوصه ، مثلما تراه فى التوراة .

---

(١) هود ٤٣ .
(٢) نفس السورة ٤٦ .
(٣) تكوين أصحاح ١٩/٩ .
(٤) المصدر نفسه .

(٣) إبراهيم عليه السلام :

يثنى الله على إبراهيم – عليه السلام – فـــى القـــرآن كثيـــراً فيقول: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [١] ويقول : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [٢] ويقول : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [٣] ، ويأمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام بأن تتبع ملتـــه فيقـــول : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [٤] إلى غير ذلك من الآيات .

نجد ذلك فى القرآن الكريم ، والتوراة تصمه بوصمة هو بـــراء منها فيقول مؤلفوها عنه : إن إبراهيم تربى فى الوثنين ، ومضى أكثر عمره فيهم ، ويحتمل أن إبراهيم كان يعبد الأصنام كأبويه " [٥].

والعجب أنهم يقولون : إن الحاخامات والقساوسة معصـــومون من الخطأ طول حياتهم ، فكيف يكون إبراهيم عليه السلام أقـــل شـــانا منهم ؟ !!

ويخالف كتابهم القرآن الذى يقول : إن الملائكة جـــاءوا إليـــه بالبشرى بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، ومع هـــذه البشـــرى قالوا: إنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط ، ولم يذكر القرآن عددهم ، غيـــر أنه بين أن الوفد جاء من أجل الأمرين : البشارة والإهلاك .

---

(١) البقرة ١٢٤ .
(٢) النجم ٣٧ .
(٣) النحل ١٢٠ .
(٤) آل عمران ٩٥ .
(٥) تكوين ٣١/١١ – ٣٣ ، باب ٣٥ /٢ ، ٤ .

ويقرر أنهم حينما دخلوا على إبراهيم عليه السلام جاءهم بعجل حينئذ ، وأنهم لم يأكلوا ، لأن الملائكة لا يأكلون نقرأ ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿ ٦٩ ﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾[1] الآيات .

وفى آيات أخرى يقول : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾[2] الآيات .

ويخالف كتابهم القرآن فيقول : " إن الملائكة أحضر لهم إبراهيم عجلا وزبدا ، ولبنا فأكلوا كل هذه الأشياء ، وأنهم كانوا ثلاثة ، وذهب منهم ملكان إلى لوط ، فصنع لهم خبزا فطيرا ، فأكلا ونص كلامهم فى قصة إبراهيم : " ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه "[3] ، " وإذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة ، أكلوا "[4] .

---

(١) هود ٦٩ – ٧١ .
(٢) الذاريات ٢٤ – ٢٨ .
(٣) تكوين ٢/١٨ .
(٤) تكوين ٨/١٨ .

وفى شأن لوط تقول التوراة : " فجاء الملاكان إلى " سدوم " مساء ، وكان لوط جالسا فى باب " سدوم " فلما رآهما لوط ، قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض "(1) .

ثم تقرأ فيها ما نصه : " فمالا إليه ، ودخلا بيته ، فصنع لهما ضيافة وخبزا فطيرا ، فأكلا "(2) .

ترى هل نعتمد بعد ذلك على القصة فى كتابهم بعد هذه الزيادة المتعمدة ، التى توحى بنظرتهم إلى الملائكة كأنهم بشر ، يأكلون ويشربون ويذكرون ما تمليه عليهم أهواؤهم ، بأنهم كانوا ثلاثة عند إبراهيم ، وكانوا اثنين عند لوط ، مع أن الذين كانوا عند إبراهيم ذهبوا جميعا إلى لوط ؟ وهذا إن دل على شئ ، فإنما يدل على عدم المبالاة بالحقائق التى يجب أن تثبت كما هى بدون تحريف .

وفى قصة الفداء نرى القرآن يكاد يصرح بأن الذبيح "إسماعيل" عليه السلام وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا

---

(1) تكوين ١٨٩ .
(2) تكوين ٣/١٩ .

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (١)

ترى فى النص أن أول أولاده هو: الذبيح ، والمعروف تاريخيا أن أول أولاد إبراهيم هو إسماعيل – عليهما السلام – وفى قوله : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا ﴾ دليل على أن البشارة الأولى كانت لإسماعيل وهو : الذبيح ، قال ابن كثير وهو الصحيح المقطوع به "(٢).

أما كتابهم فيقول: إن الذبيح " إسحاق " ، ترى ذلك فى قولهم : " فقال الرب خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق ، فبكر إبراهيم صباحا، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلمانه معه ، وإسحاق ابنه ، وبعدها " فأخذ إبراهيم حطب المحرقة ، ووضعه على إسحاق ابنه ، الخ والنص يكرر ذكر إسحاق أربع مرات ، وهى مقحمة فى النص يقينا وتكرار الاسم يؤيد عدم صحته ، والتوراة نفسها تصرح بأنه "إسماعيل " ، دون أن يدرى كاتبوها لأن الحسد لرسول الله ﷺ قد أعماهم إذ لم تطاوعهم نفوسهم أن يحصل على جد وقف هذا الموقف المشهود من ربه ، ومن والده ، وتمنوا أن تكون لهم هذه الكرامة وتلت المنزلة .....

---

(١) الصافات ٩٩ – ١١٣ .
(٢) تكوين أصحاح ٢٢ .

ففى التوراة التصريح بأنه " الابن الوحيد " وكـــررت ذلــك مرتين ، وإسحاق لم يكن الوحيد لإبراهيم ، لأنه ولد بعــد إســماعيل بنص التوراة بعد أربع عشرة سنة ، وكذلك نصت التــوراة علـــى أن إبراهيم وعد إسحاق بأن يكون له نسل ، فلو كان هو الذبيح ، لتعارض ذلك مع الوعد ، وإسماعيل هو الذى كان بمكة .

(٤) **يعقوب عليه السلام** :

وأثنى الله فى القرآن ، على " يعقوب " ثنــاء طيبــا ، حيــث اصطفاه للنبوة وهو – سبحانه – أعلم حيث يجعل رسالته ، فهو عــز وجل يذكر بأن يعقوب أوصى بنيه بالمحافظة على الإسلام قبل موته .

قال تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

ويصفه الله تعالى بالهداية ، مع أبيه ، وجده إبراهيم فيقــول : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ (٢) .

ويحكى لنا عن " يوسف " عليه السلام بأنه مقتد بآبائه ، ومنهم يعقوب عليه السلام فيقول فى حكايته عنه : ﴿ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ (٣) .

---

(١) البقرة ١٣٣ .
(٢) الأنعام ٨٤ .
(٣) يوسف ٣٨ .

وقد بشر الله " سارة " بإسحاق ، ومن ورائه يعقوب ، ويمتن الله على إبراهيم بأن " إسحاق " هبة من الله إليه ، وهبة الله تعالى غالية ، وجعله نبيا ، نقرأ ذلك فى قوله عز شأنه : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴾[1] ، وقوله : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا* وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[2] .

ويتفضل عليهم جميعاًبالصلاح فيقول : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾[3] ، بل يأمر رسوله – عليه الصلاة والسلام – أن يذكر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، لما لهم من أيد على الإسلام ، أسست دعائمه ، ومبادئ أعلت من شأنه ، ويسجل القرآن بذلك أنه جعلهم خالصين له ، ومخلصين من مفاتن الدنيا ، وشهواتها ، لأنهم لا يشوبون ذكر الآخرة بحب الدنيا ، وأنهم مختارون من أبناء جنسهم عند الله ، وأنهم أخيار لما لهم من الفضل والسبق ، تقرأ ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ *وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾[4] .

---

(١) هود ٧١ .
(٢) مريم ٤٩ ، ٥٠ .
(٣) الأنبياء ٧٢ .
(٤) ص٤٥ – ٤٧ .

بينما تجد ذلك فى القرآن الذى أنزل بالحق ، وبـــالحق نـــزل ، تجد حديث كتابهم عنه ، كأنه رجل مستهتر ، يكذب على ربه ثـــلاث مرات ، ويخادع أباه إسحاق ، لأنه كان يحب أخاه عيصو أكثر منه .

يقول كتابهم ما خلاصته : إن عيسو كان صبيا محبوباً لأبيـــه ، ويعقوب كان محبوبا من أمه ، ويشيخ " إسحاق " فيـــأمر " عيســـو " بإحضار الطعام ليباركه . فتسمع الأم ذلك وتوعز إلى " يعقـــوب " أن يتقدم لأبيه ، لينال بركته ، بدلا من أخيه ، ويكذب يعقوب على أبيه ، معرفا إياه أنه " عيسو " فيدعو له ، ويعلم الأب بعد ذلك ما كان مـــن أمر يعقوب ، ويدعو الأب لعيسو بالسيادة فى الأرض [1].

ويفهم من النص أن " إسحاق " لم ينر الله بصيرته فيميز بـــين الصادق والكاذب ، مـــن الأخـــوين ، فيخـــدع ، ويـــدعو ليعقـــوب ، ويستجيب الله دعاءه ، مع علمه بأن إسحاق يقصد شخصا آخر غيـــر المدعو له .

بربك أهذا يكون حال الأنبياء ، فى المعاملة مع الله !!

وهل يثنى الله على الكاذبين ، الذين لا يستحقون الثناء ؟

ولحاجة فى نفـــوس كتاب التوراة يقولون : إن يعقوب باركـــه أبوه ، بهذه الحيلة ، وباركه ربه كذلك .

ففى التكوين ما يفيد أن يعقوب رأى الله وجها لوجه ، وصارع يعقوب ربه الذى جاءه فى صورة إنسان ، وامتدت المصـــارعة إلـــى طلوع الفجر ، ولكن لم يقو أحدهما على الانتصار من الآخـــر ، وأن

---

(١) تكوين الفصل السابع والعشرون .

الله لم يستطع الانطلاق فرجا " يعقوب " أن يطلقه ، ولم يشأ يعقوب أن يطلقه بدون عوض ، وهو أن يبارك الرب " يعقوب " فباركه ، وأطلقه....

ونص كتابهم : " فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان ، حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حق فخذه[1] ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه وقال : أطلقنى ، لأنه قد طلع الفجر ، فقال: لا أطلقك إن لم تباركنى ، فقال له ما اسمك ؟ فقال يعقوب فقال : " لا يدعى اسمك فيما بعد " يعقوب " بل إسرائيل " لأنك جاهدت مع الله ، والناس ، وقدرت ، وسأل " يعقوب " وقال : " أخبرنى باسمك ، فقال لماذا تسأل عن اسمى ؟ " وباركه هناك فدعا يعقوب اسم المكان ، " فنيئيل " قائلا : " لأنى نظرت الله وجها لوجه ، ونجيت نفسى " [2].

ولا يقال : إن الذى صارعه " ملك " فقد صرح يعقوب فى النص - كما ادعوا - بأنه نظر إلى الله وجها لوجه ، وفى نفس السفر تأكيد لهذه القصة ، يقول النص الثانى : " وظهر الله ليعقوب أيضا ، حين جاء " فدان آدام " وباركه ، وقال له الله : اسمك " يعقوب " لا يدعى اسمك فيما بعد " يعقوب " بل يكون اسمك " إسرائيل " فدعا اسمه " إسرائيل " وقال له الله: أنا الله القدير " [3].

---

(١) حق بالضم والفتح : رأس الورك الذى فيه عظم الفخذ . القاموس .
(٢) تكوين ٣٢ / ٢٤ ، ٣٠ .
(٣) تكوين ١١/٩/٣٥ .

أرأيت خيالا أبعد من هذا الخيال ، حول الذات العلية ، وما لها من صفات الكمال ؟ فى أى دين نعلم أن الله يصارع الأنبياء ؟ وتمتد المصارعة إلى الفجر ، وأنه ينزل إليهم ، ولم يستطع أن يتخلص منهم ، وهو – سبحانه – " لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير "[1] .

وهذا الابن المبارك من أبيه بحيلته ، ومن الله بقوته يقول كتابهم عنه : " إن ابنه " رأوبين " زنا بسرية أبيه ، وأبوه يعقوب لم يقم عليه الحد[2] .

وهذا افتراء على الأب الذى لم يقم الحد على ابنه ، وحد الزنا الإحراق بالنار للزانى والزانية ، كما جاء فى سفر التكوين قال "يهوذا" عن " ثامار " التى زنت أخرجوها ، فتحرق " [3].

والطامة الكبرى أن " يهوذا " ابن يعقوب يأمر أحد أولاده بالزنا من زوجة أخيه ، وينفذ الأمر ، غير أنه يلقى بمائة فى الخارج ، فيقتله الرب لفعله ذلك ، ويعقوب لم يقم الحد على ابن الابن ، كما لم يقمه على ابنه من قبل ، وعلى زوج ابنه ، بل هو لم يذم " يهوذا " على ما صدر منه ، نقرأ ذلك فى التكوين[4] .

وقد تعجب إذا علمت أن " داود وسليمان ، وعيسى " الأنبياء كلهم بنص الإنجيل أولاد " فارض " ابن " تامار " الذى جاء من الزنا...

---

(١) الأنعام ١٠٣ .
(٢) تكوين ٢٢/٣٥ .
(٣) باب ٢٤/٣٨ .
(٤) باب ٣٨ /٦ .

اقرأ " متى "[1] ....

والذى ظهر لى ، أن القوم كانوا يكتبون بدون وعى وطبيعة نفوسهم المتكبرة ، تعالت على أبيهم يعقوب – عليه السلام – فلم يحفظوا له حرمته ، وحرمة أولاده ، ظنا منهم أن الأنبياء ولو كانوا أجدادهم ، كسائر البشر يجوز عليهم ارتكاب الكبائر ....

(٥) **لوط عليه السلام** :

تذكر التوراة أنه شرب الخمر ، وزنا بابنتيه ، وحملتا من الزنا وخلاصة القصة : أنه قد نام مرة فى آخر حياته ، فقالت كبرى ابنتيه للصغرى ، إن أبانا قد شاخ ، ولا نسل له ، فسقته خمرا ، ونامت الكبرى معه ، ولا علم له بذلك ، لأنه قد سكر ، ونامت الصغرى فى الليلة الثانية ولا علم له كذلك ، وقد ولدت الأولى " موآب " أبو الموآبيين وولدت الثانية " بنى عمى " .

ومن خلال النص نرى :

١- شرب لوط – عليه السلام – وهو نبى – الخمر .

٢- نسبة الزنا إليه مرتين ، بل مع بنتيه .

٣- الله لم يعصمه فى المرتين من الزنا ....

وبارتكابه هذه الفاحشة ، وشربه الخمر ، يتبين لنا أن التوراة التى بين أيديهم لا تقول بعصمة الأنبياء .

وكل ذلك باطل . لأنه يتنافى مع العصمة ، والله قد أمرنا باتباع الأنبياء ، ولو فعل لوط – عليه السلام – – ذلك لكنا مأمورين باتباعه"

---

(١) باب ١ فقرة ٣ : ١٦ .

وقد قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1].

وأيضا : ذلك يتنافى مع حكمة الله فى إرسال الرسل ، لهداية الخلق إلى الحق .

إذ الخمر من الكبائر محرمة فى جميع الشرائع ، والأنبياء معصومون من ارتكابها . وكذلك الزنا حرمته كل الأديان .

وقد ترتب على هذه القصة سوء الظن بالأنبياء ، وتهمتهم بالباطل ، ومن ذلك ما قاله صاحب كتاب " طريق الأولياء " فى قصة لوط عليه السلام :

" حاله حرى أن يبكى عليه ، ونحن بعد التأسف والخوف ، والخشية على أنفسنا ، نتعجب منه ، أهو الذى بقى نقى الثوب ، عن جميع شرور " سادوم " وكان قويا فى السلوك على صراط الله ، وبعيدا عن جميع نجاسات تلك البلدة ، وغلب عليه الفسق ، بعد ما خرج إلى الدنيا "[2] ؟

انظر كيف يصف نبى الله بالفسق ، اعتمادا على قصة باطلة فى التوراة ، ويمكن القول لو صحت هذه الحادثة جدلا : " بأنه لا شئ عليه فى الزنا لأنه قد سكر . وليس متعديا بسكره ، وقد قلت: إن الله عصم الأنبياء منه ، ثم إن شارب الخمر ، يميز بين الخليلة والحليلة كما أثبتت ذلك الدراسات النفسية . فكيف بابنتيه ؟ ولو وصل شارب

---

(١) الأنعام ٩٠ .
(٢) مؤلف الكتاب القسيس " وليم اسمت " بروتستنتى ط الهند ١٨٤٨ ، ص١٢٨ نقلا عن " إظهار الحق " جـ٢ ص٢١١ .

الخمر إلى أقصى درجات السكر لا تكون لديه رغبة أو استطاعة فــى إتيان النساء!!...

وكيف تنص التوراة على هذه القصة ، وتــتهم نبــى الله زورا بشرب الخمر ؟ مع أن سفر " القضاة " يقول : " ومنع الــرب زوجــة نوح من شرب الخمر ، وشرب كل مسكر ، وقــت حملهــا ، ليكــون ولدها من الأتقياء ، ولا يســرى خبث المســكرات فــى هــذا الولــد التقى"[1] ، ويكرر هذا الخبر فيقول مرة أخــرى : " فاحــذرى ، ولا تشربى خمرا ، ولا مسكرا ، ولا تأكلى شيئا نجسا ، فقال ملاك الرب لنوح : " من كل ما قلت للمرأة فلتحفظه " [2].

فكيف يحرم الرب شرب الخمر على زوجه ، ثــم لا يحرمــه على لوط ، وقد وقع مرة فكيف ينزلق فى المــرة الثانيــة ؟ وكيــف يشربها وهى أم الخبائث ، تزيل العقل ، وتذهب بالكرامــة ؟ ولهــذا نصت على حرمتها الديانة الموسوية ، ومما يدل على ذلك ما تقــرر فى سفر " الأحبار " : " وقال الرب لهرون لا تشربوا خمرا ، ولا شيئا آخر " [3].

وكما أن الخمر محرمة فى الديانة الموســوية ، كــذلك هــى محرمة فى ديانة " عيسى " ففى " لوقا " لما بشر الملك زكريا بــولادة يحيى أوصاه ألا يشرب خمرا ، ولا مسكرا ، لأنه يكون عظيما ، أمام الرب وخمرا ومسكرا لا يشرب[4] .

---

(١) أصحاح ١٣ .
(٢) نفس المصدر ١٤ .
(٣) باب ١٠ /٨ ، ٩ .
(٤) باب ١/١٥ .

" وإشَعْيَا " ذم شارب المسكر ، ومما قال : " ويل للأبطال على شرب الخمر "[1] وفى نفس السفر قال إشَعْيَا : " وهـؤلاء أيضـا لـم يفهموا بسبب الخمر ، وضلوا من المسكر ثم قـال : " غرقـوا فـى المسكر تاهوا فى الخمر تاهوا بالمسكر "[2] .

وكذلك فى عهد " سليمان " كانت الخمر محرمـة ، فقـد قـال سليمان الحكيم : " لا تنظروا إلى الخمر إذا اخمرت ، وذلك لا يكـون إلا عن وحى ، أوحى إليه من قبل الله ، فهل ترى عـاقلا بعـد هـذه النصوص يقدم على شرب الخمر ، لما يترتب عليها من المنكـرات ، فضلا عن عقل العقلاء وهم الأنبياء والمرسلون ؟..

(٦) موسى – عليه السلام- :

يقرر القرآن فى شأنه أن الله تعالى أمر " أم موسـى " بقولـه **﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾** [3].

أما التوراة فتقول : إنه ألقى على الساحل مباشرة ونصها :- " ولما رأته أنه حسن ، خبأته ثلاثة أشهر ، ولما لم يمكنها أن تخبئه بعد أخذت له سفطا[4] من البردى ، وطلته بالحُمَر والزفـت ، ووضـعت الولد فيه ، ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر ، ووقفت أخته مـن

---

(١) باب ٢٢/٥ .
(٢)باب ١/٢٨ ، ٧ .
(٣) القصص ٧ .
(٤) السفط بالفاء محركة : وعاء من قضبان الشجر توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها . المعجم الوسيط .

بعيد لتعرف ماذا يفعل به ، فنزلت ابنة فرعون إلى النهـر لتغتسـل ، وكانت جواريها ماشيات على جانب النهر ، فرأت السفط بين الحلفاء ، فأرسلت أمتها وأخذته ... الخ "[1].

وهذا النص خطأ لأمور :-

١- مخالفته لصريح القرآن .

٢- تنص التوراة على أن الأولاد الذكور ، كانوا يلقون فى البحـر بأمر فرعون ويستبقون البنات " " ثم أمر فرعون جميع شـعبه قائلا : " كل ابن يولد تطرحونه فى النهر ، لكـن كـل بنـت تستحيونها " مع أن هذا النص الذى هو حجة لنا عليهم يخالف ما عندنا من أمر فرعون بذبح الأبناء دون الإناث .

٣- وتنص التوراة على أن بنت فرعون اتخذته ولدا لها ، " ودعت اسمه " موشى " وقالت إنى انتشلته من الماء "[2] .

وهذا يفيد أنه لم يكن على الساحل وإنما كان فى الماء وأخـرج منه .

ذكر القرآن فى شأنه أن آل فرعون التقطوه مـن النهـر قـال تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[3] ، وأن امرأة فرعون هى التى تبنته بنص قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾[4] .

---

(١) سفر الخروج باب ٣/٢ – ٦ .
(٢) خروج ١٠/٢ .
(٣) القصص ٨ .
(٤)نفس السورة ٩ .

أما التوراة فتقرر فى سفر الخروج أن التى تبنتـــه هـــى ابنـــة فرعون[1] .

وفى قصته عليه السلام مع المرأتين عند ماء مـــدين ، يقـــرر القرآن الكريم أن موسى وجد جماعة من الناس يسقون ، وأن امرأتين لم تتمكنا من السقيا ، فخاطبهما عن سبب إحجامهما ، فقالا: لا نستطيع لضعفنا ، حتى ينتهى الأقوياء ، يقول الله تعالى قاصا هذا الموقـــف :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ الآيات[2]

فى النص أنهما امرأتان لا غير ، لكن التوراة تذكر أنهن كـــن سبعا من النساء . من أين أتوا بهذا الخبر ؟ لا ندرى ونصها " وكـــان لكاهن " مديان " سبع بنات ، فأتين ، واستقين ، ومـــلأن الأجـــران ، ليسقـــين غنم أبيهن ، فأتى الرعـــاة وطـــردوهن ، فـــنهض موســـى وأنجدهن ، وسقى غنمهن "[3] .

وابن كثير يحاول الجمع فيقول : إن الذى باشر الخطـــاب مـــع موسى وباشر الرعى كذلك ، هما المرأتان ، أما الأخريات فلم يباشرن الرعى .

---

(١) باب ١٠/٢ ونصها " ولما كبر الصبى ، جاءت به ابنة فرعون ، فاتخذته ابنا لها وسمته موسى ، قالت لأنى انتشلته من الماء .

(٢) القصص ٢٣ .

(٣) خروج باب ١٦/٢ .

وهذا جمع يصح لو وثقنا من صحة الخبر إذ الجمع لا يكون إلا للضرورة ، وإذا كان بين نصين متعادلين فى القوة ، أما والحال أن القصة فى كتابهم لا يوثق بها ، ولا تكون محل اعتبار ، خاصة إذا خالفت القرآن الكريم ، فلذا لا يلزم هذا الجمع ، ولنقف عندما قصه القرآن ولا نظن ، فإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ، وظاهر القرآن أنهما اثنتان ، ويؤيد ذلك ما ورد عن عمر بن الخطاب ، بإسناد صحيح ، أن موسى – عليه السلام – ﴿لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾[1]، قال : فلما فرغوا ، أعادوا الصخرة على البئر ، ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ فحدثتاه فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوبا واحدا ، حتى رويت الغنم[2] " .

ولم يذكر ابن كثير فى التفسير ، أنهما أكثر من امرأتين ، ولكنه حاول الجمع فى البداية والنهاية على ما ذكرت .

وتقرر التوراة أن موسى خرج ببنى إسرائيل ، برضا وإذن من فرعون [3] وذلك باطل عقلا ونقلا ، أما عقلاً فلأن فرعون ما كان يترك أحدا – ممن هم عماد دولته ، فى الأعمال الشاقة – يخرج من سلطانه وقبضته ليكون حربا عليه ، ولو صح ذلك لما تعقبهم حين علم برحيلهم ، وأما نقلا : فقد نص القرآن على أنه تبعهم ، ولو أذن لهم

---

(١) سورة القصص ٢٣ .
(٢) ابن كثير تفسير جـ٣ ص٣٨٣ . وانظر مصنف ابن أبى شيبة ٣٣٤/٦ .
(٣) سفر الخروج فقرة ١٧ .

فى الخروج لما تبعهم قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ﴾(١) ، ويظهر ذلك من غضب فرعون ، لما علم بخروج بنى إسرائيل ، وقد أخبر الله موسى بأن فرعون وقومه سيتبعونهم فى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴾(٢) .

وفى شأن ألواح التوراة يقرر القرآن أن موسى ألقاها غضبا ، بعد أن علم بعبادة قومه العجل ، وعاتب أخاه فى ذلك ، ولما سكت عنه الغضب أخذها قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ ﴾(٣) ، وعند أهل الكتاب أن موسى كسرها وأنها لوحان لا غير(٤) ولا يليق بنبى "كموسى " وهو من أولى العزم ، أن يبلغ به الغضب حدا يلقى على الأرض كتابا منحه ربه إياه هدى ورحمة لقومه .

ونقرأ فى قصته – عليه السلام – أن بنى إسرائيل اتخذوا العجل إلها ، وقد صنع لهم السامرى هذا العجل ، من حلى أهل مصر

---

(١) يونس ٩٠ .
(٢) الشعراء ٥٢ – ٥٦ .
(٣) الأعراف ١٥٠ .
(٤) الخروج أصحاح ٣٢ فقرة ١٥٠ – ١٩٠ .

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ﴾[1] .

نرى ذلك واضحا فى القرآن ، أما مناقضة كتابهم له ، ففى زعم اليهود أن الله أمر بنى إسرائيل أن يستعيروا ذهب المصريين ، وبعد أن استعاروه أمرهم بالخروج من مصر . تقرأ ذلك فى سفر الخروج[2] .

وتقرر الآيات القرآنية أن السامرى هو الذى أضلهم ، وألقى الحلى فى النار ، وصنعه لهم منها ، نقرأ ذلك مرتين أولاهما فى قوله: ﴿ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾[3] ، والثانية فى قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾[4] ، ويعترف السامرى بذلك ، حينما ناقشه سيدنا " موسى "

---

(١) طه ٨٣ – ٨٨ .
(٢) خروج باب ١/١١ ، ٣ ، ٣٦ .
(٣) طه ٨٥ .
(٤) طه ٨٧ . .

– عليه السلام – فى الأمر فقال فيما حكاه القرآن عنه: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾[1].

أما سفر الخروج فيأتى بمفارقة ظالمة فيقول : إن هارون هو الذى أمرهم بعبادة العجل ونصه : " ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل ، أجمع الشعب على " هارون " وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا " موسى " الرجل الذى أصعدنا من ارض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه ؟ فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم ، ونبيكم ، وبناتكم ، وأتونى بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم ، وأتوابها إلى " هارون " فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل[2] وصنع لهم عجلا مسبوكاً "[3].

ولما رجع " موسى غضبان أسفا ، وشدد النكير على " هارون" اعتذر " هارون " بأن الشعب فى شر ، وأنه استجاب لطلبهم فى صنع إله يسير أمامهم فصنعه لهم .

هكذا بلا مبالاة والنص : " قال موسى " لهارون " ماذا صنع بك هذا الشعب ، حتى جلبت عليه خطية عظيمة ؟ فقال هارون : لا يحمى غضب سيدى ، أنت تعرف الشعب أنه فى شر ، فقالوا لى :

---

(١) طه ٩٦ .
(٢)الإزميل بالكسر : حديدة في طرف رمح ، القاموس .
(٣)خروج ٣٣ من ١ – ٤ .

اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا " موسى " الرجل الذى أصعدنا من أرض مصر ، لا نعلم ماذا أصابه ؟ فقلت لهم من له ذهب فلينزعه ، ويعطنى فطرحته فى النار ، فخرج هذا العجل "[1] .

ويصر كتبة التوراة ظلما على ذلك ، فيكررونه قائلين فى نهاية الفصل : " فضرب الرب الشعب ، لأنهم صنعوا العجل الذى صنعه هارون "[2] .

وحاشاه أن يفعل ذلك ، وهو الرسول المعصوم ، ويبطل هذا الزعم شهادة الله لهارون والثناء عليه فى القرآن من قومه حينما عبدوا العجل فقد قال تعالى فى شأنه : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾[3] والتوراة ذاتها تقر بنبوته مع نسبة هذا الخطأ إليه ، ففى سفر الخروج : " فقال الرب لهارون اذهب إلى البرية لاستقبال موسى "[4] ، وفى " العدد " نصوص متوالية " وقال الرب لهارون "[5] ، " ثم كلم الرب هارون " [6] ، " وقال الرب لهارون " [7] والباب كله يفيد نبوته ، وكذلك باب ٢ ، ٤ ، ١٤ ، ١٦، ١٩ كلها تفيد نبوته مع " موسى " حيث يقول فيها: " وكلم الرب موسى وهارون" – عليهما السلام – " .

(١) خروج ٣٢ فقرة ٣٥ .
(٢) خروج ٣٢ فقرة ٣٥ .
(٣) طه ٩٠ .
(٤) ٢٧/٤ .
(٥) سفر العدد ١ ، ٨ ، ٢٠ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق .

"٧" داود عليه السلام :

يقول الكتاب الذى بأيدى اليهود إن " داود " زنـــا بـــامرأة " أوريـــا" ، وحملت بالزنا منه ، ودبر أمرا بقتل زوجها ، وخلاصة القصة على ما ذكروه : أن داود كان فى " أورشليم " يمشى على سطح بيت الملـــك ، فرأى امرأة تستحم ، وكانت جميلة ، فأرسل إليها الرسل ، فذهبت إليه، فضاجعها ، وحملت منه ، وأخبرت داود بذلك ، فقتل زوجهـــا، بـــأن جعله فى مقدمة الجيش ، ولما مات زوجها ، تزوجها داود [1] وللـــرد على ذلك نقول : الزنا محرم فى سائر الشرائع ، وقد أجمـــع العلمـــاء على تنزيه ساحة الأنبياء من ارتكاب الكبائر ، ومن أفحش الفـــواحش التى تنزهت عنها ساحتهم ، ارتكاب الزنا ، وترى فـــى هـــذه الفريـــة المزاعم التالية :-

١- طلوعه - عليه السلام - على السطح ، والنظر إلى الأجنبيـــة بشهوة ، مع أنه محرم .....

٢- يزنى داود - عليه السلام - بزوجة جاره ، وذلك أفحش فـــى العصيان والإثم .

٣- يأتى بولد ينسب إليه من الزنا .

٤- يعمل على قتل رجل برئ .

٥- بفضح نفسه أمام الرسل ، الذين أرسلهم للمرأة .

٦- يقابل إحسان (أوريا) بجهاده بالإساءة إليه .

٧- خالف حكم الله فى إقامة الحد عليه

---

(١) اصحاح ١١ .

٨- نسبة التدبير السئ ، بإيهام الناس بأن الولد ليس له ، وإنما هو " لأوريا " أبيه ، وذلك تدليس ....

٩- هو بفعله هذا يحمل الناس على الوقوع فى الإثم .

١٠- داود عليه السلام لم يتب ، مع أن التوبة واجبة ، على الفور، ويقولون : إنه تأخر حتى جاء " ناثان " النبى ووعظه " بأن يرجع إلى الله مما اقترفه من الإثم [١] .

١١-لم ينفذ أمر الله فى قتل المولود ، الذى تنص التوراة عنه أنه يموت موتا . والقصة بجملتها وتفصيلها باطلة ، فالله تعالى يقول فى شأن داود وهو يوصى رسول الله ﷺ بأن يتأسى به : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [٢] وفى آية أخرى﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[٣] ونقول لهم : إما أن تكون حياة " داود " ترضى الله تعالى أولا ، فإن كانت ترضى الله ، فنحن نعلم أن داود مخلص لم يرتكب ما يغضب الله ، ويلزم على هذا كذب كتابكم ، وإن كان الثانى يلزم عليه تكذيب الله فى النص الذى فى كتابكم وهو " دَاودُ عبدى ، الذى حفظ وصاياى، والذى سار ورائى بكل قلبه ، ليفعل ما هو مستقيم فقط ، فى عينى " [٤] .

---

(١) صموئيل الثانى باب ١٢/١: ٢٥ .
(٢) ص ١٧ .
(٣) ص ٣٠ .
(٤) سفر الملوك الأول باب ١/١٤ .

كما نعهد فى العهد القديم من التناقض والاختلاف ، وإساءة الأدب مع الله تعالى وأنبيائه ورسله ، نجد فى سفر " أيوب " – عليه السلام – ما تمجه العقول السليمة ، ويتنافى ومنصب الرسالة ، ويتناقض مع القرآن الكريم . ففى إحدى وتسعين صفحة هى مجموع صفحات هذا السفر تجد :–

١– ما يفيد أن أيوب ، وابناءه ، وبناته ، يشربون الخمر ، فى بيت أخيهم الأكبر ، وقد اختبره الله فسلب ماله ، وغلمانه ، وغنمه، وسقط البيت على الغلمان ، فماتوا جميعا " فقام أيوب فمزق جبته ، وجز شعر رأسه"(١) .

٢– ما يفيد أنه كان لأيوب أصحاب ثلاثة ، علموا بالشر ، الذى لحق به(٢)

٣– فتح أيوب فاه ، وسب يومه ، وأخذ أيوب يتكلم فقال : ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه ، والليل الذى قال قد حبل برجل ....الخ ما يفيد تبرمه وسخطه ، وعدم رضاه ، وتمنيه الموت .(٣)

٤– كان صديقه " أليفاز التيمانى " ينصحه فيملا قلبه ثباتا ، وتحملا على ما أصاب ، مذكرا إياه ، أنه طالما نصح كثيرين ، فلا ينبغى له أن يضجر (٤) .

---

(١) اصحاح ١٣/١ .
(٢) ص٢ .
(٣) ص١/٣.
(٤) ص ٥٠٤.

لكن أيوب يظل على ضجره ، متمنيا المـوت ، داعيـا الله أن يسحقه ويقطعه [1] وكان مما قاله لصديقه : " لبس لحمى الدود ، مع مدر التراب ،جلدى كرش ، وسلخ ، أيامى أسرع مـن وشـيعة [2] وتنتهي بغير رجاء " [3]

٥- ينصحه صديق آخر هو : " بلدد الشـوحى " ، ويحثـه علـى التحمل وتذكر القرون الخالية ، وألا يقول ما فيه يأس وقنوط[4]

لكن أيوب يرد قائلا : لو دعوت فاستجاب لى ، لما آمنت بأنـه سمع صوتى ، ذاك الذى يسحقنى بالعاصفة ، ويكثر جروحـى بلا سبب [5]

ويقول أيوب عليه السلام : " قد كرهت نفسـى حيـاتى ..... ، أتكلم فى مرارة نفسـى قـائلا لله : " لا تسـتذنبى فهمنـى لمـاذا تخاصمنى، أحسن عندك أن تظلم " ؟ [6] ثم يقول : " فى علمك أنى لست مذنبا افتبتلعنى " [7]

وبنصحه الصديق الثالث وهو "صوفر النعمانى " ويبـرز لـه حكمة الله فى معاملته لخلقه ، وأنه لا يظلـم أحـدا والرجـاء فيـه قريب[8] ويؤنبهم جميعا على نصائحهم ، واخذ يوجه إلى الله تعـالى

---

(١) ص ٩/٦ .
(٢)الوشيعة : شريحة من الجريد ، تلقى على خشبات السقف ، وكذلك ما يبس من الشجر، فسقط ، وخشبة على رأس البئر ، يقوم عليها الساقى ، وكل لفيفة وشيعة . القاموس المحيط .
(٣) ص ٧ /٦/٥.
(٤) ص ٨.
(٥) ص ٢٦/٩.
(٦) ص ١/١٠.
(٧) ص ٧/١٠ ، ٨.
(٨) ص ١١.

كلاما لا يليق به عزوجل ، وراجيا منه الموت، إذ هو الذى يحصى عليه خطواته ويقول " معصيتى مختوم عليهافى صرة ، وتلفق على فوق إثمى" [١] لكن " أليفاز" يعترض عليه بأنه غير حكيم[٢] وأيـوب يرد قائلا : " معزون متعبون كلكم ، هل من نهاية لكلام فارغ" [٣] ؟ ويقول " إنى أصرخ ظلما فلا أستجاب" [٤] ، " أضرم على غضبه، وحسبنى كأعدائه "[٥] .

و " أليفاز " الذى امتدحه أولا يقول : ألـيس شـرك عظيمـا ، وآثامك لا نهاية لها ، لأنك ارتهنت أخاك بلا سبب ، وسلبت ثيـاب العراة ، ماء لم تسق العطشان ، وعن الجوعان منعت خبزا " [٦] .

ويقول أيوب يائسا : " أبكثرة قوة يخاصـمنى ، هأنـذا أذهـب شرقا، فليس هو هناك ، وغربا فلا أشعر به ، شمالا حيث عمله فلا أنظره، يتعطف الجنوب فلا أراه " [٧] ويضيف قوله : " من الوجـع أناس يئنون ، ونفسى الجرحى تستغيث ، والله لا ينتبه إلى الظلم [٨] ثم يقول : حى هو الله ، الذى نزع حقى ، ويـردد أيـوب أعمالـه السالفة فى البر بأنه أنقذ المسكين ، واليتيم ، والأرملة ، وأنه كـان عدلا ، وأنه كان أبا للفقراء ، إلى غير ذلك من الأعمال الصالحة[٩]

(١) ص ١٧/١٤.
(٢) ص ١٥ .
(٣) ص ٢/١٦ ، ٣ .
(٤) ٧/١٦ .
(٥) ١١/١٦.
(٦) ص ٥/٢٢ ، ٦، ٧.
(٧) ص ٢٣ /٦ ، ٨ ، ٩ .
(٨) ص ١٢/٢٤ .
(٩) ص ١٢/٢٩ .

ويقول: " وأما الآن فقد ضحك عليَّ أصاغرى أياما ، الذين كنت أستنكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمى "[1] .

ويوجه كلامه إلى الله قائلا : إليك أصرخ فما تستجيب لى ، أقوم فما تنتبه إلى ، تحولت إلى جاف من نحوى ، بقدرة يدك تضطهدنى" [2] إلى غير ذلك من عرض أعماله التى وجدها بارة على الله ، ويسكت الأصدقاء الثلاثة ، لأنه بار فى عين نفسه ، لكن " أليهو البوزى " يعتب على أيوب ، لأنه يظن أنه أبر من الله [3] ويجيب الرب " أيوب " قائلا : " من هذا الذى يظلم القضاء بكلام بلا معرفة " ؟ [4] لعلك تناقض حكمى ، تستذنبنى لكى تتبرر أنت"[5]؟ وأخذ " يعدد الرب آياته فى السماء والأرض ، وبشرح قدرته الباهرة وختام السفر أن الرب قال لأليفاز التيمانى : " قد احتمى غضبى عليك ، وعلى كلا صاحبيك ، لأنكم لم تقولوا فى الصواب كعبدى أيوب " [6]

ونخلص من هذا الكلام بأمور :-

أولا – اعتراض " أيوب " – عليه السلام – على ربه ، ووصفه بما لا يليق بذاته المقدسة ، ونسبة الظلم إليه .

---

(١) ص ١/٣٠.
(٢) ص ٢٠/٣٠ ، ٢١.
(٣) ص ١/٣٢ ، ٢.
(٤) ص ٣٨ /١ .
(٥) ص ٨/٤٠ .
(٦) اصحاح ٧/٢٢.

ثانيا – غضب الله على أصدقائه ورضاه عن " أيوب " مع أن الأصدقاء لم يقولوا غير الحق ، وأيوب لم يقل غير الباطل .

ثالثا – يتناقض هذا كله مع ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم عن " أيوب " – عليه السلام – .

رابعا – تنص هذه المحاورات على أن الأنبياء يرتكبون أفحش الكبائر، وهو الكفر ، ونسبة الظلم إلى الله – سبحانه – وعدم الرضا بالقضاء والقدر ، وعدم الاستسلام والصبر ، مع أن الله عصمهم من ارتكاب الكبائر ، وأدبهم بأدبه .

وحسبنا هنا أن نجيب بالدليل الإلزامى ، فقد قالت كنائسهم : إن سفر أيوب ليس إلهاميا ، وقال بهذا القول مجموعة كبيرة ، من محققى المسيحية وأخص بالذكر " لوثر " [1] .

وانظر ما يقول القرآن عن أيوب عليه السلام : آيتان فى سورة الأنبياء ، وأربع فى سورة "ص " ففى الأنبياء قوله تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ [2] هنا يقر نبى الله بأن ربه أرحم الراحمين ، وقوله :﴿ وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾ إشارة إلى ثناء الله عليه بأنه من العابدين ...

---

(١) انظر اظهار الحق جـ١ ص ١٢٦ .
(٢) آيتا ٨٣ ، ٨٤ .

وذلك على خلاف ما نسب كتابهم إلى الله من الظلم ، وأن أيوب لم يكن من المطيعين .

وتقرأ فى سورة " ص " ما تحكم به على فساد ما زعموه فى عقيدته وعبادته قوله عز وجل ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١)

تجد فى ختام هذه الآيات الأربع أن الله وجد أيوب – عليه السلام – صابرا ، وخصه بالمدح ، وبالرجوع إليه ، ولنا أن نقول – بعد ذلك – لمؤيدى هذا السفر : فإذا كان السفر المذكور من عند الله ، وأن ما فيه من أخبار منسوب إلى نبيه حقا كان معنى ذلك أن الله سبحانه يتناقض فى أخباره ؟

والأمر واحد من اثنين ، إما أن يكون الكتابان من عند الله ، أو يكون أحدهما من عند الله والآخر من تأليف البشر .

فإن قلتم بالأول أفاد ذلك أن اخبار الله سبحانه وتعالى – متناقضة، مع أن ذلك نقص ، والنقص على الله تعالى مستحيل .

وإن قلتم بالثانى : فإما أن يكون القرآن هو الصادق ، أو سفر أيوب ، فإن قلتم بالأول اتفقنا معكم ، وحكمنا بما حكمتم به ، وإن قلتم

---

(١) آيات ٤١- ٤٤ .

بالثانى ، طالبناكم بسند هذا الكتاب ، ويلزمكم ما جاء من نسبة النقص فى كتابكم لله ورسله ، وذلك باطل عقلا ونقلا .

كما نقول لهم : إن القرآن الكريم الذى قام الدليل العقلى على صدق ما فيه ، قد عدد الله فيه بعض رسله ، ومنهم " أيوب " – عليه السلام – فقال تعالى :– " مخاطبا رسوله محمدا ﷺ : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1]

وكيف يصح عقلا أن يكون سيد العالمين محمد – عليه الصلاة السلام – مأمورا باتباع أيوب – عليه السلام – مع ظلمه لنفسه ، وسوء أدبه مع ربه – والله لا يأمر بالفحشاء –﴿ فلم أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[2]؟

ونحن جميعا مأمورون باتباع الأنبياء ، باعتبارهم قادة الخلق إلى الحق ، وكيف يأمرنا الله باتباع أيوب – عليه السلام – مع إتيانه مالا يرضيه ؟

ولما كان ما نسب إلى أيوب – عليه السلام – باطلا ، وزورا، قال المحققون من القدامى والمحدثين : إن هذه الحكايات باطلة ، وقصة أيوب على ما ذكره كتابهم كاذبة ، وأسرفوا فى النقد فقالوا : " إن اسم أيوب ذاته لا وجود له تاريخيا ، وإنما هو اسم فرضى ...

---

(١) الأنعام ٩٠ .
(٢) الأعراف ٢٨ .

وردنا عليهم أن القرآن الكريم قد ذكر قصته ، ونص على اسمه وما حدث له ، وما عهدنا فى القرآن غير الصدق ، فهو – لا محالة – خبر صحيح ، وواقع نؤمن به ونقول : إنه من عند الله .

أصل الإنجيل :

وإتباعا لما ذكرته فى أصل التوراة أقول هنا :

(أ) ما معنى كلمة إنجيل ، وما عدد أسفاره ؟

(ب) وهل للإنجيل سند نعتمد عليه فى صحته ؟

(ج) ومن الذى كتبه ، ومتى كتب ؟

والإجابة على السؤال الأول أن الإنجيل وهو – كتاب عيسى عليه السلام – من النجل ، وهو الأصل ومعناه أصل العلوم والحكم ، وبذلك يكون له أصل عربى ، ففى القاموس (والإنجيل ويفتح كتاب " عيسى " – عليه السلام – وتناجوا تنازعوا وانتحل الأمر استبان)(١) .

والأول لما فيه من التنازع ، والثانى لما جاء مبينا للتوراة .

والإجابة على السؤال الثانى : لا يوجد للإنجيل سند تاريخى يعتمد عليه والأدلة على ذلك :-

أولا – لو كان للإنجيل سند صحيح ، وأنه من قول الله ، ومنزل على السيد المسيح كما يدعون ، لما حدث فيه خلاف ، ولكن الخلاف متعين باعتراف المسيحيين أنفسهم ، فثبت بذلك أن الإنجيل ليس من قول الله ، وليس هو الإنجيل المنزل على السيد المسيح،

---

(١) جـ ٤ص ٥٥ ط التجارية الخامسة وفى الموسوعة العربية الميسرة ط٢ سنة ١٩٧٢، الانجيل كلمة يونانية الأصل ، ومعناها : البشرى ، يشمل متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا والأخير أضاف جديدا إلى الثلاثة الأخرى .

وأعنى به الانجيل الموجود الآن ، كما قال محققوهم ، فقد نصوا على (أن متى ومرقس متخالفان فى التحرير ، وإذا اتفقا يرجع قولهما إلى قول لوقا) .

وهذا التحقيق يفيدُ وقوع الخلاف فى الثلاثة ، وإذا وقع الخلاف ثبت عدم الاعتماد على صحة كثير مما فى هذه الكتب .

وقد نقل عن " هَوْرَن " فى تفسيره أنه " إذا وجد اختلاف بين العبارتين ، أو أكثر فلا تكون الصادقة إلا واحدة ، والباقية إما أن تكون تحريفاً قصديا ، أو سهوًا من الكاتب ، لكن تمييز الصحيحة عن غيرها عسير غالبا ، فإن بقى شك فيطلق على الكل اختلاف العبارة . وإذا علم صراحة أن الكاتب كذب فيقال انه غلط الكاتب " (١)

والخلاف هنا لا يمكن أن يحمل على مثله ظاهر القرآن ، كما لا يمكن الجمع فيه . ومن هذا النص نرى أن أحد مفسرى الأناجيل يقرر احتمال اختلاف العبارات والكذب فى الكتابة ، والتحريف عمدا ، وعدم إمكان الجمع بينهما ، ويصرح بغلط الكاتب .

والإجابة على السؤال الثالث : القول بأن سند الإنجيل منقطع ، ولا يعرف على وجه التحديد كاتبه ، وأمثال هذه الكتب لا بد لها من سند متصل ، ولسقوط السند المتصل برواية الثقة عن الثقة بالتواتر القطعى الذى ينطبق عليه شروط الرواية لدى المحدثين ، اعترف أحد قساوسة الهند ويدعى " فرنج " فى مجلس مناظرة أمام الشيخ رحمة الله الهندى ، بانقطاع سند الإنجيل ، وهذا دليل إلزامى .

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٢٠٦ .

وقد اعترف المحققون أن اليقين متعذر فى تحديد زمن كتابة هذه الأناجيل ، وإنما هم يأخذون ذلك ظنا .

فقد قال " لاردنر " فى تفسيره : " إنى أظن أن مرقس ما كتب إنجيله قبل سنة ٦٣ أو سنة ٦٤ .

وقال " هورن " المحقق المشهور نصا :

" ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٣ أو ٦٤ من الميلاد ، وألف الإنجيل الثانى سنة ٥٦ ، أو ٥٧ أو ٥٨ إلى ٦٥ والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو ٦٣ وألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ أو ٦٣ أو ٦٤ ، وألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٩٨ ميلادية " (١)

ثم قال عن بطرس فى الرسالة الثانية ، والرسالة العبرانية ، وبعض الفقرات من الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ، وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا : إسنادها إلى الحواريين بلا حجة ، وكانت مشكوكة إلى سنة ٣٦٣ ، وبعض الفقرات المذكورة مردودة وغلط ، عند جمهور المحققين إلى الآن ولا وجود له فى الترجمة السريانية " أ هـ"(٢) .

وقد قال " وارد كاتلك " ما نصه : " ذكر أجرس ، وهو من أعلم علماء بروتستانت أسماء كثيرين من علماء فرقته ، الذين أخرجوا الكتب المفضلة من الكتب المقدسة ، باعتبار أنها كاذبة : الرسالة

---

(١) إظهار الحق جـ١ ص ٥٨ نقلا عن المحقق " هورن " من تفسيره باب ٢ مجلد ٤ طـ ١٨٢٢.
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ٥٨ .

العبرانية ، ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا "(١) .

وعن مشاهدات " يوحنا " قال " لاردنر " في تفسيره : " إن مشاهدات يوحنا لا توجد في الترجمة السريانية القديمة "(٢) .

وعن بولس قال " أرجن " في شرحه : " إن بولس ما كتب شيئا إلى جميع الكنائس ، والذى كتبه إلى بعضها فسطران ، أو أربعة سطور"(٣) قال " هورن " عن كتابة الكتب المقدسة : " إنهم كانوا مجازين أن يكتبوا على حسب طبائعهم وعاداتهم ، وفهومهم ، ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون فى كل أمر يبيتونه ، أو فى كل حكم يحكمون به "(٤)

تحريف الإنجيل :

إختلفت الأناجيل اختلافا كبيرا ، مما يدل دلالة قاطعة على أنها غير الإنجيل المنزل ، إذ كلام الله لا يختلف ولا يتناقض .

وكما قلنا فى التوراة : إن الكتاب الذى ثبت لدينا ثبوتا لا يتطرق إليه الشك عن طريق التواتر القطعى هو القرآن الكريم ، لذلك كان هو الحجة على هذه الكتب ، فما وافقه قبلناه ، وما لم يوافقه رفضناه ، هذا بخلاف الإنجيل فلم يثبت بسند مقطوع به ، أو مظنون ، ولم يعرف متى كتب.

---

(١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٥٨ .
(٢) المصدر نفسه جـ١ ص ٥٨ .
(٣) المصدر نفسه جـ١ ص ٦١ .
(٤) المصدر نفسه جـ١ ص ١٢٨ .

وإليك الأدلة على تحريف الإنجيل :-

أولا – لا يقر العقل بكثير من نصوص هذه الكتب ، لما فيها من الجرأة على الله ورسله ، وذلك مثل ما نقرؤه عن التثليث ، وأن المسيح رب وليس عبدا لله .

ثانيا – كيف يكون الإنجيل الذى بين أيدينا هو ما نزل على عيسى – عليه السلام – وفيه قصة الصلب ، والقيام من القبر بعد ثلاثة أيام ، وأواخر الأناجيل كلها تكلمت عن وفاته ؟ إقرأ ذلك فى متى [١] ، ومرقس[٢] ، ولوقا[٣] ويوحنا[٤] .

فهل المسيح أخبر بذلك قبل موته ، أو أنزلت عليه قصة وفاته وأثبتها فيه أم ماذا يقولون ؟!!

ولو أن عيسى حيا لما وسعه إلا إنكار ما فى الإنجيل ، وتصديق ما فى القرآن . ويقرر العلماء أن القرآن نفى قصة الصلب وهى مذكورة فى الإنجيل الذى لم يثبت بالسند القاطع بخلاف القرآن الذى جمع بطريقة لا يتطرق إليها الشك ، وبهذا ثبتت مخالفة الإنجيل للقرآن .....

القصة فى الإنجيل :

لم يشتمل العهد الجديد على قصص الأنبياء السابقين وغيرهم، كما اشتمل العهد القديم ، وجل ما فيه تاريخ مفصل ، لحياة السيد

---

(١) باب ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) باب ١٥ ، ١٦.
(٣) باب ٢٣، ٢٤ .
(٤) باب ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

المسيح ، وحياة زكريا ويحيى – عليهم السلام – ، وبعـض الملـوك، ومشاهدات بعض الأتباع ، وبعض من عاصروه ، ومع كل ما فيه من قصص ، فنحن لا نعتمد على أخباره كما لم نعتمد على أخبار التـوراة من قبله ، وذلك لما ثبت من وقوع التحريف والتناقض بينهما .

ذلك أن أخطاء كثيرة ظاهرة فـي نصوصـه ، والله تبـارك وتعالى لا ينزل من السماء إلا ما تقتضيه الحكمة ، وما فيـه العظـة والعبرة ، وليس سردا تاريخيا للأحداث ، وما نراه فى الإنجيـل مـن سرد تاريخى جامع ، يفيد حينا ، ولا يفيد أحيانا ، بل هو يضـر فـى أغلب الأحيان ، والله عز وجل منزه عن ذكر ما لا يفيد فضـلا عـن سرد ما يضر البشر .

ويعترف شارحوا الأناجيل أنفسهم بالتناقضات التى فيها ، وقد أجاد " هورن " فى ذلك فبين الأخطاء ، والمغالطات التى وقعـت فـى " العهد الجديد " موضحا أسبابها ، كغفلة الكاتب ، أو سهوه ، أو جهله بصنعة الكتابة ، أو عدم ضبط النسخة المنقول عنهـا ، فيلجـأ إلـى التصحيح من عند نفسه ، اعتمادا على الظن والتخمـين ، وذكـر أن اخطر الأسباب وأشنعها ما كان قصدا ، لهوى فى نفسه .

ويبين " هورن " أن أول مبتدع وأشنع مخترع هو " مارسيون" فقد كان مبتدعا ، لتأييد مسألة أو دفع اعتراض . (١)

ويسوق أمثلة لذلك ما تراه فى : " لوقا " فقد تركت آيـة منـه قصدا، لظنهم أن تقوية الملك للرب تنافى الألوهية ، ففيها يقـول مـا

---

(١) انظر إظهار الحق جـ١ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ نقلا عن " هورن " باب ٨ مجلد ٢ من تفسيره .

نصه : " وظهر له ملاك من السماء يقويه "[١] . ولذا ، فقد قالوا عـن لوقا: إنه ليس إلهاميا كما قالوا عن الباب الأخير من مـرقس : إنـه مشكوك فيه وقال " نورتن " عن نفس الأنجيل : " إن العـادة الجبليـة للكاتبين أنهم كانوا أرغب فى إدخال العبارات من إخراجها " [٢] .

وقد قال واحد من أعظم علماء القرن الرابع وهو " فاسـتن : " إن هذا العهد الجديد كله ، ما صنعه المسيح ولا الحواريـون ، بـل صنعه رجل مجهول الاسم ، ونسب إلى الحوراريين " [٣] .

وقال " بروفسر الجرمنى : " إن هذا الإنجيل كله كاذب ... إذا علمت ذلك ، وثبت لديك أن كل سفر فى العهد الجديد ، قد اشتمل على قصص " ففى لوقا " قصة " زكريا " – عليه السلام – وكفالته لمريم ، وولادة السيد المسيح ، وتكرار هذا القصص بأسلوب يختلف عن متى ، ومرقس وفيه جهاد السيد المسيح ، مع إبليس ، وبيان أنه طاف الـبلاد المجاورة للناصرة يعلم الناس ويشفى مرضاهم ، فقد ذهب إلى " كفـر ناحوم " و " نايين " وكان الناس يجربونه .

وفى (متى) مثل ما ذكره لوقا ، وزاد عليه بـذكر قصـص كثيرة عن تلاميذ السيد المسيح ، وهكذا مرقس ويوحنـا قـد اشـتملتا (النسختان) على قصص فيها جوانب من حياة السيد المسيح ، وشفائه المرضى وتعليمه لتلاميذه ، وغير ذلك مما يتعلق بالعقيدة .

---

(١) باب ٤٣/٢٢ .
(٢) اظهار الحق جـ١ ص ٥٥.
(٣) اظهار الحق جـ١ ص ٥٧ .

وقد رأيت حكم المحققين والشراح عليها . أفبعد ذلك يعتمد على ما فيها من قصص وغيرها ؟ وإليك تفصيلا للتناقضات التى ذكرت فيه عن نسب السيد المسيح ؛ ودعوى ألوهيته ، وكيف انتهت حياته – عليه السلام – على الأرض ؟ ففيما يتعلق بنسب السيد المسيح – عليه السلام – فالقرآن يقرر أنه المسيح عيسى بن مريم ، نفخ الله فيها من روحه : " ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[١]

ويقرر ذلك فى غير آية ، بينما تجد متى يذكر نسب يوسف النجار فيقول : " هو يوسف بن يعقوب ولكن يظهر منه أن المسيح ابن يوسف النجار ، غير أنه يذكر أنه من أولاد سليمان بن داود ، وأن جميع آبائه من داود إلى جلاء بابل ، كانوا سلاطين مشهورين ، وكانوا أربعة عشر جيلا . [٢]

وقد أخطأ لوقا حيث خالف فقال : " يوسف ابن هالى ، وأنه من أولاد " ناثان " ابن داود ولم يؤكد نسبه بل قال : " على ما كان يظن " [٣]

وتلك الخلافات حيرت علماء المسيحية ، حتى قالوا : الجمع بينهما مستحيل [٤] والحق أن الكلام خطا من أساسه ، إذ نسب المسيح لأمه لا " ليوسف النجار " .

---

(١) التحريم ١٢ .
(٢) اصحاح ١ فقرة إلى ٢٢.
(٣) أصحاح ٣ فقرات ٢٣ ـ ٣٠ .
(٤) اظهار الحق جـ١ ص ٥٨.

قال إمام فرقة البروتستانت : " من أخرج سليمان عن نسب المسيح ، فقد أخرج المسيح عن كونه مسيحا ، والخلاف فى الكتابين متعين ، نسبه – عليه السلام – على ما ذكروا من مفتريات اليهود ، حيث اتهموا " مريم " بالزنا " بيوسف " وألصقوا نسب المسيح به ، للعداوة التى كانت بينه – عليه السلام – وبينهم . وقد تأثرت بعض فرق المسيحية فى القرن الأول باليهود ، فاعتقدوا أن المسيح إنسان مولود من " مريم " ، ويوسف النجار " كسائر الناس [1] وذلك خطأ شنيع يناقض النص والواقع .

أما فيما يتعلق بدعوى التثليث فحجتهم فى ذلك : أن السيد المسيح ابن الأب ، والابن مساو للأب فى الجوهر ، وأنه ذو إرادتين إلهية وإنسانية ، وأنه أحيا الموتى ولم يخطىء ، وأنه يحمل خطايا أمته وكل ذلك منقوض عقلا ونقلا .

أما عقلا : فإن المسيح – عليه السلام – يتصف بصفات البشر، يمتاز عليهم بالرسالة ، وإن ولد من غير أب ، فقد ولد آدم من غير أب وأم .

وهذا أدل على القدرة ممن خلق من أم وحدها ، وولادة السيد المسيح من غير أب ، آية له ، كغيرها من الآيات التى منحها الله إياه .

ثم إن دعواهم بأن ألوهية السيد المسيح نص عليها الإنجيل باطلة ، والرد عليها أن الإنجيل مقطوع السند ، ولا يصلح طريقا للعلم ، حيث لم يصل عن طريق التواتر القطعى ، والعلم بألوهية السيد

---

(١) اظهار الحق جـ١ ص ٥٨ .

المسيح لا يدخل فى حيز الإمكان ، بل هو مستحيل عقلا ، كما هو مستحيل شرعا.

ولو أن كتابهم كان متواترا لما اختلفوا فيه ، وبالتالى لم يتفقوا على قول واحد فى السيد المسيح فلهم فيه خمسة أقوال :-

١- إنه إله .
٢- إنه ابن إله .
٣- إنه إنسان .
٤- رب الأرباب .
٥- ثالث ثلاثة .

وكل دعوى فيه ، غير كونه رسولا ونبيا باطلة إذ لا دليل عليها ، بل الدليل ينقضها والله - تبارك وتعالى - لا يجوز عليه ما يجوز على سائر الرسل ، والأنبياء ، واللائق بالخالق لا يليق بالمخلوق ، وكيف يكون المسيح إلها وهو يأكل ويشرب وينام ويضرب ، ويصلب ويموت ويدفن بدعواكم ؟

وكيف يكون إلها ، ويشك فيه يحيى ، والشك فى الإله كفر[(١)]

ولما كانت هذه الدعاوى تنافى العقل ، كما قال الفخر الرازى فى تفسيره : " واعلم أن مذهب النصارى مجهول جدا " ثم قال:

---

(١) ففى متى ١١ " أن يحيى أرسل اثنين من تلاميذه ، قال : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ ويحيى أفضل الأنبياء كما فى الباب .

" وبالجملة فلا نرى مذهبا فى الدنيا أشد بعدا من العقل ، من مذهب النصارى " [1]

ومن عجب أنهم يدعون ألوهيته ، ثم يقولون إنه من نسل " داود " ، وهل الله من نسل داود ، وكيف يكون من نسل داود ، وفى الوقت نفسه ، يكون ابنا لله .

والمسيح ذاته يقول : " أنا إنسان ، ولكنهم يقولون : لا ، وما أعظم جرم من يكذب ربه ، كما قال : إنه ابن الإنسان ، وذكرت هذه العبارة فى " متى " نحو ثلاث وعشرين مرة [2]

وما دام السيد المسيح محتاجا كما يحتاج البشر ، فإما أن يكون هذا الاحتياج ضروريا ، أولا ، والتالى باطل من حيث إن البشر لا يمكنهم مواصلة الحياة ، بدون طعام ، وشراب ،ونوم ، وغير ذلك ، فثبت المقدم، وهو الاحتياج للضرورة ، والله تعالى لا يحتاج إلى غيره.

وأنتم تقولون : إن الثلاثة إله واحد ، ونحن نريد تفصيلا لهذا القول . فهل كل من الثلاثة إله على حدة ، وماذا تقولون بتعدد الآلهة ؟ وإن قلتم بالثانى قلنا لكم فى حالة انفصال الثلاثة إما أن يكونوا موجودين ، أو يكون بعضهم معدوما ، ففى حالة الوجود لو قلتم بأن الثلاثة آلهة ، أقررتم على أنفسكم بجواز انفصال الإله الواحد إلى ثلاثة أجزاء ، وهذا لا يقبله عاقل ، وإن كان أحدهما غير موجود ، فكيف

---

(١) جـ٣ ص ٣٤٦ المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ هـ.

(٢) اقرا باب ٢٠/٨ وباب ٦/٩ ، وباب ١٣/١٦ ، ٢٧ . وباب ٩/١٧ ، ١٢ ، ٢٢ ، وباب ١١/١٨ باب ٢٨/١٩ وباب ٤٤/٢٤ وباب ٤٥/٢٦ ، ٦٤ ويظهر من هذه النصوص وما يشبهها انه إنسان وليس إلها .

يكون الإله موجودا ، وجزء منه معدوم ؟ وأنتم تقرون بميلاد السيد المسيح ، وأثبتم ذلك فى كتبكم ، ومعنى ذلك : أنه وجد بعد أن لم يكن.

وإذا انعدم جزء من الإله دل ذلك على أنه عاجز عن استبقاء هذا الجزء ، وذلك باطل ومحال ، على من وجب له الكمال المطلق .

وإذا قلتم بالإيجاب كان مفاد ذلك أن الله – عزوجل – يتساوى مع المخلوقين حيث هم ينجبون كذلك .

هذا من حيث الابطال عقلا .

أما إبطاله نقلا :

فقد أكد محققوا المسيحية أن الآيات التى تدل على إنسانية المسيح فى الإنجيل صحيحة ، والآيات التى تدل على ألوهيتة أو بنوته باطلة .

مثال ذلك : ما تراه فى كتاب " أعمال الحواريين " فقال فيلبوس:" إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز ، فأجاب وقال : أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله " (1)

– وهذه الفقرة مكذوبة لدى المحققين أمثال " شولز "و " كريسباخ " ومثلها : ما ورد فى الكتاب السابق : فقال له : من أنت يارب؟ فقال الرب : أنا عيسى ، وما الذى تريد أن أفعل يارب ؟ فقال الرب : قم وادخل البلد(2)

---

(1) أصحاح ٨ فقرة ٣٧ .

(2) أصحاح باب ٩ ، فقرة /٥ وفى نسخة أخرى : " فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع " وفى باب ٩ فقرة ٢٠ ما نصه :" وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح ، أن هذا هو ابن الله.

وهذه أيضا مكذوبة ، وكل آية على نمطها لا أساس لها من الصحة .

وصاحب كتاب " ميزان الحق " وغيره اعترفوا بزيادة أمثال هذه الفقرات ، ونصوا على ما تراه فى رسالة " يوحنا " الأولى ، من قوله:" لأن الذين يشهدون فى السماء ثلاثة وهم الأب ، والكلمة ، والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة واحدة ، والشهود الذين يشهدون فى الأرض ثلاثة وهم الروح ، والماء ، والدم ، وهؤلاء الثلاثة تتحد فى واحد"[1] فأصل هذه العبارة " فى : الروح ، والماء ، والدم ، " لكنهم زادوا عبارة التثليث للأب ، والكلمة ، والروح " ، والمؤلف السالف الذكر فى سنة ١٢٧٠ هـ كتب فى زيادتها اثنتى عشرة ورقة ، ومن أدلته :-

- أنه لا وجود لها فى جميع النسخ اليونانية ، التى كتبت قبل القرن السادس عشر ، وكذلك لا وجود لها فى جميع النسخ الإنجيلية .
- لم يستدل بهذه العبارة أحد قط ، من المؤرخين القدماء .
- الفرق المختلفة أسقطتها ، ووضعوا عليها علامة الشك
- " لوثر " مصلح المسيحية ، لم يأخذ بهذه العبارة ، وأوصى المسيحين فى سنة ١٥٤٦ بعدم زيادتها فيما بعد ، لكنهم مع ذلك زادوها، فى الترجمة التى طبعت سنة ١٥٧٤ م ....

وليس المؤلف السالف الذكر هو الذى حكم بزيادتها ، بل جميع محققى المسيحية أثبتوا ذلك أمثال :- " كريسباخ " و " هورن " ، و

---

(١) أصحاح ٥.

" شولز " حكموا بذلك أيضا ، وقالوا بوجوب تركها .[1] ظنا منهم أنهم بذلك يرضون السيد المسيح ، عليه السلام – والحق أنهم يرضون أهواءهم .

ونحن نقول :- " إذا ذكر لفظ الإبن فى الإنجيل ، وصح ذلك – جدلا – فهو مجاز عن الحب ، والتكريم ، وإلا كان أتباع السيد المسيح آلهة يعبدون . ففى يوحنا قال السيد المسيح : " أيها الأحباء : نحن أولاد الله ، وإن الله يرعاكم كما يرعى أبناءه "[2] والمراد أن الله – تبارك وتعالى – يعاملهم كما يعامل الأب أبناءه ، بالعطف والرحمة والتكريم .

ومما يدل على ذلك قول " بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية : "على مقتضى مشيئة الله أبينا " [3] فهل الله تعالى أبوهم فعلا ؟ وهل هم أبناؤه بالمعنى الحقيقى ؟ ... والتشبيه فى ذلك مقبول ، ولا اعتراض عليه . ونقرأ فى متى :" ولأنكم لستم المتكلمين ، بل الذى يتكلم فيكم روح أبيكم " [4] وهذا نص يفيد أنكم أبناء ، مثل السيد المسيح.

وليس ذلك فى العهد الجديد فحسب ، ففى العهد القديم كذلك أطلق على الناس أنهم أبناء الله ، ففى إشَعْيَا :" والآن يارب أنت أبونا ونحن فى الطين [5] ولما قال اليهود ذلك رد الله عليهم فى كتابنا بأن الأب لا يعذب أبناءه ، وأنه تبارك وتعالى سيعذبهم – وذلك يفيد أنهم

---

(١) إظهار الحق جـ١ ص ١٨٨ .
(٢) إظهار الحق جـ٢ ص ٤٥ .
(٣) الفصل الأول فقرة ٤.
(٤) باب ١٠ /٢٠ .
(٥) باب ٨/٦٤.

ليسوا أبناء الله ، كما يزعمون . وبمقتضى ما نقرؤه فى متى يفيد أن جميع دعاة السلام فى الأرض آلهة ففيه " طوبى لصانعى السلام ، لأنهم أبناء الله يدعون "[1]

وليس الأمر كذلك – فلم يقل بهذا أحد ، ومعنى يدعون أى: يسمون ... ويكون مقتضى ذلك أيضا ، أن داود إله فقد قال الله لداود : " أنا أكون له أبا ، وهو يكون لى ابنا" [2]

وقد قال المحققون : إن الآيات التى اشتملت على الإبن والأب ملحقة من ذلك :" أنت ابنى الحبيب ، الذى به سررت " [3] و ليست فى الأناجيل القديمة حتى سنة ٢٠٠ م . وقد قال قدماء المسيحية فى هذه العبارات صراحة : إن تلاميذ الشيطان أدخلوا فيها نجاسة من عندهم.[4]

وهذا ظاهر إذ كيف يشتمل الإنجيل على الوحدانية ، والتثليث، وهو من عند الله ؟ ولا يمكن الجمع بينها . ففيه من آيات التوحيد قال يسوع لأحد الكتبة :" إن أول كل الوصايا هى : إسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك ، من كل قلبك ، ومن كل نفسك وزوجك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ، هذه الوصية الأولى "[5]

---

(١) باب ٩/٥.
(٢) صموئيل الثانى باب ١٤/٧ .
(٣) مرقس باب ١١/١.
(٤) اظهار الحق جـ١ ص ١٣٨ ، ١٣٩ .
(٥) مرقس باب ١٢ فقرة ٢٩ ، ٣٠ .

يخالف العقل والنص الصريح ، يجب أن يكون هو الباطل ، والتثليث يخالف العقل والنقل .

ولهذا التناقض أبطل كثير من زعماء المسيحية في عصر الإصلاح ، مذهب التثليث : ومن الذين أنكروه ، "ميكائيل سرفيتوس " ولكنه أعدم لقوله الصدق " ولخروجه على قواعدهم الموروثة عن آبائهم وأجدادهم ، وكان قد اتخذ لنفسه مذهبا دعاه مذهب التوحيد " وممن هاجموا التثليث : " توماس آدان " سنة ١٥٥٨ م ، وكان له أنصار كثيرون ، ظلوا يؤيدونه حتى القرن الثامن عشر ، ولكنهم انقرضوا ، ثم عادوا إلى الظهور ، في القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، وقد انتشر مذهب التوحيد ، في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا ، وكندا ، والمجر ، كما ظهر التوحيد في وسط أوربا ، في إقليم " ترانسلفانيا "[١] .

وذلك نتيجة للدراسات الأصلية للإنجيل ، وظهور أدلة التوحيد ، للعلماء المحققين ، والمصنفين ، من الباحثين الذين ثبت لديهم أن فقرات التثليث ملحقة به ، وذلك بخلاف القرآن الكريم الذى ثبت بالدليل العقلى أنه معجز بنصه ، وقد وصل إلينا عن طريق التواتر القطعى ، وقد أبطل التثليث – فما وافقه القرآن أخذنا به ، وما خالفه طرحناه ، وراء ظهورنا . قال تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى

---

(١) انظر دائرة المعارف البريطانية ترجمة مادة تثليث .

مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً * لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا ﴾ (١)

وملكية الله لما فى السموات ، وما فى الأرض تنافى البنوة ، إذ المالك لا يحتاج لابن يستعين به .

ويحمل ما فى الإنجيل من قوله عن السيد المسيح :" الذى يبديه فى آونته ، السعيد القدير وحده ، ملك الملوك ، ورب الأرباب ، الذى له وحده الخلود ، ومسكنه نور ، لا يدنى منه ، الذى لم يره إنسان ، ولا يقدر أن يراه ، له الكرامة والعزة المؤيدة "(٢) . على الوحدانية التى أقرها القرآن ، ودلت عليها الآيتان السابقتان . وما فى الإنجيل من هذه الصفات لا يطلق على السيد المسيح ، وإنما يطلق على الله عز وجل إذ ليست هذه صفات المسيح ، وسياق النص يدل على تدليس فيه.

وننقل هنا كلمة عن " دائرة المعارف الفرنسية " لاروس " تحت كلمة تثليث ما ترجمته :" عقيدة التثليث لا توجد فى الأناجيل ، وكلمات الأب ، والإبن ، والروح القدس ، لها مدلولات غير ما هى عليه الآن ، " وبطرس " الحوارى كان يعتقد أن المسيح رجل يوحى إليه ، من عند الله ، " وبولس" يقول : إنه أرقى من إنسان ، وكذلك العهود القديمة ،

---

(١) النساء ١٧١ ، ١٧٢ .
(٢) الرسالة الأولى إلى أهل تيموتاوس الفصل السادس ١٤-١٦ .

كانت تقر بإنسانية المسيح ، و " جوستن مارثن " المؤرخ اللاتينى ، فى القرن الثانى الميلادى يقول :" إن الكنيسة فى زمنه كانت تعتقد أن المسيح إنسان محض وأنه أرقى ممن سواه ، ولكن كلما يدخل أحد فى المسيحية يضيف إليها عقائد جديدة " (١)

ونقرأ فى " شبهات النصارى " أن البراهمة قالوا : إن " جزاكا " و " برهمة " آلهة ، وإن " ويشتو " قد تجسد خمسمائة مرة ، كما زعم سكان " ألبير " : أن الإله الحق تجسد فى إلههم " أودين " ، وأهل الصين قالوا فى إلههم ، " فويه " إن التى ولدته بنت بكر ، حملت به ، من أشعة الشمس ، وكان المصريون القدماء يعتقدون أن " أوزيريس " ولد من غير مباشرة أحد لأمه "(٢)

ويرى ابن قيم الجوزيه فى نشأة التثليث أن الأحبار وكهنة اليهود، كانوا يخشون اتباع الناس لديانة المسيح ، بعد أن رفع إلى السماء وشيوع حبه بينهم ، فأشاعوا ألوهيته ليبغضه الموحدون ، غير أن النتيجة كانت عكس ما توقعوه (٣)

وكل ما ذكر من أسباب نشأة التثليث يدل على أنه دخيل على المسيحية ، وبمضى الزمن انعقدت الفكرة فى الأذهان ، وورثها اللاحق عن السابق ، حتى اعتقدوا بألوهيته ، والحق أنه – عليه السلام – بشر رسول ، ذو معجزات كغيره من الرسل ، ولا برهان لمدعى ألوهيته ، يقول تعالى : ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي

(١) دائرة المعارف الفرنسية جـ٣١ ص ٣٩٦ .
(٢) الشيخ رشيد رضا ص ١٨.
(٣) هداية الحيارى ص ١٥٤ .

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَـذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فهل بعد ذلك أدلة على إبطال التثليث عقلا ونقلا وإجماعا ؟ .

وإذا بطل كون المسيح ربا ، فمن باب أولى يبطل ما فى رؤيا يوحنا من أنه رب الأرباب ، فذلك كذب وباطل .

ولو قلتم : بأن هذا النص وأمثاله من كلام الله ، قلنا لكم : إن معنى ذلك إقراركم بالتناقض فى كتابكم ، حيث قد أثبت كتابكم الوحدانية فى نصوص كثيرة على ما ذكرت ، وإن قلتم بأنه ليس من كلام الله فقد سلمتم بالوحدانية ، وأبطلتم التثليث .

وقولهم : إن القرآن أثبت أن المسيح الروح من الله فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (٢) قلنا لهم : قد قال الله مثل ذلك فى " آدم " : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (٣) كما قال – تعالى – عن جبريل فى قصة مريم: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ (٤) ولم يقل أحد من القدامى والمحدثين ، إن آدم وجبريل إلهان ، أو أبناء إلهين ، والصحيح أن المعنى " ذو روح " والإضافة للتشريف .

---

(١) سورة يونس ٦٨.
(٢) النساء ١٧١ .
(٣) الحجر ٢٩.
(٤) مريم ١٧.

يقول البيضاوى : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أى ذو روح صدر منه .[1]

وقال عن : (روحنا) ما يفيد أن المراد بـه جبريـل -- عليـه السلام – متمثلا بصورة شاب أمرد سوى الخلق [2] .

ودعوى إحيائه الموتى يرد عليها بأن " حزقيال " قد أحيا ألوفـا من الناس بعد أن نادى : " أيتها العظام اليابسة ، فقاموا على أقدامهم ، وكانوا جيشا عظيما [3] وأنتم لم تقولوا بألوهيته .

وقولكم : إنه لم يخطئ منقوض بإثبات الخطأ فى كتابكم ، الذى ادعيتم فيه أن المسيح شرب الخمر ، وهى محرمة بنص الإنجيل ، ففى متى :

" جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب ، فيقولون : هـو ذا إنسـان ، أكول وشريب خمر "[4]

ويترتب على ذلك أن المسيح – حاشاه – يكون مجرما ، ففـى رسالة يعقوب :" من حفظ الناموس كله ، وعثر فى أمر واحـد ، فقـد صار مجرما فى الكل "[5] ، وزعمهم بأن المسيح يحمل خطايـا أمتـه باطل ففى حزقيال : " والإبن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمـل من إثم الإبن " [6] .

---

(١) ص ١٣٧.
(٢) ص ٤٠٤ .
(٣) حزقيال أصحاح ٣٧ فقرات ١-١٤ .
(٤) باب ١١ فقرة ١٩.
(٥) الفصل الثانى فقرة ١٠ .
(٦) باب ٢٠/١٨ .

وإذا كان ذلك بين أقرب الأقربين ، فكيف بمن هم أبعد منهم ؟

وقد تمادوا وأسرفوا فقالوا :" إن المسيح صار لعنة – والعياذ بالله – ذلك فى رسالة " بولس " الرسول إلى أهل غلاطية . يقول :" المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة [1] .

وهم بهذه الفرية قد استوجبوا الرجم ، إذ كل من يلعن الله يجب رجمه كما تقرأ فى سفر الأحبار [2] وكذلك من يلعن الأبوين يجب قتله" [3]

وفى كتب العهد القديم :" لو دعا نبى إلى عبادة غير الله يقتل هذا النبى ، وإن كان ذا معجزات عظيمة ، ولو رغب فيها يرجم ،[4] ولو ثبت على أحد عبادة غير الله يرجم ، رجلا كان أو امراة [5]

أما كيف انتهت حياة السيد المسيح ؟

---

(١) باب ٣/١٣ .
(٢) باب ٢٤ .
(٣) بابا ٢٠ من الحفر المذكور .
(٤) استثناء ٢٣.
(٥) استثناء ١٧.

فالقرآن يقرر كما تقرر السنة أن المسيح رفع إلى السماء وأنه لم يقتل ولم يصلب كما زعمت اليهود قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [(١)] والوفاة هنا النوم .

وذلك رأى جمهور العلماء ومن شواهده قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾[(٢)] وقوله : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [(٣)] وقوله : ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[(٤)]

وقد أجمع العلماء على رفع عيسى حيا .

وفى قوله :" بل رفعه الله إليه " رد لمزاعمهم فى قتله ، وهذا إثبات إبقائه حيا . ونفى زعمهم قتله ، وإبطاله .

ويخطئ من زعم أن المراد رفع روحه لأن رفع الروح لا يبطل مدعاهم فى قتله وصلبه ، ذلك أن روحه سترفع حتما ، لو قتلوه ؛ فلا تكون فائدة من إثبات هذا الرفع ، وذلك من اختصاص الله لعيسى – عليه السلام – والله ذكر فيه أكثر من آية لإثبات هذا الرفع .

ورفعه عليه السلام حيا روى بإسناد صحيح .

---

(١) سورة آل عمران ٥٥ .
(٢) الانعام ٦٠ .
(٣) الزمر ٤٢.
(٤)النساء ١٥٧ .

تراه فى تفسير ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (١) فهو يذكر مرويات من طرق متعددة عن ابن عباس تؤيد أن المراد به فى الآية الإيمان بعيسى – عليه السلام – قبل موته قال : " وهذا القول هو الحق "(٢)

وتعجب إذ علمت أن رأى الأستاذ الإمام فى نزوله – عليه السلام – يراد به ظهور أسرار الشريعة ومقاصدها ، كما أن الدجال رمز للخرافات ، والدجل ، والقبائح التى تزول بتقرير الشريعة على وجهها"(٣)

وذلك مخالف لصريح الأحاديث الصحيحة ، والإجماع .

أما موقف الأناجيل من نهاية حياة السيد المسيح ، فقد اضطربت اضطربا شديدا ، واختلفوا مما يدل على أن ما كتب فى هذا الشأن دخيل على الإنجيل الأصلي ، و حادثة الصلب لا توجد فى كتاب منزل بحال حتى لا يتعارض مع القرآن ، وكلاهما من عند الله ، ونساخ الأناجيل هم الذين اضطربوا فيما ذكروه ، عن نهاية حياته ، ففى متى ما يفيد أنه صلب ودفن فقد ذكر أن رجلا اسمه " يوسف " تقدم إلى " بلاطس " وطلب جسد يسوع ، فأعطاه إليه ، ولفه بكتان نقى،

---

(١) النساء ١٥٩.
(٢) تفسير القرآن العظيم جـ١ ص ٥٧٦ ومنها ما رواه على بن طلحة عن ابن عباس فى الآية قال : " لا يموت يهودى حتى يؤمن بعيسى.
(٣) المصدر السابق.

ووضعه فى قبره المنحوت فى الصخر ودحرج حجـرا علـى القبـر ومضى [1] وفيه : أن مريم المجدلية ومريم الأخرى ، لما ذهبتا إلـى قبره نزل الملاك ودحرج حجرا على القبر وجلس عليه [2] وفيـه: أن الكهنة صرخوا مطالبين بقتلـه بعـد أن اخـذوا معهـم شـهود زور للملك الرومانى، مدعين أن المسيح ادعى ملكيته لليهود أمام القيصر . لكن " بلاطس " رفض الدعوى لأنها لم تثبت عنـده [3] وفيـه : أنـه صلب الساعة التاسعة، وأنه قال : " إيلى إيلى لم شـبقتنى" أى إلهـى إلهى لماذا تركتنى [4] وفيه : أنه قال لهم إنى بعد ثلاثة أيـام أقـوم[5] وفيه : أنهم اقتسموا بقرع القرعة على لباسه بعـد صـلبه ، وفعلـوا ذلك ليكمل قول النبى : " إنهـم اقتسـموا لباسـى واقترعـوا علـى قميصى[6] .

وقد اختلف متى مع مرقص الذى ذكـر أن مـريم المجدليـة ، ومريم الأخرى ، ومعها سالومه ، لما ذهبوا إلى القبر ، وجدوا الحجر مدحرجا ، وأنهن دخلن القبر فوجدن شابا جالسا على اليمـين [7] كمـا

---

(١) أصحاح ٣٧ فقرة ٥٧، ٥٨.
(٢) اصحاح ٢٨ فقرة ١، ٢.
(٣) اصحاح ٢٧فقرة ٢٤، ٢٥ .
(٤) اصحاح ٢٧فقرة ٤٥ ، ٤٦.
(٥) اصحاح ٦٣/٢٧ .
(٦) اصحاح ٣٥/٢٧ .
(٧) اصحاح ١/١٦ ، ٣ ، ٥.

اختلف الإنجيلان عن لوقا أنهن لم يجدن السيد المسيح[1] وعن يوحنا الذى زعم أن عيسى لقى مريم عند القبر وكلمها [2] .

وهذه تناقضات لا يمكن الجمع بينها ... حيث ثبت وجوده مرة ، وعدم وجوده أخرى ، وكذلك كان الحجر مدحرجا مرة، وأخرى أنهن اللائي دحرجنه – هذا إذا أضفنا أن قول السيد المسيح :" إنى بعد ثلاثة أيام أقوم ، لم يثبت ذلك تاريخيا " وزعمهم أن المسيح قال :" إنهم اقتسموا لباسى واقترعوا على قميص " أثبت محققوا المسيحية أنفسهم خطأ هذه العبارة ، وحذفها " كريسباخ " من تفسيره ، وكذلك فعل " آدم كلارك " وقالوا : إنها كاذبة [3] ولما تعارضت هذه الأدلة فى نهاية السيد المسيح تساقطت جميعها والحق ما ذكره القرآن والسنة فى ذلك .

ونقول للذين يدعون صلبه : إما أن يكون هذا الصلب للفداء أولا، فإن كان للفداء فالمسيح قادر على ذلك بدون تعذيب لنفسه ، وإن كان لأمر آخر وحكمته مغيبة عنا ، فالإله منزه عن العبث فى التصرفات ، وإذا لم يستطع الدفاع عن نفسه كان ذلك عجزا منه ، والعاجز لا يكون إلها ، وبهذا التحرير والتقرير تكون دعواكم المتعلقة بصلب المسيح باطلة .

---

(١) اصحاح ٢/٢٤.

(٢) اصحاح ١٥/١٤/٢٠.

(٣) انظر اظهار الحق جـ١ ص ١٨٧ .

وحيث قد تعرضت لنهاية حياة السيد المسيح ورفعه إلى السماء فيلزم تأكيد أنه – عليه السلام – سينزل من السماء ، وذلك ثابت في القرآن والسنة . فمن آيات نزوله قوله تعالى : ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾[1] أى يكلمهم طفلا فى المهد وكهلا بعد نزوله من السماء لأن الكلام وهو طفل آية ، وكلامه وهو كهل لا يكون آية ، إلا إذا كان بعد النزول .

إذ كل إنسان يتكلم وهو كهل . ومن هنا لا يحسن كونه آية ، إلا إذا كان بعد النزول ، وخاصة أن الكلام فى مقام الاختصاص ، ليكون كلامه كهلا ككلامه طفلاِ ، والثابت أن عيسى رفع إلى السماء ، قبل أن يكون كهلا .

والأحاديث فى ذلك فى البخارى ، ومسلم ، ومسند أحمد وابن ماجه وغيرها ، وكلها مرفوعة ، وقد قال ابن كثير بعد روايته لهذه الأحاديث " فهذه أحاديث متواترة ، عن رسول الله ﷺ من رواية أبى هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبى العاص ، وأبى أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع ابن جارية ، وأبى شريحة ، وحذيفة بن أسيد ، رضى الله عنهم ، وفيها

---

(١) آل عمران ٤٦ .

دلالة على صفة نزوله ، ومكانه ، من أنه بالشام ، بل بدمشق ، عنـــد المنارة الشرقية ، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح " [١]

وأيد نزوله – عليه السلام – كثير من الأئمة منهم :

١- أبو جعفر الطحاوى [٢]

٢- النسفى

٣- سعد الدين التفتازانى

قال النسفى :" ونزول عيسى حق " [٣]وقال التفتازانى : إنها من الأمور الممكنة ، التى أخبر بها الصادق " [٤]

---

(١) جـ١ ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ وانظر كذلك ص ١٨٤ من هذا الجزء ومن هذه الأحاديث : " كيف بكم إذ نزل فيكم المسيح ابن مريم ، وإمامكم منكم " رواه البخارى ومسلم وأحمد

(٢) شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية ص ٤٣٠.

(٣) (٢) انظر العقائد النسفية وشرحه ص ١٥٠ ، ١٥١.

الفصل الثالث
أسلوب القصة القرآنية

للقرآن الكريم طريقة خاصة في عرض قصصه،من حيث مضمونُ هذه القِصص،وخصائص نظمها،واختيارُ ألفاظها،وتراكيبُ جملها، وعباراتها،وإحكامُها،ومن حيث التركيز على الصور،ذاتِ التأثير النفسي،الباعثِ على الإجلال،والروعة.

وكما تجد في قصصه تلوينا بديعاً في الأسلوب،مشفوعاً بالحقيقة والمجاز،بأنواعه المختلفة،من الكناية والاستعارة مع تنوع الصور،التي يتطلبها كل موقف،واختيار اللفظ مع ما يناسبه من الألفاظ الأخرى، بحيث تأخذ كلى كلمة بحجز ما يجاورها من الكلمات ، ومن ذلك قوله تعالى ذلك ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾ (١)

فالحروف،والأفعال،والأسماء،كلها غريبة،للتجانس وحسن الجوار .

فالتاء أقل حروف القسم استعمالا،وتفتأ،أغرب صيغ الأفعال، والحرض أغرب ألفاظ الهلاك،وكان من الممكن استعمال الواو أو الباء في القسم،وتزال في الفعل،والهلاك مكان الاسم،ولكنه القرآن. ترى فيه اللفظة تجاور أختها،من جنسها،وذلك لحسن الجوار،ورعاية ائتلاف المعاني . كما نجد اقتران الكلمة مع ما يتفق معها،في قوله تعالي :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ (٢)

---

(١) سورة يوسف ٨٥.
(٢) سورة طه ١١٨، ١١٩.

قرن الجوع والعرى،وقرن الظمأ مع الضحى،وذلك لاجتماع كل منهما فى صفة،فالجوع خلو البطن،والعرى خلو الجسد،كما أن الظمأ يشترك مع الضحى، الأول احتراق الباطن،والثاني احتراق الظاهر[١]، كما نجد الجُمَلَ متنوعة ، فهي إما طَويلَة وإما متوسطة، وإما قصيرة ...

مثال الأول قوله تعالي: ﴿وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾[٢] وقوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[٣]،وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾[٤]

ومثال الثاني ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[٥] ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾[٦] ومثال الثالث: ﴿أَلحقنى بالصالحين﴾[٧] ، ﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ فى قوله تعالي : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾[٨].

وتأمل فى هذه الكلمات: منذَرين ومنذِرين بالفتح والكسر، وقوله: إلى إلهك،وقال وقالين. تجد إيحاء خاصا،ووقعا فى اللفظ،يوحى بصورة رائعة فى الذهن فى تنسيق محكم ، وترتيب معجز.

(١) الاتقان للسيوطي جـ١ صفحة ٩٥
(٢) سورة طه ٩٧.
(٣) سورة الصافات ٧١.
(٤) سورة الشعراء ١٦٨.
(٥) سورة الشعراء ٨٠.
(٦) سورة الصافات ٧٢.
(٧) سورة الشعراء ٨٣.
(٨) سورة الأعراف ١٧٥.

والقرآن فى هذا يوجز حيث يحسن الإيجاز،ويطنب حيث يحسن الإطناب، كل ذلك مع مزجه بين مخاطبته العقلَ،والعاطفَة، بألفاظ واضحة،محددة،ذات إيحاءاتٍ، ومعانٍ، تسمو بالإنسان وبالمجتمع .

وحول هذه المعاني يقول الفخر الرازى:

" الكتاب الكريم ينطق بالحق. ويأمر بالعدل. ويلهم التقوى . ويربى النفس على الخير. محكم الآيات،رفيع المعاني . لا تتعارض معانيه،ولا تضطرب ألفاظه، ففيه رقة الوضع وجمال التصوير، وأسلوبه يبهر المفكرين وتتخاذل أمامه الأساليب"[1] ولأنه قول فصل، تنزيل من حكيم حميد، لا توجه إليه شبهة اعتراض،فى لفظ،أو عبارة، أو آية،أو جملة آيات،من حيث وضعها فى غير مكانها،أو عدم دلالتها على المطلوب،أو إمكان وضع غيرها مكانها أو تعارضها مع غيرها، فى نفس السورة،أو سورة أخرى،فذلك شأن البشر،ومحال على الله تعالي. ولهذا أردف الإمام الرازى قوله :

" وإذا ادعى أحد الاختلاف فيه فلأحد أمرين "

الأول : العناد أو المكابرة، وتلمس ما يثير الشكوك، مع أن النظر إليه يزيل كل ارتياب .

الثاني : الجهل بأساليب القرآن، وضروب فنونه، وتذوق خصائص البلاغة فيه "

ولذا فليس لمعترض حق الاعتراض،قبل أن يتبين مسالك القرآن،وأساليب بيانه،وحكمة نظمه،وما يثبت للقرآن فى هذا المجال

---

(١) الفخر الرازى جـ ١٨ صفحة ٢١٨.

يثبت فى قصصه،من حيث إنها جزء من القرآن،ذات وحدة موضوعية، فيها روح يسرى فى النفس،فيحيل ظلمتها نورا، وجهلها علما وموتها حياة.

ومن خلال ما ذكرت أشير إلى الحقائق التالية :

الحقيقة الأولي :

القرآن بلسان عربى مبين، وهو حينما يحكى عن غيره،فهو لا ينقل إلينا نفس الألفاظ التى قالها السابقون،فلغتهم غالبا غير عربية،لكن مع الأمانة فى نقل الأفكار والمعاني، وتضمينها الألفاظ العربية،التى تحملها. ونحن لا يضيرنا عدم نقل الألفاظ إلينا،وإنما يضيرنا ألا تنقل إلينا معانيهم،بصدق يفى بالعبرة والعظة.

قال البقاعى فى قصة آدم من سورة البقرة : " إن المقصود فى حكاية القصص فى القرآن، إنما هى المعاني فلا يضير اختلاف اللفظ، إذا أدى جميعها،ولم يكن هناك تناقض، فإن القصة كانت حين وقوعها بأوفى المعاني. ثم إن الله تعالي يعبر لنا فى كل سورة تذكر القصة فيها بالألفاظ المناسبة للمعاني، ويطرح مالا يقتضيه المقام[1] .

ترى من هذا النص أن أسلوب القرآن المعجز يأتي من حيث حكايته عن الغير،لافيما هو محكي عن الغير،فبلاغته فى الحكاية لا فى المحكي،" ذلك أن القائل يقول قولا،ويقصد به حالة خاصة،فالله تباركَ وتعالي يضع كل حرف منها فى موضعه ،بحيث يكون تأثيرها أعم وأشمل،مما لا يقدر القائل على الإحاطة بأسرار صياغته . فالقصة

---

(١) نظم الدرر ٢٨٤/١.

كما نقرؤها،أو نسمعها فى القرآن،هى من قول الله العليم بكل شئ،ولا يستطيع بشر بحالٍ أن يأتي بمثلها،وإلا لأمكن للبشر أن يأتوا بلفظ القرآن وأسلوبه. وهذا ما نفاه القرآن ذاته، لما تضمنته من خصائص،وصلت إلى رتبة الإعجاز .

ويؤكد العلامة أبو السعود ما ذهبت إليه فى قوله :

" والذى يجب مراعاته عند النقل إنما هو أصل المعنى،ونفس مدلوله،الذى يفيده،أما كيفية إفادته فليس مما يجب مراعاته،عند النقل ألبتة . بل قد تراعى وقدلا تراعى،حسب اقتضاء المقام،ولا يقدح فى أصل الكلام تجريده عنها، بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصائص، لم يردها المتكلم أصلا،ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى.ألا ترى إلى أن جميع المقاولات المنقولة فى القرآن الكريم،إنما تحكي بكيفيات واعتبارات لا يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما، وإلا لأ مكن صدور الكلام المعجز،عن البشر،فيما إذا كان المحكى كَلاَماً"[1] .

وأضاف – رحمه الله– ما يفيد أن الله– تبارك وتعالى–يحكى الكلام الواحد بأساليب متنوعة اقتضاها المقام، وقد يذكر جانب من الحكاية فى موضع،ويذكر ما يكمل هذا الجانب فى موضع آخر.

---

(١) أبو السعود – سورة الأعراف جـ٣ ص ٢١٨ آية ١٦.

الحقيقة الثانية :-

لما كانت القصة جزءا من القرآن ، وغايتها هى غايته ، فإننا نجد علاقة بين القصة ، وما قبلها وما بعدها ، من الآيات أو السور، طالت القصة أو قصرت ، ذكر جانب واحد منها أو جوانب .

مثال ذلك :- فى القصة ذات الجوانب المختلفة : قصة عيسى -عليه الصلاة والسلام- فى سورة مريم ، فهى قصة ذات جوانب مختلفة ، من حياة أمه مريم الصديقة رضى الله عنها، فلقد اتخذت لها مكانا شرقيا، وجعلت بينها وبين أهلها حجابا، فأرسل الله إليها جبريل، على هيئة رجل حسن الصورة ، مستوى الخلق، فاستعاذت بالله منه إن كان رجلا يرجى منه تقوى الله ، وخشيته ، ويحفل بالاستعاذة. ولكنه بشرها بغلام زكى" وتمضى القصة فتذكر حملها ، وولادتها ، وتمنيها الموت قبل هذا الحادث ، خشية الفتنة ، لكن الوليد يتكلم ويخاطبها بألا تحزن ، فالذى تحتها جدول من الماء ، وطلب منها الأكل من الرطب، والشرب من الماء ، وإذا رأت أحدا فلا تتكلم معه.

ويعيرها قومها بوليدها، ويذكرونها بأنها أخت هرون[1] وابنة عمران أبيها، وزوجه الطاهرين، وتكلم المسيح، دفاعا عنها، فأشار إلى ما وهبه الله من منح كثيرة،ثم يعقب الله على القصة بأن عيسى بن مريم قول الحق وأنه ليس ولدا لله، فسبحانه أن يكون له ولد، وأن الله

---

(١) فى مسلم والنسائى والترمذى عن المغيرة بن شعبة قال " يعثنى النبى صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالوا لى : أرأيتم شيئا تقرأونه " يا أخت هرون " وبين موسي وعيسى ما شاء الله من السنين؟ فلم أدرما أجيبهم فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم ؟ انظر ابن كثير جـ ٣ ص ١١٩، والحديث المذكور قال فيه الترمذى حسن صحيح غريب " .

هو رب عيسى، ورب الجميع ، ويهدد الله الكافرين، المخـــالفين لمـــا حكاه الله من هول يوم القيامة ، يوم يشهدون الحساب والجزاء ، على أقوالهم وسؤ أعمالهم[1] .

نرى قبل هذه القصة الحديث عن زكريا، وطلبه أن يهـــب لـــه ربه وليا، يلي أمره بعد وفاته، وأن يكون رضيا، فبشــــره الله بغـــلام اسمه يحى، ويأمر يحى أن يأخذ التوراة بجد واهتمام، حيث قد آتاه الله النبوة[2]

تلاحظ العلاقة بين قصة عيسى ذات الجوانب المختلفـــة وبـــين قصة زكريا ويحى فيما يلي:-

أولا : زكريا هنا فى سورة مريم ، هو زكريا الذى كفل مـــريم بالرعاية والعناية،وكان يدخل عليها محرابها إذ هو زوج خالتها ، وقد دعا ربه بولد فى محرابها فاستجاب الله له .

ثانيا : ولادة يحى أمر خارق للعادة ، فقد كبر زكريا فى السن، ولما عجب أن يولد له قال له ربه:﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[3] وذلك يشبه ولادة عيسى، فكلاهما أمر خارق للعادة ، وقد قال الله لمريم: ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾[4]

---

(١) سورة مريم الايات من ١٦ ــ ٤٠ .
(٢) الآيات من ١- ١٥ .
(٣) سورة مريم الآية ٩.
(٤) الآية ٢١.

ثالثا : يسر الله ليحى أخذ التوراه ، وآتاه الحكم صبيا ، ووصفه بالرحمة والطهر والتقوى والبر بوالديه ، وباركه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا، وكذلك الحال مع عيسى عليه السلام ، حيث حكى الله عنه قوله: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿ ٣٠ ﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿ ٣١ ﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ ٣٢ ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ (١)

هذا عن علاقة القصة بما قبلها، أما علاقتها بما بعدها: فالقصة التى تليها مباشرة ، قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام . وهى مصدرة بقوله تعالي: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (٢) والعلاقة : أن الله عقب على القصة السابقة بآيات منها: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٣٩ ﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (٣)

ومعنى أنذرهم: حذر الناس من مخالفة ما حكاه الله لهم، وخوفهم من بطشه وعقابه، واتل عليهم قصة عيسى وأمه. واتل عليهم قصة إبراهيم وأبيه. وفيها كما فى غيرها من القصص النهى عن عبادة غير الله، وأن إبراهيم يعلم مالا يعلمه أبوه ، وأن عبادة غير الله عبادة للشيطان. ويترتب على ذلك العقاب الإلهي. كل ذلك نأخذه عن

---

(١) سورة مريم الآيات من ٣٠ - ٣٣.
(٢) سورة مرين الآيات من ٤١.
(٣) آية ٤٠.

قصة عيسى عليه السلام. فعبادته شرك وعيسى قال لهم: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾، وإذا عبدوا غير الله فإنما يعبدون الشيطان حيث هو الذى دفعهم إلى ذلك . وعيسى يتبرأ إلى الله من دعوتهم إلى عبادته اذ هو عبد الله ورسوله .

ومثال القصة ذات الجانب الواحد :- قصة أيوب فى سورتى ص، والأنبياء، فى قوله تعالي : ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾[1] الخ الآيات ، وقوله :﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ٨٣ ﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ﴾[2]

وعلاقة القصة بما قبلها،ما ذكر من فتنة داود،فى قوله تعالي : ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿ ٢٤ ﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[3] وذكر عقبها فتنة سليمان، وفيها يقول: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾[4] وبعد قصته ذكر قصة أيوب وهى فتنة عظيمة حيث ابتلى بفقد ماله، وأولاده،وبالمرض الشديد،سنين عددا،وناله التعب والمشقة. وإذا كان الله قد غفر لداود فقد

---
(١) سورة ص الآيات من ٤١- ٤٤.
(٢) سورة الأنبياء آيه ٨٣ ، ٨٤.
(٣) سورة ص الآيات : من ٢٤ - ٢٥.
(٤) سورة ص ايه ٣٤.

دل أيوب على مخرج يتحلل به من يمينه،حتى لا يقع فى الإثم: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ﴾[1]

أما علاقتها بما بعدها فالذى تلاها قوله تعالي : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾[2] ، فهم قد صبروا على ما أصابهم فنالوا جميعا شرف الرتبة فى العلم والعمل .

أ) ومن اسلوب القرآن الفريد،أنه قد يذكر القصة،يدمج فيها قصة أخرى، ثم يعود إلى القصة الأولي :

نرى ذلك فى قصة إبراهيم ومحاجته لعدو الله الذى آتاه الله الملك، وأفحمه إبراهيم. ثم يذكر الله قصة الذى مر على قرية،وهى خاوية على عروشها، وفيها الدليل الحسى على إمكان البعث. وبعد هذه القصة يعود الكلام إلى إبراهيم عليه السلام وطلبه من ربه بيان كيفية إحياء الموتى .

والنص القرآني فى ذلك هو: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ

(١) سورة ص آيه ٤٤.
(٢) سورة ص آيه ٤٥.

بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ ٢٥٩ ﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

وسر ذلك أن قصة عزير التى فصلت بين الحديث عن إبراهيم تتعلق بالإحياء والإماتة :﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ؟ كما أن الحديث مع إبراهيم، والذى آتاه الله الملك فى قوله تعالي: ﴿ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ تضمنت الإحياء والإماتة كذلك،والحديث عن إبراهيم فيما بعد يتعلق بطلب كيفية إحياء الله الموتى،وبيان ذلك بما وصفه الله.

والقصتان معا متصلتان اتصالا وثيقا بالسابق عليهما،فى قوله تعالي: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾ (٢) ففيهما من الشواهد على نصرة المؤمنين وخذلان الكافرين ما قررته بإيضاح قد آثر (أو) فى الآية

---

(١) سورة البقرة آيات ٢٥٨ ـ ٢٦٠.
(٢) سورة البقرة آيه ٢٥٧.

دون الواو فى قوله: ﴿أوكالذى﴾ كى لا يظن أحد أن الشـاهد واحـد والحق أنهما شاهدان، والشاهد الأول ذو شقين،حيث جـرى الحـديث أولا بين إبراهيم عليه السلام، والذى حاجه فى ربه، وثانيا بين إبراهيم وبين ربه، وهو فى قوله: ﴿كيف تحى الموتى﴾فهى على التحقيـق ثلاثـة شواهد، على ولاية الله للمؤمنين وخذلانه للكافرين[1].

ب) كما ترى من هذه المناسبة أن خواتم أغلب السور التى ذكر فيها قصص تتناسب مع ما ذكر فيها من هـذه القصـص وذلك مثل : آخر سورة يوسف عليه السلام .

فقد ختمت السورة بقوله تعالي: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] .

وبعد سرد قصص سـورة الأعـراف: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] وبعد سرد قصص يونس: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4] .

وبعد سرد قصص سورة هود: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[5] .

---

(١) جـ ١ ص ١٦٣ ط صبيح.
(٢) سورة يوسف ١٠٣.
(٣) سورة الاعرف ١٧٦.
(٤) سورة يونس ١٠٣.
(٥) سورة هود ١٢٠.

وفى سورة إبراهيم: ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾[1] وفى مريم: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿ ٥٨ ﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿ ٥٩ ﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿ ٦٠ ﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿ ٦١ ﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿ ٦٢ ﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[2] .

وفى طه: ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى ﴾[3].

وفى الأنبياء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[4]

ج) والقارئ يجد المناسبة فى الربط قوية، سواء كان السابق أو اللاحق قصة، أو موضوعا عاما،أو خاصا، ومن أسرار ذلك تنبيه النفس إلى شئ جديد لتقبله، وتقبل عليه،وهى غاية فى النشاط.

---

(١) سورة إبراهيم ١٤٧.
(٢) سورة مريم من ٥٨- ٦٣.
(٣) سورة طه ١٢٨.
(٤) سورة الأنبياء ١٠١.

د) تلاحظ فى السور التى بدئت بأحرف المعجم تذكر قصص فيها أغرب الأحداث. فهذه الحروف للتنبيه إلى ما فى هذه القصص من غرائب،مثال ذلك: قصة البقرة،فى سورة البقرة،وقصة آل عمران،فى السورة التى سميت بهم،ومعجزات الأنبياء فى الأعراف. وقصة مريم، وقصة موسي ،فى طه،والنمل،والقصص السبع التى ذكرت فى سورة الشعراء.

ه) وفيه أيضا نوع من التناسب لحال المخاطبين،فقى السور المكية ترى التركيز على شئون العقيدة، بخلاف السور المدنية،التى ترى فيها التركيز على فروع الشريعة والتكاليف.

و) وتجد العلاقة بين البداية والنهاية مؤكدة،كما تبين لك العلاقة بين القصة،وسابقها،ولاحقها،وذلك واضح فى كثير من قصص القرآن. ففي قصة هود ، صالح ، لوط فى سورة الأعراف،يرتبط فى كل منها أول القصة بآخرها.

فأول قصة هود: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[1].فهنا يدعوهم الرسول إلي عبادة الله وحده،ونبذ ما يعبدون من آلهة أخرى،ويدعوهم إلى تقوى الله،ومنها الخوف من عقابه الشديد،ولكنهم لم يستجيبوا وتختم القصة بقوله تعالي: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ

(١) سورة الأعراف ٦٥.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[(1)] فالقوم لم يتقوا الله،كما نصحهم نبيهم،فكانت عاقبتهم قطع دابرهم،ونجاة المؤمنين

وأول قصة صالح:﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[(2)] وهنا يدعو صالح قومه إلـــى التوحيد،كما دعا هود،ويحذرهم من التعرض بسؤ إلـــى ناقتـــة،حتى لا يأخذهم العذاب الأليم. ولكنهم لم يستجيبوا لدعوتـــه،ودفعتهم نفوســـهم الأمارة بالسؤ إلى استعجال هذا العذاب الأليم الذى توعدهم به .

﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ* فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ* فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[(3)]

ولوط عليه السلام يستنكر من قومه إتيـــان الفاحشة،ويصـــفهم بـــأنهم مسرفون والإسراف منهم جهل وإجرام . وتبدأ القصة بقوله تعـــالي : ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[(4)] ولكنهم لم يستجيبوا فينجي الله لوطا وأهله،إلا امرأته. وتمطر السماء فيهلك القوم.يقول عز مـــن

---

(١) سورة الأعراف ٧٢.
(٢) سورة الأعراف ٧٣.
(٣) سورة الأعراف ٧٩.
(٤) سورة الأعراف ٨٠، ٨١.

قائل فى ختام القصة: ﴿ أَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١)

وهكذا نجد الرابطة واضحة لمن يتأمل القصة فى أكثر القرآن الكريم

<u>الحقيقة الثالثة :</u>

اللغة العربية لغة القرآن،ذات خصائص وأسرار،لا توجد فى غيرها،وذات قدرة على البقاء،لم تكن لإحدى اللغات الأخرى،فطالما عمل الاستعمار على إحلال غيرها محلها فلم يستطع،وأثبتت قدرتها على البقاء،فى ظل القرآن الخالد الذى لا حياة لنا إلا به. فهى تمتع العقل والقلب معاً بسحر البيان وجمال التعبير وجلال الأداء. وبلاغة التصوير بألوان البلاغة التى تجسد المعنى وتصوره،كأنه مشاهد محسوس. ذلك بالإضافة الى إيجاءات الألفاظ،ذات الدلالات الخاصة المؤثرة فى النفس،الجامعة بين الرقة والجزالة.وهى المادة التى تعرض الفكرة عن طريق الإحاطة بالمعنى بحكمة ودقة.

وعلى من يحكم على النص القرآنى أن يدرس أولا أساليب اللغة العربية،ليدرك سر جمالها،وتتجلي أمامه مواطن السمو فيها،وهو إن فعل ذلك أمكنه الوقوف على بعض أسرارأ ساليب القرآن وإن لم يفعل فهيهات أن يسمو إلى القرآن فكره،أو يطمع فى الحكم عليه والاستفادة الحقيقية منه.

---

(١) سورة الأعراف ٨٣، ٨٤.

تأمل مثلا تقديم الضمير على ما يفسره فى قوله تعالي: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾(1) "وسر ذلك حمل النفس على النشاط،لتترقب ما يعود عليه الضمير بعد ذكره قبل ذكر ما يفسره،وتأمل توجيه الخطاب لآدم وحواء،ثم اختصاص آدم بما يترتب على المخالفة بعد خطابهما فى قوله تعالي: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾(2) الأصل فتشقيا. وسر ذلك أن شقاء الحياة ومسئوليتها يقع على عاتق الرجل أكثر من المرأة. ألا ترى أنه أتبعه بقوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾(3) .

وأنت تعلم أن ألفاظ القرآن هى ألفاظ العرب التى كانت تتداول فيما بينهم،والسر يكمن فى وضع اللفظ المناسب فى المكان المناسب، مع المحافظة على إيحائاته فى العبارة، والعبارة فى الآية ، والآية فى السورة ، وذلك هو الفرق بينه وبين كلام الناس. وذلك سر قداسة القرآن وأرى أن الصلة بين اللفظ العربى ومعناه ذاتية، ومثال ذلك من قصص القرآن كلمة:

العبد .. الملأ .. المحراب .. المسيح .. المهد .. الوجيه

---

(1) سورة طه ٦٧.

(2) سورة طه ١١٧.

(3) سورة طه ١١٨، ١١٩.

١) العبد :

قال الراغب:"العبودية إظهار التذلل،والعبادة أبلغ منها؛لانها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الأفضال وهو الله تعالى ثم يقول: "ويقال:طريق معبد أى مذلل بالوطء،وبعير معبد: مذلل بالقطران وعبدت فلانا إذا ذللته،وإذا اتخذته عبدا، قال تعالي: ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [١]

٢) الملأ :

وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه. والملأ: وجوه القوم وأشرافهم ، سموا بذلك ؛ لأنهم يملأون القلوب مهابة والعيونَ حُسناً وبهاء.

٣) المحراب :

سمى بذلك لأنه محل محاربة الشيطان ؛ ذلك أن المتعبد فيه يحاربه.ولذا يقال لكل محل من محال العبادة محراب.

٤) المسيح :

وهى كلمة عربية،ولها اشتقاقات، فهي: فعيل بمعنى فاعل حول منه مبالغة.سمى بذلك لأنه كان يمسح الأرض، أى يقطعها، سياحة، أولأ نه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ، أو بمعنى مفعول لانه مسح بالبركة

٥) المهد :

ما يمهد للصبى ويوطأ له لينام فيه كالسرير .

---

(١) الشعراء ٢٢ وانظر مفردات الراغب صفحة / ٣١٩.

٦) <u>الوجيه :</u>

ذو الجاه : مشتق من الوجه ؛ لأنه أشرف الأعضاء .

وإذا تأملت هذا أدركت العلاقة الذاتية بين اللفظ ومعناه .

وبقراءة الخصائص لابن جنى،والاشتقاق لابن دريد،ومقاييس اللغة لابن فارس، تستدل على صحة ما ذهبت إليه،خاصة إذا علمت أن الاشتقاق فرع المعنى،وقد أخطأ دى سوسير١٨٥٧- ١٩١٣فى معارضته للصلة بين اللفظ والمعنى،وقولة إنها اعتباطية،ولا تطرد إلا فى أصوات الصدى فى الطبيعة،كما لا تطرد فى كل اللغات[١]،ولعله يقصد لغةً غير اللغة العربية . والرجوع إلى أصول الكلمات ينقض ما ادعاه كما مثلت،ولذلك ترى الإعجاز القرآنى ناشئ من أسلوب العرض واختيار الألفاظ التى تناسب المقام. وفى أسلوب العرض يقول ابن عطية:"وجه التحدى فى القرآن إنما هو بنظمه،وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه ، ووجه إعجازه: أن الله تعالي قد أحاط بكل شئ علما. وأحاط بالكلام كله علما، فعلم بإحاطته أى لفظة تصلح أن تلى الأولي،وتبين المعنى بعد المعنى" .

ثم قال بعد ذلك مؤكدا ما ذهب إليه: وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ، ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد[٢].

---

(١) العربي عدد ١٠٠ ص ١٣٢ د. إبراهيم أنيس .
(٢) قرطبي جـ ١ ٧٦.

والكلمة العربية من قبل ومن بعد، تشتمل على أكثر من معنى، ولها مترادفات مع غيرها،وحروفها متنوعة بحسب المنطق،فقد تكـــون لينة سهلة المخرج ، أو جزلة فخمة، أو عذبة فيها صفاء وحسن.

والكلمة مع الكلمة الأخرى تكون معنى خاصا فى النفس حقيقياً، أو مجازيا، مع العلاقة بين المعني الحقيقى والمعنى المجازى، وذلــك دلالة على المرونة والاستجابة للتعبير عن الفكرة،لتودى دورها المؤثر مع جمال المقطع وروعة التركيب.

خذ كلمة " لجة " فحرف الجيم يجسم صـــورة الموج،ويــوحى بصوت منبعث عنه، يؤكد بتشديد الحرف،ويصور ما يحتمل فى النفس من الأفكار عن هيبة ما وراء هذا اللفظ .

ومن هذا نرى أن الحرف يؤدى وظيفة فى الكلمـــة ، يحــرك ساكن النفس، ويبعث على تجدد الحركة، واستمرارها،ويثير الانفعالات مع محتوى المضمون للألفاظ، وليست الكلمة وحدها هى التى تــؤدى ذلك.

الحقيقة الرابعة :

ذكر القصة القرآنية فى أكثر من موضع،والتركيز على جوانب وصور لرسول، أو رسل، فى صورة واحدة، أو صور مختلفة، لتأكيد العظة والعبرة فى النفس الإنسانية ، والإلحاح على السامع بهذا الصدق ليجذبه نحو هذا الخير المصفى ويبعده عن السفاســف،والاندفاع إلــى شهوات النفس الأمارة بالسوء ،ومتاهات الحياة المختلفة كل ذلك فى :

(أ) براعة استهلال ، و روعة مقاطع، وإحكام فواصل.

(ب) تناسق بين كلمات، وإيحاءات للألفاظ والتعبيرات .

(جـ) دعم الكلام بالبرهان الواضح،والنتائج العملية التى جرت للسابقين.

(د) أساليب التأكيد التى تقرر المعنى فى الذهن، وتحمل النفس على اليقين .

وإليك تفصيلا لبعض أنواع التأكيد الواردة فى القرآن :-

١- طريق الحصر... مثاله:﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾[١]

٢- ضمير الفصل... مثاله:﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾[٢] فأكد الضمير المتصل بالمنفصل .

٣- إن واللام والجملة الإسمية وثلاثتها فى قوله تعالي:﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾[٣] وبعدها:﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾[٤] تلاحظ التأكيد بالقسم واللام، لما شددوا فى إنكار رسالتهم بقولهم :﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾[٥]

٥- ومنها حروف توهم الزيادة، والحق أنها ليست زائدة،وإنما هى للتأكيد،وإن كانت زائدة .. إعرابا لا معنى،ومن هنا يقول ابن جنى:إن كل حروف فى كلام العرب إنما جئ به لمعنى[٦]. وهو معنى يتطلبه

---

(١) سورة طه ١٤.
(٢) سورة المائدة ١١٧.
(٣) سورة يس ١٦.
(٤) سورة يس ١٦.
(٥) سورة يس ١٥.
(٦) ابن جنى ص ٢٢٣ الخصائص .

المقام، وكلام ابن جنى مسلم على إطلاقه. وأهل التذوق يدركون لهذا الحرف معنى،لا يجده من لا يتذوق لغة العرب. ولو حذف لم يتذوقوا المعنى، وتتغير نفوسهم بنقصانه[1]. ويؤكد ما ذهب إليه بقوله:"وللحرف الزائد عندهم حرمة،حتى أقروه إقرار الأصول"، ومحقق الكتاب وضع عنوانا نصه : " للحرف الزائد حرمة الأصلى[2]" مثاله : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[3]، وقوله: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾[4]

٧- ومنها التوكيد المعنوى مثل: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[5]

وهو يفيد خضوع الكل بدون تخلف أحد منهم،إلا ما استثنى من إبليس. وبهذا ترى تلوينا فى الأسلوب لا يقدر عليه إلا منزل القرآن، ولذا ترى أن كثرة قراءته تزيد فى محبته،والتمعن فى آياته وسوره يشرح النفس ويطمئن القلب[6] وتنهمر منه العين . روى أن جعفر بن أبى طالب قرأ على النجاشى وأصحابه سورة مريم فبكوا جميعا.

وقصص القرآن لا يختلف، سواء ذكر جانب واحد من القصة ، أو ذكرت متفرقة تجدها غاية فى الفصاحة والبلاغة سواء طالت القصة كقصة موسى ، أو قصرت كقصة يونس ، فقد يكون الطول والقصر

---

(١) انظر الاتفاق جـ ٣ ٦٥ .
(٢) الخصائص . ص ٣٢٨ محققه الشيخ محمد على النجار.
(٣) سورة الأعراف : ١٢.
(٤) سورة طه ٩٢ ، ٩٣.
(٥) سورة ص : ٧٣.
(٦) انظر إظهار الحق ج ٢ ص ٣٧.

لنبى وأحد ، مع ألفاظ تحمل المعاني الكثيرة التى تتسع لمجلدات. كما فى الآيات من١٧إلى ٤٨ فى سورة" ص" تجدها قد اشتملت على عدد من الأنبياء هم داود،وعقبت السورة عليه بآيتين[(١)] وسليمان،وأيوب، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإسماعيل ، واليسع ، وذو الكفل، عليهم جميعا صلوات الله وتسليماته... فستجد فى جميعها رقة وفخامة، وهما متباينان ومع ذلك جمع القرآن بينهما فى إعجاز وإيجاز. كما تجد النص قد اشتمل على كثير من ضروب البيان ، والبديع ، مثل التأكيد ، والتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وحسن المطلع ، والمقطع، والفاصلة ، والتقديم ، والتأخير ، وغير ذلك من"دقائق البيان ، وحقائق العرفان ، وحسن العبارة ، ولطف الإشارة. وسلاسة التركيب، وسلامة الترتيب[(٢)]"

١- ففى الرقة، تقرأ كلمات:عبدنا/داود/الأيد/أواب فى قوله تعالي: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[(٣)] .

٢- وفى الفخامة ، تقرأ كلمات: سخرنا/الجبال/محشورة/ شددنا/ الخصم/خصمان/تشطط. فى قوله تعالي:﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾[(٤)]،وقوله:﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ﴾[(٥)]،وقوله:

---

(١) هما آيتا : ٢٨ ، ٢٩ " ص" .
(٢) انظر اظهار الحق جـ ١ ص ٢٥.
(٣) سورة ص ١٧.
(٤) سورة ص ١٨ .
(٥) سورة ص ١٩ .

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾[1] وقولـــه: ﴿ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ * فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾[2]

٣- وفى التأكيد تقرأ:

﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[3] ،

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ ﴾[4] ،

إن واللام فى قوله تعالي: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي ﴾[5]

وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾[6]

٤- وفى التشبيه ، تقرأ :

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾[7]

٥- وفى الاستعارة :

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[8]

---

(١) سورة ص ٢٠ .
(٢) سورة ص ٢٢.
(٣) سورة ص ١٧ .
(٤) سورة ص ١٨ .
(٥) سورة ص ٢٤.
(٦) سورة ص ٢٥.
(٧) سورة ص ٢٨.
(٨) سورة ص ٢٦.

٦- وفى الكناية: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [١] وقوله: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [٢] وذلك كناية عن قوتهم فى الحق، ونفاذ بصرهم فى الحقائق، والوقوف على اسرار الموجودات.

٧- وفى حسن المطلع: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ [٣] وقوله: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [٤]

٨- وفى المقاطع والفواصل، تجد أواخر الآيات قد ختمت بالباء، حتى ما ختم بدونها تراه قريب المخرج منها.

٩- وفى التقديم والتأخير،تجد تقديم تسخير الجبال على الطير، لأنه أدل على القدرة ، وأنه خاص بالله ، أما الطير فهو مُسَخَّر للناس أصلاً .

وتقديم الحكمة على فصل الخطاب،لأن الحكمة إذا تحققت تحقق بها فصل الخطاب ، فهو خاص بعد عام، أو هو كالنتيجة للحكمة .

وتقديم الحكم بالحق على قوله"ولا تشطط " لأن الحكم بالحق هو الغرض الأصلى، وأتى بالثانى تأكيدا للحكم بالحق، ثم أخر طلب الهداية بعد الحكم بالحق ، أملا فى الثبات على الهداية مدى الحياة.

---

(١) سورة ص ١٧.
(٢) سورة ص ٤٥.
(٣) سورة ص ١٧.
(٤) سورة ص ٢١.

إذا تأملت ذلك . فتأمل روعة الفاصلة فى سورة النازعات التى التزمت الألف فى قوله تعالي : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى* اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى* وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى* فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى* فَكَذَّبَ وَعَصَى* ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى* فَحَشَرَ فَنَادَى* فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى* فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ (1)

مع تناسب للكلمات التى تنطوى على حكم وأسرار تدرك بالتأمل، قال الفيروزابادى:" فان كل كلمة من القرآن كنز معان، وبحر حقائق "(2)

ولهذا الأسلوب الفريد المحكم للقرآن لم يجد العرب وهم خبراء الألفاظ ومواقعها من الكلام فى القرآن مغمزا ، ولو وجدوه لأعلنوه. بل على العكس ، أقروا بفصاحته،وسلامته من العيوب. فقد سمع رجل مشرك قولَ الله تعالي: ﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (3) ، فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

---

(1) سورة النازعات ١٥ - ٢٦.

(2) بصائر ذوى التمييز ص ٧١.

(3) سورة يوسف ٨٠.

وردت أعرابية على الأصمعى حينما قال لها ما أفصحك قائلة:

" أفبعد قوله تعالي: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فصاحة، ففى آية واحدة جمع الله بين أمرين، ونهيين ، وخبرين وبشارتين"[1] .

وما سجد المشركون للقرآن، وما أثنى عليه من يعرف أسرار اللغة العربية إلا لمعنى خارج عن مفردات الألفاظ ، وهى طريقة النظم ومحتوى الآيات ومضامينها العالية.

الحقيقة الخامسة :

القصة القرآنية لم تسرد حسب حدوثها مرتبة زمنيا، وذلك لما يأتي :

أولا- إن جميع الرسالات الإلهة ذات هدف واحد مشترك من التوحيد والأخلاق والسلوك لخير الإنسانية دون سواه . ولهذا نرى الأنبياء ذكروا غير مرتبين فى سور كثيرة لهذا الغرض. فما جاء به واحد منهم من العقائد والأخلاق، هو ما جاء به غيره سواء تقدم عليه أو تأخر ، إذا استثنينا بعض التفاصيل والفروع التشريعية التى تلائم الرسول وقومه ليكون القرآن كتاب كل عصر وأمة مع ألفاظ مختارة مشرقة ذات نبرات وقعها فى السمع مؤثر غير مستكرهة ولا نافرة.

ثانيا- لتعرف الأمم كلها أن القرآن لم ينزل لأمة معينة ، أو لزمن معين، وإنما نزل لكل الناس ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فنحن فى مجتمعنا المعاصر نستفيد بما حدث لقوم (نوح/هود/صالح/ إبراهيم وغيرهم، من خلال ما قصه الله علينا فى شأنهم . ولو أن

---

(١) سورة القصص ٧.

القرآن نظم على الترتيب الزمنى لظن القوم أنه خاص بعصرهم دون سواهم ، وأنه جاء للتسلية لا للتربية ، والسلوك ، فى الأمم المختلفة والمجتمعات المتباينة .

فالقصة القرآنية قصة الإنسان أيا كان فى أى زمان ومكان، ومن ذلك ترى القرآن يذكر موسى قبل هرون فى آية:﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾(١) ويذكر هرون قبل موسى فى آية أخرى فى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾(٢) وظاهر أن ذلك لا يتأتى فيه الترتيب الزمنى ، كما لا يتأتى فى المحافظة على الفاصلة ، كما يدعى بعضهم وإنما ذلك لسر معنوى يكمن وراء التقديم والتأخير. فإذا ذكر موسى أولا دل على أن هرون تابع له فى الرسالة:﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ* قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾(٣) ، وذكر هرون قبل موسى لبيان أن له من المزايا ما اقتضى التقديم ، كفصاحة لسانه ، وكونه أكثر بقاء فى بنى إسرائيل من موسى وكرباطة جأشه ، وصبره ، وتحمله، وبالتالى كبر سنه عن موسى عليه السلام. وهكذا لكل عبارة حكمة ولكل آية سر وغاية .

---

(١) سورة الاعراف ٢٢.
(٢) سورة طه ٧٠.
(٣) سورة القصص : ٣٤، ٣٥.

الحقيقة السادسة :

لا يعنى القرآن فى قصصه بالتفاصيل ، وتقصـــى الجزئيـــات. وإنما يعمد إلى مواطن العبرة، ويركز على محور الهدف، من الإيمان بالله وتوحيده، والجزاء لمن يؤمن، والعقاب لمن يكفر، وسنة الله فـــى الوجود أن المستجيب له الحياة المثلى فى الدنيا والآخرة، وأن المخالف له سوء العقبى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[1]

إقرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾[2] العدد هنـــا يوحى بالكثرة فلا داعى لحصره إذ لا يفيد هذا الحصر ولا يقـــدم ولا يؤخر. ومن هم الذين خرجوا من ديارهم؟ لا يلزم أن تعرفهم. وإنمـــا المهم إثبات القدرة الإلهية فى الإماتة والإحياء: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾[3] هنا نتساءل ماذا يفيد معرفة اسم القريـــة؟ وماذا يفيد معرفة اسم الشخص الذى مر عليها؟ . المفيد حقا هو الدليل العملى على القدرة الإلهية فى الإماتة والإحياء، لتنفعل النفس، وتكون تذكرة وعبرة لمن أراد أن يتذكر ويعتبر.

---

(١) سورة الاعراف ٩٦.
(٢) سورة البقرة ٢٤٣.
(٣) سورة البقرة ٢٥٩.

الحقيقة السابعة:

فى القصص القرآنى عبارات لا يعرفها العرب مركبة كما هى : مثل " أيام الله " فى قوله تعالي: ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ (١) وذلك أمـــر مـــن الله لموسى عليه السلام. ومثل "روح القدس " فى قوله تعالي: ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٢) فى خطابـــه لعيســـى عليـــه السلام.

كما كان يستعمل ألفاظا من لغات أخرى فى القصة القرآنيـــة، ومن أسرار ذلك جذب هذه الأمم، تحت راية القرآن، وانطواء أهلهـــا لسلطان الإسلام.

مثال ذلك كلمة: "أواب" فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (٣)

والأواه الكثير التأوه من الذنوب(٤)، وكلمة أواب ، فـــي قولـــه تعالى عن كل من سليمان وأيوب–عليهمـــا الســـلام–: ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٥) والأواب كالتواب: الراجع إلى الله تعالي بتـــرك المعاصـــي وفعل الطاعات(٦)، وكلمة أوبى أى سبحى فى قوله تعالى:"عـــن داود عليه السلام : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ (٧) وكلمة العرم كذلك فى قوله

---

(١) سورة إبراهيم ٥ .
(٢) سورة المائدة ١١٠.
(٣) سورة هود ٧٥.
(٤) كشاف جـ ٢ ص ٤١٢ .
(٥) سورة ص ٢٠، ٤٤.
(٦) مفردات الراغب ص ٣٠.
(٧) سورة سبأ ١٠.

تعالى عن سبأ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾[1] بمعنى"المسناة " التى يجمع فيها الماء ثم ينبثق ، وكلمة "غيض" فى قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام: ﴿ وَغِيضَ الْمَاءُ ﴾[2] بمعنى نقص.

وكل ما ذكر من الكلمات حبشى الأصل.

وكذلك كلمة: "حواريون"وهم أتباع السيد المسيح وكلمة " الــرقيم" فى قصة الكهف فى قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾[3] وهو لوح رقم فيه قصتهم ، وهاتان الكلمتان نبطبتان .

وكذلك كلمة: "رمزا " فى قوله تعالى عن زكريا عليه الســلام: ﴿ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا ﴾[4] عبرية ، ومن معانى الرمز فى اللغة العربية الإشارة بالشفة ، والصوت الخفى[5] .

وكلمة: "سيدها" فى قوله تعالى: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[6] أى زوجها قبطية. قال أبو عمرو : لا أعرفها فى لغة العرب إلى غير ذلك مــن الكلمات وهو كثير.

وهناك كلمات تستعمل فى أكثر من لغة مثل:"هيت لك" فى قوله تعالى حكايه عن امرأة العزيز: ﴿ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[7] فهــى قبطيــة، وسريانبة ، بمعنى واحد هو هلم لك. وهى بالعبرانية بمعنى تعاله[1].

---

(١) سورة سبأ ١٦.

(٢) سورة هود ٤٤.

(٣) سـورة الكهـف ٩. وانظـر المحـرر الـوجيز ٤٩٧/٣ والأنبـاط بشـرق الأردن بـالتراء ، الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٣١.

(٤) سورة ال عمران ٤١.

(٥) مفردات الراغب ص ٢٠٣. والعبرية لغة سامية كنعانية نسبة لكنعان بن حام كانوا بأرض فلسطين الموسوعة الميسرة ١١٨٦ ، ١٤٨٥ ، ١٥٥٨.

(٦) سورة يوسف ٢٥.

(٧) سورة يوسف ٢٣.

وهذه الكلمات التى استعملها القرآن وهى غير عربية الأصل، لا تحول بين وصف القرآن بأنه عربي، ذلك أن العرب إما أن يكونوا قد نطقوا بهذه الألفاظ قبل نزول القرآن، أوهى من باب المشترك بين اللغات ، ولا يقال: إنه عربي وليس فى اللغات ما هو من ألفاظه إذ لا حجة لمدعى ذلك ..

على أن فى لغة العرب من المرونة والاتساع ما يمكنها من الهيمنة على لغة أخرى وإضافة معان جديدة إليها.

خذ كلمة حواريين الحبشية، ومعناها: غسالون، توسع العرب فى دلالتها فسموهم الأنصار، أخذا من قوله تعالى فى حكايته عن عيسى عليه السلام: ﴿ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾[٢] ولو أخذنا كلمة غسالون كما هى لقلنا فيها كما قال العرب : " إنهم كانوا يطهرون النفوس بتعليم الدين، مثل ما نقل عنهم أنهم كانوا صيادين، ذلك لأنهم كانوا يصطادون نفوس الناس من الحيرة ويقودونهم إلى الحق، وفى الحديث:" لكل نبى حوارى، وحوارى الزبير"[٣] وذلك من باب التشبيه بحوارى المسيح عليه السلام من حيث النصرة[٤].

---

(١) انظر الاتقان جـ ١ ص ١٣٨ .
(٢) سورة الصف ١٤.
(٣) متفق عليه البخارى كتاب الجهاد ومسلم فى المناقب وانظر فتح البارى ١٣/ ٢٣٩ .
(٤) مفردات الراغب ص ١٣٥.

الحقيقة الثامنة :

الكلام يتفاوت قوة وضعفا،وحسنا وقبحا، وذلــك راجــع إلــى اختيار الكلمات وتركيب هذه الكلمات فى عبارات وجمل مفيــدة، ولا يمكن استعمال الأسلوب الأحسن إلا إذا اختيــرت الكلمــات المعبــرة الموحية التى تصور الموقف والصادقة فى نفس الوقــت ، ولا يكــون الأسلوب بالغا الذروة إلا إذا كانت كل كلمة فى مكانها وهى تكون مع غيرها جملة لا تصلح غيرها مكانها، وذلك أمر لا يستطيعه الإنســان لقصوره عن الوصول إلى أعلا درجات البلاغة، وإنما يتأتى ذلك عن الله – الذى أحاط بكل شئ علما ، ونضرب أمثلة لذلك قوله تعالي:

١- فى حكايته عن زكريا عليــه الســلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾[1] أحسن من ضعف ، وسبب ذلك أن الفتحة أخف مــن الضمة .

٢- فى حكايته تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾[2] أخف من فضلك الله علينا، وسبب ذلك خفــة اللفظ فى النطق ، ولتشديد الثانية فى حرف الضاد.

---

(١) سورة مريم ٤ .

(٢) سورة يوسف ٩١.

٣- فى قصة نوح عليه السلام: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ ﴾[١] لا يتأتى إبدال يصدق بيؤمن، ويتعين ما فى الآية لأن الإيمان أخص من التصديق.

٤- فى قصته عليه السلام أيضا: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[٢] ، ولو قيل خمسين وتسعمائة عام فإنه لا يؤدى المراد، كما يؤديه التعبير المذكور فى الآية الكريمة.

وهذه كلمات لا تحل غيرها محلها، والقرآن يستعمل كلمات موجزة لا تؤديها الجمل.

٥- قوله تعالى:عن قوم موسى عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٣] لم يقل فلما أغضبونا لخفة المذكور عن المتروك.

ومن هنا يقول البارزى فى " أنور التحصيل" : " إعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض ، وكذلك كل واحد من جزءى الجملة: (المسند والمسند إليه) قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر، ولابد من استحضار معانى الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الألفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها، واستحضار هذا متعذر على البشر فى أكثر الأحوال، وذلك غير حاصل فى علم الله ، فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه"[٤] .

---

(١) سورة هود ٣٦.
(٢) سورة العنكبوت ١٤.
(٣) سورة الزخرف ٥٥.
(٤) الإتقان جـ ١ ص ١٢٥.

" تذوق أسلوب القصة القرآنية "

لا يستطيع الإفادة والاستفادة والحكم على القصة القرآنيـــة الا صاحب الذوق باعتبار أنه ملكة راسخة فى النفس تمكـــن مـــن إدراك الشخص بعض أسرار هذا الأسلوب العالى، وتكون هذه الملكة للعربي الذى يتذوق بمجرد السماع، كما تكون لغير العربي بشرط أن تكون له تجربة وخبرة بلسان العرب، وطرائق كلامهم ، حتى لا يمكنه التحول عنها إلى غيرها ويستطيع ما دامت لديه هذه الملكة التمييز بين الكلام العربى وغيره بأدنى تأمل، وقد عنى ابن خلدون فـــى مقدمتـــه بهـــذا المقياس الأدبى فقال:

" إن الذوق معناه حصول ملكة البلاغة للسان، فالـــذى يخـــالط العرب تحصل له ملكة بتراكيب و أساليب الكلام العربـــى، حتـــى لا ينحو غير منحاهم فى نظم الكلام وبلاغته ، وبفكر قليل، بل بغير فكر يمكنه أن يمج كل كلام غير كلام العرب، وهذه الملكـــة إذا رســـخت واستقرت استعير لها اسم الذوق الذى وضع لإدارك الطعـــوم لوجـــه الاتفاق فى محل الإدراك وهو اللسان"[١].

يبين النص معنى التذوق، وبم يتحقق فى الإنسان، وماذا يكـــون أثره فى الحكم لو كان أصيلا ، كما يبين أن التذوق هو الحاكم الوحيد على النص، من حيث البلاغة والنظم ، لأن الحاكم به طبع عليه بحيث لا يستطيع أن يحيد عنه.

---

(١) مقدمة ابن خلدون مطبعة التقدم ص ٤٦٦.

ويؤيد ابن خلدون فيما ذهب إليه الآمدى والجرجانى وابن رشيق الذين سبقوه فى هذا السبيل، فالآمدى يقول بمثل ما قال ابن خلدون لكنه يزيد الاستعداد الأدبي ليتكون الذوق الحاكم على النص، ويمتزج فيه هذا الذوق بحيث يصير وكأنه جزء منه ، تقرأ ذلك فى قوله عن الذوق إنه : لا يعرف إلا بما لديه دربة ، ودائم التجربة ، وطول الملامسة بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج، فلم ينتفع بالنظر إلا من يحسن أن يتأمل، ومن إذا تأمل علم، ومن إذا علم أنصف[1].

ويرى الجرجانى ما يراه الآمدى، غير أنه يزيد الدراسة وعدم الاندفاع فى الحكم قبل أن يتبين النص فيقول :

" وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر، وشدة البحث، وحسن النظر، والتحرر من الإقدام قبل التبيين، والحكم إلا بعد الثقة ، فقد يغمض حتى يخفى ، وقد يذهب منه الواضح الجلى على من لم يكن مرتاضا بالصناعة متدربا بالثقة "[2] .

ومن خلال هذه النصوص أن الإفادة من أسلوب القرآن الكريم تتأتى بالتذوق على الخصائص التالية:

١- صفاء النفس .

٢- ذكاء العقل .

٣- الاستعداد الفطرى لتقبل أدوات الحكم السليم .

---

(١) الموازنة للامدى ص ١٧٧ وما بعدها – القرن الرابع الهجرى .
(٢) الوساطه للجرجانى ص ١٦٦ .

٤- فراغ القلب من الانشغال بالدنيا.

٥- البصر بأساليب اللغة العربية وخصائصها.

٦- إعمال الفكر فى الغوص على المعانى .

والذوق - من قبل ومن بعد - بدون قيده ، لا يكفى ، فلابد من الذوق السليم ليصح الحكم ، ويسلم من فساد الرأى ، ومع هذا كلـه ، لن يحصل الإنسان إلا على بعض أسرار القصة القرآنية فى الإفـادة والاستفادة، والحكم عليها حتى تشرق روحه بأنوار القرآن الكريم.

وقد جمع هذه الخصائص الإمام عبد القاهر الجرجانى فقال عن الذوق : " واعلم أنه لا يصادق القول فى هذا الباب (اللفظ والـنظم) موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون مـن أهـل الـذوق والمعرفة"[١].

ويختم كتابه بقوله : " إن العمدة فى إدراك البلاغة ، إنما هـو الذوق والإحساس الروحانى، فلا يرى أحد رأيـا فـى الكـلام إلا اذا صحت قريحته وصح ذوقه، وتمت أداته[٢] "

واستكمالا للمعرفة أقول : " هل حكم الذوق وحده يكفى بـدون تعليل، أولا بد فيه من التعليل؟ أقول: أنه ما دام الذوق قد اشتمل على الخصائص التى ذكرتها، فإنه يكفى فى الحكم، كما كان العربى يحكـم على الآية يسمعها من القرآن بأنها ليست من كلام أحد، وقد يسجد لها، وقد يبكى من يتذوقها دون أن يعلل حكمه فيما سـمع، وهـذا الـرأى

---

(١) دلائل الإعجاز للجرجانى ص ٣١٢ .

(٢) المصدر نفسه.

يخالف ما ذهب إليه ابن سنان الخفاجى من ضرورة تعليل الذوق ، ويرى أن الذوق يعلل ليبين من أين حكم ؟ ولماذا فصل ؟[1] .

ونقول : متى صح الذوق فإن النظرة إلى النص تكفى للحكم عليه، والإفادة منه.

ولا يقال: إن بعض أهل المعرفة يستحسن،وبعضهم لا يستحسن، وما دام الذوق أصيلا- على ما ذكرت- فإن حكمه لابد أن يكون سليما، سواء كان ذاتيا أو مكتسبا، بالعقل والشعور، والاستعداد والخبرة ، وإدمان الفكر والنظر، وطول المرّان مع البعد عن الهوى والغرض.

" تحرير القول فى مجاز القرآن "

جمهور العلماء على وقوع المجاز فى القرآن،وخالف بعضهم فقال بعدم وقوعه فيه.

والذين قالوا بعدم وقوعه هم :

١- داود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بالظاهرى المتوفى سنة ٢٧٠هـ وهو رئيس فرقة الظاهرية .

٢- أبو العباس أحمد بن أحمد الطبرى الشافعى المعروف بابن القاص، المتوفى سنة ٣٣٥هـ .

٣- أبو مسلم الأصبهانى المعتزلى المتوفى سنه ٣٧٠هـ .

---

(١) سر الفصاحة لابن سنان ص ٦٠ .

٤- ابن خويز منداء المالكى المتوفى فى نهاية القرن السابع الهجرى.

وإذا كان الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ أول من استعمل كلمة مجاز كمقابل للحقيقة فى كتابيه " البيان والتبين " و " الحيوان " فى ألفاظ متناثرة منهما ، وهو صاحب كتاب " نظم القرآن " لبيان المجازات القرآنية وروعتها فى الأسلوب وحسنها فى الكلام ، وتبعه ابن قتيبة ، وجمهور العلماء ، فان خلافا قد ظهر فى عصر الأخير، حيث ضم هذا العصر طائفة من المتكلمين كأبى على الجبائى المتوفى سنة ٣٠٣.

وهؤلاء المنكرون يحتجون بما يلي :

(أولا) الكلام لا يعدل عن التعبير بحقيقته ، إلى استعمال المجاز فيه إلا إذا ضاقت الحقيقة بقائله وعجز عنها ، والله لا يعجزه شئ.

(ثانيا) المجاز غير الحقيقة فهو كذب ، والله لا يكذب[١].

وقد بدأ الخلاف يشتد حول الحقيقة والمجاز فى القرآن حينما قال بعضهم فى قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[٢] إنه حقيقة ، وقال آخرون إنه مجاز ، وقد رد المحققون من العلماء على نفاة المجاز فى القرآن ، وأولهم ابن قتيبة الذى قال :

" ولو كان المجاز كذبا كان أكثر كلامنا فاسدا ، لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص

---

(١) انظر مجازات القرآن للشريف الرضى ص ٥٥ .

(٢) سورة النساء ١٦٤.

السعر، ونقول كان هذا الفعل منك فى وقت كذا وكذا ، والفعل لم يكن، وإنما كون"[1]

و ممن ردوا عليهم كذلك الإمام جلال الدين السيوطى المتوفى سنه ٩١١هـ يقول : " وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها"[2] .

والقصة القرآنية فيها الحقيقة أى الألفاظ التى بقيت على وضعها فلا تقديم، ولا تأخير، ولا كناية، ولا استعارة كما تشتمل على غير ذلك من أنواع المجاز مثل ما تقرؤه فى قصة موسى عليه السلام فيما حكى الله عنه قوله :

١- ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي*وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾[3]

٢- وقوله عن سحر فرعون: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾[4]

٣- وقوله فى خطابه لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى* قَالَ هُمْ أُولَاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[5]

وظاهر من هذه النصوص – وغيرها أكثر من أن يحصى – أنها قد اشتملت على ألفاظ وضعت فى موضعها الحقيقى.

---

(١) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ص ٩٩.
(٢) الإتقان جـ ٢ ص ٣٦.
(٣) سورة طه ٣٥ ، ٣٦ .
(٤) سورة الأعراف ١٢٠ - ١٢٢.
(٥) سورة طه ٨٣، ٨٤.

كما تقرأ المجاز فى نفس القصة كقوله تعالي :

١- ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾[1] ؟ وقوله عن نصرته على فرعون وقومه:

٢- ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2]

وظاهر من هذين النصين خروجهما عن الحقيقة إلى المجاز ، ذلك أن الحديث لا يأتي وإنما يؤتى به ، والحق لا يقع وإنما يثبت .

ونجد فى نفس القصة المجاز اللغوى الذى هو إطلاق اسم الخاص على العام فى قوله تعالى حاكيا عن موسى وهرون قولهما إلى فرعون :

١- ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[3] ، إذ القائل هنا موسى وهرون وكان المتبادر أن يقال:رسولا رب العالمين . كما نجد المجاز العقلى فى قوله تعالى عن فرعون :

٢- ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ ﴾[4] . والذبح للأعوان لا لفرعون .

وليس ذلك فى قصة موسى عليه السلام وحدها،بل المجاز فى كل قصص القرآن ، تقرأ مثلا قوله تعالى عن قوم سيدنا هود عليه السلام:
﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾[5]

---

(١) سورة النازعات ١٥.
(٢) سورة الأعراف ١١٨.
(٣) سورة الشعراء ١٦.
(٤) سورة القصص ٤.
(٥) سورة الذاريات ٤١.

فوصف الريح بالعقم مجاز،وهو أبلغ من وصفها بالإهلاك أوما يماثله من أجل هذا – تكفل بالرد على المنكرين لوقوع المجاز فــى القــرآن جماعة كثيرون غير ابن قتيبة والسيوطى . ومنهم :

١- مؤرج السدوسى فى كتابه " الرد على من نفى المجــاز فــى القرآن" .

٢- العز بن عبدالسلام فى كتابه" الإشارة إلى الإيجاز فى بعــض أنواع المجاز " .

وبهذا الكتاب الأخير للعز بن عبدالسلام تنتفى الــدعوى التــى أشيعت عليه بأنه ينفى المجاز فى القرآن بزعم أن لــه كتابــا يســمى "مجاز القرآن " واختصره السيوطى فى كتاب أسماه " مجاز الفرســان إلى مجاز القرآن " .

والكتابان عير مطبوعين ، وإن وجدا فيحتمل أنهما مثل كتــاب أبى عبيدة الذى عمد فيه إلى تفسير الألفاظ، ولم يعمد إلى المجاز الذى هو مقابل للحقيقة .

ومختصر السيوطى يوحى بأنه تأييد للمجاز المقابل للحقيقــة ، مع أن مذهب السيوطى معروف فى إثبات المجاز فى القرآن ، وليس من حقنا أن نحكم على العز إلا بعد الوقوف على نصوصه .

وإذا كان الظاهرية يتمسكون بظاهر النص فإنهم لا يرفضــون المجاز على إطلاقه ، وإنما يقولون به بشرطين :

أولهما : أن يكون مشهورا .

ثانيهما : أن تكون قرينته واضحة تعلن عنه ، وتكشف المـــراد منه . وبهذا يكون مذهبهم أقرب إلـــى مـــذهب الجمهـــور حيـــث لا يرفضون المجاز على إطلاقه .

ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـــ قـــد جـــرى مجـــرى الظاهرية فى الأخذ بالمجاز المشهور الواضح[(١)] .

وللرد على نفاة المجاز باستثناء الظاهرية ، وابن حزم، لما بيناه عنهم نقول :

الواقع يرفض ما ذهبتم إليه، ففى القرآن حذف فى آيات كثيرة، كما أن فيه استعمال ألفاظ مكان أخرى على سبيل الاســـتعارة، كمـــا اشتمل على الكناية فى كثير من النصوص – وقد تكفل ابن قتيبة بالرد مستشهداً بكثير من آى القرآن أصاب فى بعضها دون بعض، ومما لم يصب فيه قوله عن الآية الكريمة التى جرى حولها الخلاف وهو قوله عز وجل: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[(٢)] قال :

" إن أفعال المجاز لا تخرج فيها المصادر، ولا تؤكد بالتكرار، فتقول:أراد الحائط أن يسقط ، ولا تقول أراد الحائط أن يســـقط إرادة شديدة وقالت الشجرة فمالت ، ولا تقول ، قالت الشجرة فمالت قـــولا شديدا ، والله يقول : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ، مؤكد بالمصدر فعنـــى الكلام ، ونفى عنه المجاز[(٣)] "

---

(١) انظر الشريف الرضى ص ٥٦ وانظر ابن حزم للشيخ ابو زهره ص ٢٦٦ - ٢٩٥ .
(٢) سورة النساء ١٦٤.
(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٨٢ .

فابن قتيبة هنا يدافع عن المجاز ويقول بوقوعه فى القرآن، كما هو المشهور عنه ، وهو فى صدر هذا النص وفى قوله : " إن أفعـال المجاز لا تخرج فيها المصادر" ، يؤيد مذهبه، لكنه بعد ذكـره للآيـة الكريمة ينفى عنها المجاز، ويؤكد الحقيقة، وظاهر كلامـة هنـا أنـه موافق لنفاة المجاز القرآنى مع أن ذلك غير ما عرف عنه.

انظر إليه فى قوله تعالي: ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ﴾[1] يقول:" قال الطاعنون فى المجاز:إن المجاز كذب؛ إذ الجدار لا يريد ، وفى قوله: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[2] قالوا: والقرية لا تسأل: "وهذا من أشـنع جهالاتهم،وأدلها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم "[3]، ثم يضرب أمثلة عن العرب فى قولهم: نبت البقل ، وطالت الشجرة ، وأنيعت الثمرة ، ومن أمثلة القرآن فى ذلك: ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾[4] ، يقـول: والدم كذب به . ويرد عليهم بإفحام فى قوله تعـالى: ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ﴾ . فيقول :

" كيف كنت أنت قائلا، فى جدار رأيته على شفا انهيار؟ "يقول ابن قتيبة : " إنه لم يجد بدا من أن يقول : جـدارا يهـم أن يـنقض ، أويكاد أن ينقض ، أو يقارب أن ينقض، وأياما كان فقد جعله فـاعلا ،

(١) سورة الكهف ٧٧.
(٢) سورة يوسف ٨٢.
(٣) ابن قتيبة ص ٧٦ ، ١٠٠ .
(٤) سورة يوسف ١٨.

ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى فى شئ من لغات العجم،إلا بمثل هذه الألفاظ" [1].

والحق أن هذا من بلاغة القرآن فهوا استعارة بالكناية، حيث شبه ميلان الجدار بعاقل يميل نحو شئ، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشئ من لوازمه ،وهو الإرداة، ولك أن تقول:" يريد بمعنى:يكاد أن ينقض، أى: يقارب حيث ظهرت فيه أمارات الانقضاض، وقد جاءت كاد فى القرآن بمعنى أراد فى قوله تعالي: ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ [2]

ولا غرابة ، ففى القصة القرآنية صور من البيان والاستعارة أضفت عليها جمالا وروعة وحسن تصوير، وأثرا فى النفس أكثر مما تبلغه الحقيقة، وخاصة أنها تجسيم للمعنويات فى صور المحسوسات.

ومن ذلك قوله تعالى :

١- ﴿ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء ﴾ [3]

فهل الجبل يعصم؟أو لديه القدرة على منع أحد من هذا الطوفان الغامر ؟ كلا ، إن الجبل لا يستطيع أن يعصم نفسه ، فكيف يعصم غيره ؟

لهذا كان فى كلمة يعصمنى مجاز من باب الاستعارة بالكناية؛ فقد شبه الجبل بإنسان يمكن أن يحول بين الشخص وما يحدث

---

(١) مشكل القرآن ٩٩ ، ١٠٠.
(٢) سورة يوسف ٧٦.
(٣) سورة هود ٤٢.

له من مكروه ، وحذف المشبه به الذى هو الإنسان و رمز إليه بشئ من لوازمه وهو المنع .

٢- فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾(١)

فهل الله يتخذ ؟ وهل يكون وراء الإنسان؟ كلا : ان هذا التعبير كناية عن عدم المبالاة ، وعدم الاستجابة لله ولرسوله.

سبب إنكار القوم للمجاز يؤدي إلى :

أولا – أنهم يخلطون بين الحقيقة والمجاز.

ثانيا – أنهم لا يعرفون أن الحقيقة أبلغ من المجاز من حيث تقريب المعانى للأفهام ، ومن حيث إنها تجسد المعنوى، وتجعله كأنه مشاهد محسوس . وهى بالتالى تضفى على الأسلوب جمالا، وفى الكناية والاستعارة روعة، بالتذوق البلاغى والأثر النفسى.

ثالثا- ليس لأكثرهم بصر ثاقب بأساليب اللغة العربية ، لقرب عهدهم بالعجمة ، وهؤلاء المنكرون لا سند لهم يعتمد عليه ، فيما ذهبوا إليه، بل هم لا يستطيعون حمل آيات المجاز على الحقيقة بحال.

وأقول لهم : ألم يقل العرب .

إذا سقط السماء بأرض قوم ∴ رعيناه

فهل السماء تسقط على الأرض ؟ أم أن المراد به مطر السماء ولكنه الأسلوب المجازى الرائع.

---

(١) سورة هود ٩٢.

الإيجاز فى القصص القرآنى

قسم علماء البلاغة الكلام بالنظر إلى أدائه للمعنى ثلاثة أقسام :

((إيجاز ، إطناب ، مساواة))

وقالوا : إن أدى المعنى بألفاظ على قدر المراد ، فذلك مساواة، وإن أدى بلفظ أقل من المعنى فإيجاز ، وإن زاد اللفظ عن المعنى فإطناب .

والسؤال الآن ما هو موقفنا من القصة القرآنية أمام هذا التقسيم؟

إن قلنا : إنها داخلة فى قسمى المساواة والإطناب ، فماذا يكون الفرق إذن بينها وبين الكلام البشرى ؟ ، وإن قلنا : إن الإيجاز هو أداء المعنى المراد بلفظ أقل ، فهل يصدق ذلك على القرآن ؟

الحق أننا نلاحظ فى كتاب الله ألوانا من الإيجاز ، ولا نجد فيه إطنابا خاليا من فائدة ، كما نجد فيه مساواة ، ذلك أنه جرى على أساليب العرب .

هذا إذا ذهبنا إلى غير ما ذهب إليه استاذنا فضيلة الدكتور محمد عبدالله دراز ، فله رحمه الله نظرة دقيقة حيث قال " ما دام الكلام قد أدى المراد على حسب المقام ، بدون زيادة أو نقصان ، سواء أجمل أو فصل ، فهذا الكلام يسمى إيجازا ونصه :

" المقدار الذى يؤدى فيه المعنى بأكمله بأصله وحليته ، على حسب ما يدعو إليه المقام ، من إجمال أو تفصيل بغير إجحاف ولا إسراف ، هذا المقدار الذى إن نقص عنه أو زاد بدون مبرر ، عده البلغاء حائدا عن الجادة ، بمقدار ما نقص أو زاد ، هو الميزان الصحيح الذى لك أن تسمى طرفيه بحق تقصيرا أو تطويلا " ثم قال : "ونحن قد سميناه أيضا باسم الإيجاز مطمئنين إلى صحة هذه التسمية"(١).

ويزيد رحمه الله الأمر إيضاحا فيقول :

" فالكلام الطويل إن حوى كل جزء منه فائدة تمس إليها الحاجة فى الموضع ، ويسهل أداء تلك الفائدة بأقل منه ، كان هو عين الإيجاز المطلوب ، وإن أمكن أداء الأغراض فيه كاملة بحذف شئ منه ، أو بإبداله بعبارة أخصر منه ، كان هو حشوا أو تطويلا معيبا ، والكلام القصير إن وفى بمقاصده الأصلية التكميلية المناسبة فى الحال كان هو التوسط المطلوب ، وإلا كان بترا وتقصيراً معيباً(٢).

أقول : إنه رحمه الله بهذا النص قد جعل كل القرآن إيجازا ، وهو لم يسلك مسلك العرب بدليل قوله : " تقصيراً أو تطويلاً " ، وقوله: " هو التوسط المطلوب " .

---

(١) النبأ العظيم ص ١٢٤ هامش .
(٢) المصدر نفسه .

كما يكون المحذوف فعلا واسما مثل ما حكاه الله عن ضـــيف إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ [1] أى فقالوا نسلم سلاما ، قال سلامى سلام ، أو سلام عليكم .

وقد يكون المحذوف جواب شرط ، وذلك لتذهب الـنفس فيــه مذاهب شتى ، وذلك من منهج القرآن فى تربية الفكر ، مثال ذلك قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام إذ دخل عليه الملائكة فهــرع إليــه قومه ، فقال لهم : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [2]. فجواب لو هنا محذوف لما ذكرت ، وتقدير الكلام : لو أننى على هذه الصــفة لحلت بينكم وبين ما هممتم به من الفســاد ، وأردتمــوه مــن ذنــوب وفحشاء "[3].

قال الشريف الرضى :

" والحذف هنا أبلغ ، لأنه يوهم المتوعد بعظيم الجزاء ، وبغليظ النكال ، ويصرف وهمه إلى ضروب العقاب ، ولا يقف به عند جنس من أجناس المخلوقات المتوقعات"[4].

ولا يتبادر إلى الذهن أن لوطا عليه السلام كان لا يــأوى إلـــى ربه – وهو تعالى أشد الأركان – وإنما قد جعل الله لكل شئ ســببا ،

---

(١) سورة الذاريات : آية ٢٥ .
(٢) سورة هود : آية ٨ .
(٣) الشريف الرضى ١٦٣ .
(٤) ص ١٦٤ .

وأقول:أفلا يمكن اختصار الاطناب بأسلوب موجز يفى بالمراد؟

ألسنا نقرأ فى قصص القرآن إطناباً خاصة فى السور الطوال منه ، التى نزلت فى مكة . إذ القوم لا تغنيهم الآيات القصيرة فى كشف الحجب التى حالت بينهم وبين ربهم ، ومن هنا ألح القرآن عليهم بالبسط والإيضاح ، لتتخلص نفوسهم من مادياتها شيئاً فشيئاً ، ثم تعيش مع هدى القرآن ورشده .

ومع ذلك كله إذا نظرنا إلى التراكيب القرآنية باعتبارها قوالب للمعانى ، وذات دلالات ، وإشارات للأفكار ، فإننا ونحن نتطلع إلى القصة القرآنية – وهى ككل القرآن – نجد أنفسنا أمام أسلوب محكم ، وصياغة دقيقة ، للعبارات فى تراكيبها المبنية على مفرداتها – ومن هنا نقول بعدم إمكان ترجمة النص القرآنى إلى أى لغة أخرى – وذلك بعكس ترجمة معناه ، وإلا ذهب سحر أسلوبه وبلاغة تأثيره .

وليس إيجاز القرآن مقصورا على معان كثيرة فى ألفاظ قليلة ، وإنما له عدة صور :

أولها : إيجاز الحذف :

وقد يكون المحذوف فعلا ، وذلك مثلما تراه فى قصة صالح عليه السلام فى قوله تعالى : **﴿ فَقَالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا ﴾**[1]

والمراد: لا تمسوا ناقة الله بسوء ، والزموا سقياها وهذا تحذير .

---

(١) سورة الشمس : آية ١٣ .

واتخاذ الأسباب العادية من مهام الخلق ، والأنبياء قــادتهم ، فهــم لا يدعون الأسباب ومسبباتها .

ومثل ما ذكرت من حذف الجواب قوله تعالى فى قصة هــود عليه السلام ودعوته لقومه : ﴿ فإن تَوَلَّوا فقد أبلغتكم ما أُرسلتُ به إليكم ﴾ (١).

وتقدير الكلام : فإن تولوا فلا عذر لكم .

أو : فلا لوم على ، ويكون " تولوا " فعل مضــارع ، وأصــله تتولوا ، ويناسبه " أبلغكم "

أو : فلا لوم عليك . على أنه من كلام الله أصالة ، ويكون فعلا ماضيا ، ولم يستحسنه الألوسى (٢)

ومن إيجاز الحذف نوع تحذف فيه التفصيلات التى لا تفيد فى المقام ، وذلك فى القرآن كثير ومن أمثلته قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة هود : آية ٥٧ .
(٢) جـ ١٢ / ٨٤ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٤٦ .

هنا لم يفصل القرآن فى هذه القصة أسماء الملأ ولم يذكر اسم النبى المسئول وأين كانوا ؟ ومتى ؟ ولم يحدد عددهم ، كل هذه التفصيلات أضرب القرآن عنها صفحا ، والمهم أنه تعالى ذكر أنهم لم يثبتوا أمام الشدائد وقت الاختبار .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١).

فليس فيما ذكر اسم القرية ، ومكانها ، وعدد سكانها ، إذ كل ذلك لا فائدة فيه ، وإنما اكتفى بالحالة التى كان عليها أهلها ، من سوء معاملتهم مع الله ، ومكرهم بأوامره ، واحتيالهم للنفع المادى ، ولو كان ذلك على حساب الدين .

ومن الإيجاز حذف كلام طويل من القصة يفهم من المقام ، وذلك مثلما تراه فى قوله تعالى فى قصة يوسف عليه السلام بعد أن خرج أحد الفتيين من السجن ، وقد أوصاه يوسف أن يذكره عند سيده: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ (٢) هنا بين كلمتى ﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴾ ، و ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ ،

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٦٣ .

(٢) سورة يوسف : آية ٤٥ .

عبارات محذوفة تقدر فى الكلام ، وسبب ذلك أن المرسل إلى يوسف كان فى مكان آخر ، غير المكان الذى فيه يوسف ، فهناك زمن يستغرق الذهاب إليه ، ويمكن تقدير المحذوف بقولك : " فأرسلون إلى يوسف ليكشف لى عن حقيقة الرؤيا ، ففعلوا ، فأتاه فلما أتاه قال له يا يوسف"(١).

هذا ونلاحظ أن المذكور لا يقوم مقام المحذوف ، وإن كان يفهم من فحوى الكلام ، ومع ذلك لو ذكر المحذوف كان حشوا فى الكلام يبرأ منه كتاب الله عز وجل ...

ومن أنواع الإيجاز ما تراه فى جزء آية ، أو آية ، أو آيات قليلة ، وفيه خلاصة ما حدث لقوم بأسرهم ، وكيف كان هلاكهم ، ولم هلكوا ؟ وكل ذلك فى عبارات تنبعث منها قوانين الله التى لا تتخلف فى الوجود .

يقول القرطبى عن القرآن فى مقدمة تفسيره ما نصه : " وأنبأنا عن قصص الأولين والآخرين ، ومآل المترفين فى شطر آية ، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢).

---

(١) الإتقان ج٢ ص ٦٤ .
(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٠ .

" ثم يردف ذلك بقوله : " وأنبأنا أيضا عن أمر السفينة – يعنى سفينة نوح عليه السلام – وإجرائها ، وإهـلاك الكفـرة ، واسـتقرار السفينة ، واستوائها وتوجيه أوامر التسخير إلى الأرض والسماء بقوله عز وجل : ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ* وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ* وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

وعقب على ذلك بقوله : " فبلاغة القرآن فـى أعـلا طبقـات الإحسان ، وأرفع درجات الإيجاز والبيان ، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة ، إلى حيز الإرباء والزيادة " (٢).

ومثل ما ذكره القرطبى فى بلاغة القرآن وإيجازه الذى بلغ حد الإشارة ، وهو مع ذلك وافٍ بالغرض ، ما تقرؤه من قوله تعالى فـى سورة النجم : ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى* وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى* وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ

---

(١) سورة هود الآيات ٤١ ـ ٤٤ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ج١ ص ٧٧ .

كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى * هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴾[1].

وبتأمل هذه النصوص وغيرها ، ترى دقة الألفاظ وتسجيلا لقوانين بعيدة الأثر ، فى أسباب هلاك الأمم ، كما ترى معانى لا نجدها فى غير كلام الله سبحانه .

الاستعارات والكنايات فى القصص القرآنى

وإذ قد تقرر حقيقة المجاز فى القرآن ، ونحن نراه قد استعمل كثيرا من الاستعارات ، والكنايات فيه ، بحيث تجعل الإنسان يعيش المعنى بكل أبعاده ، والقصص القرآنى مشتمل على هذا اللون من البلاغة بما لا يدع مجالا لمعترض ، وقد استعمل القرآن هذا اللون من الكلام توضيحا للفكرة ، وتجسيدا للمعنى حتى يكون تأثيرها فى النفس أكبر ، تقوية للمعنى المراد ، وذكره مع الدليل عليه بالمحسوس .

إقرأ قوله تعالى عن قرية الذين اعتدوا فى السبت من بنى إسرائيل : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2] تجد التعبير المجازى أبلغ من قولك: فجعلناها نكالا لمن يشاهدها من الأمم،

---

(١) سورة آية : ٥٠ ــ ٥٦ .
(٢) سورة البقرة : آية ٦٦ .

ولمن يأتى بعدهم ، أو قولك : لمن أمامها ومن خلفها ، وسر ذلــك أن فى التعبير القرآنى تأكيدا للقرب ، وإحاطة بالعظة والعبــرة ، مــا لا يتأتى فى تعبير آخر .

والتأثير النفسى يعمق ، ويشتد ، حينما تقــرأ قولــه تعــالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [1]. ســل نفســك وأنت تتأمل الآية الكريمة : هل اللباس يذاق ؟ وهل القريــة تــذوق ؟ وهل للجوع والخوف لباس ؟ وهل اللبــاس يتــذوق ؟ المعــروف أن الذوق لا يكون إلا فى المطعم والمشرب ، ولكن تعبير القرآن لوصف القرية بهذا الوصف من أجل تجسيد المعنى ، وجعله محسوسا ، لتقوية أثره فى النفس ، وهذا كناية عن العقاب الذى نزل بهم ، ومعلــوم أن القرية لا تحس ولا تتذوق ، ولكن لما كفر أهلها بأنعم الله ، وسلب الله عنهم نعمه ، شعروا بمرارة الجوع والخوف ، كما يشعر الجائع بــألم الجوع والخائف بألم الخوف ، وفى التعبير ، بذوق اللباس لبيان شمول الصفة لهم ، وإحاطتها بهم ... كاشتمال الملابس على الجلود ، وأن ما يظهر منهم عن مضيض الجوع وأليم الخوف من ســوء الأحــوال ،

---

(١) سورة النحل : ١١٢ .

وشحوب الألوان ، وضئولة الأجساد ، كاللباس الشامل لهم والظـــاهر عليهم [١].

أمثلة من القصص القرآنى :

وإليك أمثلة من التصوير القرآنى الرائع ذكرها الله فى قصص الأنبياء :

أولا : نوح عليه السلام ، ففى قصته ألوان من الأساليب البلاغية التى تعد من فرائد القرآن . تقرأ فى مخاطبته لقومه الذين عارضوا دعوته قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴾ [٢]... ما سر وصف الرحمـــة بالعمى ، مادامت الرحمة لا يمكن أن توصف به ؟ الجـــواب أن قـــوم نوح لما كانوا فى عمى عن آثار الرحمة ، حسن وصف الرحمة به . وقد أدى المعنى المراد بأدق وجه وأبلغه ، فلو قيل مثلا : والحقيقة لم تعرفوها ، لم يكن لهذا التعبير الحقيقى مثلما تراه فى التعبير المجازى. ولو قيل : عميت على قراءة بمعنى : خفيت لكان فيه مجاز أيضـــا لا يصل إلى بلاغته التعبير الآخر .

وقد اعترض قوم نوح عليه السلام بجملة من الاعتراضـــات ، كمـــا طلبوا إليه مطالب ، وقد حذف القرآن أسئلتهم وطواها فى الكلام ورد

---

(١) الشريف الرضى مجازات القرآن ص ١٩٦ .
(٢) سورة هود : آية ٢٨ .

عليها . وذلك نوع انفرد به القرآن الكريم ، ومن جملة هـذه الأسـئلة التى لم تذكر صراحة المال الكثير ، والإخبار بعلم الغيب ، وأن الذين اتبعوه حرموا أنفسهم من الخير ، وكل ذلك رد عليه نوح عليه السلام فيما حكاه الله عنه بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [١].

وفضلا عن هذا الإيجاز فقد وصفت الآيـة أعيـنهم باحتقـار الناس؟ وهل يمكن لها ذلك الوصـف ؟ كـلا : إنهـا لا تحتقـر ولا تستصغر إلا على ضرب من المجاز ، إذ الإنسان هو الذى يوصـف بذلك ، والعين سبب لا غير باعتبارها المبصرة .

ويسترسل نوح مع قومه فى الجواب قائلا : ﴿ وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٢]. هل يمكن إطلاق الإغواء على الله ؟ الحق هذا الاطلاق على ظاهره غيـر جائز ، ومثله الغى ، والمكر ، والاستهزاء ، والخداع .. ذلك أن كـلا مما ذكر قبيح. وكل قبيح مستحيل على الله ، ولو قلت : إن الغى كناية

(١) سورة هود : آية ٣١ .
(٢) سورة هود : آية ٣٤ .

عن إبعادهم من رحمته بسبب معاصيهم ، وفسقهم لحسن ذلك ، ولو فسرت الغواية بالإهلاك جاز أيضا مع المجاز فى كل مما ذكرت....

ويتمادى قوم نوح في ضلالهم ، فيأمره الله بصناعة السفينة قائلا: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [1].... وهنا نتساءل هل لله أعين كأعيننا، الحق ليس ذلك حاصلا لله ، وعلى ذلك فالمراد على مذهب الخلف : واصنع الفلك بأمرنا ونحن نرعاك ونحفظك ، وأنت تقول : أنا بعين الله ، أى تحت حفظه ورعايته ويشبه ذلك قوله تعالى فى حق موسى عليه السلام : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[2] والمراد بحيث نرعاك ونحفظك ونمنع عنك من يريد بك السوء ، ولك أن تقول : بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين ، فهم يصرفون عنك الأذى والضرر وكل ذلك مجاز.

ويصنع نوح عليه السلام السفينة ، ويقضى الله حكمه بهلاكهم فيقول : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [3].

وهل للسماء أبواب ؟ ذلك جائز ، ولكن الظاهر أن المراد تيسير سبل الأمطار بحيث تنهمر بدون حاجز وعائق ، وقد كان ،

---

(١) سورة هود : آية ٣٧ .
(٢) سورة طه : آية ٣٩ .
(٣) سورة القمر : آية ١١ ، ١٢ .

والتقت مياه السماء بمياه الأرض ، وكان ما قــدره الله مــن إهــلاك الظالمين وهذه العبارات من أوجز الكلام وأحسنه .

ويبلغ الإعجاز القرآنى – ذروته ويريد الله نجاة نوح ، والقلــة التى آمنت به ، وهلاك الكفرة الجاحدين بدعوته ، فيقول عز من قائل:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

هنا لا يصح توجيه الأمر والخطاب للأرض والسماء إذ هما لا يعقلان على ما نشاهد .

وعلى ذلك فالمراد سرعة نفاذ الأمر ، وبيان سلطان قــدرة الله فى الوجود من غير عجز ولا تردد . وفى هذه الآية الكريمــة نقــف على ما يلى :

أولا : لفظ ابلعى فى الآية أبلغ من أى تعبير آخر ، كلفــظ امتصــى ماءك أو اذهبى بمائك ، ذلك أن الابتلاع كما عبر بــه القــرآن فيــه سرعة دون غيره من التعبيرات الأخرى .

ثانيا : اشتملت الآية الكريمة على الخطــاب ، والأمــر ، والنهــى ، والخبر ، والنداء ، والحكم بهلاك قوم ، ونجاة آخــرين ، كــل ذلــك بمحكم الألفاظ ، وبديع المجازات قال الكرمانى فى العجائب : " أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ، بعد

---

(١) سورة هود : آية ٤٤ .

أن فتشوا جميع كلام العرب ، والعجم ، فلم يجدوا مثلها فـــى فخامـــة ألفاظها ، وحسن نظمها وجودة معانيها ، فى تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال"[١].

ثالثا : نرى فى الآية الكريمة الجناس ، والاستعارة ، فى قوله ابلعى ، وأقلعى ، كما نرى المقابلة بين الأرض والسماء ، والاحتـــراس فـــى قوله: وقيل بعداً للقوم الظالمين ، حتى لا يظن أحد أن الكل قد هلك – ولذلك ترى تجاوب الألفاظ مع المعانى المعبرة عن المراد ، كما ترى سهولة مخارج الحروف ، مع فصاحة الكلمات ، وخلوها من الغرابة ، والتنافر ، والتعقيد اللفظى ، والمعنوى ، ووضوح المعنى ، بحيـــث لا يشكل على القارئ ، والسامع ، وفى فاصلة الآية تمكين جعلها غيـــر قلقة ولا مضطربة .

ولما ذكرته فى الآية وغيره من أسرارها قال ابن أبى الأصبع :

لم أر فى الكلام مثل قوله تعالى : ﴿يا أرضُ ابلَعى مَاءَك﴾ – الآية – ذلك أن فيها عشرين ضربا من البديع ، مع أنها سبع عشرة لفظة[٢].

والحق أن هذه الآية الكريمة جمعت البلاغة من أطرافهـــا فعباراتهـــا جمعت جملاً ذات تأثير نفسى بـــديع ، وذات إيحـــاء يلمـــس القـــارئ والسامع المراد منه بدون إعمال فكر .

---

(١) الإتقان ج٢ ص ٥٥ .
(٢) الإتقان ج ٢ ٩٦٩ .

فضلا عن ترتيب أفكارها ، فقد أمر الله الأرض والسماء بالكف عن نبع الماء ، ونزوله ، ثم نقصه بعد ذلك وأخيرا هلاك من قضى بإهلاكه ، ونجاة من رضى له النجاة ، والدعاء على الكافرين بالبعد عن رحمة الله .

هذا ما نراه فى قصة سيدنا نوح عليه السلام ، وفى موسى نرى ألوانا من الإيجاز ، والمجاز يستحيل على عقول البشر أن يقاربوها ، فضلا عن أن يأتوا بمثلها .

وفى قوله تعالى فى خطابه لموسى عليه السلام : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (١) ترى هنا حذفا تشعر به النفس ، ولأسرار الإعجاز فى الإيجاز لم يذكره الله تبارك وتعالى ، ويمكن أن يقدر المحذوف بقولك : " فذهب موسى ، ومعه أخوه هارون ، وقالا لفرعون قولا لينا ، ودعواه إلى عبادة الله ، فاستكبر وطالب بالدليل والبرهان ، وأولج فى العناد والجدال ، فأراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يقنعه عن طريق المعجزة فأراه الآية الكبرى ، والمراد بها: انقلاب العصا إلى حية تسعى... وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ... حتى تصل إلى قوله

---

(١) سورة النازعات : الآيات ١٨ – ٢٤ .

سبحانه : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[1]... الآيات " فإنك واجد حذفا فى الكلام لا محالة يدل عليه السياق إذ لابد أن يكون موسى عليه السلام قد استجاب لأمر ربه ، وذهب إلى فرعون ، وبلغه رسالة ربه ، ويمكن أن يكون المقدر قولك :

" فاستجاب موسى ، وهارون ، لأمر الله ، فأتياه فقالا له ذلك ، وبلغاه ما أرسلا به ، من دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يفك أسارى بنى إسرائيل " .

وذلك الحذف المذكور يعد من أسرار أساليب القرآن فى الإيجاز ، وفى القصة القرآنية بوجه أخص ، من حيث إيراد ما يدل على المحذوف فى السياق .

وتأمل فى الآيات الكريمة خطاب الاثنين بعد الواحد ، فالمخاطب أولا موسى عليه السلام ، ثم ما لبث الخطاب أن وجه إلى موسى وهارون ، بأسلوب لا تكاد تشعر فيه بتغيير فى الخطاب لسحره وبلاغته ، وترى فى نفس القصة ألوانا أخرى من المخاطبات توجب التأمل والتفكير ، وذلك كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام وهو يدعو على فرعون وملئه : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ

---

(١) سورة الشعراء : الآيات ١٠ ـ ١٨ .

وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ (١)، فالداعى هنا واحد ، لكن الإجابة كانت لاثنين : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا ﴾ (٢).

وحكمة ذلك أن هدف الرسولين واحد ، فما يفعله أحدهما يقره الآخر ، ويؤمن عليه ، والدعاء هنا صادر من مظلوم على قوم ظالمين ، بمحو آثارهم تقول : طمست الشئ ، محوت أثره كلية ، ويطلب عليه السلام ذلك حتى لا يمكنهم التعرف عليها ، والاهتداء إليها بعد تغير معالمها واندثارها ، وليس المراد حقيقة الشد على القلب ، وإنما المراد الختم والطبع عليها ، وتثقيل العقاب ومضاعفة الآلام وفى الحديث :

" اللهم اشدد وطأتك على مضر " (٣) أى غلظ عليهم عقابك ، وضاعف عليهم عذابك (٤) .

وترى كذلك خطاب الاثنين ، واللفظ لواحد ، فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ (٥) ففرعون هنا يخاطب موسى وهارون ، ومع ذلك يقول يا موسى ، ولك أن تقول ، انفرد موسى بالنداء لأنه رباه صغيرا ، أو لأنه صاحب الرسالة ، وهارون تابع له ، كما تقول

---

(١) سورة يونس : الآية ٨٨ .
(٢) سورة يونس الآية ٨٩ .
(٣) فتح البارى باب احاديث الانبياء ج٧ ص ٢٢٩ .
(٤) مجازات القرآن ص ١٥٧ .
(٥) سورة طه : آية ٤٩ .

إن فرعون وجه الخطاب لموسى لفصاحة هارون عنه ، فقد خاف فرعون من لسانه .

والذى أميل إليه أن موسى هو المقصود بالكلام ، إذ هو صاحب معجزتى اليد والعصا ، وهو الذى تحدى فرعون وتصدى له، وكان هارون وزيره ومعضدا إياه .

كما ترى خطاب الاثنين بلفظ الجمع ، فى قوله تعالى : ﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾(1). ذلك أنهما قدوة لغيرهما ، فإذا بدآ بالاستجابة سهل على غيرهما الاقتداء والاهتداء بهما .

وإذ قرأت هنا مجازا بالحذف ومجازا بتلوين الخطاب ، فإليك مثالين آخرين ، للكناية ومثالا للاستعارة فى القصة الكريمة :

فقد كان مما قاله موسى عليه السلام لفرعون وقومه ما حكاه الله عنه : ﴿وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾(2). المراد بالعلو هنا : الاستكبار لا الصعود ، فإن فرعون علا فى الأرض . وجعل أهلها شيعا وتكبر على من فيها وما فيها ، وذلك إن جاز له فلا يجوز له التعالى على الخالق سبحانه .

ولما عبد قوم موسى عليه السلام عجل السامرى ، وملأوا قلوبهم بحبه ، عبر الله عن ذلك بقوله : ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ

---

(1) سورة يونس : آية 87 .
(2) سورة الدخان : آية 19 .

﴿بِكُفْرِهِمْ﴾[1] وهذا كناية عن شدة حبهم له ، وتعلقهم به وكأنها تشربت حبه ، فمازجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشئ الملذوذ"[2]. وذلك تجسيد للمعنوى فى صورة المحس ، ضرورة أن القلوب لا تتشرب الحب إلا على ضرب من المجاز .

ولما كان فرعون رأس المعارضة ، ضد موسى عليه السلام ويتبعه قومه فى ذلك ، يقول تعالى مسجلا عليه ظلمه وافتراءه : ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾[3].

فهو يتقدم قومه ، ويقودهم فى الدنيا إلى الضلال والعناد ، وفى الآخرة إلى النار ، وبئس المهاد ، والورد هو الماء الذى يورد ولذا ففى الكلام استعارة : فقد شبه الماء هنا بالنار وحذف المشبه به ، وفى الاستعارة تهكم وسخرية بفرعون ، فإن الماء ينفع ، لكن النار تضر ، والماء يزيل العطش ، لكن النار لا تشفى غليلا .

وإذا عرفت ذلك كله ، عن سيدنا نوح ، وسيدنا موسى عليهما السلام : وهذا غيض من فيض فعليك أن تعرف جانبا من تعبير القرآن عن قصة السيد المسيح عليه السلام .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٩٣ .
(٢) مجازات القرآن ص ١١٧ .
(٣) سورة هود : الآيتان ٩٨ ، ٩ .

فقد وصف الله عيسى بأنه كلمة ، وروح الله فى قوله تعـالى :

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (١).

فهل عيسى حقيقة كلمة ؟ وهل هو روح ؟ الحق أن ذلك من المجاز ، وكلمة الله تطلق ويراد بها ما بشر الله به فى الكتب السابقة ، وما قـد قدره فى أم الكتاب عنده ، من ولادة السيد المسيح ، بأنها تكون علـى ما أخبر به القرآن ، فى قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢).

ومعنى روح منه ، انتفاع الناس بهديه ، وحياتهم به ، كما تحيا الأجسام بالأرواح ، ورجوعهم من الضلالة إلى الهدى برسالته ، مـن حيث كونه يبين عن الحق ، ويحيى الخلق بقـدرة الله ، إذ الرسـول يحيى الأمة بأنوار الشريعة .

وقد تقدم لذلك مزيد بسط ، فى الرد على مدعى ربوبية السـيد المسيح عيسى بن مريم رسول الله .

أما الذين يطلقون القول فى نهاية حياة السيد المسيح فيقـول الله فيهم : إنهم يتبعون الظن ، الذى هو إمامهم فبه يهتدون ، ويقتدون قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (٣).

---

(١) سورة النساء : الآية ١٧١ .
(٢) سورة يس : الآية ٨٢ .
(٣) سورة النساء : الآية ١٥٧ .

فقد اختلف الناس فى شأنه عليه السلام ، ونهاية حياته ، حتى قال بعض اليهود : إنه كان كاذبا ، فقتلناه ، وتردد آخرون فيه فلم يجزموا بقتله، وقال بعضهم برفعة ، وحكم آخرون بصلب الجسد ، وصعود الروح ، ولذا قال تعالى فيهم : " لفى شك منه " والشك يطلق على مطلق التردد، أو يطلق على الجهل ، الذى هو ضد ما تسكن إليه النفس من العلم [1] .. والسؤال الآن ، هل الظن يتبع ؟ لقد جعله الله بمنزلة الداعى ، الهادى ، الآمر ، تهكما بعقول القوم وسخرية بهم ، وكل ذلك لبيان شدة استيلاء الظن عليهم ، وتمكنه من نفوسهم ، وذلك مجاز واستعارة بالكناية فقد شبه الظن بإنسان يمكن أن يقتدى به، ويتبع بجامع مطلق ما ترتب على كل منهما من الأثر ، وحذف المشبه به ، ورمز الله إليه بشئ من لوازمه وهو الاتباع .

وإليك قصة من قصص القرآن يتجلى فيها روعة الأسلوب ، وخصائص النظم ، وسمو الغاية ، وصدق الحديث ، وقوة التأثير فى النفس. تلك هى قصة سليمان بن داود عليهما السلام .

وقد اخترت هذه القصة للإيجاز البيِّن فيها ، ولانصراف الناس عن خصائصها وأسرارها . بالإضافة إلى ما فيها من قوانين اجتماعية تكفل استقرار الأفراد والجماعات ، وتوجيه أولى الأمر كيف يكون الحكم بين الناس ، وكيف يتضامن الراعى والرعية ، فى المسئولية ؟

---

(١) انظر أبو السعود ج١ ص ٣٩٥ .

وموقف الكل أمام نعم الله ، بالإضافة إلى خصائص المجتمع الذى كان فى عهد سليمان عليه السلام . وهذه القصة يتجلى فيها روعة الأسلوب، وخصائص النظم ، وسمو الغاية ، وصدق الحديث ، وقوة التأثير فى النفس وبقراءة النص القرآنى فى سورة النمل من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا إلى قوله قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ﴾... إلى آخر الآية [(١)].

نجد هذه الأفكار :

أولا : فى هذه السورة العلاقة بين آيات هذا النص الكريم ، وبين ما سبقه من آيات ، فقبلها مباشرة قصة نبى الله موسى عليه السلام ، وفيها دلالات على صفات الله من العلم ، والكلام ، والحكمة، والرحمة ، والقدرة الإلهية ، على تكليم الله له ، وإظهار معجزتى اليد، والعصا كما نرى كذلك آيات القدرة فى قصة سليمان عليه السلام من تكليم الهدهد له . وإحضار عرش ملكة سبأ ، فى لمح البصر ، والقصتان وما تلاهما من قصص أخرى تأكيد لما قرره الله فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[(٢)] ... وهنا سؤال لماذا يقسم الله فى صدر هذه القصة هل هو تبارك وتعالى فى حاجة إلى

---

(١) سورة النمل : الآيات من ١٥ ــ ٤٤ .

(٢) سورة النمل : الآية ٦ .

قسم ؟ كلا ولكنه تأكيد الخبر ، ولفت الأنظار إلى العناية بمحتوى هذا الكلام ومضمونه ؛ لأنه من لدن حكيم عليم .

ثانيا : الفضل كله من الله ، وأنه سبحانه واهب العطايا ، والمنح يفضل من يشاء من عباده على من يشاء ، وهو سبحانه يستوجب الشكر على فضله الذى منحه لعباده ، وإعلان هذا الفضل من العبد أمر يوجبه القرآن .

تقرأ ذلك فى قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾[1].

وتأمل إطلاق العلم فى صيغة التنكير : " علما " ينطوى على علم الشرائع ، والاحكام ، والعلم بالله ، وعلم القضاء ، والعلم الغزير، والعلم بصناعة أدوات الحرب ، ومنطق الطير . والتنوين لا يكون بعنصر العلم فحسب ، وإنما هو للتعظيم ، ذلك لأن الله ذكره فى مقام يمتن فيه على عبديه : داود وسليمان . فإن قلت إنه للتقليل ، قلت : هو مع كثرته ، وتنوعه ، وغزارته ، وعزته ، قليل بالنسبة لعلم الله عز وجل، وكثير بالنسبة لعلم المخلوقين ، إذ أفضليتهم على كثير من عباده المؤمنين بالعلم .

---

(١) سورة النمل : آيتا ١٥ ، ١٦ .

وفى الآية الكريمة إيجاز مطوى فالأصل فيها : " ولقد آتينا كلا من داود ، وسليمان علما ، وقال كل واحد منهما : الحمـــد لله الـــذى فضلنى على كثير من عباده المؤمنين " .

ودقة اللفظ القرآنى تتجلى فى كل حرف من حـــروف الكلمـــة تأمل التعبير بالواو دون الفاء فى قوله : " وقالا " إن لهذا الحرف سرا لا يتأتى لو كان بالفاء فهو :

أ) لبيان أن كل واحد منهما لا يحمد الله لنفسه ، وإنمـــا يحمـــد الله لنفسه ولغيره ، فداود يحمـــد الله لنفســـه ، ولولـــده ســـليمان . وسليمان يحمد الله لنفسه ، ولوالده داود ، وهذا غاية التعـــاطف والحب .

ب) الواو تشير إلى محذوف مطوى فى الكلام مؤداه : أن الله وهب داود وسليمان علما ، فلما حصلا عليـــه ، علمـــاه غيرهمـــا ، وعملا به ، وقاما بحق الله فيه ، وقـــالا : الحمـــد لله . وهـــذا المحذوف يشير إلى أنه جاوز حد الإحصاء ، وأن الكلمـــات لا تفى بمضمونه .

ج) لو ذكرت الفاء بدل الواو لدل ذلك على أن قولهما مسبب عـــن العلم وانهما حمدا الله بسبب ما أوتياه من العلم . وقـــد أفـــادت الواو أن الشكر على نعم كثيرة لا تحصى من هذه النعم نعمـــة العلم .

ودقة أخرى فى اللفظ وأدب فى الدعاء فى قوله " على كثير " إذ لم يقولا : الحمد لله الذى فضلنا على عباده وذلك تواضع نبوى وهضم للنفس ولجواز أن يكون بعض العباد قد أوتى مثلهما أو أكثر منهما وقصدهم من ذلك أنهما فضلا على من أوتى أقل منهما وعلى من لم يؤت شيئا من فضل الله وذلك أمر يحمد الله عليه .

وفى الآية دليل على فضل العلم وشرفه .

وليس المراد بالوراثة وراثة المال ، فالأنبياء لا يورثون مالا ، وإنما يورثون علما وحكمة .

وهنا ترى نبى الله سليمان عليه السلام يشيد بالنعمة ويرفع صوته مقرا بالفضل أمام الناس من رآه منهم ومن لم يره ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ .

وهذا درس للرؤساء كى يحيطوا الناس علما بما اختصهم الله به شكرا لله أولا وليعرف الناس ما ميزهم الله به على غيرهم لينقادوا لهم ثانيا .

ثالثا : ضرورة إعداد الجيوش المنظمة مع كثرتها وإمكان حدوث خوارق العادات للخاصة من الناس والتجاوب الكامل مع المخلوقات الأخرى وتجديد الشكر لكل نعمة مع التواضع وطلب الصلاح .

تقرأ ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١).

نلاحظ أن القرآن الكريم لم يذكر الحاشر ولم يبين هل كل من على ظهر الأرض جنده أم لا ولم كان هذا الحشد ولم حبس الأوائل حتى يجتمع بهم الأواخر ؟ وأين وادى النمل المذكور ؟ وكيف تكلمت النملة ؟ وما وجه تبسم سليمان عليه السلام فى قول النملة ؟ هذه أسئلة يمكن الإجابة على بعضها دون بعض مما استأثر الله بعلمه . والوزع: حبس الأوائل ليلحق بهم الأواخر وذلك للحصر الشامل للجند وليعرف من حضر ومن غاب ويحتمل أن يكون ذلك لترتيب الصفوف وحسن تنظيمها وذلك شفقة على الأوائل ليستريحوا من المسارعة إليه وشفقة على الأواخر كى لا يجهدوا أنفسهم .

ووادى النمل كان معروفا إذ ذاك ولا ضرر علينا إذا لم نعرفه وهل قدموا عليه مشاة أو ركبانا أو بعضهم كان ماشيا وبعضهم كان راكبا ؟

---

(١) سورة النمل : الآيات من ١٧ ـ ١٩ .

كما لا ندرى كيف تكلمت النملة . والظاهر أنها تكلمت بصوت فهم منه نبى الله مقصدها وكان ذلك معجزة له عليه السلام . والذى أعلمه من فهمى للآية الكريمة أن مراده ادخلوا مساكنكم لئلا يهلككم جند سليمان وفى : ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ تعليل وتحذير ، وأنها قد احترست أدبا فقالت : ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ أى : لا يقصدون إيذاءكم بالإهلاك إذ التجمعات لا تعقل والجند من باب أولى وهذا شأنهم ، ولذا تبسم نبى الله لأدبها واحتراسها .

وتجد فى هذه العبارة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾[1]. نداءاً وتنبيهاً وتسمية وأمرا وتعليلاً وتحذيراً وتخصيصاً وتعميماً وإشارة وعذرا وذلك على التوالى النداء يا – والتنبيه ها – والتسمية النمل – والأمر ادخلوا – والتعليل فى لا يحطمنكم مع التحذير فيها . والتخصيص سليمان – والتعميم جنوده والإشارة هم والعذر لا يشعرون .. فهل رأيت كلاما أبلغ من هذا الكلام ؟ وإيجازا مثل هذا الإيجاز قد أدت فى كلامها خمس حقوق . حق الله . وحق رسوله . وحقها . وحق رعيتها . وحق جند سليمان[2].

---

(١) سورة النمل : آية ١٨ .
(٢) انظر الإتقان ج٢ ص ٥٥ .

ثم نادى ربه اعترافا بأنه ولى النعمة وطلب دوام الصلة شاكرا لنعمته .

وهنا إيجاز الحذف إذ الأصل انعمت بها وذكــر الوالــدين لان الانعام عليهما إنعام على الابن وطلب الصلاح من عادة الانبياء .

فإبراهيم طلب ذلك كما طلبه غيره ، يحكى الله عن إبــراهيم : ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(١) ويطلب الولد الصالح فيقول : ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(٢) . ويحكى الله عن يوسف قوله : ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾(٣) .

رابعا : البصر بشئون الدولة واجب الحاكم العــام فيجــب ألا يفوته شئ مهما قل والجزاء المناسب ضــرورى لاســتقرار دولتــه وتوطيد أركانها مع حسن الإصغاء لما يبدو من رأى للدفاع عن النفس مع افتراض أن كل جندى يعمل من أجل الدولــة وأن الواجــب الأول يكمن فى الدعوة إلى التوحيد وتغيير المنكر إن وجد وذلك كله فى قوله تعالى : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ

(١) سورة الشعراء : الآية ٨٣ .
(٢) سورة الصافات : الآية ١٠٠ .
(٣) سورة يوسف : الآية ١٠٠ .

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[١].

هنا نجد سليمان عليه السلام يطلب التعرف على كل أنواع الطير ويتتبع أفرادها لمعرفة أحوالها . فهل لها مظلمة من أحد أو تريد أن تغير وضعا فى الدولة أو تضيف جديداً إليها ؟ ولم ينتظر حينما رأى نقصا فى عدد الجند فبادر بالسؤال عن الهدهد والأسلوب يوحى بأن سليمان عليه السلام كان يظن وجوده إذ كيف يجرؤ على التخلف. لكن شيئا حجبه عن رؤيته لذا قال : " مالى لا أرى الهدهد " ؟ ثم تبين له أنه غائب فأضرب عن قوله الأول وقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾[٢].

ونحن نعجب من البحث عن هدد صغير فى نظر الناس لا يساوى شيئا ثم من الباحث إنه نبى الله سليمان عليه السلام . ولو علمنا أن ذلك توجيه لبحث شئون الرعية باعتبار أن راحتهم مسئولية كبرى على الحاكم أمام الله عز وجل . أفلا يجوز أن يكون هذا الهدهد قد هلك بسبب ما أو هو محبوس أو مريض وهو من جملة الرعية .

---

(١) سورة النمل الآيات من ٢٠ ـ ٢٦ .
(٢) سورة النمل : الآية ٢٠ .

والقادر مسئول عن العاجز ليرفع عنه مظلمة إن كانت هناك مظلمــة ألمت به ويصدر سليمان أمرا أمام الجند أن الهدهد لــن يفلــت مــن العقوبة الرادعة ولكن ما نوعها إن كانت غير الذبح ؟ لا ندرى وهــل الطيور مكلفة ؟ وهل يجوز تأديبها إذا خالفت أمرا ؟ كل ذلك لم تذكره الآيات . ولعل ذلك كان فى زمنه عليه السلام أو كان خصوصية لــه عليه السلام وإلا فكيف نعلل هذا الوعيد الشديد ؟

وتوضح الآية الثانية مدى انقياد الجند للنبى . فالهدهد لم يمكث وقتا طويلا مع أنه كان فى مهمة شاقة لكنه عاد منها ســريعا ولعــل سائلا يسأل هنا هل مكث الهدهد طويلا بعد هذا التهديد ؟.. والجواب " فمكث غير بعيد " وهل بعد عودته سأله سليمان عن سبب غيابه أو أن الهدهد بادره بالقول دون السؤال ؟ الظاهر من السياق الثانى وقد دافع عن نفسه بأسلوب يستميل القلب ويصرف عن الخاطر التصميم علــى العقاب . فهو يقول ﴿**أحطت**﴾ إشارة إلى المعرفة بالموضــوع مــن جميع جوانبه وأن التأخير لم يكن إلا لمصلحة الدولة العليا وليس لأمر خاص وأنه يحمل نبأ ذا شأن ويؤكد قوله بجملة من التأكيدات منها أن النبأ يقين .

ويسرد النبأ مصدراً بقوله : إنى التى تفيد التأكيد أيضا وقولــه وجدت إشارة إلى أنه عثر على أثر طالما بحث عنه وكرر هذا اللفــظ مرتين ولم تأخذه مظاهر ملكها واتساع مملكتها فيقول وأوتيت كل شئ

وإنما الدقة فى إلقاء الخبر ضرورة لازمة فيقول ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ فهى تتصرف ولا يعترض عليها ويدرك الهدهد بفطرته النقية وبتوجيه سليمان عليه السلام له وللجند أن من يعبد غير الله ضال عن السبيل فلا يرتضى عبادتها وقومها للشمس من دون الله ولا يرتضى إغراء الشيطان لهم واستجابتهم له . ويقيم الدليل المادى على وجوب الطاعة لله دون سواه فهو سبحانه يخرج المغيبات من السماء والأرض فمن السماء المطر والملائكة ومقادير أرزاق العباد ومن الأرض النبات والمعادن وغيرهما .

وهو واسع العلم والقدرة وأنه لا إله إلا هو رب العرش العظيم.

خامسا : ويأتى سؤال تلقائى بعد أن ينتهى الهدهد من كلامه أمام سليمان عليه السلام مؤداه. ماذا فعل سليمان بعد ذلك ؟ ، والجواب ما نقرؤه فى هذه الآيات من قوله تعالى ﴿قال سننظر﴾...الخ.

ولم يقل سليمان عليه السلام أصدقت أم كذبت . ولعله يقصد ذلك لكن الذى يكذب أمام النبى ولو مرة يكون راسخا فى الكذب .

والتثبت من المعلومات شأن العقلاء فما دام الصدق ممكنا وما دام الكذب ممكنا كذلك فلننظر فى قرائن الأخبار وشواهدها وملابساتها ما الذى يثبت صحته منها حتى يمكن الحكم عليها .

وليكن هذا التثبت بطريق مباشر لا غموض فيه ولا التواء وليكن اتصال بهذه الملكة عن طريق الهدهد ذاته لنرى ماذا تكون

النتيجة . تقرأ بأسلوب القرآن قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (١).

تأمل مسئولية القائد الذى يعلم جنده الأدب فيأمره بالتنحى عنهم بعد إلقاء الخطاب إليهم وينظر فيما يردون به على بعضهم .

وتجمع الملكة رؤساء المملكة وتلقى إليهم الخبر هنا حذف في الكلام مؤداه : فاستجاب الهدهد لأمر سليمان وأخذ الخطاب وذهب به إليهم وألقاه عليهم ، وتولى عنهم فأخذوه وتأملوه وجمعت الملكة الملأ فألقت إليهم الخبر وحذف ذلك لكمال ظهوره وقد أكدت لهم الخبر للعناية به وقالت: ألقى لتظهر للملأ أن لها اتصالات لا يعرفونها لتزداد هيبتها فى قلوبهم ومن أدبها انها وصفت ، الكتاب بالكرم ونص الخطاب ﴿ إنه مِنْ سليمان وإنه بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٢) خطاب غاية فى الإيجاز والإعجاز ففيه استفتاح باسم الله وثناء عليه واعتزاز بالله تبارك وتعالى ودعوة إلى الإسلام وانقياد لله دون سواه وهكذا

(١) سورة النمل : الآيات ٢٧-٣١ .
(٢) سورة النمل : آيتا ٣٠ ، ٣١ .

دعوة كل نبى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(1).

فخطاب من تسع كلمات يجمع لباب الرسالات لا يصدر إلا عن رسول .

سادسا : المشاورة ضرورية للوصول إلى النتائج الطيبة التى تهم الدولة وعلى الرعية النصح والمشورة لاختيار الأفضل والاستجابة لما تهدى إليه المشورة واختيار الأمور قبل الاندفاع فيها من شأن العقلاء والفرح بالدنيا ونسيان الآخرة مهلك والتهديد إن لزم الأمر واجب والاعتزاز بالله تهون أمامه العقبات وكل من لا يعرف ربه ذليل صاغر إقرأ قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (2).

---

(1) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .
(2) سورة النمل : الآيات من ٣٣ ـ ٣٧ .

هنا تكرار للنداء لمزيد العناية والاهتمام وتطلب فتــوى حــلا للإشكال الذى طرأ عليها وعلى مملكتها فالمسئولية مشــتركة وهــى وحدها لا تتحملها حيث لا تعرف عاقبتها فإنها تقول اشيروا على فمن عادتى ألا أقطع فى أمر دون الرجوع إليكم . وجواب الملأ يشير إلى الاعتداد بالقوة المادية والشجاعة وسرعة التلبية وأنه لا رأى لهــم إلا استعمال القوة فإذا أمرت فهم أبناء حرب لا مشورة وكانت الملكة ذكية عرفت ببعد نظرها وخبرتها أن خطابا كهذا له ما بعده وإنه ذو خطــر ولن تستطيع قوتها التصدى لمن أرسل هذا الكتاب لأنه شــديد البــأس وعادة الملوك فى نظرها إفساد القرى وإذلال أهلها ولذلك لــم تنــدفع وراء شهواتهم المادية فصرفتهم عن الرد رغبت فى الصلح .

ولكنها أرسلت هدية اختبارا له وامتحانا فإن كان من أهل الدنيا انصرف بهديتها عنها وإن كان من أهل الدين أجبرها علــى القبــول والطاعة . ويأتى الوفد سليمان فيفجأه باللهجة المعبرة عــن الــرفض للهدايا وأنه ثابت على مبدئه الذى ضمنه كتابه .

وأنت تلحظ هنا إيجاز القرآن المعجز فهو عز وجل لــم يقــل فأرسلت الهدية مع الوفد فلما جاء الوفد سليمان قال : ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ ولم يسمها هدية إذ هو يعرف مغبتها لو قبلها ونكر المال للتحقير مــن شأنه فقد آتاه الله الملك والنبوة فليس فى حاجة إلى مالها وعبارته عليه السلام تفيد أنه رافض لهديتهم مصر على هدايتهم . وهكذا إذا ترتــب

دعوة كل نبى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[1].

فخطاب من تسع كلمات يجمع لباب الرسالات لا يصدر إلا عن رسول .

سادسا : المشاورة ضرورية للوصول إلى النتائج الطيبة التى تهم الدولة وعلى الرعية النصح والمشورة لاختيار الأفضل والاستجابة لما تهدى إليه المشورة واختيار الأمور قبل الاندفاع فيها من شأن العقلاء والفرح بالدنيا ونسيان الآخرة مهلك والتهديد إن لزم الأمر واجب والاعتزاز بالله تهون أمامه العقبات وكل من لا يعرف ربه ذليل صاغر إقرأ قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥ .
(٢) سورة النمل : الآيات من ٣٣ – ٣٧ .

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ۞ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۞ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ۞ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (1).

ولعلك عرفت كيف يكون الإيجاز فى أسلوب القصة القرآنية وهنا فى صدر هذا الكلام حذف مؤداه أن الوفد رجع إلى ملكة سبأ وقص عليها ما قال سليمان وعلمت أنها لا طاقة لها بقتاله فتجهزت للقدوم عليه وأرسلت إلى سليمان تعرفه أنها فى الطريق إليه وحين علم سليمان بذلك قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ وتدور المحاورة ويأتى وزير سليمان آصف بن برخيا بالعرش ولم يعين القرآن القائل وإنما وصفه بالعلم لبيان شرف العلم وقدره وأن ما حدث كان عن طريق العلم بالكتب المنزلة وهذه حقيقة يقررها القرآن كما حدثت وتلك نعمة تستوجب الشكر من سليمان . وهنا إيجاز كما عودنا القرآن

---

(1) سورة النمل : الآيات من ٣٨ – ٤٤ .

عليها ضرر رفضت فالمشرك لا تقبل هديته لأنه عدو الله وهم الـــذين يفرحون بالهدايا لأنهم عباد الدنيا وشهواتها وفى بل قصر يشير إلى أن المراد بل أنتم لا غيركم تفرحون بالهدية أما أنا فلا أفرح بها .

ويصدر الأمر للوفد بالرجوع ويؤكد الكلام بأن جند الله لا حق بهم ما حق لهم ولا طاقة لهم على مقاومته ونرى أن الموقف يقتضـــى هذا الحزم فعقيدة الشرك متمكنة من نفوسهم ولا خلاص لهم منهـــا إلا بالحكمة والموعظة الحسنة وإن لم تجد فالحرب التى لا طاقة لهم بها .

سابعا : استخدام أقصى الطاقات لتحصيل المراد ولـــذا يطلـــب سليمان الإتيان بعرش ملكة سبأ لإظهار قدرته أمامهـــا وأنـــه يســـتمد قدرته من قدرة الله التى لا تحد ويريد بالتالى إطلاعهـــا علـــى بـــدائع التصرف فى أول اتصال له بها ويرغب أحد الجان فى الاتيان بـــه . ويستقر الرأى على الذى عنده علم من الكتاب فى أقل من طرفة عين ويأتى به ويشكر سليمان ربه على هذه النعمة كما شكره علـــى نعمـــه السابقة وينكر لها عرشها وقد أبدت ذكاء وحدة فهم وهى تنظـــر إلـــى العرش أمامها وقد خلفته وراءها . ورأت من عظمة ملكه ما لا تحلـــم به وتدخل قصر سليمان العجيب وقد ذهلت من رؤيته وتعرف الحقيقة وتستسلم مع سليمان لله رب العالمين .

اقرأ هذه الآيات : ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ

كل ذلك للإيذان بوقوع الخبر وصحته وأن كلا من هذه الأقوال يباين القول الآخر فى مضمونه وغايته ويأمر نبى الله بتغيير العرش وتبديله بالزيادة والنقصان وفى كلمة تهتدى إعجاز حيث لم يحدد نوع الهداية فهل مراد سليمان عليه السلام هدايتها إلى الإيمان بالله تعالى ولا يبعد أن تكون هذه الثلاثة هدفه وغايته وتأتى إجابتها غاية فى الذكاء .

فلو أنكرته صرعتها رؤيته بصفاته أمامها ولو قالت : إنه هو بالتأكيد لنا قضت حواسها التى تشهد بأن العرش قد خلفته وراءها . ولذا قالت كأنه هو . وتأمل دقة الكلام ، أهكذا دون " أهذا " لأن الثانى تلقين لها يفوت المقصود من السؤال[1] وهنا نتساءل ما سر هذا الاختبار . ولم نكر سليمان لها عرشها ، والجواب : أراد أن يعرف مدى صحة عقلها وفطانتها ليعاملها معاملة تليق بذكائها وخبرتها . وكانت إجابتها دليلا على كمال عقلها فهى لم تقل : إنه هو لاحتمال أن يكون مثله فى الصناعة . وفى " كأن " دليل على غلبة الظن ... ولكن كيف تكون عاقلة وكاملة وتعبد الشمس ؟ والجواب إتباع الآباء والأجداد والرعية مجمعون على ذلك ولكنها لما تحققت صدق دعوة الداعى بأن هذه العبادة باطلة انصرفت عنها . ولذا يعلل الله سبب

---

(١) انظر الألوسى ج ١٩ ص ١٦٩ .

مؤداه : فأذن له فقام فأتى بعرش الملكة ووضعه بين يديه فرآه سليمان فلما رآه قال : ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ والحذف لظهوره عند من يعرف أساليب القرآن الكريم وأنه معلوم من المقام وليعلمنا القرآن كيف نتكلم وكيف نكتب مع بيان أن المحذوف لو ذكر لأشعر بطول المسافة وطول الوقت بين القول والفعل لكن الحذف يشعر بكمال سرعة الإتيان به وكأن المسافة غاية ما تكون من القرب حتى كأنه لم تكن بينهما مسافة أصلا وهنا نتساءل كيف وصل العرش ؟ هل انشقت له الأرض؟ هل جرى عليها ؟ هل نزل من السماء ؟ هل أعدم فى مكانه وأوجد عند سليمان ؟ هذا أمر خارق للعادة لا يستطيع العقل المحدود أن يكيفه أو يجيب عنه ؟ وخوارق العادات من ايجاد الشئ مهما بعد وقطع المسافات الطويلة فى زمن قصير لا تعجز عنه القدرة الإلهية ما دام الصادق قد أخبر به ، فيجب قبوله بلا تردد فيه ، فإن الشك فيه من ضعف الإيمان ولين اليقين . بل فى هذا النص دليل على وقوع الكرامات وجوازها وإنكارها كلية إنكار لصريح القرآن ولأمرٍ ما يكرر القرآن لفظ قال أكثر من مرة فهو يقول :

﴿قَالَ يا أيها المَلأ﴾ ... ﴿قالَ عفريتٌ من الجن﴾ ... ﴿قالَ الذى عنده علمٌ من الكتاب﴾ ... ﴿قال هَذَا مِنْ فضلِ ربىّ﴾ ... ﴿قَالَ نَكروا لها عَرْشها﴾ .

ويتبين لنا أن الحياة يجب أن تكون ذات هدف وغاية نبيلة وهى دعوة الخلق إلى الحق والكل يعمل فى مملكة الله .... وترى فى القصة :

١) **فضل العلم** الذى آتاه الله داود وسليمان وشكرا الله عليه بما علمهما منطق الطير وألهمها طريق الحجة الواضحة والسلطان البين وعلم سليمان منطق النمل وبحسن السياسة استطاع الحصول على عرش ملكة سبأ .

٢) **كما ترى القوة المنظمة** ومن لم يعتمد عليها فى ملكه ذهب ملكه عاجلا وتراها فى كثرة جنده وتنوعهم لدرجة الاعتزاز بهم فقد قال : ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) ومن هذه القوة تسخير الريح له : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (٢) وتسخير ما فى الأرض له : ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ (٣) وتسخير الجن : ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ (٤) فهم يطيعونه عليه السلام ولا يخالفون له أمرا .

---

(١) سورة النمل : الآية ٣٧ .
(٢) سورة الأنبياء : الآية ٨١ .
(٣) سورة سبأ : الآية ١٢ .
(٤) سورة سبأ : الآية ١٢ .

عبادتها بقوله : ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ فتلك بيئتها التى تأثرت بها إلى أن شاء الله لها ولقومها الهداية .

وبعد إجابتها عن سؤال سليمان عليه السلام ذكرت القصة أنه أمرها بدخول الصرح ولم تذكر القصة شيئا عن أصل هذا الصرح ، ومن الذى بناه ؟ ومتى بنى ؟ وما عدد طوابقه ؟ وما الذى اشتمل عليه من الأثاث والرياش ؟ وما تكاليفه ؟ ... كل ذلك لم يذكره القرآن إذ لا يضيف جديدا ولا يفيد شيئا ، واكتفى عن ذلك كله بقوله : ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ ، قصر عال من زجاج أملس . وحكمة سليمان عليه السلام اقتضت أن يشعرها بعظمة ملكه حتى لا تظن أنها ستتحول من غنى إلى فقر .. ومن عز إلى ذل .. ومن فخامة إلى تقشف ... فملك سليمان عليه السلام أعظم من ملكها بل أعظم شئ تملكه أصبح الآن بين يديه ، فلا عذر لها ولا لقومها إن هى لم تبادر بالإيمان ، ولذا ندمت على عبادة غير الله ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

تلك هى قصة سليمان كما حدثنا بها القرآن وفيها من الأسرار ما تستقر بها الدول وتسعد بها الأمم وهى تكشف عن طبيعة عصر سليمان وعبادة الناس فيه ومدى الحضارة التى كانوا يعيشون عليها وتسخير الجن والإنس والطير لنبى الله عليه الصلاة والسلام .

٤) **كما نرى العناية التامة بشئون الدولة** صـــغيرها وكبيرهـــا ، ولولا هذه الرقابة لعبث أفراد الدولة فى غفلة الرقيـــب وســـنة الحياة علمتنا أن القائد الغافل عن شئون مملكته لا يطول بقاؤه، فالثورة فى انتظاره إذا أهمل جانبا من جوانب المملكـــة . وإذا كانت عناية نبى بطير بلغت هذا المبلـــغ أفـــلا يجـــب علـــى المسئولين فى كل زمن أن يفطنوا لمشكلات الرعية ويقومـــوا بحلها وتذليل الصعوبات التى تؤرق حياتهم وتقض مضاجعهم؟ ومن البدهى أن من يعنى هذه العناية بهدهد لا يغفل عن شئون الرعية ولا يترك العمل على إسعادها . ولا يترك الأمور مهما صغرت يتولاها غيره فإن شعور القائد الأعلى غير شعور من هو أقل شأنا منه ، والعقاب إن اقتضى الأمـــر صـــادر مـــن الرئيس الحازم ما دام ينخرط فى سلك العدل ودفع الظلم .

وهكذا ترى أن العلم والقوة المنظمة والدعوة إلـــى الوحدانيـــة والعناية بكل صغيرة وكبيرة والبصر التام بشئون الدولة كل ذلك مـــن وحى القصص القرآنى الذى يـــدعم قواعـــد الدولـــة ويســـعد حـــال المجتمعات .

والقصة من قبل ومن بعد تكشف مدى السلطان الواسع الـــذى كان لسليمان عليه السلام وطبيعة العصر الذى كان فيه .

٣) **كما ترى الدعوة إلى الوحدانية** فسليمان يجمع الجنـد ويهـدد بالحرب من أجل هذه الدعوة ويكتب الكتب والرسائل من أجلها والهدهد ذاته قام من أجل هذه الدعوة خير قيام ، إذ هـو رأى وسمع من سليمان الإقرار بواحدانية الله ويعلم أن رسالة كـل نبى تقوم على الدعوة إلى التوحيد لهذا أخبر سليمان مسـرعا إلى أن قوما يعبدون غير الله ولهذا ينتقد ما عليه القـوم مـن الشرك فيقول : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١] ويتعاون الجميع من أجل تحقيق الغايـة المقصـودة امتثالا لأوامر الله وسينتصر الحق فى النهايـة علـى الباطـل ويقوم الهدهد بالمسئولية التى عهد بها إليه كاملة ويؤدى رسالة كلف بها من قبل رسول رب العالمين .

ولا أبالغ إذا قلت : إن الهدهد كان يعلـم بـالفطرة أن عبادة الشمس شرك إذ هى مربوبة مخلوقة وإن الاتجـاه إلـى غير الله بالقول أو بالعمل ضلال مبين : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٢].

---

(١) سورة النمل : آية ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

الفصل الرابع

التكرار فى قصص القرآن الكريم

هل فى القرآن تكرار ؟ وما مفهوم هذا التكرار ؟ وما فائدتـــه ؟ وما هى ألوانه ؟ وللإجابة على هذه الأسئلة يجب أن ننـــاقش قضـــية التكرار من جميع جوانبها ، والذى يتبادر إلى الذهن من أول وهلة أن الله كرر ذكر كثير من الأنباء فى أكثر من سورة ، وأكثر من موضع مثال ذلك قصة موسى عليه السلام فقد ذكرت فى كثيـــر مـــن ســـور القرآن منها سورة البقرة ، والمائدة ، والاعراف ، ويونس ، وهـــود ، وطه ، والقصص ، والشعراء ، والنمل ، وغافر ، والنازعات .

كما نجد تكرار آيات بعينها . لغايات مقصودة بها أو تكـــرارا لكلمة فى الآية أو تغييرا فى مادة الكلمة وتكرار القصص القرآنى ليس تكرارا للقصة بآياتها وعباراتها ، وإنما هو ذكر جانب أو أكثـــر مـــن القصة فى موضع لمناسبة ، وذكر جانب آخر أو أكثـــر فـــى غيـــره لمناسبة أخرى ، مع تباين واختلاف هذه الجوانب بعضها عن بعـــض بمعنى أن القصة إذا قرأتها فى مكان آخر فإنك تقـــرأ فـــى الموضـــع الآخر جانبا لم يذكر فى الموضع الأول ، تكملة للصورة العامة التـــى يقررها القرآن فى قصصه . وسنرى تفصيلا لذلك كله بعد قليل .

هذه حقائق القصة القرآنية وأنت ترى أن الذى تكلم نملة . وهنا نتساءل هل بلغ من قدرة هذه النملة أنها أخبرت الجميع بذلك الخطـر ذلك جائز ويمكن القول بأنها قد أخبرت ما قدرت عليه وقام هو بالتالى تضامنا وشعوراً بالمسئولية وأعلن التحذير بخطر داهم وأخبر بعضهم بعضا حتى علم الجميع عن طريق هذا التعاون الصادق .

ونملة تخاف على مثلها من جنسها جديرة أن تعلم الإنسـان أن يعمل لغيره ولا يدور حول ذاته ويترك سواه وعلى سليمان أن يشـفق على جنده من الآدميين ولذا طلب الإلهام من الله بعمل الصالح : ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (١).

وهكذا تكشف القصة عن حقائق ثابتة لنظم اجتماعية قامت فى عصر سليمان عليه السلام . من المشاورة والقتال وسياسـة الرعيـة وعلاقات الناس بعضهم بعضا ومن هذه القصة تؤخذ القوانين والسنن التى تحكم الحياة فى ذلك العهد فضلا عن العقائد والأخلاق التى كانت والتى يجب أن تكون فى كل زمان ومكان .

---

(١) سورة النمل : الآية ١٩ .

وقد قال " وطسن " العالم النفسى صاحب قانون التردد أو التكرار فى العصر الحديث : إن النتائج الناجحة تكون للشئ الذى يتكرر كثيرا ، إذ هو الذي يؤدى إلى الهدف[1].

ويضيف " ثورنديك " التأثير لقانون التكرار يساعد على تكوين روابط معينة .

ويقول : إن إدراك الهدف يدفع إلى تكرار الحركات من أجل الوصول إلى الهدف ، ويرسم خطا بيانيا يرتفع بالتكرار ، وينخفض بعدمه[2] وأقول : القرآن سبق هذه النظريات من حيث توزيع المشاهد المكررة للرسول الواحد ، وعدم تتابعها وبالتالى أشاد بالمؤثر والغاية وهى الرضوان الأكبر ، ونحن نجد التأثير أقوى من حيث إنه كلام إلهى ، والمؤمن حينما يقرؤه أو يستمع إليه فإنه يعتنى أكثر من غيره من الكلام ، وبهذا يتأكد معناه وتتضح أهدافه ويثمر أطيب الثمر فى النفس ، ويحس القارئ أو السامع أنه مقتنع كل الاقتناع بما يقال سواء كان ذلك فى شأن العقيدة أو الشريعة أو التاريخ .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٠ .

فلسفة التكرار :

الذين يريدون ترويج سلعة من السلع يعمدون إلى الإعلانات المكررة فهم يعلنون عنها فى يوم ثم يواصلون الإعلان عنها بلون آخر للدعاية وقد لا تلفت الدعاية الأفراد من أول الأمر ، ولكنها بتكرارها وتنوعها تحدث عندهم نوعا من الاهتمام ، وتملك عليهم حواسهم ومشاعرهم فيقبلون على الشئ المعلن عنه تحت تأثير الدعاية له . والنفس تتأثر بطبيعتها بالشئ المكرر وكثيرا ما تقتنع به ، وتتجه نحوه ، حيث هو يركز على جانب معين يستميل النفس إليه ، والعقل إذا تشبع بالفكرة أو الدعاية تأثر بها ، بل دافع عنها ، وربما عاش بها ولها .

ونرى علماء النفس يناقشون التكرار ، ويضعون له النظريات ، ويعدونه عاملا هاما فى التأثير ، إزاء عملية التعلم كمنبه طبعى[١].

واتفقوا على أن التكرار الموزع يكون أكثر تأثيرا فى الفعل من التكرار المستمر المتتابع تتابعا سريعا[٢].

---

(١) انظر سيكولوجية التعلم للدكتور مصطفى فهمى ص ٤٣ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

الوجدانية الجماعية ، وانطباع الكلام فى العقل الباطن واعتباره حقيقة مقررة لا يصار إلى غيرها . ونرى تقرير هذا الرأى للمؤلف المذكور بقوله : " للتكرار تأثير فى عقول المستنيرين وتأثيره أكبر فى عقـــول الجماعات والسبب فى ذلك كون المكرر ينطبع فى تجاويف الملكـــات اللا شعورية التى تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان " [1].

وهذه شهادة أستاذ أوربى له وزنه العلمـــى ، وآراؤه ومذاهبـــه تقدر كل التقدير ، وشهادته تعد رداً عنيفا على ما جـــاء فـــى دائـــرة المعارف البريطانية فى مادة " قرآن " يقول الكاتب : " ولـــيس هنـــاك مهارة أدبية عظيمة واضحة فى هذا التكرار الذى لا لزوم له " [2] .

فهذه كلمة تدل على تعصب ذميم ضد كتـــاب الإســـلام ، وإن دواعى التكرار فى القصص القرآنى التى سأتعرض لها بعـــد قليـــل ، ترد على هذا الادعاء الذى لم يحقق علميا وإنما أطلقه كاتبـــه بـــدون تبصر وروية . وأنت تجد فى كل عبارة من القصص معنـــى جديـــداً وحقيقة مؤكدة ، وتناسبا بين القصة والأخرى وبين القصة وغيرها من الآيات .

---

(١) روح الاجتماع ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية مادة Koran ج١٣ ص ٤٥٤ .

ونحن نرى بأعيننا أثر الدعايات السياسية وتعصب الأفراد والجماعات من جراء ما يسمعون ، وخاصة إذا كان ذلك من جهات متعددة وفى ظروف مختلفة وصادف هوى فى نفوسهم .

وقد سبقهم القرآن فى ذلك منذ أربعة عشر قرنا .

وليس ذلك رأى الشرقيين وحدهم فالغربيون كذلك يؤكدون هذا الرأى الذى ثبت نجاحه بالتجربة العملية .

يقول " جوستاف لوبون " فى معرض حديثه عن التوكيد والتكرار: إن الأول من أهم العوامل لبث الفكر فى نفوس الجماعات[١] ثم يقول : إلا أن قيمة التوكيد هى بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك "[٢].

وبعد أن عرض هذه النظرية بتقرير هذه الحقيقة النفسية شرح أثر التكرار وضرورته لتأكيد المراد فى النفس ، والحق أنه بطريقة التكرار ، وصياغة الأفكار ، يمكن ألا يكون المكرر كلاما عاديا قد ينسى ، وإنما يصير معتقدا يدافع عنه مثل كل المعتقدات وهو لا يؤثر على الأفراد العاديين فحسب ، وإنما يؤثر على المثقفين من جميع الطوائف وعلى الجماعات بوجه أخص ، ذلك نتيجة للمشاركة

---

(١) روح الاجتماع ص ٨١ ، ٨٢ .

(٢) روح الاجتماع ص ٨١ ، ٨٢ .

أنواع التكرار

للتكرار بالمعنى الذى ذكرت – وهو ذكر القصة بصور مختلفة فى مواضع متعددة مع إضافة جديد لكل صورة – أنواع وهى :

١- ذكر جوانب فى سور مختلفة تجمعها قصة واحدة .

٢- تكرار لتعدد المتكلم .

٣- تكرار بالبسط والإيجاز .

٤- تكرار آيات بعينها .

٥- تكرار جزء من آية .

مثال النوع الأول وهو ذكر جوانب فى سور مختلفة تجمعها قصة واحدة : قصة سيدنا داود عليه السلام ، فقد ذكرت فى القرآن فى ستة عشر موضعا ، ذات جوانب مختلفة تجمعها قصة واحدة . ويمكن إجمال هذه الجوانب فيما يلى :

أولا : بطولة داود وإيتاء الله له الملك والحكمة والعلم ، ترى ذلك فى سورة البقرة من خلال قصة طالوت الذى حارب جالوت وجنده وفيها يقول تعالى : فى شأن جند الحق ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [1].

(١) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

وقد أغفل الكاتب أن التكرار ليس فى كل القصص وإنما فى بعضه وهذا البعض ليس فيه تكرار حقيقى ، وإنما فى بعض الجوانب دون البعض الآخر ومع التكرار جاء بالجديد حتما ضرورة التنوع فى العرض والأداء والموضوع مع أن التكرار لم يكن فى سورة واحدة ، وإنما فى سور متعددة ومتباعدة فى أغلب الأحيان ، والسورة تعتبر كوحدة منفصلة بالنسبة لغيرها من السور وكاتب هذه الدعوى رجل لا بصر له بعلم النفس والاجتماع اللذين أثبتا أثر التكرار فى النفس الإنسانية للأفراد والجماعات [١] .

والرافعى رحمه الله يرد عليه وعلى أمثاله بعنف فيقول " وقد خفى هذا المعنى " التكرار " على بعض الملاحدة ، وأشباههم ومن لا نفاذ لهم فى أسرار العربية ، ومقاصد الخطاب ، والتأتى بالسياسة البيانية إلى هذه المقاصد فزعموا به المزاعم السخيفة ، وأحالوه إلى النقص والوهن ، وقالوا : إن هذا التكرار ضعف ، وضيق من قوة وسعة وهو – أخزاهم الله – كان أروع وأبلغ وأسرى عند الفصحاء من أهل اللغة ، والمتصرفين فيها ولو أعزهم أن يجيئوا بمثله ، ما أعجزهم أن يعيبوه لو كان عيبا " [٢] .

---

(١) النهج القويم للدكتور عبدالغنى عوض الراجحى .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٥٦ .

عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[1] ويقول ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[2].

ثانيا : رسالته يشير إليها قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ [3] وهو كتاب جمع فيه الحكم والمواعظ والتسابيح ، وحديث القرآن عن الزبور مرة أخرى فيه جديد نجده فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [4] .

ثالثا : داوود والقضاء وهذا الجانب لم يكرر ، ويمكن أن يكون إشارة إلى قصة برأسها وملخصها أن غنما أفسدت زرعا لشخص ، فحكم داوود بأن يأخذ صاحب الحرث الغنم كتعويض له ، وحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الحرث الغنم ينتقع بما ينتج منها ، ويرعى صاحب الغنم الزرع حتى يعود مثلما كان ، ثم يأخذ كل منهما ماله عند الآخر[5].

وإذا كانت القصة لم تشر إلى حكم كل منهما لكن هدفها إبراز فطنة سليمان عليه السلام وسرعة خاطره . قال تعالى : ﴿ وَدَاوُودَ

---

(١) سورة ص : آية ١٧ .
(٢) سورة ص آية ٢٠ .
(٣) سورة النساء : آية ١٦٣ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ١٠٥ .
(٥) ابن كثير ج ٣ ص ١٧٦ .

تأمل هذه الآية وانظر فيما يحكيه الله عنه فيما يتعلق بهذا الجانب ، فإنك واجد حتما – زيادة على ما ذكر ففى سورة الأنبياء تتحدث الآيات عن :

١- العلم الذى منح لداود ، وتزيد أنه منح لسليمان عليهما السلام كذلك.

٢- إضافة الحكم إلى ما ذكر من نعم ، والحكمة ، غير الحكم ، إذ هى وضع الأمور فى نصابها ، والحكم هو القضاء بين الناس ، والأول أعم من الثانى : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [١].

وفى سورة (ص) نجد زيادة على ما ذكر وهو أن رسول الله ﷺ مطالب بأن يذكره لمزايا فيه ، وأن ملكه المذكور مشدود بيد القدرة الإلهية ، فهو قوى بقوة الله ، فلا يميل عن الحق قيد شعره ، ولا يغلبه غالب ، لأن الله القوى مهيمن عليه ، ويزيد على الحكمة الرأى السديد والمنطق الواضح ، والفصاحة فى القول ، والصواب فى الحكم ، مما يدل على العقل الراجح فيقول عز من قائل : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ

(١) سورة الأنبياء : آية ٧٩ .

ذلك فى قوله عــز وجــل : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ (١).

٢- إلانة الحديد : فقد ألان الله له الحديد ، وذلك من أجــل صـــناعة أسلحة للدفاع عن النفس بأسلوب علمى منهجى بحيث لا تنفذ منها السيوف والرماح أو غيرها من آلات الحرب ، وهو عليه الســلام مطالب بعمل الدروع التى تحمى النفس ومطالب بإحكام صناعتها وصياغتها على هيئة خاصة ، لتقوم بدورها على أتم ما يكــون ، والله ناظر إليه وهو يعمل هذه الدروع الصالحة المتقنة قال تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢) وإذا ذكرت القصة فى آية أخرى وكــان الحــديث بصــدد هــذه الصناعة فإن فيها زيادة أن هذه الصنعة ليست من عنده وإنما من تعليم الله إياه ، وبيان أنها صناعة اختص بها داود عليــه الســلام وأنها لخدمة الإنسان ودفع الضرر عنه ، ولذلك فهــى تســتوجب الشكر للمنعم بها ، قال تعالى : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٣).

---

(١) سورة ص : آية ١٨ ، ١٩ .
(٢) سورة سبأ : آية ١١ .
(٣) سورة الأنبياء : آية ٨٠ .

وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (1) .

رابعا : قصة أخرى لم تكرر وهى قصة الخصم الذين تسوروا المحراب ، وقد ذكرتها فى الرسالة (2).

خصوصيات لداود عليه السلام :

١- تسبيح الطير والجبال معه قال تعالى :﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ (3) ذلك أن التسبيح ليس مقصورا على الإنسان ، وإنما يسبح الجماد كذلك وتذكر القصة الجبال والطير فى آية أخرى ، ولكن مع الزيادة المعهودة ، وذلك أن الله خصص للجبال وقتاً للتسبيح هو وقت العشى من زوال الشمس إلى طلوعها ووقت الإشراق وهو الضحى . ولك أن تقول : إن ذلك كناية عن العموم. أما الطير فهى مكلفة بأن تجتمع له ، وتقوم بما ألزمت به، ولا يتخلف شئ مما ذكر عن متابعة داوود عليه السلام – تقرأ

(1) سورة الأنبياء : آيتا ٧٨ ، ٧٩ .
(2) سورة ص : آية ٧٧ من الرسالة .
(3) سورة الانبياء : آية ٧٩ .

فتكون طيرا بإذن الله وبهذا حسن تصدير الآية بقوله " اذكر " وليس ذلك مفردا بل هو جمع ، ولذا كان التأنيث فيه أولى من التذكير .

وللأصفهانى فى البرهان كلام حسن فى سر التذكير والتأنيث فى الآيتين قال : " قيل الضمير فى هذه السورة " يعنى سورة آل عمران " يعود إلى الطير وقيل : إلى الطين وقيل إلى الم*** وقيل إلى الكاف فإنه فى معنى مثل وفى المائدة يعود على الهيئة قال وهذا جواب التذكير والتأنيث[1].

<u>**ومثال النوع الثالث**</u> وهو التكرار بالبسط والإيجاز ما نراه مبسوطا فى موضع مثل : قصص سور : طه ، والشعراء ، وموجزا فى موضع آخر مثل : ما فى سورتى : هود والنازعات .

تقرأ قصة موسى عليه السلام فى " طه " من قوله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾[2] إلى آخر قوله عز وجل : ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[3] وعددها تسع وثمانون آية ، وفيها كلها بسط لقصة " موسى عليه السلام " من المناداة ، وسبب وصوله إلى تلك المناداة ، وما لابسها من أحداث كخلع النعلين ، وتوجيه

---

(١) ورقة ٤ من المخطوط .

(٢) سورة طه : آية ٩ .

(٣) سورة طه : آية ٩٨ .

ومثال النوع الثانى ، وهو التكرار لتعدد المتكلم :

قوله تعالى فى آل عمران : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ ﴾(1).

وقوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾(2).

ذكر الضمير المفرد فى آل عمران لأنه من حكاية الله عن عيسى عليه السلام الذى أخذ يعدد لهم الآيات : ومن هذه الآيات أن الطير يكون طيرا حيا بإذن الله بعد أن ينفخ فيه ومعلوم أن طيرا واحداً تقوم به الحجة على قومه ويلزمهم الإيمان به .

أما الآية الثانية فهى من كلام الله وليست حكاية عن الغير ، كما أنها ليست خاصة بأول ما يحتج به " عيسى " عليه السلام على قومه وإنما من كل الصور التى يخلقها من الطين كهيئة الطير ،

---

(1) سورة آل عمران : آية ٤٨ ، ٤٩ .
(2) سورة المائدة : آية ١١٠ .

أضلهم السامرى حتى: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ [1]

ويعاتب موسى هارون وهارون يعتذر له بأنه لم يقترف ذنبا فى شـأن هذه العبادة ، ويعترف السامرى بجرمه فيدعو عليه موسى فيما حكـى الله عنه : ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [2].

وفى الشعراء نجد قصته عليه السلام قـد سـيقت أول سـبع قصص فى ثمانية وخمسين آية تبدأ من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [3]. وتنتهى بقوله عز وجل : ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [4].

وبتأمل الآيات نجد هذه الجوانب :

---

(١) آية ٩١ .
(٢) آية ٩٧ .
(٣) آية ١٠ .
(٤) آية ٥٨ .

السؤال له عما بيمينه ، وانقلاب عصاه حية تسعى ، والأمر بضم يده إلى جناحه لتخرج بيضاء من غير سوء ، والأمر بالذهاب إلى فرعون، ودعاء موسى ربه بأن يشرح له صدره وييسر له أمره إلى آخر الدعاء ويجيب الله سؤاله ، ويذكره بحفظه له وهو في التابوت مقذوفا به في اليم وقد أخذه عدو الله وعدو له ، ثم رجوع موسى إلى أمه بواسطة أخته كي تقر عين الأم ولا تحزن ، ومنة الله عليه في أنه قتل نفسا بغير نفس فنجاه الله من الغم ، ثم اختاره للرسالة ثم عود إلى ذهاب موسى وهارون إلى فرعون بهذه الرسالة ، وطريقة تبليغها إليه ، وبم اعترض فرعون وبم أجابه موسى وهارون ، ثم ذكره حادث جمع السحرة . وتوجيه النصح لهم من موسى وهو يخاطبهم: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾ (١).

وموسى ينتصر عليهم ويؤمنون جميعا ويهددهم فرعون وهم يصرون على إيمانهم ويقولون : ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (٢) ثم يخرج موسى يأمر عليه السلام من مصر ومعه قومه ، وتذكر السورة قصة عبادتهم العجل بعد أن

---

(١) آية ٦١ .

(٢) آية ٧٣ .

﴿ بَعَثْنَا من بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

وتنتهى بقوله عز وجل : ﴿ وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢).

أى ثمان وستون آية ، وتتجلى فيها إضافة الزيادات ، على ما فى سورتى " طه والشعراء " فيما يلى :

١- بعد إيمان السحرة ، يطلب الملأ من قوم فرعون الانتقام من "موسى" وقومه ووعدهم فرعون بذلك ، لكن "موسى" – عليه السلام – يأمر قومه بالاستعانة بالله ، والصبر على هذه الشدائد ، وقد أفسد الله حال آل فرعون وأنزل عليهم الآلام وطلبوا رفع هذه البلايا عنهم ، ووعدوا موسى بالإيمان إن كشف الله عنهم ما نزل بهم ، ويرفعها الله عنهم ، لكنهم ينكثون فينتقم الله منهم ، تقرأ ذلك فى قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

(١) آية ١٠٣ .
(٢) آية ١٧١ .

١) مناداة الحق " موسى " وأمره له بالذهاب إلى فرعون وقومه ، وطلب " موسى " من ربه معاونة هارون له ، وتكليف الله لهما بالرسالة التى يقومان بها قولا وفعلا .

٢) قيام موسى بالرسالة على وجهها الأكمل ، واعتراض فرعون على هذه الرسالة وتذكيره بأنه رباه ، وموسى يصر على الدعوة لرب العالمين ويدعى فرعون بأن موسى مجنون ، ويهدده بالسجن إن هو أصر على هذا الموقف ، ولكنه عليه السلام يظهر معجزتى اليد والعصا وفرعون يزعم بأنه ساحر عليم .

٣) يأمر فرعون بجمع السحرة فيجتمعون ، ويطلبون الأجر منه ، ويقسمون بعزته أنهم الغالبون ، وموسى ينتصر عليهم فيؤمنون جميعا برب العالمين رب موسى وهارون ، ويهددهم ولكنهم يثبتون على موقفهم .

٤) أوحى الله إلى " موسى " بالخروج من مصر ويتبعه فرعون وجنده ويريد الله أن يخرجهم من النعيم الذى كانوا فيه ، وينفلق البحر لموسى عليه السلام – معجزة له ، وينجيه الله وقومه ، ويهلك فرعون وقومه . ترى التفصيل هكذا فى السورتين ، كما تراه فى سورة الأعراف . كذلك مفصلا ، مع إضافة جوانب أخرى ، حيث تبدأ قصة " موسى " عليه السلام – من قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ

بالجهل الذى هو أقبح الأوصاف ، وأظهر لهم أن ما عليه القـــوم هالك ، وباطل عملهم ، وقال هذه الآية الحكيمة الراشدة :

﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(١).

٣- مواعدة الله لموسى – عليه السلام – أربعين ليلة .

٤- طلب موسى من ربه أن يراه .

٥- أعطاه الله الألواح ، وكتب له فيها من كل شئ ، موعظة وتفصيلا لكل شئ ، وألقى موسى الألواح لما علم أن قومه قد عبدوا العجل، لكنه عاد فأخذها ....

٦- اختيار موسى سبعين رجلا لميقات الله ، وقـد أخـذتهم الرجفـة وطلب – عليه السلام – من ربه المغفرة والرحمة ، وأن يكتـب لهم فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، ويرد الله عليـه بأنـه – تعالى – له التصرف المطلق ، فعذابه يصيب بـه مـن يشـاء ، ورحمته وسعت كل شئ لكنه قال : ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ

---

(١) آية ١٤٠ .

اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾[1].

٢- طلب قوم موسى منه – عليه السلام – إن يجعل لهم إلها بعد أن رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، فزجرهم – ﷺ – ورماهم

---

(١) الآيات : ١٢٧ – ١٣٦ .

وقد اتخذ الله على نفسه أن يعذبهم فى الدنيا إلى يـوم القيامـة ، جزاء عتوهم وضلالهم ·

١٠-وتضيف الآيات : أن الله هددهم برفع الجبل فوقهم كأنـه ظلـه ، ليقرأوا التوراة ويعملوا بما فيها . يقول تعـالى : ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

وبينما نجد البسط فى هذه السورة ، نجد إيجازا فـى غيرهـا كسورتى " هود والنازعات " حيث لم يذكر الله فى السورة الأخيرة إلا مناداة الحق " لموسى " باختصار شديد ، ودعوة فرعون للإيمان ولـم يفصل معجزتيه وإنما أمره بقوله : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾[٢]. لكن فرعون يصر على عنـاده ويجمع السحرة فيعاقبه ربه عقابا شديداً ، كل ذلك بإيجاز مع ظهـور العبرة بهذا الإيجاز ، وكأنه تلميح لا يغنى عن التفصيل المذكور فـى السور الطوال ·

---

(١) سورة

(٢) آية : ١٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

٧- ويضيف : أن الله قطع بنى إسرائيل اثنتى عشرة أسباطا أمما ، وأنه تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام وقت أن طلب قومه منه السقيا بأن يضرب بعصاه الحجر فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط ، وقد علم كل أناس مشربهم ، وأن الله تعالى قد ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى .

٨- أمرهم الله تعالى بسكنى قرية هو يعلمها ، وأن يأكلوا منها حيث شاءوا ، وأن يقولوا "حطة" ويدخلوا الباب سجدا ، كى يغفر الله خطاياهم ، ولكنهم يبدلون قولا غير الذى قيل لهم فيعذبهم العذاب الشديد .

٩- وقرية أخرى كانت على الساحل ، وفى الحضارة أكثر من غيرها يختبرهم الله فيها فيأمرهم بعدم الصيد فى يوم السبت ، لكن الحيتان تأتيهم فيه ، وفى غيره لا تأتينهم ، كل ذلك ابتلاء لهم بسبب فسقهم ، ولما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله قردة خاسئين،

(١) آية ١٥٦ ، ١٥٧ .

والنوع الخامس : وهو تكرار جزء من آية مثل قوله تعالى :

﴿ قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (١).

وقوله : ﴿ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٢).

"تدعونا" فى الآية الأولى "وتدعوننا" فى الآية الثانية ، وليس ذلك تكرارا لفظيا ، فالأول خطاب من قوم صالح – عليه السلام – والمقصود بالضمير فى تدعونا " صالح – عليه السلام – وحده . أما الثانى فخطاب لجماعة من الرسل صادر من أقوامهم . والمقصود بالضمير جماعة الرسل ، والواو الأولى هى واو الفعل ، والثانية واو الجماعة (٣) ...

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

---

(١) سورة هود : الآية ٦٢ .
(٢) سورة إبراهيم : الآية ٩ .
(٣) درة التنزيل ص ١٨٤ .

وتقرأ مثل ذلك الإيجاز فى سورة " هود " عليه السلام – ففيها لم يذكر الله إلا جانبا واحدا من رسالة "موسى" – عليه السلام – وهو إرسال الله له إلى فرعون وملئه الذين اتبعوه وأنه سيقدم قومه إلى النار يوم القيامة تقرأ ذلك الإيجاز الشديد فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [1].

<u>والنوع الرابع :</u> وهو تكرار آيات فى القصص بعينها ، تقرؤه فى سورة الشعراء فى خمس مواضع ، لخمسة من الرسل هم :

إبراهيم ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب . عليهم الصلاة والسلام ، حيث قال كل منهم لقومه فيما حكاه الله عنه : ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [2].

---

(١) آية ٩٦ – ٩٨ .

(٢) والآيات على التوالى هى : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

ب)تحدى الله العرب بالقرآن ، والقصة جزء منه ، فعجزوا كل العجز عن صياغة مثل هذا القصص ، ولم يحاولوا الإتيان بمثل أقصر قصة منه ، فضلا عن تكرارها بصورتين مختلفتين، مع أن التكرار مذهب معروف لديهم ، ومع عرفانهم بهذا المذهب أفحمهم رسول الله بهذا التعبير المختلف عن الأصل الواحد ، وذلك دليل على صدق القرآن وصدق الرسول، وأنه وحى منزل من عند الله.

يقول مصطفى صادق الرافعى وهو يتحدث عن التكرار تحت باب " أسلوب القرآن " :

"بيد أن ورود التكرار فى القرآن الكريم مما حقق للعرب عجزهم بالفطرة عن معارضته ، وإنهم يخلون عنه [(١)] لقوة غريبة فيه، ولضعف غريب فى أنفسهم ، لم يعرفوه إلا بهذه القوة ، لأن المعنى الواحد يتردد فى أسلوب بصورتين أو صور كل منها غير الأخرى وجها أو عبارة ، وهم على ذلك عاجزون عن الصورة ومستمرون على العجز ، لا يطيقون ، ولا ينطقون " [(٢)].

ج) لو ذكر الله القصة مرة واحدة ، لقال الكفار ، نحن لا نأتى بمثلها ، هاتوا أنتم مثلها ، فلا يثبت التحدى ، لهذا كررها القرآن ، وقد

---

(١) يخلون : يتركون . والتخلية الترك .

(٢) إعجاز القرآن ص ٢٥٥ .

فوائد التكرار :

لتكرار قصص القرآن فى مواضع مختلفة بأساليب متنوعة ، أهداف ومقاصد غاية فى السمو ، يشير المرحوم مصطفى صادق الرافعى إلى بعضها بقوله :

" التكرار الذى يجئ فى بعض آيات القرآن فيختلف فى طرق الأداء ، وأصل المعنى واحد فى العبارات المختلفة ، كالذى يكون فى بعض قصصه لتوكيد الزجر والوعيد ، وبسط الموعظة ، وتثبيت الحجة ونحوها ، أو فى بعض عباراته لتحقيق النعمة ، وترديد المنة ، والتذكير بالمنعم واقتضاء شكره ، إلى ما يكون من هذا الباب"(١).

وحول هذه المعانى وغيرها يمكن الكلام على هذه الفوائد فيما يلى :

أولا : التحدى والإعجاز . ويظهر ذلك فى هذه الصور :

أ) لو سلك القرآن طريقا واحدا فى إيراد القصص لقال الكفار ، نحن نقدر على غير هذا النوع ، فقطع الله عليهم كل سبيل للاعتراض، وذكر فى القرآن أنواعا مختلفة ، وترك لهم حرية اختيار ما يشاءون منها ، لكنهم عجزوا ، فدل عجزهم على صدق القرآن ، وأنه وحى منزل من عند الله .

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٥٥ .

٤- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [1].

ترى فى هذه الآيات الأربع أن القصة واحدة ، والموقف واحد، لم يتعدد والمتكلم واحد وهو الحق تبارك وتعالى ، والمخاطب واحد هو إبليس ، لكن الله ذكر هذه الآيات لبيان الإعجاز فى التعبير ، والقدرة على تنوع الأساليب ، وبالتأمل نجد المعنى واحدا فى كل .

فقوله عز شأنه :

١- ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ .

٢- ﴿ ومالك ألا تكون مع الساجدين ﴾ .

٣- ﴿ وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ .

هذه المخاطبات الثلاث فيها اختلاف فى الألفاظ ، واتفاق فى المعنى وفى زيادة الآية الثالثة " لما خلقت بيدى وحذفها من الآيتين السابقتين من باب الاختصار فى موضوع دون آخر ، إذ ليس عندنا نص يفيد أن ما حدث هو المعنى الذى اشتملت عليه الآيتان بدون هذه الزيادة .

ونلاحظ فى جواب إبليس :

---

(١) سورة الإسراء : آية ٦١ .

ذكرت قصيرة ، ومتوسطة ، وطويلة ؛ ليقطع عليهم سبل اللجاج ، ويتحداهم من جميع الوجوه ، بعكس ما لو كانت نوعا واحدا ، فإنه لا يتم هذا التحدى .

د) ومن باب التحدى والإعجاز تنوع الأسلوب مع المحافظة على المعنى الأصلى ، مثلما تراه فى قوله تعالى :

١- قال ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [١].

٢- قال ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٢].

٣- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [٣].

---

(١) سورة الأعراف : ١٢ ، ١٣ .

(٢) سورة الحجر ٣٢ -٣٥ .

(٣) سورة ص : ٧٥ ، ٧٦ .

١- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾[1].

٢- ﴿ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ ﴾[2].

٣- ﴿ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[3].

فلما جرى الأسلوب على ذكر الألف واللام ، ناسب ذكر لفظ " اللعنة " مقرونة بهما .

أما سورة " ص " فليس فيها ما ذكرت من جنس الإنس والجان ، بل جاء فيها :

١- ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ ﴾[4].

٢- وقال " بيدى " بالإضافة .

ولذلك كله حسن لفظ " لعنتى " فيها ، توافقا للألفاظ واتحادا فى الأسلوب[5].

وترى أن ما ذكره فى مكان لا يذكر فى آخر ، وقد تبدل كلمة مكان أخرى لهدف معين ، مع زيادة فى جانب ونقص فى آخر .

---

(١) آية : ٢٦ .
(٢) آية : ٢٧ .
(٣) آية : ٣٢ .
(٤) آية : ٧١ .
(٥) درة التنزيل ص ٢٠٦ .

١- ﴿ أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ .

٢- ﴿ لم أكن لأسجد لبشر ، خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ .

٣- وقوله : ﴿ آأسجد لمن خلقت طينا ﴾ .

من هذه الردود الثلاثة ، يتكون معنى واحد مضمونه : أنه لم يسجد لأنه خلق من النار بخلاف آدم الذى خلق من الطين ، ويفيد دعوى أنه أشرف منه ، وكيف يسجد الأشراف لمن هو دونه – وقد أخطأ التعليل .

كما نلاحظ فى طرد الله له بقوله عز وجل :

١- ﴿ قال فاهبط منها ، فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ﴾ .

٢- ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم وان عليك اللعن إلى يوم الدين ﴾ . ما يفيد أن الخروج من الجنة ، أمر بالهبوط منها ، واللعنة ، ولعنتى بمعنى واحد إذ اللعين هو الطرد والإبعاد .

والذى يقال حقا ويتساءل عنه : لماذا اختصت سورة الحجر بالألف واللام دون سورة " ص " وهل يصح وضع أحدهما موضع الآخر ؟

والجواب فى سورة الحجر بدئت قصة آدم باسم الجنس نقرأ ذلك فى قوله عز وجل :

ثانيا : بعض القلوب لا تنتبه إلا إذا كرر عليها الخبر ، أكثر من مرة ، والعقول والضمائر تتفاوت من حيث سرعة التنبيه ، والاستفادة ، فإن الله تبارك وتعالى يكرر القصة حتى يستفيد فى المرة الثانية والثالثة من لم يمكنه الاستفادة فى المرة الأولى ، وفى ذلك تعميق للعظة والعبرة .

ذلك أن القصص القرآنى ذو أهداف غاية فى السمو ، والقرآن يحرص على تثبيت وتعميق هذه الأهداف فى القلوب ، والقلوب مشغولة دائما بحجب تحجبها عن الخير ، فالله تبارك وتعالى يذكر بهذا التكرار تأكيدا لها فى القلوب وبيانا لأثرها فى النفوس يطول ذلك تارة، ويقصر أخرى . وقد كان الصحابة يشغلون بأعمال لا تتيح لهم.

بسببها سماع ما فاتهم ، وقد يسمع الصحابى قصة موسى عليه السلام مثلا ، ولا يسمع قصة عيسى ، فالله تبارك وتعالى يذكره ما فاته ، وهو جانب أو جوانب لم يكن يعرفها من قبل ، وهو بالتالى يخبر قومه بما يسمع (١).

وكل ما ذكر لتأكيد العبرة والعظة إذ هما لا يستقران فى القلب عند أغلب الناس إلا بالتكرار ويزداد القارئ أو السامع بصيرة كلما تكرر .

---

(١) الإتقان ٦٨/٢ .

وكل ذلك لمزيد الاهتمام بها ، وقد يزداد الاهتمام أكثــر بأحــد جوانبها فيكرر مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، وهذا التكرار دليل على سمو كلمات القرآن فهو يحتفظ بفصاحته بخلاف كلام سائر البشر .

وكذلك هذا التكرار يقرر موقف الرسول من قومه ، ومواصلة جهاده معهم والأنبياء يكررون الألفاظ لأسرار يقتضيها المقام.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (١).

يقول السيوطى : " والتكرير أبلغ من التأكيد ، وهو من محاسن الفصاحة ومن فوائده التقرير ، وقد قيل : الكلام إذا تكرر تقرر ، وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الإنذار فى القــرآن بقولـــه : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾(٢).

وفى كل ذلك دلالة على أن القرآن إلهي وليس من صنع البشر، إذ هم عاجزون كل العجز عن تكوين القصة وتكرارها بمثل مـــا فـــى القرآن الكريم ، وقد يجيد الكاتب فى جانب ولا يجيد فى آخر ، وذلـــك بعكس ما تراه فى القرآن من الإجادة فى كل جانب ... ولا غرابة فهو كلام الله .

---

(١) سورة غافر : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة طه ، وانظر الإتقان ج ١ ص ٦٦ .

وقال : ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾[1]. ثم تأخذ الآيات في شأن ولادة يحيى المعجزة الكبرى بقدرة الله عز وجل .

وفى أول السورة إنذار بيوم القيامة ، وفى آخرها دعاء على الطاغين بالهلاك : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]. وفيها : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[3] ، وفى أول سورة المعارج ، وهى السورة السابقة عليها بيان أن العذاب واقع للكافرين فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفى آخر السورة يقول تعالى فى شأنهم : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[4].

ثالثا : النفوس تميل إلى التنوع فى الأساليب من تقديم وتأخير ، وزيادة ونقصان وتتعدد بذلك الصور التى تستلذها النفس ، ويميل إليها

---

(١) سورة نوح : ١ .
(٢) سورة نوح : ٥ .
(٣) سورة نوح : ٢٨ .
(٤) سورة نوح : ٤٢ – ٤٤ .

وقصص القرآن واسع الجوانب ، فلو ذكر فى موضع واحد لما أقبلت عليه النفس ، كما هو عليه ، والنفوس قاصرة لا تقدر على متابعة الحوادث الممتدة – بالإضافة إلى أن الجانب الذى يذكره موضع، مع ما فيه من جدة وتنوع يذكر فى موضع آخر غير الأول ، وتتعدد بذلك جوانب المعرفة التى تتشربها النفس ، سواء كان ذلك فى صدر السورة ، أو فى ثناياها .

فأول سورة " مريم " مثلا لها علاقة بسورة الكهف ، وأول سورة نوح كذلك لها علاقة بالسورة السابقة عليها .

ترى فى سورة الكهف أموراً خارقة للعادة مثل قصة أصحاب الكهف وما حدث بين موسى والخضر . وكذلك سورة مريم فيها ولادة السيد المسيح وتكلمه فى المهد .

وفى آخر سورة الكهف بيان أن الأمر كله لله ، وأن محمدا بشر كسائر البشر ، لكنه يوحى إليه ويلزم ذلك أنه عبدالله ورسوله ، وفى أول سورة مريم بيان أن زكريا عبدالله ، وأنه يوحى إليه ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[1].

---

(١) سورة مريم : ٢٢١ .

عَاقِرًا ﴾[1]. وهذا ما يسميه البلاغيون الاحتباك ، وترى أن أصل المعنى واحد ، فلا غرابة هنا إذا قال الكرمانى فى سورة مريم أعاد ذكر المرأة ، وآخر ذكر الكِبرَ ليوافق عشيا ما بعدها من الآيات وهى سويا وعشيا وصبيا" [2].

وقد يكون التنويع لسر بلاغى لدى من يتذوقون أسرار القرآن البلاغية .

مثاله قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾[3].

حذف التاء فى الأولى وأثبتها فى الثانية .. وذلك أن مفعول الأولى حرف ، وفعل ، وفاعل ، ومفعول ، فاختير فيه التخفيف ، وذلك بخلاف الثانية حيث مفعولها اسم واحد وهو قوله نقبا .

ومثاله كذلك قوله تعالى : ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [4]. فى قصة يحيى عليه السلام ، وقوله ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ ﴾ [5] فى

---

(١) آية : ٥ .
(٢) انظر البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبرهان لبرهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر المقرى الشافعى المعروف بتاج القراء أحد علماء أوائل القرن السادس الهجرى مخطوطة بمكتبة الأزهر برقم ١٠١٠ علوم قرآن .
(٣) سورة الكهف : ٩٧ .
(٤) سورة مريم : ١٥ .
(٥) سورة مريم : ٣٣ .

القلب فلا يحدث الملل ، من أسلوب واحد ، وفى هذا التنــوع تجديــد للكلام .

ويمكن أن نرى ذلك فى قوله عز وجل فــى " حكايتــه عــن الملائكـــة : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ﴾[١] وليس هذا تأكيدا إذ لا يفصل بين التأكيــد ومؤكــده بفاصل [٢].

وتأمل فى هذا المقال قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر ﴾[٣] وقوله تعــالى فــى سورة مريم : ﴿ وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ﴾[٤]. فقد قدم فى السورة الأولى ذكر الكِبرَ وأخر ذكر المرأة وذلك بعكس السورة الثانية حيث قدم ذكر المرأة وأخر ذكر الكِبرَ ، وسر ذلك أن سورة مريم تقدم فيها ذكر الكبر فى قوله : ﴿ وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ﴾[٥] ، وتأخر ذكر المرأة فى قوله ﴿ وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي

---

(١) آل عمران ٤٢ .
(٢) الإتقان من المقتضى فى فوائد تكرار القصص لبدر الدين بن جماعة ج ٢ ص ٦٨ .
(٣) آية : ٤٠ .
(٤) آية : ٨ .
(٥) آية : ٤ .

ومثال الثانى وهو التفصيل بعد الإجمال :

ما ذكره الله تعالى مجملاً عن إبليس فى قوله : ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) فذكر هنا هذه الخلال الثلاث الإباء، والاستكبار، والكفر، مجملة ثم فصلها فى سائر السور ، فقال سبحانه فى الأعراف : ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٢) ، فيه إباء وامتناع وفى الإسراء : ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٣) ، فيه تكبر وفى الكهف : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ ... (٤) وفى طه فيه إباء :﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾ ... (٥) وفى ص : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ ﴾ (٦) فيه استكبار وكفر .

وفى ذلك إعجاز لا يقدر عليه إلا من أحاط بأسرار الكلمات علما .

---

(١) سورة البقرة : ٣٤ .
(٢) آية ١١ .
(٣) آية ٦١ .
(٤) آية ٥٠ .
(٥) آية ١١٦ .
(٦) آية ٧٤ وانظر البرهان للكرماني ورقة ٤ ، ٥ .

قصة عيسى عليه السلام . وسر التنكير فى الأول والتعريف فى الثانى أن الأول من الله ، والثانى من عيسى عليه السلام والقليل من الله كثير، وقليل الله لا يقال له قليل . قال الفيروزابادى : " والألف واللام لاستغراق الجنس ، ولو أدخل عليه السبعة والعشرين والفروع المستحسنة والمستقبحة ، لم يبلغ عشر معشار سلام الله [1].

وذلك من فوائد القرآن وفرائده .

كما يكون التلوين فى الأسلوب لبيان معنى جديد، أو للتفصيل بعد الإجمال، أو لبيان أن السابق فى النزول هو الأصل، واللاحق فرع له.

مثال الأول :

قوله تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا ﴾ [2].

وقوله : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ ﴾ [3].

فالآية الأولى لم تبين أن التكذيب بآيات الله كفر ، والآية الثانية قد بينت ذلك ، كما أفادت الثانية إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ، وبيان أنهم كفروا بمن وجبت طاعته ، ولزمت عبادته ، وهى احتجاج عليهم بما يفيده الاسم الجليل من معنى ولم تحصل هذه الفوائد فى الآية الأولى .

---

(١) فيروزابادى : ٣٠٧ .

(٢) سورة آل عمران : ١١ .

(٣) سورة الانفال : ٥٦ .

وقوله : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾ [1]، قال الخطيب الإسكافى : ففى الأولى " أنجيناه " لأنها أصل ، ذلك أن " أفعل " أصل " لفعل " ، فضلا عن كونه أكثر استعمالا ، بخلاف " فعل " فقليل جدا فى الاستعمال ، ودليل ذلك أن الاستعمال الأكثر جاء فى القرآن أكثر.

ولست أوافق ما ذهب إليه الإسكافى فى هذا الحكم من تفضيل أنجى على نجى ، وما ترتب عليه من أن القرآن جاء بالأولى أكثر غير صحيح .

فقد جاءت أنجى تسع عشرة مرة ، أما نجى فجاءت الأكثر استعمالا ، وقد فطن لذلك الاصفهانى فقال التشديد يدل على الكثرة والمبالغة " [2].

وأما ما ذهب إليه فى قوله أتى بالذين فى الآية الأولى ، ومَن فى الآية الثانية ؛ لأن الذين أصل ومن فرع ، فكلام حسن ، وخاصة إذا علمنا أن سورة الأعراف سبقت سورة يونس فى النزول ، ولا يعترض على ذلك بأن لفظ مَن يدل على أكثر مما يقع عليه الذين ؛ لأن مَن يصلح للواحد والتثنية والجمع ، المذكر والمؤنث ، بخلاف

---

(١) سورة يونس : ٧٣ .

(٢) انظر البرهان فى متشابهات القرآن ورقة ٢٣ للشيخ عفيف الدين بن نصر الأصفهانى فى نسخة مخطوطة بدار الكتب سنة ١٠٠٤ هـ برقم ٤٥ ق وأرجو الله أن يفقنى لتحقيقها وطبعها .

وهذه آية واحدة تجمع ما فصل فى آيات متعددة ليتذوق أرباب البيان ، وليتذكر قارئ القرآن بين وقت وآخر ، عـداوة إبلـيس لآدم ليكونوا على حذر من انتقامه ومسالكه مع بنيه .

ومثاله أيضا ما تقرؤه فى الآية الأولى من الإجمال فـى قولـه تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ ﴾[1]، والتفصيل بعد الآية التى تليها ، فقد بينت نوع الأخذ بأنه إهلاك ، وإغراق نتيجة ظلمهم ، تقرأ ذلك فى قوله عز وجـل : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾[2] .

وسر ذكر الثانية بعد الأولى فى سـورة الانفـال أن العـذابين مختلفان ، فالأولى عذاب لا يملكه الناس ، وهـو ضـرب الملائكـة وجوههم وأدبارهم عند نزع الأرواح[3]، والثانى عذاب مكن الناس من فعله ، وهو الإهلاك والإغراق ، ومثال الثالث : وهـو السـابق فـى النزول هو الأصل ، واللاحق فرع قوله تعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال : ٥٢ .

(٢) سورة الأنفال : ٥٤ .

(٣) فى الآية رقم ٥٠ ، ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة .

(٤) سورة الأعراف : ٦٤ .

خامسا : قد تطول القصة وهى ذات جوانب كثيــرة ، فـــالله تبـــارك وتعالى يذكر جانبا منها فى موضع يناسبه ، ويــذكر جانبـــا آخـــر أو جوانب أخرى فى موضع آخر يناسبه ، لتتم الصورة الكلية للقصــــة ، ويتبين معالم الهدف المقصود منها .

مثاله قصة داود عليه السلام ، وقد مرت الإشارة إليها [١].

سادسا : توكيد الزجر والوعيد :

ذلك أن العاصى لا يترك غوايته بوعيد واحد غالبا لانغماســـه فيما هو فيه ، ونسيانه ما أعد له من العذاب الألـــيم ، ولـــذلك نـــرى للرسل مواقف مختلفة مع أقوامهم يحذرونهم بطش الله وعقابه . استمع إلى قول نوح فيما حكاه القرآن عنه : ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ [٢]، وقـــول الله فيما حكاه عن شعيب : ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [٣] فقـــد تكررت منهما – كما تكررت من غيرهما المواقف ليتأكد لديهم صدق الرسل فيما أوعدوا به قومهم ...

---

(١) انظر الرسالة ص : ٤٣٢.
(٢) سورة نوح : ٧ .
(٣) سورة الأعراف : ٩٣ .

الذين فإنه يجمع المذكر فحسب " ولذا أردف صاحب البرهان قولــه : " وكان التشديد مع من أليق " [١].

ولا يلزم من كون الكلمة أصلا أن تستعمل مع اللفــظ الأكثــر استعمالا .

رابعا : تكرار القصة تسلية للنبى ﷺ :

ذلك ليرى ما حدث لإخوانه من الرسل ، فيصــبر علــى أذى قومه، كما صبر غيره من إخوانه ، ويذكر له فى كل مناسبة جانبا أو جوانب من القصة توافق الحال ، الذى هو عليه ، وتكون علاجا لمــا أَلَمَّ بصدره الشريف من ضيق ، وبالتالى يثبت قلب رسول الله علــى المعانى الإلهية التى تركزت فيه .

قال تعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [٢].

وكذلك جاءت القصة على هذا النحو تسلية لصحابته رضــوان الله عليهم .

فلقد كان يحدث لهم الإيذاء الشديد من الكفار ، فكــان القــرآن يقص عليهم فى كل مناسبة ما حدث للمؤمنين ، والأنبياء الســابقين ، وكيف صبروا على الأذى ، وفى ذلك تثبيت لقلوبهم .

---

(١) المصدر نفسه ورقة ٢٣ .
(٢) سورة هود : ١٢٠ .

ومما تقدم نستنتج أن للتكرار أهدافا متعددة ، نراها من سياق القصة التى ذكرت أكثر من مرة .

يقول البقاعى وهو يتكلم عن مناسبات الآيات فى مقدمة نظم الدرر : " يتبين لك أسرار القصص المكررات ، وأن كل سورة أعيدت منها قصة فلمعنى ادعى تلك السورة ، استدرك عليه بتلك القصة ، غير المعنى الذى سبقت له فى السورة السابقة ، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض ، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم ، والإيجاز والتطويل مع أنه لا يخالف شئ من ذلك أصل المعنى الذى تكونت به القصة " [١].

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الآى والسور ورقة ٢ من الجزء الأول مخطوطة بدار الكتب رقم ١٥٥ خ .

ويتخلل هذه المواقف بسط الموعظة لهم . وتثبيت الحجة عليهم. تارة بإيقاظ عقولهم وتربية ضمائرهم ، وأخرى بتعداد ألوان المغريات إن هم استجابوا لربهم وخضعوا للرسالات .

ويجمع ألوان التكرار وفوائده فى القرآن هدف واحد هو تعميق أوامره فى القلوب من أجل الثبات على العقيدة ...

استمع فى ذلك إلى قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام :

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾(1).

ففى هذا إيحاء بمعصية القوم ، وبسط ألوان الترغيب ، ثم وعيد ليس بعده وعيد يصمهم بالإجرام إن هم تولوا عن دعوته ...

سابعا : تأكيد الجانب الغيبى :

وتثبيته فى القلب بحيث يصير جزءا من حياة السامع أو القارئ، فالحديث عن الله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر... تجده فى خلال قصص الأنبياء جميعا .

ويندر أن تخلو قصة من قصص القرآن ، عن ذكر جانب أو أكثر من هذه الأمور الخمسة .

---

(1) سورة هود : 52 .

ولكل واحد مما ذكر أنواع مختلفة ، وأسـرار متباينـة يمكـن الكلام عليها فيما يلى :

أولا ـ الكلام الذاتى

وله أنواع ثلاثة :

١) اتحاد الموقف مع اختلاف اللفظ.

٢) تعدد المواقف مع اتحاد اللفظ .

٣) تعدد المواقف مع اختلاف اللفظ .

مثال الأول :

قوله تعالى : " ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴿ ١٠٠ ﴾ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾ [١] "

تقرأ ذلك فى سورة " ﴿ الأعراف ﴾ " بعد قصـص لعـدد مـن الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام ـ هم : نوح [٢] ، وهـود [٣]، وصـالح [٤] ، ولوط[٥]، وشعيب[٦] وبعدها يبين الله تعالى حال أهـل القـرى مـع

---

(١) الأعراف : آية ١٠٠ ، ١٠١
(١) آية : ٥٩ وما بعدها
(٢) آية :٦٥ وما بعدها
(٣) آية : ٧٣ وما بعدها
(٤) آية : ٨٠ وما بعدها
(٥) آية : ٨٥ ــ ٩٣

الكلام الذاتى والحكاية عن الغير

قد يذكر القرآن عبارة بصورة خاصة ، وقد يذكر نفس العبارة فى سورة أخرى ، بصورة مختلفة ، مع زيادة أو نقص ،أو اختلاف فى مادة الكلمة ، وليس ذلك للمصادفة أو الاتفاق ، وإنما لحكم وأسرار اقتضاها النظم الكريم وروعيت فى المقام ، من حيث اتصالها بالسابق واللاحق من الكلام .

وهكذا فلتغيير الكلمة سر ،وللتقديم والتأخير سر ، وللزيادة والنقصان سر ، وكل ذلك من إعجاز النظم القرآنى البديع .

قال سراج الملة أبو يعقوب السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ فى كتابة "مفتاح العلوم" :

" إن جوهر الكلام البليغ ، مثله مثل الدرة الثمينة ، لا ترى درجتها تعلو ولا قيمتها تغلو ، ولا تشترى بثمنها ، ولا تجرى فى مساومتها على سننها ، ما لم يكن المستخرج لها بصيراً بشأنها ، والراغب فيها خبيراً بمكانها ، وثمن الكلام أن يوفى أبلغ الإصغاء ، وأحسن الاستماع حقه ، وأن يتلقى من القبول له ، والاهتزاز بأكمل ما استحقه ، ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام [(١)]"

وما سجله القرآن فى هذا الشأن إما أن يكون صادرا من ذات الله ــ تبارك وتعالى ــ دون أن يكون حكاية عن الغير ، وإما أن يكون حكاية عن الغير.

---

(١) ص : ١٢٢

الْمُنذَرِينَ ثم بعثنا ﴾ . الآيات فترى إضمار الفاعل فى كل ما ذكره ولهـذا الإضمار ختم الله الآيات بقوله :﴿ نَطْبعَ ﴾ ليكون الكلام علـى نسـق واحد .

ومثاله أيضا قوله تعالى : ﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ من سورة "القصص" [1] فى شأن موسى عليه السلام ، وقوله تعـالى : ﴿ وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ فى سـورة "يس"[2] فى شأن رسل " عيسى " ــ عليه السلام ــ فقد قـدم الرجـل على أقصى المدينة فى السورة الأولى دون الثانيـة ، وذلـك رعايـة للمقام فى كل .

ففى قصة الرسل شرح لسوء حال القرية ومعاملة أهلها لهـم ، من حيث إنهم كذبوهم ، ويرى السكاكى أن سبب التقديم فـى سـورة "يس" هو أن القرية مظنة للعن والشتم من السامع ، وقد يدور بخلده : هل القرية كلها كذلك ؟ أو فيها بعض الأخيار فى الأماكن القريبـة أو البعيدة ، فلهذا ذكر القرآن أقصى المدينة قبل رجـل ، وقدمـه علـى الفاعل ، مناسبة لما يتردد فى ذهن السامع وتفكيره فى شأن المدينـة كلها ، ولبيان أنها ليست على حال واحدة وذلك بخلاف ما ذكـر فـى سورة القصص التى على الأصل من تقديم الفاعل وإتيانه بعد الفعل[3].

---

(١) آية :٢٠
(٢) آية : ٢٠
(٣) مفتاح العلوم ص ١٢٨ ، ١٢٩

أنبيائهم ، وأن سنته فيهم هى الأخذ بالبأساء والضراء ، رجاء التجائهم إلى مولاهم ، ولو بغوا لأخذهم الله بغته .

ثم يقرر الله سبحانه أن أهل القرى لو استجابوا لله ورسله ، لأفاض عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن الاستجابة ليست من طبيعتهم ، لذلك يعاقبهم بسبب فسقهم وأعمالهم السيئة ، ثم يهدد مشركى مكة بأن بأسه يمكن أن يلحق بهم بياتا وهم نائمون ، اوضحى وهم يلعبون ، وأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

وتجد فى الآية الأولى ﴿نَطْبَعُ﴾[1] حيث تقدم قبلها بآية واحدة لفظ الجلالة مرتين من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]

أما قوله ﴿يَطْبَعُ اللّهُ﴾[3] بإظهار الاسم الجليل ، فذلك للإضمار فى الآية السابقة ، وهذا موقف عام لكل القرى ...

أما ما ذكر فى سورة : ﴿يونس﴾ من قوله تعالى ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾[4] فخاص بقوم "نوح" ــ عليه السلام ــ فصدر الآية ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ وقوله تعالى بعد هذه الآية بآية واحدة : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلاَئِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

---

(١) سورة الأعراف : ١٠٠
(٢) سورة الأعراف : ٩٩
(٣) سورة الأعراف : ١٠١
(٤) آية : ٧٤

من أصل الأوراق

والظلة فى ﴿ الشعراء ﴾فى قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)

وتأمل التعبير القرآنى فى قصة "صالح" فى قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (٢).وفى "شعيب : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ (٣). فى آية سورة "هود" السابقة بزيادة التاء فيه دون الأول ، وذلك تعبير معجز، وكل حق ، إذ الصيحة بمعنى الصياح وهذا جائز لغة ، ولكن يقال هنا ما سر الحذف فى صالح والإبقاء فى شعيب ؟ والجواب : فى براعة ودقة ، بدأت الرجفة وأصابهم الحر ، ثم الظلة ثم الصيحة ، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ فى العبارة عن العذاب الذى أهلكوا به غلب التأنيث فى هذا المكان ، على المكان الذى لم تتوال فيه هذه المؤنثات (٤) .

ثانيا :الحكاية عن الغير

وبطريقة الحصر إما أن يتعدد الموقف ، أو يتحد ، وفى كليهما، إما أن يكون لرسول واحد ، أو لأكثر من رسول ، وفيما ذكر إما أن يتحد اللفظ أو يتغير .

وبهذا نجد أمامنا ثمانى صور هى :

١- تعدد المواقف للرسول الواحد مع اتحاد اللفظ .

---

(١) آية : ١٨٩
(٢) هود / ٦٧
(٣) هود / ٩٤
(٤) درة التنزيل :١٨٦

ويمكن القول بأنه قدم " أقصى المدينة على رجل في الثانية تبكيتا للقوم الذين لم يتبعوا المرسلين ، إذ الرجل بعيد عنهم لكنه قد اهتدى بهدى الأنبياء ، أما ما ذكر في سورة " القصص " من تقديم الرجل على أقصى المدينة فليس تبكيتا بل المراد جاء رجل غير معروف" لموسى " ــ عليه السلام ــ من مكان بعيد عنه فأخبره الخبر ، وترى بهذا تقديم الأهم في كل آية مع ملاحظة أن الأولى لموسى ، والثانية لرسل عيسى وكانوا ثلاثة.

<u>مثال الثاني</u> وهو تعدد المواقف مع اتحاد اللفظ قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾[١] ،

فقد ذكرها تبارك وتعالى في ثمانية مواضع من سورة "الشعراء"

الأول ــ في شأن سيدنا رسول الله محمد ــ صلى الله عليه وسلم [٢]

الثاني ــ في شأن سيدنا موسى [٣]

الثالث ــ في شأن سيدنا إبراهيم [٤].

الرابع ــ في شأن سيدنا نوح [٥] .

الخامس ــ في شأن سيدنا هود [٦].

---

(١) آيتا : ٨، ٩

(٢) آيتا : ٨، ٩

(٣) آيتا : ٦٧، ٦٨

(٤) آيتا : ١٠٣ ، ١٠٤

(٥) آيتا : ١٢١، ١٢٢

(٦) آيتا : ١٣٩ ، ١٤٠

فى كثير من الوجوه ، وكذلك داود ، وسليمان ، اللذان قالا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1].

ومثلهم "إبراهيم" ، و "إسماعيل" ـ عليهما السلام ـ حيث قالا بعد رفع البيت الحرام : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [2].

وإليك أمثلة النوع الثانى والثالث والرابع وهى :

أولا ـ تعدد المواقف للرسول الواحد مع اختلاف اللفظ ، وهو كثير فى القرآن ، ترى ذلك فى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [3].

وفى نفس القصة يقول تعالى فى سورة أخرى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿ ٢٥ ﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [4].

وقوله تعالى فى سورة ثالثة : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [5] ؟

فهنا القصة واحدة ، واختلف المنقول عن الغير .

---

(١) النمل : آية : ١٥
(٢) البقرة : آية : ١٢٧
(٣) الأعراف : آية :٥٩
(٤) هود : آية ٢٥
(٥) المؤمنون : آية ٢٣

٢- تعدد المواقف للرسول الواحد مع اختلاف اللفظ .

٣- تعدد المواقف لأكثر من رسول مع اتحاد اللفظ .

٤- تعدد المواقف لأكثر من رسول مع اختلاف اللفظ .

٥- إتحاد الموقف للرسول الواحد مع اتحاد اللفظ .

٦- إتحاد الموقف للرسول الواحد مع تغيير اللفظ .

٧- إتحاد الموقف لأكثر من رسول مع اتحاد اللفظ .

٨- إتحاد الموقف لأكثر من رسول مع تغيير اللفظ .

وقد تبين لى ما يلى :

أولا – النوع الأول لا يوجد فى القرآن .

ثانيا – النوع الخامس لا يتأتى فيه التكرار ،حيث الموقف متحد واللفظ متحد.

ثالثا – النوع السادس يظهر جليا فى خطاب " موسى " لأهله وفى مناداة ربه له ، وقد فصلت ذلك فى هذا الفصل تحت عنوان "موسى" فى القصص القرآنى .

رابعا – إذا أريد بالنوع السابع اتحاد الموقف لأكثر من رسول ، وقد وجدوا فى أزمنة مختلفة ، فذلك لم يحدث عقلا ونقلا وإن وجدوا زمان واحد : كيحيى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وإبراهيم ، وإسماعيل فإن الموقف لم يتكرر فى القرآن ، وإنما ذكرت قصتا "يحيى" و "عيسى" معا ،مرة واحدة فى سورة " مريم " وهما متشابهان

﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (١).

وقوله تعالى فى آية ثالثة: ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢).

وهذا أصرح ما يكون فى تعدد مواقف القوم مع أنبيائهم ، كما تعددت مواقف الأنبياء مع أقوامهم .

وفى كل ما ذكر دقة فى الحكاية ، ودقة فى كلام الله ذاته ، ناشئة عن تحديد المفردات ، واختيار الكلمة التى تذكر هنا ، والكلمة الأخرى التى تذكر هناك ، كل ذلك مع التناسب بين السابق واللاحق ، وإضافة الجديد من المعانى الإلهية رعاية للمقام ، ومع ذكر لطائف يدركها العلماء المتذوقون لأسرار كتاب الله .

كما تراه فى قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (٣).

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ (٤).

التكرار هنا لتعدد المواقف ، فإبراهيم عليه السلام قد دعا بدعوتين :

---

(١) هود : آية ٢٧١
(٢) المؤمنون : آية ٢٤
(٣) البقرة : آية ١٢٦
(٤) إبراهيم : آية ٣٥

والجواب : المقامات متعددة ، والمواقف مختلفة ، فقد قال عليه السلام ما ذكره أولا مرة ، وما ذكره ثانيا مرة أخرى ، وما ذكره ثالثا مـــرة ثالثة ، إذ هم ـــ عليهم السلام ـــ لهم مواقف مع أقوامهم ، فيها وعـــد ووعيد ، وموقف واحد لا يكفى بحال للرسول ، وهو يعـــالج شـــئونهم المختلفة ، ويدعوهم إلى الحق ، وإنما يلزم لـــذلك ضـــرورة تلـــوين الدعوة ، بطرق متنوعة ، وفى ظروف متباينة ، حسب حال القوم .

ودليل ذلك حكاية الله عنه ـــ عليه السلام ـــ فى شكاية قومـــه لربه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [١]. إلى آخر ما ذكر فى السورة الكريمة .

ومن هذا النص يتبين مدى كثرة المواقف ، وتلوين الأساليب ، التى دعا بها نوح عليه السلام قومه .

ومثل ما ذكر ما حكاه الله عن الملأ الذين ردوا دعوته :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢].

وقوله عز شأنه فى آية أخرى :

---

(١) نوح : آية ٥-٩

(٢) الأعراف : آية ٦٠ ، ٦١

وليس معنى ذلك أن الله زاد كلمة اليوم . بل هذه حكاية عنه ، ولكـــن اختيار كل فى الموضع المناسب له [1] .

ثانيا ــ تعدد المواقف لأكثر من رسول مع اتحاد اللفظ : وذلك كقولـــه تعالى حكاية عن رسل خمسة فى سورة الشعراء . وكل مـــنهم قـــال لقومه ما ذكرته السورة الكريمة : ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ *إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فقـــد ذكرت هذه الآيات الأربع فى خمسة مواضع فى شأن كل من نوح[2] ، وهود[3] ، وصالح[4] ، ولوط[5] ، وشعيب[6] – عليهم السلام .

كما كرر قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ فى الثلاثة الأول فى[7] كل منهم مرتين .

وتلك حكاية الله عنهم ، حكاها بلغتهم ، وكل منهم قـــال هـــذه الآيات الكريمة لقومه ، مما يدل على أن الله يحكـــى لنـــا أن هـــؤلاء الخمسة قال كل منهم ما نص عليه .

ويحكى لنا قصة "موسى" ، و"إبراهيم" فى نفس السورة ، ولـــم يقرر القرآن فيها أن كل واحد منهما قال لقومه هذه الآيات المذكورة ،

---

(١) بصائر ذوى التمييز ص ٢١٣ ، وانظر إلى صفها فى سورة الأعراف .
(٢) آيات : ١٠٦ - ١٠٩
(٣) آيات : ١٢٤ - ١٢٧
(٤) آيات : ١٤٢ - ١٤٥
(٥) آيات : ١٦١ - ١٦٤
(٦) آيات : ١٧٧ - ١٨٠
(٧) الآيات : ١٠٨، ١١٠/ ١٢٦، ١٣١/ ١٤٤، ١٥٠

الأولى : قبل أن تصير مكة بلدا ، والثانية بعد أن صارت بلدا ، بدليل اختلاف المعطوفين ، ففى الأولى ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (1).

وفى الثانية: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ (2).

ومثاله أيضا فى تعدد المواقف فى قصة " صالح " عليه السلام وفى شأن ناقته :

﴿ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (3).

وقوله: ﴿ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ (4).

وقوله: ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (5).

فالمواقف متعددة قال عليه السلام فى كل مرة ما حكى عنـــه ، حيث بالغ فى الوعظ فبالغ فى الوعيد ، فى الآية الأولـــى ، ووصـــفه بالقرب فى الآية الثانية لاتصاله بقوله : ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ﴾ (6).
وفى الثالثة تقدم قوله تعالى : على هذه الآية : ﴿ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (7). ولذا ختم الآية بذكر اليوم لتناسب الآية ما قبلها ،

---

(1) البقرة : آية ١٢٦
(2) إبراهيم : آية ٣٥
(3) الأعراف : آية ٧٣
(4) هود : آية ٦٤
(5) الشعراء : آية ١٥٦
(6) نفس السورة : آية ٦٥
(7) الشعراء : آية ١٥٥

فالآية الأولى فى شأن رسول ، والثانية فى شأن رسول آخر ، وسر إفراد الرسالة فى الأولى ، دون الثانية أن صالحا عليه السلام ،ما جاء قومه إلا بترك عبادة الأوثان ، وعدم التعرض لناقته قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

أما شعيب عليه السلام فقد جمعت له عدة أمور كل منها رسالة على حدة هى :

أولا ــ عبادة الله دون سواه قال تعالى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٢).

ثانيا ــ طلب منهم الوفاء بالكيل والميزان: ﴿ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ ﴾ (٣).

ثالثا ــ عدم الإفساد فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ﴾ (٤).

---

(١) الأعراف : ٧٣
(٢) الأعراف : ٨٥
(٣) الأعراف : ٨٥
(٤) الأعراف : ٨٥

فلو أن التكرار لمجرد التكرار ، دون غاية أو هدف لقال الله فيهما ما قاله فى غيرهما أو قال فى غيرهما ما حكاه عنهما .

وتعلل "مدرسة الكرمانى" عدم قول الرسولين هذه الآيات التى قالها غيرهم بأن موسى عليه السلام قد ربى فى بيت فرعون بنص الآية الكريمة :﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ (١).

وفى إبراهيم إذ كان يخاطب قومه ، وأبوه فيهم ، وقد رباه ،فاستحيا كل منهما من قول هذه الآية لقومهما ، لهذه العلة ، مع أن كلا منهما لم يأخذ منهم أجرا على التبليغ كسائر الرسل عليهم جميعا صلوات الله وسلامه .

ومثل ذلك ما نجده من ذكر آيات بعينها أكثر من مرة ، ولكن مع تغيير فى بعض ألفاظها ، كما نراه فى حكاية الله عن "صالح" – عليه السلام .

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾ (٢).

وما حكاه عن شعيب عليه السلام :﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٣).

والحق أن كل آية أريد بها غير ما أريد بالأخرى .

---

(١) الشعراء : آية ١٨
(٢) الأعراف : آية ٧٩
(٣) الأعراف : آية ٩٣ .

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾ [1].

وعن هود عليه السلام :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [2].

الأولى فى شأن رسول ، والثانية فى شأن رسول آخر كما ترى، واتضح فى الآية الأولى معطوفة على "أبلغكم" الذى هو بلفظ المستقبل ، أما الثانية فقد قالوا له :﴿ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [3]. فقابل هنا اسم الفاعل "ناصح" باسم الفاعل "كاذب" وهذا حكاية الله عن كل من الرسولين .

وفى درة التنزيل[4] .

إن قوم نوح عليه السلام رموه بالضلالة ، فقالوا له : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [5].، والضلال من صفات العقل ، فلهذا نفى الفعل المذموم بفعل محمود ، بل بأفعال تنفى دعواهم عليه ،

وهود عليه السلام رمى بالسفاهة من قومه ، فقالوا له : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾[6]. وهى من الصفات الذميمة البطيئة ، بحيث لا ينتقل الإنسان عنها إلى غيرها فى الزمن اليسير ، لهذا فقد نفاها بصفات ثابتة ، فعبر فى الجواب بالجملة الإسمية فقال : أنا ثابت على النصح لكم ، وذلك من صفات النفس كذلك.. فكل مقام له جواب يوافقه. [7]

---

(١) الأعراف : ٦٢
(٢) الأعراف : ٦٨
(٣) نفس السورة : ٦٦
(٤) ص ١٣٠
(٥) الأعراف : ٦٠
(٦) الأعراف : ٦٦
(٧) درة التنزيل ص ١٣٠

رابعا ــ ألا يصرفوا الناس عن سبيل الله ، قال تعــالى :﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [1].

ولهذا قال "رسالات ربى" ولم يفرد .

هذا إذا أضفنا أنه – عليه السلام – بعث إلى أمتين ، هما أهــل مدين وأصحاب الأيكة ، قال تعالى فى الأولـــى : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [2].

وفى الثانيـــة :﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾.... إلخ الآيات[3] . ولعلك تلاحظ التعبير هنا بالماضى فى جانب الرسولين ، ذلك أن الخطاب وقع آخر الرســالة ، وقــرب العــذاب ، بــدليل ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ [4]. ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾.... وذلك بخلاف ما تقرؤه بلفــظ المضارع فى جانب نوح وهود عليهما السلام ــ إذ كان ذلك فـــى أول الرسالة[5] .

ثالثا : تعدد المواقف لأكثر من رسول ، بلفظ مختلف ، وذلك كقولــة تعالى حكاية عن "نوح" عليه السلام :

---

(١) الأعراف: ٨٥
(٢) نفس السورة : ٨٥
(٣) الشعراء : ١٧٦ - ١٧٧
(٤) الأعراف : ٧٩، ٩٣ وردتا فى صالح وشعيب عليهما السلام
(٥) البرهان للأصفهانى فى ورقة ٢٣ ، والبرهان للكرمانى ورقة ١٩

رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [(١)] .

ومثال الثانى ما تراه مبسوطا في سور " الأعراف " ، و "طه"، "والشعراء " و "النمل" ، " والقصص " .

وإذا ضمت هذه الجوانب للرسول الواحد كونت قصة متكاملة عن سيدنا موسى عليه السلام .

وأمام قصة موسى نجد آيات بعضها من الكلام الذاتى ، والآخر من الكلام المحكى ، ولكل منها مواقف مختلفة ، وإليك أمثلة من النوع الأول:

أولا – مناداة الحق لموسى عليه السلام : وفيه مشاهد ، يجمعها اتحاد الموقف مع اختلاف اللفظ .

في سورة طه : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إن الساعة آتية أكاد أخفيها * لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ [(٢)] .

هذا الموقف الرائع ، يغلب فيه التركيز على أساس العقيدة والاخبار بما لله من علم وقدرة ، وطلب عبادته وحده دون سواه ، والاهتمام بشأن البعث ....

---

(١) الآيات من ٢٨ – ٤٤

(٢) آيات من ١١ إلى ١٦

الفصل الخامس
موسى في القصص القرآني

المعروف تاريخيا أن خطاب الله لموسى عليه السلام كان بغير اللغة العربية، وقد حكى الله لنا باللغة العربية ما جرى بينه تعالى وبين نبيه موسى من مخاطبات .

ذلك أن نقل المعاني والأفكار من لغة إلى لغة ممكن ، وليس بعسير على الله الذي أحاط بكل شئ علما ، وإذا قال الله قولا ، فقوله الصدق ومنطقه الحق ، إذ له تبارك وتعالى الكمال المطلق ، ومحال عليه الزيادة والنقصان ، أو حكاية ما لم يكن قد وقع .

ومادام الله قد قص علينا وأخبرنا بأن ذلك قد كان ، فإن ما نص عليه الله من قوله ذاته[1] ، أو حكاية عن غيره يتفق والواقع تمام الاتفاق ولا يختلف بحال من الأحوال عما حدث .

ولا يقدح في القرآن كون ما حدث بلغة أخرى ، وإنما الذى يقدح ألا تكون الحكاية صادقة ، ونحن نرى ، في بعض السور أخبارا عن جانب مما حدث ، وفى سور أخرى زيادة على هذا الجانب بدون تعارض.

مثال الأول ، ما تقرؤه في سورة "غافر" عن رجل مؤمن يدافع عن موسى عليه السلام ، ويحذر الناس من بطش الله وعقابه ، في قوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ

(١) وهو ما أقصده بالكلام الذاتى .

جـ) ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

د) ﴿ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[2].

كل ذلك وما دار حوله قد قاله الله ، في هـذا الموقـف ، ولا يصح عقلا أو نقلا القول بأن عبارة واحدة هى التى قيلت ، والله يعبر عن الباقى من عنده ، وإن لم يكن قد حدث . ولا يصلح أن يكون كـل ما ذكرته الآيات تعبيرا عن معنى واحد لا غير ، كما لا يجوز عقـلا أو نقلا القول بأن عبارة واحدة ، في اللغة التى خوطب بهـا موسـى تستوعب كل ما قيل في هذا الموقف .

وأى عبارة تتسع لهذه النداءات الثلاثة وما تضمنته من معان ؟

وتكرار هذه النداءات غير مستبعد ، فهو عليه السلام كان فـي حاجة إلى هذا العطف الإلهى ، لتسكن نفسه ، ويهدأ قلبـه ، وتسـتقر عواطفه ، بعد ترك أهله ، وحدهم ، ووقف يخاطبه رب العالمين .

وفى نفس المشهد تقرأ قوله تعالى في سورة " طه": ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴾[3]

وفى سورة "النمل" ، ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4]

وفى كل منها إخبار عن الله ، وأتى بمعنى جاء ، ومـع ذلـك فهناك سر لاختيار كل منهما في سورة بعينها، ذلك السر هو أن مـادة الإتيان كثر استعمالها في السورة الأولى دون الثانية ، ففى سورة "طه"

---

(١) القصص : ٣ .
(٢) النمل : ٩ .
(٣) طه : ١١ .
(٤) النمل : ٨

وفى سورة القصص : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [1] الآيات .

وفى سورة النمل : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2] .

ولسائل أن يسأل هل هذه المكالمة تمت في موقف واحد أو في مواقف متعددة ؟

وإن كانت في موقف واحد ، فكيف يعبر عنها بصورة مختلفة ، وهو من باب الكلام الذاتى الصادر عن الله تبارك وتعالى ، ولم يكن حكاية عن الغير ، وهل يمكن القول بأن هذا الكلام كله قد حدث ؟ وكيف يحدث بهذه الصور المختلفة ؟

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

" هذا المشهد صورة واحدة ، وزعت توزيعا دقيقا[3] محكما .

وأقول : الموقف واحد والصورة واحدة ، وكل ذلك قد حدث ، حيث طال الموقف الذى يستوعب كل ما حكاه الله تعالى : فموسى عليه السلام سمع كل ما نص عليه القرآن في قوله تعالى :

أ) ﴿ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [4] .

ب) ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [5].

---

(١) آيتا : ٣٠ ، ٣١

(٢) آية ٨ وما بعدها .

(٣) القصص القرآن في منطوقه ومفهومه ص ٦٥

(٤) القصص القرآنى في منطوقه ومفهومه ص٦٥ .

(٥) طه : ١٤ .

ونرى أن المادة قد ذكرت في السورة الكريمة ثماني مـرات ، منها ما يتعلق بالقصص ، ومنها ما يتعلق بغيره .

وهكذا يختار الله الكلمة المناسبة التي يتناسق بها الأسلوب ، ويضعها في موضعها اللائق بها من الآية والآية من السورة .

ومثله ما تقرأه في سورة "طه"، في باب الامتنان على موسى عليه السلام ؟

﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (١)

وفي القصص :﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (٢)

وهما بمعنى واحد ، ولكن لما كان الرجع ألطف على النفس ، وأرق في السمع ، خصت به سورة "طه" وأنت ترى أنه يخاطبه ، ولما كان الرد يقتضي الكراهة للمردود ، خصت به سورة "القصص" وسر ذلك تصديق للوعد الذي أخذه ربنا تبارك وتعالى على نفسه ، حيث قال لأم موسى :﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣)

والله يحكي عنه ، وفي خطابه لموسى جاء باللفظ الرقيق وفي الحكاية عنه استعمل اللفظ الآخر .

وفي نفس المشهد السابق الذكر في تدريب موسى عليه السلام على معجزته : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (٤) كما تقرأ ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ (٥) .

---

(١) آية : ٤٠
(٢) آية : ١٣
(٣) القصص : ٧
(٤) النمل : ١٠
(٥) القصص : ٣١

تقرأ قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [1] ،وقوله ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ﴾ [2] وقوله : ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ [3] .وقوله : ﴿ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴾ [4] وقوله ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [5]

وهكذا جاء في الآية أتاها تناسبا مع سياق السورة وذلك بخلاف لفظ "جاءها " الذى ذكر في السورة الثانية،دون الأولى، ففيها تقرأ قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [6]

وقوله : ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [7]

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ [8]

وقوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [9]

وقوله : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي ﴾ [10]

وقوله : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ [11]

---

(١) طه : ٤٧
(٢) نفس السورة : ٥٨
(٣) نفس السورة : ٦٠
(٤) نفس السورة : ٦٤
(٥) نفس السورة : ١٩
(٦) النمل : ١٣
(٧) النمل : ٢٢
(٨) النمل : ٣٦
(٩) النمل : ٤٢
(١٠) نفس السورة : ٨٤
(١١) نفس السورة : ٨٩ ، ٩٠

الأمران حدثا فعلا ، إلا إذا قلنا : إن معنى" أدخل " هو معنـــى "أسلك " واللفظة المنقول عنها قد تحتملهما .

ويمكن القول بأن لفظ " أدخل " أبلغ من لفظ " أسلك " حيث إن الأول يتعدى إلى المفعول ، بخلاف الثانى فيـــأتى لازمـــا ومتعـــديا ، يضاف إلى ذلك أن " أسلك " توافق " اضمم " في نفس الآية في قولـــه تعالى : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾، كما تقرأ فـــي الأولـــى:﴿ تِسْعِ آيَاتٍ﴾ ....

وفى الثانية :﴿ بُرْهَانَانِ﴾ في قوله تعـــالى :﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ من رَّبِّكَ ﴾ وهما أقل من التسع .. والبرهانان هما : اليد والعصا .(1)

وقد ناسب لفظ " أدخل " وهو الأبلغ التسع ، وناسب لفظ "اسلك" برهانان ، وذلك غاية الدقة والإحكام ، وهذا سر اختيـــار كـــل مـــن اللفظين في مكانه .

المشهد الثاني : اختلاف التعبير القرآني فيما صارت إليه العصا :

وفيه اتحاد الموقف مع اختلاف اللفظ تقرأ في سورتى " النمل ، والقصص " عن العصا أنها ﴿جَانٌّ﴾ في قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾(2)

وفى سورة "طه"تقرأ أنها ﴿حَيَّةٌ﴾ في قوله تعالى :﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾(3)

---

(1) الألوسى جـ٢٠ ص٧٦ .
(2) النمل : ١٠ ، القصص : ٣١
(3) آيتا : ١٩ ، ٢٠

فقد دخل لفظ "أن" في الآية الثانية دون الأولى ، لأن السـورة الأولى تقرأ فيها ﴿نُودِيَ أَن بُورِكَ﴾[1] ، فلما ذكرت أن فى هذه العبـارة استغنى عن إعادتها بخلاف الثانية ، حيث تقرأ قبلها مباشـرة : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فلم تتقدم عليها (أن) … …

والموقف حدثت فيه العبارتان ، وصدر فيه الأمران الإلهيان ومثله في الزيادة ، آية دون غيرها قوله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ ﴾[2] وفى آية أخرى : ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾[3]

فقد سبق الآية الثانية كلمة "مدبرا " في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ .

والنداءان قد حدثا بالفعل ، والقصد شدة الإقبال على الله في هذا الموقف .

فكأن المعنى : أقبل آمنا غير مدبر … …

ومثله : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾[4]

وفى أخرى : ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾[5]

---

(١) النمل : ٨
(٢) نفس السورة : ١٠
(٣) القصص : ٣١
(٤) النمل : ١٢
(٥) القصص : ٣٢

وذلك تنويع في غاية الإعجاز والبلاغة من حيث إن لكل آية معنى يخصها ففي الأولى ، خطاب لموسى عليه السلام وحده ، بالذهاب إلى فرعون ، وفي الثانية أمره بأن يأتي القوم الظالمين قوم فرعون ، وفى الثالثة خطاب لموسى وهرون ، وكذلك الرابعة ، ولكن باستعمال الضمير عنه ، بدلا من التصريح به ، وبلفظ ربك بدلا من رب العالمين .

ويمكن القول في الآية الأولى بأن قوم فرعون يتبعونه ، والثانية لبيان أن القوم مسئولون مسئولية شخصية ، ولا حق لهم في إلقاء اللوم على فرعون وحده ، لأنه سبب طغيانهم ، والثالثة والرابعة لبيان أن هرون تابع لموسى عليهما السلام .

ويجب التنبيه إلى أن الإفراد بعد التثنيه في الآية الثالثة للإشارة إلى أن هدف الرسولين واحد حيث جاءا بتبليغ رسالة واحدة إلى فرعون وملَئه ، وكذلك دعوة بنى إسرائيل إلى السلوك الأقوم .

وفى الموقف ذاته يأمر الله موسى بالذهاب إلى فرعون بأوامر مختلفة ، كما تقدم في " طه" : ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾(١).

وفى القصص : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾(٢)

وصدور الأمر أكثر من مرة تأكيد له ، واهتمام بشأنه ، فهو عليه السلام مكلف بدعوة فرعون وقومه الفاسقين إلى الخضوع للحق، وإذا ذكر فرعون انصرف إلى الذهن قومه وعرف الإنسان بالفطرة

---

(١) سورة النازعات : ١٧ .
(٢) سورة القصص ٣٢ .

وفى سـورة ثالثة تقرأ أنهـا : ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ في قوله تعالى :
﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [1]

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في هذا المشهد : " هى حيـة في ضخامتها ، وجان في خفتها ونشاطها وحيويتها ، وهى ثعبان فـي خفة الحركة كذلك ، ومع ذلك مبين عظيم الجسم ضخم " ، ونحـن لا نسلم له بالضخامة كما نقول : إن الثعبان ما كان عظيم الجثة .

وذلك إعجاز وروعة ، وبهذا الإعجاز يمكن استغناء كل لفظـة عن غيرها ، ولو ضمت لكونت مشهدا فريدا [2]. والمتأمـل يـرى أن لفظتى الحية والجان ذكرا في المناجاة ، وأن لفظ الثعبان ذكـر فـي موقفه أمام فرعون ، والذى أراه في هذه الصور الثلاث ، أنها حية في صورتها ومظهرها ، وجان في حركتها وخفتها أما الثعبان فله حادثـة خاصة به .

المشهد الثالث : الأمر بتبليغ فرعون الرسالة :

تقرأ ذلك في قوله تعالى : ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [3]

وفى آية أخرى : ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [4]

وفى أية ثالثة : ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [5]

وفى آية رابعة : ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [6]

---

(١) الشعراء : آيتا ٣٢ ، ٣٣
(٢) القصص القرآنى في منطوقه ومفهومه ص ٦٧
(٣) طه : ٢٤
(٤) الشعراء : ١٠
(٥) الشعراء : ١٦
(٦) طه : ٤٧

أى تكرار لفظى هنا ؟ سورة غافر الثانية ذكـر فيهـا هامـان وقارون بخلاف الأولى والثالثة ليست هى كالأولى من حيث إنه لـون في الأسلوب فحذف من الثالثة ما دلت عليه الأولى .

ولكن يقال لماذا زيدَ في الأولى سلطان مبين ؟

والجواب : أن هذه السورة فصلت شأن موسى أكثر من غيرها من السور .

وآية الزخرف لم يذكر فيها تفصيل وهى اختبار الله لهـم فـي الدنيا ، بل كان فيها إجمال بدليل ما بعده :﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]

وترى في موقف السحرة من فرعون :

قوله تعالى :﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا ﴾[2]

وقوله :﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ ﴾[3]

ترى فى التقديم والتأخير تلوينا في الأسلوب وقد زاد " فلمـا " لأن هذه السورة مبنية على البسط والإيضاح بخلاف الأخرى فمبنية علـى الاختصار .

---

(١) آية : ٤٨
(٢) الأعراف : ١١٣
(٣) الشعراء : ٤١

أنهم ظالمون لأنفسهم ، بعبادتهم غير الله ، وأنهم خارجون عن طاعته، يقول صاحب درة التنزيل :

" وأما قوله :﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾[1]، وقوله في الشعراء ﴿ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾[1] وقوله في القصص: ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[2].

ففى الآية الأولى ذكر فرعون وحده ، لأن قومه تبع له ، وكأنهم مذكورون معه ، وفى الآية الثانية ذكر قوم فرعون من دونه ، ومعلوم أنه بينهم ومخاطب بمثل خطابهم ، فإذا اتقوا وآمنوا ، كان فرعون وحده لا يقدر على مخالفتهم فترك ذكره ، لأنه في هذه الحالة في حكم التابع لهم وخطابهم خطابه ، وأما الموضع الثالث فإن الحكاية أتت على فرعون وملئه ، فبينت ما انطوت عليه الآيات قبل ، من ذكر بعض والاكتفاء به عن بعض .

ويتبع هذا الموقف قوله تبارك وتعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾[2]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ ﴾[3]

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾[4]

---

(١) سورة الشعراء ١٠ ، ١١ .
(٢) هود : ٩٦ ، ٩٧
(٣) غافر : ٢٣ ، ٢٤
(٤) الزخرف : ٤٦

ب) قوله تعالى ﴿لَعَلِّي﴾ في طه والقصص ، وقوله:﴿سَآتِيكُم﴾في النمل

جـ) قوله :﴿بِقَبَسٍ﴾ في طه ، ﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ في النمل ، ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ في القصص .

د) قوله: ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ في طه ، و﴿خَبَرٍ﴾في كل من النمل والقصص .

أقول : الزيادة في مكان دون آخر لا اعتراض عليها من حيث الإجمال في سورة والتفصيل في أخرى ، أو الاكتفاء بما ذكر في كلتا السورتين وحذفه في الثالثة .

أما قوله:﴿لَعَلِّي﴾في السورتين وقوله:﴿سَآتِيكُم﴾ **في واحدة** ، فالجواب على ذلك :

في قول الفيروزابادى إن أو حرف ينوب عن كلمة﴿لَعَلِّي﴾كما أن﴿سَآتِيكُم﴾ **يتضمن معنى** ﴿لَعَلِّي﴾ وأقول ردا لهذا الجواب : إن صح هذا الكلام في أو فإنه لا يصح في ﴿سَآتِيكُم﴾لأن لعل فيها الرجاء .. ﴿سَآتِيكُم﴾.. فيها تأكيد للخبر فهما لا يتفقان معا .

ويقول في﴿ قَبَسٍ ﴾ ، و ﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾، و﴿جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾، إن الجذوة : خشبة في رأسها قبس له شهاب ، فهي في السور الثلاث عبارة عن معنى واحد ، وهنا يمكن القول بأن الكلمة التي نطق بها موسى عليه السلام يمكن أن تتسع لهذه الكلمات الثلاث .

الحكاية عن الغير :

وإذا حكى الله عن غيره بعبارات مختلفة فإما أن يكون الموقف واحدا ، أو يكون متعددا ، ولا ثالث لهما ، فإذا كان الموقف واحدا احتمل ذلك أمورا :

الأول — أن الكلام الذى حكى قد وقع بدون زيادة أو نقصان واشتمل على نفس المعانى التى قيلت في الموقف الواحد .

تقرأ ذلك في سورة " طه "﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾[1]

وفى سورة " النمل "﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[2]

وفى القصص :﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾[3]

فهذه الآيات في السور الثلاث اشتملت على رؤية النار ، وعلى أمره لأهله بالمكوث ، حتى يأتيهم بقطعة منها يستدفئون بها ، أو يجد خبرا هناك يهتدون به . ونلاحظ ما يلى :

أ) زيادة ﴿امْكُثُوا﴾ في " طه " و " القصص " دون " النمل "

---

(١) آيتا : ٩ ، ١٠

(٢) آية : ٧

(٣) آية : ٢٩

كذبا وباطلا ، ويتحقق الكذب والباطل في زيادة حرف واحد أو نقصه والكذب والباطل على الله تعالى محال .

ويرى الأستاذ الخطيب في هذه الصور لهذا الموقف الواحد رأيا نخالفه فيه كل المخالفة ، إذ يقول :

إن هذه الصور الثلاث لم ينطق بها موسى ، وإنما نطق موسى بصورة واحدة منها لا غير ، والصورتان الأخريان مما كان يتردد في نفسه ، ويمر بخاطره ، أثناء الحديث مع أهله ، حيث كان بين يأس ورجاء ، وبالتالي كان موزع النفس بين ما يريد أن يحققه ، وهو يحرص على تحقيق كل منها ، يعنى الخبر أو الهادى الذي يهديه الطريق وبين الشهاب القبس يقول ما نصه :

أولا- إن قول موسى لأهله هو قوله : ﴿ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾[1] ولهذا جاء في السور الثلاث على صورة واحدة لم يقع فيها خلاف ، أو اختلاف في حرف واحد .

ثانيا - إن بقية مقول القول ، لا يعدو أن يكون أحد الصور الثلاث (وذكر النص القرآنى في السور الثلاث) وليس في مقدورنا أن نقطع بأى منها هو الذى كان القول الذى أسمعه موسى أهله .

أما المقولان الأخران فهما في راينا مما كان يدور في خلد موسى ويخطر في خاطره ، وهو يحدث أهله بما سيكون من شأنه مع تلك النار التى رآها[2]

---

(١) سورة القصص آية ٢٩ .
(٢) القصص القرآنى في منطوقه ومفهومه ص٦٣ ، ٦٤ .

ويرى الإسكافي كذلك : أنه لا فرق بين لعلى وسآتيكم ، كما أنه لا فرق بين الهدى والخبر ، إذ الخبر : أن يجد على النار ما يهديه ويخبره بالطريق ، والهدى وخبر الاهتداء شئ واحد .

وقد سبقهما الكرمانى في البرهان إلى ما ذهبا إليه ... ...

وهنا ينقل الأستاذ الخطيب عن الذين يشككون في القرآن كله عن طريق التشكيك في قصصه ، فيقول :

" إن هناك تفاوتا واختلافا كثيرا أو قليلا بين هذا القصص وبين الواقع وهذا يعنى – مرة ثالثة[1]– أن القصص القرآنى مغاير للواقع على نحو ما وهذا يعنى مرة رابعة ، أن هذا القصص قد تصرف في الأحداث كما يتصرف الكاتب القصصى في الأحداث الواقعة " ، ويسترسل فيضيف:" وهذا يعنى أخيرا أن أنباء القصص القرآنى ليست الواقع كما وقع إذ أنها ليست الصدق كل الصدق[2]"

وهذا النص في إطار حديثه عن كلام الله حكاية عن موسى في خطابه لأهله حيث جاء بصور متعددة للحادثة الواحدة ، وعرضها بأساليب مختلفة، تتغير معها الصور والحوادث وألوان هذه الصور وتلك الحوادث.

وعلى من لا يعرف أن يعرف ويتحقق أن كل حركة في حرف، وكل حرف في كلمة ، وكل كلمة في آية ، وكل آية في سورة من سور القرآن لها وزن يعلم حقيقته الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان .... والقرآن صدق مطلق ، والحق واحد لا يتعدد ، ومحال عقلا ونطقا أن يقوّل القرآن الأنبياء أو غيرهم ما لم يقولوه وإلا كان

---

(١) يقصد بالمرة الأولى : استحالة نقل الحدث بملابساته نقلا كاملا ، وبالمرة الثانية أن نقل كل الملابسات للحادثة لا داعى لها .

(٢) القصص القرآنى في منطوقه ومفهومه ص ٥٤ .

ما حكيته عنه ، أو أنه قال جزءا واحدا ، ولم يقل جزءين فيه ، فقد قال الأقل ؛ وبقى الأكثر الذى حكاه الله عنه لم يقله .

ثم ما المانع أن يحدثنا الله عنه بالصورة الوحيدة التى نطق بها موسى وفى الوقت ذاته يبين لنا حالته النفسية التى دارت فيها خواطره وانفعالاته والله لا يعجز بحال عن وصف هذه الحالات ؟.!!

وأجزم بأن الحديث قد طال، وموقف كهذا يطول فيه الحديث . حيث هو يترك أهله وحيدة فلابد من حديث مناسب يطمئن بـه قلبها ولأمر ما قال تعالى قبل النص المذكور مباشرة في سورة النمل: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[1]

وإذا كنت قد رفضت هذا القول من الأستاذ الخطيب فمن باب أولى أرفض ما قاله بعده من جواز ألا تكون الصور الثلاث قد وقعت باختيار ، وبوعى كامل وبرغبة في إلقائها على أهله ، وإنما كانت همسات اضطر الموقف النفسى تسربها إلى الخارج حيث سمعها أهله قال :" هذا ويمكن أن تكون هذه المقولات الثلاث قد خرجت من همس الخاطر جميعها ، وتسربت إلى الخارج تحت ضغط الانفعال النفسى، فكانت ألفاظا مسموعة من " موسى "

أسمعها أهله ليكونوا على بينة مما وراء هذا الوجه الذى يتجه إليه ، ولا يدرى على وجه التحقيق ماذا هو ملاق عنده " هـ بنصه[2] ، هذا

---

(١) النمل : ٦
(٢) القصص القرآنى في مطوقه ومفهومه ص ٦٥

ثم يقول تعقيبا على هذا القول :" وهكذا تكـون هـذه الصـور المتكررة هى من منطوق موسى عليه السلام ومن الخواطر المتلبسة بهذا المنطوق أيضا[١] .

وهذا الكلام مردود ومرفوض بربك كيف تكون الصور التـى تتردد في الخاطر من المنطوق ؟ ومن الـذى قـال : إن مـا يـدور بالخاطر يسمى خطابا للغير ؟ ثم كيف يحكى الله بأن كلاما من موسى قد حدث وألقاه على أهله ، ثم يقال : إنه ليس بكلام وإنما هو خـواطر نفسية ؟؟!!

والحق أن هذا الرأى يترتب عليه الكذب في الحكاية والكـذب على الله باطل .

والذى نراه أن الموقف استوعب كل هذه الصور الثلاث ، وقد قال موسى لأهله ما نص عليه الله في هذه السور ، فقـال: ﴿ امْكُثُوا ﴾ وقال ﴿لَّعَلِّي ﴾وقال ﴿ سَآتِيكُم ﴾ وقال ﴿ بِخَبَرٍ ﴾ وقال ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ وقال ﴿ بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ اللهم إلا إذا قلنا في الجذوة والشهاب والقـبس ، بأن ثلاثتها معان لكلمة واحدة نطق بها موسى عليه السلام .

ويجب التنبيه إلى أن ما صرح به الأستاذ الخطيب يترتب عليه خلط بين قول الله والصور الذهنية ، ويعنى كلامه أن الله الـذى نقـل الكلام عن موسى يقول لهم : إن موسى قال بعض الكلام ولم يقل كل

---

(١) المصدر نفسه ص ٦٥

أن القائل هو فرعون ، وأما استشهاده بقوله : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ فلا حجة له فيه ؛ لأن القرآن هنا يشير إلى أنه أغرق آل فرعون كما يشير إلى أنه أغرق فرعون[١]، وفى آية ثالثة يشير إلى أنه أغرق آل فرعون وفرعون[٢]، ومن الآيات الثلاث نعرف مراد الله من كل منها، وتتكون صورة متكاملة من هذه الأخبار تفيد حكم الله فيهم جميعا...

ومما ذكره ربنا تبارك وتعالى في :

(ب) طلب قوم موسى من فرعون اجتماع السحرة : ﴿ قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾[٣] .... وقوله في آية أخرى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴾[٤].

الموقف تعدد فقال مرة : ﴿ وَابْعَثْ ﴾ وأخرى: ﴿ وَأَرْسِلْ ﴾ كما قال ﴿ سَحَّارٍ ﴾ و ﴿ سَاحِرٍ ﴾ ، ولا يبعد أن يكون بعضهم قد قال ما في السورة الأولى وبعض آخر قال ما في السورة الثانية .

---

(١) في قوله تعالى عنه ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ ﴾ يونس : ٩٠

(٢) في قوله تعالى ﴿ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴾ الإسراء : ١٠٣

(٣) الشعراء : ٣٦ ، ٣٧

(٤) الأعراف : ١١١ ، ١١٢

والحق كما قلت إذ هو يوافق العقل والنقل ويحفظ للنص القرآني حرمته وقدسيته

وإذ قد تبين لك أمثلة من اتحاد الموقف واختلاف اللفظ في قصة موسى عليه السلام .

فإليك أمثلة من اختلاف اللفظ مع احتمال اتحاد الموقف أو تعدده .

أ) فمما قاله تعالى في رأى قوم فرعون وفرعون في موسى — عليه السلام — : ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾(١)

...وفى سورة أخرى :﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾(٢)

الموقف تعدد فالمرة الأولى القائلون هم الملأ ، والمرة الثانية القائل فرعون ، والعقل والنقل لا يقبلان غير هذا ، ولا صحة لما يقول " الفيروزابادى " :" التقدير في هذه الآية قال الملأ من قوم فرعون ، وفرعون بعضهم لبعض ، فحذف فرعون لأن فرعون أحد أفراد الملأ، كما قال : ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾(٣) أى آل فرعون وفرعون ، فحذف فرعون لأن آل فرعون اشتمل على اسمه فالقائل هو فرعون نفسه .

وهذا الكلام غير مسلم إذ يقِّول القرآن ما لم يقل ، لأن النص يفيد أن الملأ أولا هم الذين قالوا في الآية الأولى ، أما الثانية فتفيد

---

(١) الأعراف : ١٠٩
(٢) الشعراء : ٣٤
(٣) البقرة : ٥٠

وأختلف معه في أن يكون ذلك لرعاية الفاصلة ، وأن الـــوزن دعا إلى ذلك وفى قوله : تقديم موسى على هارون مرة وهارون علـــى موسى أخرى ليكون الأخير فاصلة مثل الفواصل المتقدمة ، ذلك ما لا يصح في كتاب الله خاصة أنه حكاية عن الغير ، ولو كان من كلام الله ذاته لوافقناه ... وأؤكد هذا الرأي في قوله تعالى :

حكاية عن السحرة :

﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ* رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾[1] . وفى آية أخرى ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[2] .

أن الموقف قد تعدد أو افترق القوم فالبعض قال بهذا والـــبعض قال بذاك ... وهو أولى من قول الإسكافي :

" وأما في سورة "طه" فإنه لم يذكر: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لأنه ما كان الكلام يتم به آية كما تم في السورتين ، فيكون مقطع الآيـــة فاصـــلة ، مخالفة للفـــواصل ، التي بنيـــت عليها فواصل سورة"طه" فقال تعـــالى ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ "وربهما هو رب العالمين ، وكان القصد حكاية" المعنى لا أداء اللفظ على جهته بما دللنا عليه من قبل .

هل يجوز عقلا أو نقلا هذا الكلام ؟ هل الله لم يذكر لفظا مـــن الآية وهو يحكى كلاما عن غيره لأن الآية لا تتم إذا لم يذكر هذا اللفظ ؟ لو تم قول الإسكافي هنا كان معناه التصرف في الآية بأي لون مـــن

---

(١) الأعراف : ١٢١ ، ١٢٢
الشعراء : ٤٧ ، ٤٨
(٢) طه : ٧٠

وفى قوله : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [1] وقوله ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [2] نص على رد فرعون عليهم بعد موافقتهم وقبل إيمانهم فيما حكاه الله عنه .

ولك أن تقول : إن الحق تبارك وتعالى ذكر جانبا في سورة الشعراء لم يذكره في سورة الأعراف .

ولك أن تقول كذلك : إن الموقف قد تكرر فقد قال فرعون ما في الأولى مرة وما في الثانية أخرى و " الفيروزابادى " يرى أن تقدير إذ ضرورى لأنها جزاء لما يفيد إن غلبتم قربتكم ، ورفعت منزلتكم [3] ، وقد علمت أن سورة الشعراء فيها البسط ، أما سورة الأعراف ففيها اختصار وأتفق مع الفيروزابادى في قوله تعالى حكاية عن السحرة مرة :

﴿ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [4] وأخرى: ﴿ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ [5] على أن المعنى واحد، ولا يبعد أن تكون لغة " موسى " إذ ذاك تحمل العبارتين ، لاسيما إذا علمنا أن الموقف وقتئذ لا يحتمل الفرقة حتى يقول بعضهم قولا ، والآخر يخالفه ، فالموقف قد اتحد فيه الجميع حتى يتم لهم النصر.

---

(١) الأعراف : ١١٤
(٢) الشعراء : ٤٢
(٣) بصائر ذووى التمييز ص ١١٤ جـ ١
(٤) الأعراف : ١١٥
(٥) طه : ٦٥

أقول : الموقف تعدد فقد قالوا أولا: ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ وتوعدهم فرعون بالعذاب وزاد في الوعيد فقالوا: ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ **ومما يدل على صحة ما ذهبت إليه** أن ما بعد كل آية يختلف عن الأخرى فبعد الآية الأولى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾[(١)] وبعد الآية الثانية: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

أما لماذا زيدت: ﴿ لَا ضَيْرَ ﴾ في الشعراء واختصرت في السورة الأولى ؟ فأوافق ما ذهب إليه " الفيروزابادى " من أن سورة الشعراء مبنية على البسط بخلاف سورة "الأعراف" المبنية على الإيجاز ، ودليل ذلك أن مناداة الحق لموسى في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى ﴾ مذكورة في الشعراء وغير مذكورة في الأعراف . وذلك راجع إلى تفصيل في الأولى، وإجمال في الثانية ومثله ما حكاه الله في: رد فرعون عليهم بعد إيمانهم من قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ ﴾[(٣)] وقوله: ﴿ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾[(٤)] .

---

(١) الأعراف : ١٢٦
(٢) الشعراء : ٥١
(٣) الأعراف : ١٢٣
(٤) الشعراء : ٤٩

ألوان التصرف صدقا أو كذبا طابقت الواقع أولم تطابقه ، وتكون شبهة القائلين : إن ما حكاه القرآن لا يقتضى الصحة صحيحة ، مـــع أن الله أثبت أن قوله حق ، وكلامه صدق ، ولذا قلت : إن الموقف قد تعـــدد ولو أنه حكاية للمعنى ، لكن على هذه الصورة وهذا الترتيـــب بـــذكر الرب مرتين وتقديم هارون على موسى ، وليس ذلك للصناعة اللفظية، فالقرآن أبعد من هذا التكلف المعيب .

وإذا كان " الإسكافى " يقول : لو ذكر الرب مرة أخرى وكانت الآية: ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾وربهما هو رب العـــالمين فـــلا تتفـــق الفاصلة.

فهذا القول مردود ، إذ لو كان كلامه صحيحا ، لقيل آمنا برب العالمين رب هارون وموسى وتتم بذلك الفاصلة ، وبالتـــالي لا يلـــزم إضافة آية جديدة وعلى ذلك كان الحق ما ذهبت إليه .. ... ومن هنا.

لا أقر ما يقال : إن التقديم والتأخير للفاصلة ، ذلك لو قيـــل : لكان معناه أن القرآن يخضع للنظم كالشعر وأن الله يقدم ويـــؤخر فيـــه كما يشاء مع أنه حكاية عن الغير ، حكاها كما قالوا ونقلها الله عـــنهم فمرة قالـــوا : ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ومرة أخرى قالوا : ﴿ مُوسَى وهَارُون ﴾ هذا ما يتفق مع العقل والنقل ، إذ كيف يقول الله عنهم ما لم يقولوه ...

ومثاله ما حكاه الله في : مقـــالة السحـــرة بعد إيمانهم في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[(١)] وفى سورة الشعراء ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾[(٢)] فزاد هنا لا ضير .

---

(١) الأعراف : ١٢٥
(٢) آية : ٥٠

أَجْمَعِينَ ﴾ [٢]

تعدد الموقف وسر الواو أنها في الشعراء وطه لأنهـا أوسـع دائرة من ثم ، لذا جاءت في السورتين ، المبينتين علـى الإتسـاع ، بخلاف الأعراف ذلك أن الواو يجوز أن يكون ما بعدها متراخيا عمـا قبلها ، أو متلاصقا له، أو متقدما عليه ، بخلاف ثم التى يلزم فيهـا أن يكون ما بعدها متراخيا عنه وهى لذلك لا تصلح إلا لموضع واحد من مواضع الواو [٣] .

وأنت ترى أن الحرف الأشمل ذكر في السورة المبينـة علـى البسط، والحرف الذى يستعمل في أضيق الحدود ، جاء فـي السـورة المبينة على الإيجاز فسبحان من هذا كلامه ، وتعالى وتقدس من أنزل هذا القرآن المعجز .

وهنا سؤال ضرورى في هذا المقام مضمونه : إذا كنا نرى في القرآن الكريم قصصا مكررا ، فلماذا نرى فيه قصصـا آخـر غيـر مكرر ؟

---

(١) الأعراف : ١٢٤
(٢) الشعراء : ٤٩
(٣) درة التنزيل ص ١٥٦ .

فقد أظهر اسم فرعون أولا ، وحذفه ثانيا اكتفاء بذكره في الأول دون الثاني وقال : به وله إذ في الأولى تصديق ، وفي الثانية انقياد وتسليم باطني وظاهري ...

وفي قوله :

تهديدا لهم : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وقوله :﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ﴾[2] وقوله في آية ثالثة :﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ ﴾[3]

فقد زاد ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ والفاء في "طه" واللام في الشعراء وواضح أن سوف تعلمون إبهام لا إفصاح فيه ، وهو أبلغ في الوعيد والتهديد واللام للتقريب والجمع بين اللام وسوف لتحقيق الفعل ، وتقريبه وتقدم أن في الشعراء زيادة تفصيل – والمواقف تعددت .

وكلام الإسكافي يفيد أنه صرح بالبعض دون البعض ، ففي "طه" صرح بالوعيد ، وترك: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾، وجاء بدلا منها بكلمة:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾[4] واللام والنون للقسم وتحقيق الفعل وتوكيده – وتكرار هذا

---

(١) الأعراف : ١٢٣
(٢) طه : ٧١
(٣) الشعراء : ٤٩
(٤) آية : ٧١

الرابع – خلت القصة من عبرة المكذبين لأبنائهم وهلاكهم، ولـذا لـم تكرر.

هذه أسرار لقصة ذكرت مرة واحدة ، ويصلح جوابا لسؤال عن حكمة عدم تكرار قصة أصحاب الكهف ، وذى القـرنيين ، وموسـى والخضر ، والذبيح .

وإليك جوابا آخر لسؤال عن عدم تكرار قصتين لم يذكرا غير مرتين هما قصة ولادة يحى، وعيسى – عليهما السلام – وسر ذلـك أمور:

الأول : القصة الأولى مكية ، نزلت خطابا لأهل مكة ، والثانية مدنية ، نزلت في شأن نصارى نجران .

الثانى : ليس فيهما إهلاك لمن كذبوا رسـلهم ، كمـا فـي القصـص الآخر[1] .

الثالث : لم تشتمل كليهما على صراع ، بين الرسول وقومه ، أو جهاد، كغيرهما من الرسل ، والمكرر من القصص إنمـا جـاء علـى ذلـك المنهج، لأهداف وغايات يجمعها العبرة والعظة بأحوال السابقين . لئلا يكون للناس على الله حجة ، بعد البيان والتبليغ .

---

(١) الإتقان جـ ٢ ص ٦٩

ويجيب السيوطى على ذلك السؤال بقوله :

" القرآن جاء بالنوعين : المكرر وغير المكرر ، وذلك للتلوين في الأسلوب والتنويع في الكلام ، والتفنن في العبارات ، وكل ذلك لبيان عجز العرب عن معارضة القرآن .

وهناك أسباب أخرى في كل قصة على حدة ، وذلك كقصة يوسف عليه السلام ، فإنها لم تكرر لأمور :

أولا ـــ لما فيها من الحديث عن النساء ، فشئنونهن مبينة على الستر ، فنرى فيها امراة ترواد أجمل الناس صراحة عن نفسه ، وتغلق الأبواب وتشق قميص يوسف – عليه السلام ، ويشهد شاهد في الحادث ، وإطالة الكلام في مثل هذه الأحوال لا يليق عادة ، والإنسان يمتنع حياءً ، من ذكرها ولو مرة واحدة ، فكيف يرددها أكثر من مرة ؟

ثانيا ـــ جاءت السورة للتحدى ، فإذا كان القصص الأخر كرر بعضه ، فهذه إحدى القصص التى لم تكرر ، وكأنه تعالى يقول: " فأتوا بما ترون من أى نوع من هذه القصص .

الثالث ـــ طلب الصحابة قصة يوسف من رسول الله ـــ ﷺ ـــ ترويحا عن نفوسهم ، فنزل بها جبريل ـــ عليه السلام ـــ كاملة العناصر ، مرتبة كما وقعت ترتيبا زمنيا .

الفصل الأول
أثر القصص القرآني في بناء المجتمع

الإنسان لا يستطيع وحده أن يهتدى إلى الطريق المثلى ، ذلك أنه غير معصوم من الخطأ ، والمعاملات لا يستقيم أمرها إلا عن طريق المعصوم الذى يتلقى عن مشكاة الهداية الإلهية ، فإن أردت الصدق والصواب فأرهف سمعك إلى الخالق ، حيث هو العالم بمصالح المخلوقين ، وهو القادر على إيصال الخير لهم ، وله الأسماء الحسنى. وإذا جاءك الخبر عن الله تبارك وتعالى فاقرأه كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، واعلم أنه الحق لا غير ، وبقدر وعى الإنسان ، وسلامة قلبه ، وصحة عقله ، وصفاء روحه ، تكون الفائدة . هذه حقيقة .

والحقيقة الثانية : عليك أن تدرس مجتمعك الذى تعيش فيه ، فإنك واجد حتما مزيجا من الخير والشر ، والهدى والضلال ، والإيمان والإلحاد ، واليقين والشك ، ثم وازن بين هذا المجتمع وبين مجتمع آخر ، فقد تجد هذا المجتمع الآخر يماثل مجتمعك ، أو ترى أن جوانب الضلال فيه أكثر من جوانب الهدى ، وقد ترى العكس ، فكل مجتمع له قوانينه التى تحكمه ، وهذه القوانين من صنع البشر . ترى هل أفادت ؟

المجتمعات في الشرق والغرب يشيع فيها الإلحاد وتنتشر فيها الرذيلة فالقوى يأكل الضعيف ، والأفراد والجماعات لا وازع لهم من ضمير أو خلق ؛ وسبب ذلك أن الذى سن قوانينها هو الإنسان ،

الباب الثالث

تطبيق ودفـــاع

كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (١)

فهم :-

أولاً : لا يفقهون كثيرا من كلامه لحجاب كثيف على قلوبهم .

ثانيا : يرون أن شعيباً في نظرهم ضعيف ، لأنهم يؤمنون بالقوة المادية .

ثالثاً : خشيتهم من وفرة جماعته الأقربين منه ، حالت بينهم وبين الاعتداء عليه .

رابعاً – يقولون : إنه ليس بعزيز لديهم :

ونرى من خلال النص أن القوم قد تمادوا في غيهم ، مع أن شعيبا منهم ، يعرفون صدقه وخلقه ، وقد بذل لهم النصح وذكرهم بعاقبة المفسدين ، غير أن حبهم للمال دفعهم إلى جمعه من طريق غير مشروع ، ويبدو أن التكتلات الأسرية كانت قوية في ذلك العهد ، وأن عنايتهم بالنواحى الاجتماعية كانت كبيرة ، ولكن من سنة الله أن يستجيب بعض القوم لدعوات الأنبياء فآمنوا بشعيب : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ ﴾ (٢).

لكن المؤمنين لم يهدأوا بجانب الكافرين ، فقد هُددوا بالطرد مع نبيهم من القرية التى يسكنونها ، وتزعّم الملأ هذه المهمة ، ولكن الإيمان استقر في قلوب المؤمنين فصمموا على عدم العود إلى الكفر

---

(١) سورة هود الآية ٩١ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٨٧ .

والإنسان يخطئ ويصيب ، ينقض اليوم ما أبرمه بالأمس ، يميل مع الهوى ، ولا يشرع ضد منفعة تعود عليه .

والحقيقة الثالثة . أننا لو درسنا مجتمعاً من المجتمعات القديمة دراسة متكاملة ، فعشنا مع خصائصه النفسية ، والوراثية ، والعقلية ، والجسمية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وعلمنا أن رسولا قد أرسل إليه من قِبَل الله ، ثم درسنا حياة الرسول الظاهرية ، إذ الباطنية فوق طاقتنا ، ولن نستطيع التعرف عليها ، ثم درسنا كذلك هدف الرسالة التى بعث بها ، وأمر بتبليغها ، فإننا سنجد حتما حياتين مختلفتين كل الاختلاف حياة الذين آمنوا به وتمسكوا بمبادئه ، لها طابع يختلف عن حياة الذين جعلوا أصابعهم في آذانهم ، وأصروا على عدم الاستجابة لدعوته ... أما نهاية هؤلاء وأولئك فلن نستطيع الحكم عليها إلا من خلال قصص القرآن الكريم .

وإليك مثالاً يوضح ما ذكرت خاصا بقوم شعيب عليه السلام – فشعيب خطيب الأنبياء – أرسل إلى قوم في شمال الجزيرة العربية مما يلى الشام ، وكانوا أهل تجارة وسعة في الرزق ، وكانوا يعبدون غير الله ، ويفسدون في الأرض ، ويصدون الناس عن سبيل الله ، دعاهم شعيب إلى الله بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وألا ينقصوا المكيال والميزان ، لكنهم لم يستجيبوا لدعوته وعللوا ذلك بأربعة أسباب حكاها ربنا – تبارك وتعالى عنهم بقوله : ﴿ قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ

وقول المؤمنين من قومه داعين الله بالحكم بينهم وبين خصومهم : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾[1] .

وبعد أن أعلن الملأ صراحة أن من يتبع شعيبا خاسر ، عاقب الله الكفار جميعا بزلزال أبادهم كأن لم يعيشوا على ظهر الأرض ، ولم يحزن " شعيب " عليهم بعد أن نصح لهم : ﴿ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾[2].

والقرآن يسجل هنا أن الخسران للفريق الكافر دون المؤمن ، وتلك سنة مضطردة وقانون لا يتخلف .

ومثل هذه النتيجة ، واضطرادا لسنة الله في خلقه حل بقوم آخرين أرسل إليهم شعيب هذا وهم أصحاب غيضة تنبت ناعم الشجر، كانوا بقرب مدين ، وكانوا كأهل مدين في التمادى والبغى فدعاهم شعيب فنكصوا عن دعوته فأخذهم الله بعذاب شديد سلطه عليهم ، وساق إليهم غمامة ، فاستظلوا بها ، فأمطرت عليهم ناراً ، فاحترقوا : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأعراف ٨٩ .
(٢) سورة الأعراف من ٩٠ إلى ٩٣ .
(٣) سورة الشعراء من ١٨٩ – ١٩٠ .

بعد توفيق الله لهم : ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾[1].

ومن خلال هذه الأحداث نرى الفروق الكبيرة بين الطائفتين : فالكفار بزعامة الملأ يسيطرون على الموقف لدرجة التهديد بالإخراج من القرية ، وأنهم كذلك قد أتخموا بالمال الحرام ، وحالتهم الاقتصادية في ازدياد .

هذا من الناحية المادية ، أما من الناحية النفسية فهم مضطربون، ذلك لأنهم يشعرون بخطر يهدد معتقداتهم التى ورثوها عن آبائهم ، كما أن أموالهم معرضة للنقصان ، وذلك بخلاف المؤمنين فهم ضعاف أمام الملأ ، وأموالهم مقيدة بالحلال دون الحرام ، مما يحد من نشاطهم الاقتصادى ، لكن إيمانهم بالله وعدله ملأ قلوبهم ثقة بنصره ، ففوضوا الأمر إليه ، وكان ذلك من أهم أسباب الاستقرار النفسى الذى يحول بينهم وبين القلق الناشئ عن التهديد والوعيد من الفريق الآخر .

وكان لا بد من تدخل لحسم هذا الموقف بعد أن أمر شعيب بالصبر حتى يقضى الله أمره : ﴿ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾[2] .

---

(1) سورة الأعراف آيتا ٨٨ ، ٨٩ .
(2) سورة الأعراف ٨٧ .

وقد يقال ما دامت الوجودية على هذا النحو فلماذا لا يهلكهم الله كما أباد الظالمين السابقين ؟

والجواب : توقيت الهلاك مغيب عنا ، وتحديد كيفيته لا نعرفها ، ولا يلزم أن يكون عاجلا ، فقد يؤجله الله ليزدادوا إثما ، وقد يثوبون إلى رشدهم ، بعد أن يتبين لهم طريق الرشاد ، والذى يعنينا أن سنة الله مضطردة ، وقانونه لا يتغير ، ولو استعمل الإنسان العلم النافع عن طريق المعصوم وأعقب العلم بالعمل المثمر ، باعتبار أن العلم ليس غاية بل وسيلة إلى الكمال ، وحافز إلى التوازن الإنسانى والاجتماعى ، ودافع إلى التقدم الحضارى ، على شرط الإرادة الصادقة ، والنية الصالحة والصبر على البحث عن الحقيقة ، والأمانة في تحصيل العلم والرغبة في العمل . لو استعمل ذلك كله لضمن لنفسه السعادتين ، وكان أهلا للخلافة عن الله ، ولَمَا انحدر إلى مستوى الحيوانية التى لا تعرف غايتها وغاية الحياة منها .

والمطلع على آخر إحصاء لعام سنة ١٩٦٥ في تعداد السكان يتبين له أن من لا دين لهم في العالم ٩٦٩ مليونا وهم تقريبا ضعف المسلمين الذين يبلغ تعدادهم ٥٦٦ مليونا من بقية سكان العالم ، وهم ٣,٢٩٥,٠٠٠,٠٠٠ [(١)] . مع ملاحظة أن نسبة المسلمين إلى غيرهم ٠,٢ % تقريبا ومن واجبنا الحرص على زيادة هذا العدد ، مع تعميق مفهوم الإسلام ، وشرح مبادئه عند من لم يتضح لهم منهاجه الصحيح لدى المسلمين .

---

(١) مجلة العربى عدد ١١٥ ص ١٤٥ .

وذلك مثال واحد من أمثلة كثيرة عددها القرآن . والقانون العام هو الهلاك للظالمين ، والنجاة للمؤمنين . وإذا حل العذاب فلا نجاة لظالم ، مما حل به من اللعنة الأبدية ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[1] .

والناس هم الناس في كل زمان ومكان ، من حيث العقيدة والخلق ، وإن كانت مظاهر الحضارة اليوم تكسب هاتين الناحيتين أشكالا مختلفة في التسمية ، وتنزع إلى فلسفة الأحداث بأسلوب العصر.

فالوجودية مثلا كفر بالله وبالقيم ، ويتزعمها الملأ ، ويدفعون في نارها ضعاف الدين والعقل من الناس ، مثلما كان يفعل تماماً أشراف القوم في عصور النبوة المختلفة . وإذا كان الشرك بالله ظلما للإنسان وللبشرية من حيث انتزاع حق مقرر لمن يستحقه وإثبات واجب لمن لا يستحقه ، فكذلك الوجودية ظلم من حيث ما ذكرت ، إذ الوجودى يسلب نفسه حقها المفروض لها في التطهر ، والسعي بها إلى الكمال ، ويوجب لها ، ولغيرها ما تستحق . ولذا كان الشرك والوجودية انحرافا بالنفس عن نهجها السوى ولكل بيئة من حيث حالتها النفسية والتاريخية ، والدينية ، ومقوماتها الحضارية ، والثقافية: دوافعها الرامية إلى الغى أو الرشاد .

(١) سورة هود من ٩٤ ، ٩٥ .

هى عليه بكثير ، وما علينا إلا التجربة في ضوء ما نذكر من منـــاهج القصة في علاج المجتمعات ، فطالما جربت البشرية مناهج مختلفة ، ولا تزال تجرب وما عليها لو جربت المنهج القرآنى الأمثل ، خاصـــة إذا علمنا أن البشرية قد سعدت كثيراً بمناهج القرآن الكريم والقصـــة القرآنية تستطيع أن تقوم بدور كبير في حـــل المشـــكلات الاعتقاديـــة والخلقية المعاصرة وخاصة إذا وجه بها الناشئون الذين لم تتغلغل في نفوسهم المذاهب الهدامة ، وقد أقيمت تجربة على الأفراد الذين تزيـــد أعمارهم عن خمسة وعشرين عاماً في " روسيا " ثـــم نقلـــوا إلـــى " الولايات المتحدة الأمريكية " فوجدوا أنهم لم يحاولوا الـــتخلص مـــن المبادئ التى آمنوا بها وعاشوا عليها في بيئتهم ، أما من هم أصـــغر منهم سنا فقد تأثروا بالحياة الجديدة في السلوك والأخلاق(١) .

ولست أزعم أن الكبار لا يستفيدون بالقصة القرآنيـــة . وإنمـــا أقول : إنهم أقل من الناشئة استفادة بها ، من حيث تغيير مناهج حياتهم ومعتقداتهم في المجتمعات التى ليس لأهلها استعداد دينى ، أو رغبـــة في التخلص من الماديات ، أو تقييد اندفاعهم وراء اتباع أهوائهم .

وسنرى أن السنن الكونية وطبائع العمران تحقق نتائج – ولـــو كانت قليلة – من الرضوخ للحق ، والاستجابة لدعوات الأنبياء "فنوح" عليه السلام : ﴿ مَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (٢).

---

(١) أصول علم الاجتماع دكتور عبدالباسط حسن ص٣٣٥ .

(٢) هود ٤٠ .

ومن خلال تطبيق مبادئ القصة في القرآن يمكن الحصول على أطيب النتائج المرجوة ، فضلا عن تحويل الكثيرين من أهل الأديان الأخرى إلى الإسلام ، كالمسيحيين والهندوس والبوذيين والتاوية[1] والكنفوشية والشنتو [2].

وهذه الأديان كلها لم تحقق التوازن بين الروح والجسد ، وفقدان التوازن نشأ عن إهمال رقى الفكر – وسمو العاطفة – ونضج الحواس والمشاعر وتحقيق كل ذلك ممكن بإزالة الحواجز أمام النفس البشرية لتبحث عن الحقيقة وتمضى في طريق الهداية وتسعى نحو الكمال .

والسعى نحو الكمال معناه : خلو الحياة من الشر ، والحياة لا تخلو من شر ، كما أنها لا تخلو من ألم وخطأ ولن يمحى الشر والألم والخطأ من الوجود ، والذى نبغيه ألا يتمادى العصاة في شرورهم ، وإذا جاوزوا الجادة عادوا إلى صوابهم ، بالإضافة إلى أن سلوك الأفراد لا يمكن أن يكون صورة واحدة . فوجهات النظر تختلف من إنسان لآخر ، ومن بيئة لأخرى ، والخير المحض لا يتحقق إلا في التصور الذهنى أما في الواقع فتحقيقه محال ومثل ذلك الشر المحض ولو لم تكن الحياة مزيجا من الخير والشر ففيم يكون أثر صفات الله من الحلم ، والرحمة ، والبر ، والجبروت ، والانتقام ؟ ويمكن بوعى البشرية عن طريق العلم بأثر القصة القرآنية أن تكون الحياة أسعد مما

(١) دين نشأ في الصين في القرن السادس من قبل الميلاد .
(٢) أغلبهم في اليابان وانظر الموسوعة العربية الميّسرة .

صراع " ، وسبب ذلك جنوح النفس إلى الاستعلاء ، وعدم انطوائهـا تحت سلطان غيرها ...

والتطور البشرى تم على دعائم من الجهاد المتواصل . ولــولا صبر أولى العزم وإخوانهم من الأنبياء والمرسلين لما عبد الله أحدٌ في الأرض على وجه صحيح ولضلت الإنسانية كلها سبل الرشاد .

ومهما قيل في أثر الوراثة على الإنسان ، وهل يــرث الإبــن الخصائص المادية فقط أو الروحية فقط أو كليهمـــا ؟ فــإنى أرى أن الاستعداد لتقبل صفات الأبوين يكون لدى الأبناء بحيث لو نشأوا فــي نفس البيئة عاشوا على ما يعيش عليه آباؤهم ، ولو نقلوا إلــى بيئــة أخرى فإن استعدادهم يتجه بهم اتجاها آخر .

ومن هنا إذا كان الآباء محرومين من الاستفادة مــن القصــة القرآنية فعلى الدولة أن تعمل في مدارسها ومعاهدها وجامعاتها علــى ألا تحرم الأبناء من هذا الخير العميم وعلى المثقفين منهم إطالة الفكرة وإدامة النظر ، والموازنة بين المجتمعات وعوامــل بقائهــا وفنائهــا ليكونوا على بصيرة من أمرهم .

والصارف الحقيقى عن الحياة الروحية اليوم – فيما أرى – هو المادة التى تؤثر في السلوك البشرى تأثيرا عميقا وهذا ما يجعل الفرد يستسيغ كسب المال من أى طريق ولو غير مشروع ومن أجل ذلــك جاءت بعض المذاهب الإلحادية تدعى بأنه ليس شــئ صــوابا علــى الإطلاق ، أو خطأ على الإطلاق ، فلكل فرد قيمتــه الخاصــة التــى تحددها ظروف مجتمعه الذى يعيش فيه ، والذى دعا إلى هذا التحلــل

وموسى في مصر ما آمن له إلا ذرية من قومه :- ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾[1].

وشعيب " في أصحاب الأيكة يقول الله فيهم ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

بل الأمم القديمة كلها يقرر القرآن أن أكثرهم مشرك : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾[3]

وتلك أقوام متباينة في عصور مختلفة والنتيجة فيهم واحدة .

على أن هذا الإيمان مع قلته لم يخل من صراع بين الحق والباطل " فنوح " كان مما قاله له قومه : ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[4] .

وموسى قال له قومه حينما طلب منهم الجهاد: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[5] . ونخرج من هذا بقانون هو " لا دين بدون

---

(١) سورة يونس ٨٣ .
(٢) سورة الشعراء ١٩٠ .
(٣) سورة الروم آيتا ٤١ ، ٤٢ .
(٤) سورة هود ٣٢ .
(٥) سورة المائدة ٢٤ .

ترى في النص الأخير حضارة العمران يبنيها قوم عاد وهم غير جادين وحضارة بناء المصانع لتبقى ، والحضارة العسكرية التى تنقض بجبروت على الأعداء .

وثمود قوم " صالح " نحتوا الأحجار ، وعاشوا في ظلال الحضارة والمدنية من قبل أن يعرف العالم المعاصر الحضارة والمدنية ، ودرسوا الصناعات . فقد حكى القرآن عن نبيهم وهو يخاطبهم : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [1].

وذو القرنين الذين طاف العالم من شرقة إلى غربة يقرر القرآن أن الله هو الذى منحه هذه النعم : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [2].

و الرغبة في إثبات الذات لا تتغير بتغير العصور ، وما رأينا رسولا عارض في بناء حضارة لقومه مع كثرتهم ، الذى يعنيه ألا يقيموا حضارتهم على الباطل ؛ إذ كل ما بنى على الباطل فهو باطل....

---

(١) الشعراء من ١٤٦ – ١٥٠ .
(٢) سورة الكهف ٨٤ .

ما نراه في أوربا عاديا اليوم كان منذ قرن سلوكا شائنا لا يمكن التوسط فيه . ومن يعترض اتهم بالتفكير البالى العتيق وبأن حديثه خرافة لا تقبل [1].

هذا مع أن حاجة الفرد إلى القيم والأخلاق ضرورية لحياته وأمنه الاجتماعى ، كحاجته إلى ما هو ضرورى من الهواء والماء والغذاء ، ومن يكابر في ذلك فهو عدو نفسه جاهل بخصائصها وحاجاتها اللازمة .

وتقليد الضعيف للقوى والقوى للأقوى يجعل الشعوب تنظم حياتها على مناهج غيرها ولو لم تعن بالجانب الأخلاقى . ومن هنا ينشأ القلق النفسى والتشكيك في القيم الدينية مع أن القصة القرآنية تدفعنا إلى حضارة تليق بقيمة الإسلام ومن يعارض هذه القضية فقد جهل طبيعة الأشياء كما جهل علم الاجتماع البشرى الذى أسست دعائمه على قصص القرآن....

فالحضارة الفرعونية القديمة لم ينكرها الإسلام وسجلها القرآن في قوله عن فرعون : ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ** ﴾ [2] .

ويقول عن قوم " هود " : ﴿ **أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ** ﴿ ١٢٨ ﴾ **وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ** ﴾ [3] .

---

(١) انظر مجلة العربى يوليو ٦٧ مقال : أزمة القيم في العالم الغربى المعاصر للدكتور زكريا إبراهيم أستاذ الفلسفة بالجامعة الأردنية عمان .
(٢) سورة الدخان من ٢٥ – ٢٨ .
(٣) الشعراء من ١٢٨ – ١٣٠ .

" وإذا تحقق الإيمان بالله ووحدانيته ثم الإيمان بالبعث كان كل ما يدعوا إليه الرسل بعد ذلك واجب القبول والطاعة باعتبار أنه من مصدر الخير ، وأن العبد محاسب على ما يفعل " قال تعالى في شأن إبليس : ﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾[1] .

ثانيا :

أ - السمو بالنفس الإنسانية عن طريق دراسة ما حل بالأمم الماضية ، وتحقيق المسئولية الملقاة على عاتق الفرد والجماعة ، وهى تزكية النفس : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾[2] .

والبعد بها عن مواطن هلاكها :﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[3].

وليس هناك من عوائق أمام هذا السمو غير تحقيق العلم والمعرفة بالجهاد المتواصل وإزاحة العقبات التى تقف في طريقة .

ب- وهذا السمو لا يأتى عن طريق العلم النظرى فحسب وإنما يأتى عن طريق التطبيق العملى لأحداث القصة القرآنية وما جرى للسابقين من خير وشر باعتبارها واقعا مشاهدا وسنة لا تتخلف.

وهذا المنهج العملى هو أحد أهداف القصة القرآنية إذ الله لا يرضى أبدا أن نقرأ ونقرأ ثم نهمل العمل فذلك كمن يرسله أحد الخلفاء إلى أحد ولاته برسالة يأمره فيها بإنشاء مصانع ومستشفيات ودور

---

(١) سورة سبأ ٢١ .
(٢) سورة الشمس ٨ .
(٣) سورة الشمس ٩ .

غاية القصص القرآنى

الدارس لآى القصص القرآنى على بصيرة يجد هذا القصص يؤكد ما يلى :-

أولاً -

التعرف على الله ووحدانيته أول ما يلفت الرسل أنظار الأفراد والجماعات إليه قال تعالى في شأن نوح :- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

وفى " إبراهيم " : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

وفى " هود : ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[3] ، وفى " صالح " : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[4] ، وفى " شعيب " : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[5] .

بل في كل الرسل يقول الله تعالى :- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[6] .

---

(١) سورة هود آيتا ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) سورة الأنعام ٧٩ .
(٣) سورة هود ٥٠ .
(٤) سورة هود ٦١ .
(٥) سورة هود ٨٤ .
(٦) سورة الأنبياء ٢٥ .

وتأسيس الحضارات المختلفة التى تثبت للفرد عن طريقها أنه جدير بإنشاء المصانع والمؤسسات ، ودور العلم وإقامة السدود وتحصين الثغور ، وقيام كل فرد برسالته المنوطة به قال تعالى في شأن قوم "صالح ": ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ﴾[1] ، قال الجصاص :- " أى أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه ، وفيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض بالزراعة والغرس والأبنية[2] .

وسياسة الأنبياء جميعاً كانت تقوم على بناء الحضارة المادية بعد الحضارة الروحية . والحضارة المادية تعتمد أساسا على الحديد وسائر المعادن الضرورية .

فالحياة الروحية وحدها ليست هدف الأنبياء . وليست وحدها كافية للنهوض بمجتمع غافل لا يعرف ما حوله ولا يحيط خبرا بأساليب العمران التى كلف بها . ويدرك ذلك من يعرف حقيقة القصة القرآنية وعمق اتجاهها .

وقد أشرت إلى ذلك في قصتى عاد وثمود وأضيف :-

أ - الحضارة العلمية بأوسع معانيها " لآدم " - عليه السلام - : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ﴾[3] .

ب- حضارة بناء السفن " لنوح " : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[4] .

---

(١) سورة هود ٦١ .
(٢) أحكام القرآن للجصاص في تفسير الآية جـ٣ ص٢٠٣ .
(٣) سورة البقرة ٣١ .
(٤) سورة هود ٣٧ .

تعليم وإقامة الناس على العدل والرحمة بهم وتربية ضمائرهم وسلامة سلوكهم الإنسانى ، فيردد الوالى القراءة للرسالة حتى يحفظها ثم يهمل مطالب الخليفة أفيكون الوالى بهذا أمينا في ولايته مؤديا الرسالة التى كلف بها ؟.

جـ- أن نأخذ مناهج سلوكنا من القصة القرآنية باعتبار أن كلا من الفرد والجماعة معرض للخطأ من حيث الأفكار والسلوك التى تخضع للظروف والأهواء وقد يقع الفرد والجماعة في أخطاء لا حصر لها وباعتبارهم قوة مسيطرة لا يقبلون من أمثالهم تصحيح أخطائهم . ولذلك فإنه يتعين استمداد مبادئ الأفراد والجماعات من مصدر لا يخطئ ، وذلك المصدر لا بديل له .

وهذا المنهاج وحده هو الذى يكفل السعادة البشرية ويحقق مصالح الناس ، ويبعد عنهم الأذى والضرر قال تعالى :- ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[1] .

ذلك أن القصة في إطارها العام تدعو إلى المستوى الإنسانى الأكمل ، من حسن الصلة بالله ، ثم حسن الصلة بالناس ، ويترتب على ذلك إقامة الدين وعدم التفرق فيه ، وبالتالى استقامة الخلق عن طريق مناهج السلوك التى دعا إليها الأنبياء والمرسلون ، وهذه الدائرة الواسعة تنقلنا إلى تفاصيل غاية في الحكمة والإتقان ، بما لدى القيم من مبادئ كفيلة بحل مشكلات الحياة وصياغتها على جادة الطريق ،

---

(١) طه ١٢٣ .

تستطيع الوقوف على جوهر القصة من خلال الآراء المتشعبة التى لا تتفق على رأى واحد فضلا عن كون الإحاطة بهذه الآراء عبئا ثقيلا على الداعية . ولست أدعي أن هذه الآراء جميعها غير صحيحة ، فبعضها ضرورى حتما لفهم الآية . وإنما أقصد الآراء التى تتعارض مع العقل والنقل ولا تصلح لكتاب الله عز وجل ولا تحقق من ورائها هدف الرسالة الإلهية من الهداية للتى هى أقوم .

أسباب هلاك الأمم

يفصل القرآن الكريم الأسباب التى بها أبيدت الأمم ، وصارت عبرة لغيرها ، ويذكر هذه الأسباب في أكثر من موضع ، ويركز على إيصالها إلى قلوب الناس أفراداً وجماعات ، كى يتقوها ، ويمكن القول بأن الظلم هو الأساس الذى يندرج تحته كل الأسباب ؛ ذلك أنه : ظلم للنفس واعتداء على الحرمات ، وكفران بالنعم وغمط للشكر الواجب لمن أنعم بها .

وكل ما يحل بالناس من نقم وعذاب في الدنيا إنما مرده إلى ظلمهم وعتوهم واستكبارهم .

والسؤال الآن ألسنا نرى الكفار من حولنا يعمرون ولا يهلكون؟

والجواب : أن الله تبارك وتعالى لا يهلك قوما في الدنيا بالكفر وحده ، وإنما بالكفر والإفساد في الأرض والاعتداء على حرمات

جـ- " المعمار لسليمان " قال تعالى في شأن ملكة سبأ :-
﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً . . . ﴾الآية [1] .

د - الحماية العسكرية : ﴿ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾[2] .

هـ- الزروع والثمار لسبأ :﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾[3] .

و- دراسة أفلاك السماء " لإبراهيم " يظهر ذلك من رؤيته للكوكب ثم القمر ثم الشمس[4] .

ثالثاً :

القصة القرآنية تحكى ألوانا من النجاة للمؤمنين ، وألوانا من العقوبات للمارقين ، وتعد بذلك حربا على الفساد في كل صوره ، وعلى الانحراف والطغيان أنى وجد ، وتكون سببا في الرشاد إذا جردناها من الآراء المتشعبة المختلفة التى تبعد عن جو القصة وليس لنا أن نحمل هذه الآراء ونحن نرشد الأمم إلى دراسة القصة القرآنية ففى ذلك ضياع للأهداف التى نريد الوصول إليها ، وذهاب في جدل لا نخرج منه بثمرة غير ضياع الوقت . ولايخفى أن أمة من الأمم لا

(١) سورة النمل ٤٤ .
(٢) سورة سبأ ١١ .
(٣) سورة سبأ ١٥ .
(٤) سورة الأنعام ٧٦ – ٧٨ وانظر الرسالة ص .

يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم[1]: ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾[2] ، ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3]. أغرقه الله في اليم ، وكون ملك مصر لفرعون لا يضير ، وكون الأنهار تجرى بحيث يراها ويمتع نظره بها لا يضير كذلك ، وإنما الذي يضير حقا ادعاء الملكية الحقيقية لمصر وأنهارها ، وكأنها لا تزول عنه ، حتى يطلب من قومه إقراره على هذه الملكية وإفساده في الأرض ظلما وبغيا .

وقد كانت غفلته عن حقيقة أمره سببا في هلاكه بجنس ما ادعى أنه نافع ، فقد غرق في أحد الأنهار التى ادعى ملكيتها قال تعالى :- ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾[4]

.

" وقارون " لما بغى في الأرض بغير الحق ، نكل الله به أشد تنكيل تقرأ ذلك في قوله تعالى :- ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[5] .

---

(١) القصص ٤ .
(٢) نفس السورة ٣٩ .
(٣) الزخرف ٥١ .
(٤) نفس السورة ٥٥ ، ٥٦ .
(٥) القصص ٧٦ ، ٧٦ .

الناس، فإذا تعدى ظلم الظالمين أنفسهم إلى غيرهم ، وتمادوا فيه حلت بهم النقمة كما نرى في المجتمعات المعاصرة ...

ولعل مما يستأنس به في هذا المقام قوله تعالى :-

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾(١) .

أي ما داموا مصلحين في أعمالهم الاجتماعية ، والعمرانيـــة ، والثقافية ، والاقتصادية ، والسياسية ، وغيرها مـــن الأعمـــال ، ولا يفسدون في الأرض استقام لهم الأمر . لكن إذا تعدى ظلمهم إلى الغير فأفسدوا وبغوا واعتدوا على غيرهم فإن العذاب لاحق بهم لا محالة .

قال تعالى :- ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾(٢) .

واقرأ قوله تعالى عن قوم " صالح " - عليه السلام - :-

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾(٣) .

ولما أفسد قوم " شعيب " - عليه السلام - ببخس الحقوق وقوم " لوط " - عليه السلام - بإتيان المنكر في نـــاديهم أخـــذهم الله أخـــذ عزيز مقتدر ، وفرعون لما علا في الأرض وجعـــل أهلهـــا شـــيعا ،

---

(١) سورة هود ١١٧ .
(٢) سورة القصص ٥٩ .
(٣) سورة النمل ٤٨ ـ ٥٢ .

ونظريات الفلاسفة الذين يزعمون أنهم مصلحون لا تفيد ، ذلك لأن أكثر أصحابها لا يطبقونها على أنفسهم فكيف يريـــدون تطبيقهـــا على غيرهم ؟

وقانون عاقبة الظلم لا يتخلف وكل انحراف له نتيجـــة تتفـــق معه:- ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾[1].

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2].

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[3] ، إلى غير ذلك من الآيات ...

وإذا كان ابن خلدون المتوفى ســـنة ٨٠٨ بالقـــاهرة يقـــرر أن أسباب هلاك الأمم ، وأسباب بقائها ، راجـــع إلـــى تغيـــر أحوالهـــا الاجتماعية والأخلاقية[4] ، فإنه استنتج ذلك من القرآن الكريم حتمـــا . في قوله تعالى :- ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾[5] وقوله :- ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي

---

(١) الطلاق ٨ ، ٩ .
(٢) هود ١٠٢ .
(٣) الحج ٤٨ .
(٤) مقدمة ابن خلدون ص(٣٣٤) في أن الحضارة غاية العمران ، ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده .
(٥) فاطر ٤٣ .

وليس امتلاك المال في حد ذاته محرما وإنما عدم الإقرار بأنه نعمة من الله على العبد إزاءها واجبات ، وكذلك سوء استغلال المال ، والبغى على الناس بسببه ، والفرح المطغي ، وادعاء أن الله لا دخل له في التفضل عليه به ، كل ذلك من أسباب هلاك الأفراد والجماعات في أى زمان ومكان ، فقد سرى هذا القانون على قارون في قوله تعالى :- ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾(1) ، كما سرى على الأمم الظالمة .

وقد ذكر القرآن ذلك أكثر من مرة فى قوله تعالى :-
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾(2) ، وقوله :- ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ﴾(3) .

والذى يجب أن نركز عليه هو أن الأمم والأفراد إذا تمادوا في البعد عن سنن الله الكونية ، ولم يلتزموا بالعمل على التماسك وتقوية عرى المودة بالأخلاق والقيم فإن الهلاك لاحق بهم لا محالة والقاعدة هى قوله عز وجل :- ﴿ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾(4) .

---

(1) سورة القصص ٨١ .
(2) يونس ١٣ .
(3) النمل ٥٢ .
(4) الرعد ١١ .

تقرأ ذلك بعد سرد قصص لعدد من الأنبياء وتقرر الآيــة : أن أهل القرون الخالية لم ينتهوا عن الفساد ، ولكن قليلا منهم نَهَوْا عنه ، وبقيت الكثرة الغالبة سادرة في غيها ، ويلاحظ أن الاستثناء لا يــأتى في الآية متصلا لفساد المعنى حينئذ والمراد : لو وجد مــنهم نــاهون عن الفساد لما عذبنا الباقين لكن قليلا ممن نجينا نهوا عن الفساد [1] ، والمترفون منهم لم ينهوا عن الفساد فظلوا في غيهم واتبعــوا التــرف وطلب السلطان والثروة ، وكانوا مجرمين بآثامهم التى تســببت عــن اتباعهم لشهواتهم التى أترفوا فيها .

وفى " الإسراء " يقول عز وجل :- ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[2] ، الأمر هنا لا يحتاج إلى تقدير ، إذ هو أمر بالطاعة ضرورة أن الله لا يأمر إلا بهــا ، ولا داعى لخلاف المفسرين في الآية الكريمة ، ويقــال فــي تفســيرها : أمرناهم بالطاعة ففسقوا ، أى خرجــوا عن طاعتنا ذلك أن الفسق هو الخروج عن الأمر ، وترتبه على الفسق لا يتأتى على الأمر في الآية الكريمة بحال .

(١) محاسن التأويل ٩ / ١٨٠ .
(٢) آية ١٦ .

﴿الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [1] ، ونرى بذلك أن أصول علم الاجتماع والنفس والأخلاق والتاريخ كله في كتاب الله عز وجل .

وكل ما قصه الله في القرآن من هلاك لقوم فبسبب ظلمهم وفسادهم والقرآن حينما يقص علينا ما ذكره عن فرعون وقارون وغيرهما من الأفراد والأمم فإنما " يتحدث عن الناس إلى الناس ، ويأخذ من الحياة للحياة ، يقرؤه الناس ويسمعونه ، فكأنما يقرءون أطوار أنفسهم ، ويسمعون همس ضمائرهم ، ووسوسة خواطرهم ، ومن هنا فهم يعيشون فِيهِ ويَحْيَون معه وينتفعون به انتفاع الأرض بالغيث ، يقع منها مواقع مختلفة " .

والترف من الظلم : وهو الإسراف في استعمال النعمة ونسيان المنعم بها ، والمترفون يسيئون استعمال المال ويميلون به نحو الشهوات والمطامع الدنيئة ....

ويقرر القرآن أن ترف الأمم هو سبب تدميرها ، وقد ذكرت مادة الترف في الكتاب العزيز في ثمانية مواضع هى :-

هود ، والإسراء ، والأنبياء ، والمؤمنون ، وسبأ ، والزخرف ، والواقعة .

ففى هود قوله تعالى :- ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [2] .

---

(١) آل عمران آية ١٣٧ .
(٢) آية ١١٦ .

بآبائهم الأولين من الهلاك بسبب ترفهم وبطرهم ، والترف والرسالة متقابلان في القرآن ، والترف والفسق والهلاك أمور متلازمة .

تأمل قوله تعالى في سورة " سبأ ": ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ (١).

وقوله عن المترفين لما ساء فعلهم : ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ (٢).

وفي هذه السورة يقرر القرآن قانونا عاما بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (٣).

والقاعدة العامة أن أول الكافرين بالرسالات ، هم المترفون ، إبقاء على ترفهم وحفاظا على مكانتهم ، وكانوا يمثلون الحواجز أمام الرسالات استنادا إلى كثرة أموالهم ، وأولادهم .

ويهدف القرآن من ذكر المترفين أكثر من مرة ، أنهم يفسدون في الأرض ، ويقودون غيرهم إلى هذا الفسق ، ولديهم القدرة عليه ، وصرف الناس عن الله ورسالاته ، وأنهم أسرع من غيرهم على تحقيق هذه المهام .

---

(١) آية ١٦ .
(٢) آية ١٩ .
(٣) آيتا ٣٤ ، ٣٥ .

وقراءة أمّرنا بالتشديد ترفع الخلاف بين المفسرين إذ معناها كثرنا أو جعلناهم أمراء ، وهى قراءة آحادية .

وفى سورة " الأنبياء " يقول سبحانه :- ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾[1] .

والتعبير بالقصم غاية في الشدة ودليل الغضب ، والسخط ، ذلك أن القصم : أفظع الكسر ، وهو يمنع تلاؤم الأجزاء ، ولشدة العذاب ركضوا فارين من القرية ، حينما أحسوا وشاهدوا النكال اللاحق بهم يقول تعالى : ﴿ لَا تَرْكُضُوا ﴾ ، ويتهكم بهم فيقول :- " وارجعوا إلى ما أترفتم فيه " من بطر النعمة وكفرانها " .

يقول تعالى في شأن عاد قوم هود :- ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[2] ، وفى آية أخرى من السورة : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾[3] ، وبعدها يقول تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾[4] ، وذلك خاص بأمة رسول الله ﷺ حيث لم يفطنوا ويتدبروا النذر الرادعة التى محقت

---

(١) آيات ١١ ـ ١٣ .
(٢) آية ٣٣ .
(٣) آية ٦٤ .
(٤) آية ٦٨ .

الدنيا ومظاهرها ، وهذا الشعور يفكك روابط المجتمع وينزع الثقة من أفراده ، وباعتداء المترف على الضعيف تتدهور الأخلاق وتتحلل النفوس .

وفى المجتمعات المعاصرة اليوم نرى ما ترتب عليه من الإنحلال الخلقى ، وقد بلغت التفرقة العنصرية حدا لا يطاق مما دفع بالإنسانية إلى الهاوية فالمترفون لا يهتمون بالفقراء ، ولا يقرون بحقوقهم نتيجة البطر المطغى .

ويجب أن نلاحظ الفرق بين الترف والغنى فالغنى صفة من صفات الله تعالى وهو محمود في ذاته ، أما الترف فمهلك للروح والبدن ، وقد مدح الله الغنى فقال لرسوله : ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾[1]. والله يحب الغنى الشاكر والغنى لا يذم ما دام صاحبه يؤدى حق الله فيما أعطاه وينفق ما له فيما يرضيه .

أما المترف فمذموم باعتباره عبدا لشهواته وملذاته ، لا يعرف حق غيره ويكفى أنه يخلد إلى الراحة والدعة مكتفيا بماله ، والذى يسرى على الأفراد المترفين يسرى على الأمم المترفة كذلك .

ومن هنا نرى أغلب آيات الترف خالية من الأسماء والأشخاص والأماكن وتحديد الزمن ، حتى لا تدل على حادثة ، خاصة لا تنصرف إلى غيرها ، فالقصة موجهة من الله إلى الإنسان أينما كان ، من أجل تأكيد معنى العبرة في نفسه ومجتمعه وتأكيد

---

(١) الضحى آية ٨ .

وفى الزخرف يقول عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[1].

وهكذا شأن المترفين في كل زمن أبطرتهم النعمة ، وأخلدوا إلى الراحة والشهوة ، ولزموا اتباع الآباء والأجداد ، وتمسكوا بما كانوا عليه من الباطل ولم يخضعوا للحق .

وفى " الواقعة " يقول عز من قائل في أصحاب النار : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾[2] ، وتشير الآية إلى أن الترف يلازمه العذاب لا محالة ، ذلك أن المترف ليست لديه دواعى الاستعداد للخير وقبوله ؛ إذ هو منصرف كلية إلى استيعاب المتعة والانغماس في الآثام ....

وينطلق من الترف المادى الترف المعنوى ، وهو الرغبة في السلوك السئ عن طريق بث المبادئ الضالة بين الناس ، وظلم النفس والغير ، وهذا الظلم ، مهلك للأفراد والشعوب وذلك قانون الحياة .

ومن عجب أنا نرى المترفين يستعملون أسباب القوة في ضعفهم وإهلاكهم ، وكان يمكنهم الإبقاء على قوتهم المادية عن طريق القوة المعنوية ، وخدمة الأفراد والجماعات بما أوتوا من قوة .

وبدراسة علم النفس والاجتماع نرى أن المترف يشعر بتعاليه على غيره ، وأنه جدير بالحياة دون سواه ، وأنه مستغن عن هذا الغير ، وإن تعاطف معه فلحاجة في نفسه ، ولرغبته في المزيد من

---

(١) آية ٢٣ .
(٢) آية : ٤٥ .

بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[1] .

والخلاق : الحظ والنصيب من المال والأولاد وترى الفساد المنتشر بين الناس باتباع الشهوات والخوض في الباطل وعدم الاعتبار بأحوال السابقين من الأمم حيث لم توجه قوى الأفراد والجماعات اليوم إلى القيم والمبادئ بل توجه إلى الباطل والفساد والهدم ...

ومن الظواهر البارزة في القصة القرآنية عن الترف المصحوب بالتفرقة العنصرية ، يرشدنا الله في قصص القرآن أن رسله جميعا قد حاربوا العنصرية التى تميز جنسا على جنس ، ولونا على لون ، وأمة على أمة ، وأنهم قد دعوا إلى الوحدة الاجتماعية على أساس أن الكل عباد الله لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى والعمل الصالح ...

وقد أكدت جميع الأديان هذه التسوية في الحقوق والواجبات ...

وقد ظهرت أول دعوة إلى التفرقة العنصرية في عهد سيدنا " نوح " – عليه السلام – وهو الأب الثانى للبشرية حيث اعتقد المترفون أنهم أفضل من الفقراء وأن الفقراء ما هم إلا أراذل ، لا

---

(١) التوبة ٦٩ .

القدرة على ارتباط الأمم اللاحقة بالأمم السابقة ، وانعكاس الماضي على الحاضر من أجل المستقبل ، وكل ذلك مقرر في سنن الأسلاف الغابرين ، وجديد الحوادث يستمد عناصر وجوده من قديمها .

ويمكن عن هذا الطريق أن نقرر بأن القصص القرآنى يدعو لتحقيق أهداف عالميه ، ويؤكد أن دين الله واحد وسنته في الوجود لا تتخلف ، وهو المرشد للإنسانية كلها دون سواه .

ومن هنا أرى أن أسباب هلاك المحدثين هى بذاتها أسباب هلاك الغابرين وبالترف المادى والمعنوى ، وبالظلم بكل صوره وعدم الاستجابة لدعوات الرسل يهلك الله المتكبرين عن دعوة الحق في أى زمان ومكان أفرادا وجماعات .

ومن ألوان الظلم التى بها أبيدت الأمم الاستمتاع بالشهوات :-

وهذه ظاهرة نجدها في مجتمعاتنا اليوم ، ولذا نجد النتائج على غير ما يجب أن تكون ، فالانحلال كثير ، والعطف على الفقراء قليل ، والسرعة في البناء المادى ونسيان البناء المعنوى لا تقف عند حد ، وبذلك تزداد الدول فقرا ، وتزداد الأخلاق سوءا ومرد ذلك البعد عن الهدى الإلهى في قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

في خلق مشاكل كثيرة للملونين تدفعهم إلى شرب الخمـر فيترنحـون سكارى في كل مكان .

ثانياً – لا يجامل الرجل الأبيض الرجل الملـون إلا إذا كـان يبحث عن فتاة زنجية للمتعة الجنسية ، وقد وجد الكاتـب الأمريكـى لافتة بأحد الفنادق عليها تقديم أسعار الفتيات الزنجيات لهـذه المتعـة الخاصة بالرجل الأبيض ، وكل عمر له سعر معين ، وأقصى الأجـر إذا جمعت البنت بين البكارة وصغر السن ، يقول الكاتب معلقا: " وإنه لمما يدعوا للسخرية أن هذا الرجل نفسه هو الذى يتهم الرجل الزنجى بفساد أخلاقـه ، ويبلغ الاستهتار أقصاه حينما يسأل الرجـل الأسـود قائلا : هل مارست زوجتك الجنس مع رجل أبـيض ؟؟ !! وعنـدهم قاعدة ما من فتاة زنجية إلا وقد نالها رجل أبيض ، ولا تسلم الزنجيـة التى تطلب العمل من الاستسلام للرجل الأبيض تحت ظروف الجـوع والحرمان ، ويدعى البيض أن مزاولة الجنـس معهن خدمـة لهـن ، وعمل طيب لما يغذونهم بالدماء البيضاء ، ويقولون للزنجيين : سوف ننال نساءكم وإلا أبدناكم عن آخركم[1] ، والولايات المتحدة الأمريكية اليوم التى تدعى الحضارة أحوج ما يكون إلى دعوة نوح عليه السلام حين قال لقومه:﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2] ،

---

(١) مجلة القصة عدد ١٧ السنة الثانية مايو سنة ١٩٦٥ عن كتاب لعنة السواد تأليف " جون جريفين " (أمريكى) ترجمة عاطف نصار .

(٢) هود ٣٠ .

رأى لهم ، وقد حكى القرآن عنهم قوله : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾[1] .

والحق أن من يفرق بين الأجناس والشعوب جاهل بقدر نفسه ، وقدر غيره في العصور القديمة أو الحديثة ، وحسبه أنه يحقق اليوم ما كان في عصر الطوفان ، ولو علم أن الإنسان لا يوزن بجنسه ولونه وفقره وغناه ، وإنما بمبادئه وقيمه وخضوعه للواجب وقيامه بالحق ، لأنصف نفسه وغيره .

وفيما نعلم لا نجد اضطهادا للملونين اليوم أقسى من معاملة " الولايات المتحدة الأمريكية " وما في روديسيا وأصدق دليل على ذلك أن كاتبا أمريكيا قام بدراسة معاملة البيض للملونين فيها بعد ازدياد حوادث الانتحار بين زنوج الجنوب وبلوغهم مرحلة من اليأس تستوى فيها الحياة والموت .

وقد شاهد الكاتب الأمريكى بنفسه ما يلى :-

أولاً – المعاملة تختلف في كل مرافق الحياة بين أبيض وأسود ، فكل الامتيازات للبيض ، وكل الحرمان للسود ، مما تسبب

---

(١) هود ٢٧ .

مادامو ا قد استجابو ا لندائه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [(١)] .

وللمستضعفين في القصص القرآنى منزلة خاصة من عناية الله بهم ، وتسجيل فضله عليهم ، ونصرهم على أعدائهم ، يقول عز مـــن قائل في قصة سيدنا " موسى " عليه السلام :﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [(٢)].

ومما يجب التنبه إليه أن " أمريكا " لم تتقدم خطوة في إصـــلاح حال الملونين منذ قدومهم إليها في شهر أغسطس سنة ١٦١٩ حين قدم عشرون رجلا وامرأة من الملونين واندمجوا في أهلها فصدر قـــانون خاص بهم ، ينظم العبودية ، وينص على أن الملونين ينحدرون مـــن أصل بربرى متوحش ، وهذا يجعلهم غير مـــؤهلين لتطبيـــق قـــوانين وعادات أمريكا عليهم .

وفى سنة ١٦٣٠ جلدت السلطات هناك شخصا أبيض أمام جمع من الزنوج لأنه دنس بجسده امرأة ملونه وذلك خيانة لوطنه ...

ومن حق قوانين أمريكا أن تحرق الأسود إذا اتصـــل بـــامرأة بيضاء أو تقطعه بدون محاكمة .. هذا إذا تزوج بها أما الســـفاح فـــلا بأس به .

---

(١) الحجرات ١٣ .
(٢) القصص٥ ، ٦ .

وعذاب الله لاحق بهم لا محالة ، ولا ناصر لهم إن لم يعرفـــوا أن الله لا ينظر إلى الصور والأجسام وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال .

قرأت في كتاب " مصرع الديمقراطية في العالم الجديد " ما يفيد أن اضطهاد الملونين جزء من سياسة الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة ، وتنص دساتيرهم على ذلك ، ومما فيها :-

ما نصه :-

" يراعى في هذا الحقل أن يفصل أطفال البيض عـــن أطفـــال الزنوج ، فتكون لكل فريق مدارسه الخاصة به " وفـــي ص٢٦٣ " إن زواج شخص أبيض من شخص زنجي يعد غير شرعي وباطل " .

ومن أعجب ما في الدستور النص الآتي :-

كل من يطبع أو ينشر أو يـــوزع منشـــورات مطبوعـــة ، أو مضروبة على الآلة الكاتبة أو مخطوطة باليد ، تحض الجمهور علـــى إقرار المساواة الاجتماعية والتزاوج بين البيض والسود أو تقدم حججا واقتراحات في هذه السبيل ، يعتبر عمله قباحة يعاقب عليها القانون ، أو يحكم عليه بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار أو بالســـجن مـــدة لا تتجاوز ستة أشهر ، أو بالعقوبتين معاً "[(١)] إلى غير ذلك من النصوص الظالمة .

أين هذه المعاملة من معاملة الأنبياء للفقراء من حيث إن الله قد وصى بهم خيرا ، وهم السابقون إلى الهدايـــة والمكرمـــون عنـــد الله

---

(١) ص ٢٠٧من الكتاب المذكور .

عن قواعده التى تتفق وكرامة المسلمين ، ونحن نرى بعض المنصفين يطلب مساواتهم بالبيض في القانون وذلك حق .

وقد تعجب إذا علمت أن إعلان حقوق الإنسان لدى قادة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م ثم إعادة إعلانه في هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٩ م لم يحل مشكلة التفرقة العنصرية في العالم ، فالرجل الأسود لا يزال فى الحضيض ، وما دام هناك جشع استعمارى وإهدار لنداء الحق فلن تحل المشكلة إلا أن يشاء الله ، والظالمون مهما قست قلوبهم وغلظت أكبادهم ، فإنهم لا يعدمون من أنفسهم من ينتقد أعمالهم الآثمة، ذلك أنها فوق طاقة البشر فشعب " روديسيا " يعانى من " بريطانيا " ما هو معروف ومشهور ، وبهذا نعت صحيفة بريطانية موقف الحكومة من الشعب فى " روديسيا " تقول :- " إن نسبة السود إلى البيض ٩٥ % وتقترح نقل السلطة إلى أصحابها الشرعيين وهم السود ، ولكن زعماء بريطانيا يعارضون ذلك بشدة وتعلق الصحيفة ساخرة : وهكذا فقد آن للحكومة البريطانية أن تثبت رفضها المطلق لما تسعى إليه الشرذمة البيضاء في " روديسيا " من إحباط لسياستها الخارجية والاقتصادية . ومما تحاوله تلك العصابة من عبث لتعهداتها الملزمة لها إزاء سكان مستعمراتها "(١) .

تأمل انتقاد المجلة السياسية للبيض وتسميتهم باسم العصابة العابثة بحقوق المستعمرات ، وقد صدقت .

---

(١) العربى عدد ١٠٠ ص٦٥ تحت عنوان " أزمة روديسيا - السبيل الوحيد إلى حلها " .

ونرى مثل ذلك في جنوب أفريقيا ، وتعمل الدول المختلفة على حل هذه المشكلة بالأساليب العلمية ، ولا يمكن حل هــذه المشــكلة إلا عن طريق دراسة القصة القرآنية وتربية الضمير الدينى وإقناعهم بأن الله خلق الناس سواسية كأسنان المشط ، وقد نبه الأنبياء النــاس إلــى ذلك وبثوا فيهم مبادئ المساواة والعدل .

وإذا كان بعض علماء النفس والاجتماع يقــول : إن كراهيــة الملونين بحكم الطبع والعادة وليست ناشئة عن ضعف أخلاقى أو عدم شعور إنسانى[1] ، فإنى أقول ردا عليهم : أيــن أخــلاق الأمــريكيين والبريطانيين في معاملتهم مع كافة الشعوب حتى نجاملهم بأن الطبــع هو الذى حملهم على هذه الكراهية ؟

إن لهم في معظم بلدان العالم مآسى لا ينكرها أحد ، ومــع أن مصالح بريطانيا قائمة على أكتاف السود نرى أحد زعمائها يعــارض بشدة إعطاء أى حقوق لهم ، ويؤيده الكثيرون فيما ذهب إليه مــع أن فيها ٤ % من السكان الملونين يقومون بخدمة كبيرة في رفع اقتصــاد البلاد خاصة في البناء والهندسة وأعمال المسابك والنسيج والأعمــال الثقيلة التى تحتاج لجهد كبير كالمواصلات والبريد .

وللإنصاف نقول : إذا كان الإســلام يفــرض المســاواة بــين الملونين وبين غيرهم فيعلمهــم أن يتأدبوا جميعا بآدابه وألا يخرجــوا

---

(١) العربى عدد ١١٥ ص ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ يونيو حزيران ١٩٦٨ مقال للأستاذ الدكتور أحمد زكى بعنوان " أزمة الملونين " .

﴿ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[2]، ومن هاتين الآيتين نرى أرباب التفرقة العنصرية في العالم ليسوا بعلماء وليسوا بعقلاء إذ رجحان شعب على آخر في الحرية والسيادة . برهان على الأنانية والحقد ، وتحكم في مصائر الشعوب .... وعلى الشعوب المغلوبة على أمرها أن تنهض وتتحد لتكون قوة رادعة للمستبدين .

ولنا أن نقول : الرجل الأسود لم يشعل الحرب في العالم ولم يشارك في صنع القنبلة الذرية والصواريخ العابرة للقارات والحرب الكيماوية التى تقض مضاجع العالم ، بل ذلك كله من عمل الرجل الأبيض الذى يدعى لنفسه الحضارة والتقدم .....

النذر الرادعة

تبين لك أن سنة الله قد قضت بأنه – تبارك وتعالى – يهلك الطغاة بألوان مختلفة من العذاب ، وأنه ينجى المؤمنين .

وإليك إحصاء للأمم والأفراد الذين هلكوا ، والعقوبة التى نزلت بهم ، وأسبابها ، ودليلها من القرآن الكريم :–

أولاً – قوم نوح : وعقوبتهم الإغراق وأسبابه الشرك بالله ورد الدعوة ، قال تعالى في شأنهم : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ ﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾[3] .

---

(١) الأعراف ٣٣ .
(٢) الروم ٢٨ .
(٣) القمر .

إن من يسيئون إلى الملونين هذه الإساءة يتحدون القدر ، وإرادة الله في الوجود فالله قد خلقهم هكذا فيهم الأبيض والأسود والأسمر والأشقر والأصفر . وما ذنب الإنسان في هيكل جسمه ولونه وبروز فكه وظهور أسنانه ، ذلك أمر خارج عن إرادته ، وقد أثبت العلم الحديث أن الجسم يفرز مادة لا تختلف من شخص لآخر وهذه المادة تسمى "الميلانين Melanen " . وهى التى تحدد اللون في الجسم وتكون هذه المادة غزيرة في الأسود قليلة في الأبيض متوسطة في الأسمر . وكذلك يشارك الدم في تكوين اللون ، والخلايا الظاهرة والخفية لها دورها كذلك ... وهذا لا حساب فيه على الإنسان بحال لو أنصف مدعو الحضارة والمدنية .

ونرى اليهود اليوم في العالم لا يفرقون بينهم ، وبين الملونين فقط بل يفرقون بينهم وبين الناس جميعا ، بدعوى أنهم الشعب المختار، وأن غيرهم من الناس عبيد لهم .

والبراهمة منذ القرن الثانى بعد الميلاد يعتبرون أنفسهم سادة الكائنات وكل ما هو كائن في الوجود ملك لهم .. وهذا جنوح عن الطريق السوى ، ولا يزال الهنود إلى اليوم يعانون من هذه التفرقة ، وقد قتل "غاندى" لما دعا إلى المساواة بين الناس ، وميزة الإسلام هنا عالميته التى لا تفرق بين جنس وجنس ولون ولون .

فالقرآن يخاطب الناس كل الناس في أى عصر راغبا منهم التمسك بآدابه ومبادئه ، و لا يستجيب له إلا العلماء والعقلاء: ﴿ كَذَٰلِكَ

﴿ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ، وفى الثالثة : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾[2] .

خامساً – قوم لوط وعقوبتهم الصيحة ، والخسف ، والمطر بالحجارة وسببها إتيان الذكران من العالمين .

قال تعالى في شأنهم : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾[3].

سادساً – فرعون وآله ، وعقوبتهم الإغراق عموماً وأخذهم بالسنين ، ونقص الثمرات وسببها ادعاء فرعون الألوهية ، وطاعة أتباعه له ، وعدم استجابتهم لدعوة موسى وهارون عليهما السلام " نقرأ ذلك في قوله تعالى :– ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾[4] ، وقوله :– ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[5] . والسنين : زمان الجدب.

سابعاً – قوم موسى وعقوبتهم الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم وسببها: مخالفتهم لله ورسله قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ﴾[6].

---

(١) الشعراء ١٨٩ .
(٢) هود ٩٤ .
(٣) الحجر ٧٣ ، ٧٤ .
(٤) طه ٧٩ .
(٥) الأعراف ١٣٠ .
(٦) الأعراف ١٣٣ .

ثانيـــاً – قوم عاد : وعقوبتهم الريح العقيم ، وسببها الشرك قال تعالى :– ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ* مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾(1) .

ثالثاً – قوم ثمود : وعقوبتهم الرجفة ، والصاعقة ، والصـيحة قال تعالى في شأن الأولى في قصـة " صـالح " – عليـه السـلام : ﴿ فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(2) .

وقال تعالى في شأن الثانية : ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ* فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ* فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴾(3) ، وقال تعالى في شأن الثالثة : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(4) .

رابعـــاً – قوم شعيب وعقوبتهم الرجفة والظلة والصيحة وسببها الشرك بالله وتقرأ في الأولى قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾(5) ، وفى الثانية : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ

---

(1) الذاريات : 41 ، 42 .
(2) الأعراف 77 ، 78 .
(3) الذاريات : 43 – 45 .
(4) هود 67 .
(5) الأعراف 91 .

وقد توالت الزلازل والأعاصير على الولايات المتحدة الأمريكية بظلمها للناس ، واعتدائها على الشعوب ، وانهماكها في الملذات والترف .

ففى سنة ١٩٦٤ م حدث بولاية " ألاسكا " بأمريكا زلزال كان ضحاياه ١١٤ نسمة وخسائره المادية ٧٥٠ مليون دولار .

وفى سنة ١٩٦٥ م حدث " في أمريكا الجنوبية " في مدينة " سانتيا جوبشيلى " زلزال كان ضحايا ٤٠٠٥ نسمة .

وفى سنة ١٩٦٩ م حدث إعصار " كاميل " المشهور الذى قتل أكثر من ألف وشرد مائتا ألف أمريكى ، وأصبحوا بلا ماوى وحدثت المجاعات ، ونقصت مياه الشرب ، واشتد غضب الله عليهم ، حتى تحطمت طائرات الإنقاذ وقتل ملاحوها وكانت تنشل الجثث من الطين وتفرقت أشلاء حتى صعب على حضارة أمريكا البحث عنها ولعل الأمريكيين يقدرون كلمة رئيس البوليس في مدينة " سانت لويس " الذى نوه بشجاعة السود في عمليات الإنقاذ فقال بالحرف الواحد :-

" إن الكثير منهم جاءوا من الولايات المجاورة للمساعدة في عمليات الإنقاذ – ومما يؤكد شدة الغضب والبطش أن ارتفعت أمواج المد إلى مسافة عشرين قدما مما جعل السكان يهربون من النوافذ والأسطح طلبا للنجاة[(١)] .

وصدق الله العظيم :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[(٢)] .

---

(١) العربى عدد ١١٨ .

(٢) سورة الأعراف ٩٦ .

ثامنا – قارون وعقوبته : الخسف وسببها : البغى والتعالى قال تعالى في شأنه :– ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾[1] .

وهكذا ما عاقب الله قوماً إلا بذنب ، والعقوبة قد وقعت للأمم والأفراد ليعتبر الأمم بالأمم ، ويعتبر الأفراد بالأفراد ، والعقوبة ما كانت تخطر لهم على بال فهى بتدبير الله وحده ، لا يعلمها أحد سواه ، وقد تفجأ القوم ، أو تأتى بعد إنذار الرسول لهم فلا يجدون لأنفسهم منها نجاة .

ومن عجب أن كل قوم لم يتعظوا بمن سبقهم ، مع أنه ما جاء نبى إلا ذكر قومه بمن سبقوهم .

وإذا كان هؤلاء الأقوام لم يستجيبوا لدعوات الأنبياء ، ولم ينتفعوا بآثار السابقين جهلا واستكباراً ، فالأجدر بنا ونحن في عصر العلم والمدنية ألا نكون مثلهم . ذلك أنا نعلم أن السنن مضطردة ، وقد أكد لنا العلم كما أكدت الحضارة والمدنية اضطراد هذه السنة ، ولن نجد لها تبديلا ...

وتلك حقيقة موضوعية لمسناها من خلال قصص القرآن الكريم. والتاريخ يعيد نفسه . فإذا كان الله قد أخذ في الماضى قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، ولوط ، وغيرهم بجرائمهم ، فسنته لا تتخلف ونذره تقصف بالمعتدين .

---

(١) القصص ٨١ .

فيها العلوم والفنون ، وازدهرت المعارف كما عثر علـــى آثــار فـــي الأمريكتين تشبه إلى حد كبير آثار قدماء المصريين . وقد أصـــبحت هذه الحضارات أثرا يدل عليها ، دون وجودها ، والعلماء يمرون على هذه الآثار كما حدث لقوم عاد : ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [1].

وقال عالم أثرى : كانت هناك قارة قديمة تدعى " مــو " فـــي المحيط الهادى بين أمريكا وآسيا إلى الجنوب من خط الاستواء قضى عليها زلزال قبل عشرين ألف سنة وابتلعها اليم ، وابتلع معها ملايـــن البشر ، والآثار الكتابية والرواية التاريخية تـــدل عليهـــا ، ويتـــداول تاريخها الهنود والصينيون وبورما وأواسط أمريكا[2] وإن صح هـــذا فيندرج تحت عقاب الله للأمم السابقة . وهكذا إذا أراد الله أن يعاقـــب فإن " أخذه أليم شديد " .

ومهما يقال عن أسباب الـــزلازل وأن بـــاطن الأرض معـــادن مصهورة تبلغ حرارتها ما بين ٢٠٠٠ ، ٤٠٠٠ درجة مئوية ، وفـــى الصخور الأرضية معادن نشطة ، ذات إشـــعاعات نوويـــة ، وتأخـــذ الصخور في التحرك ، وقد يبلغ حجمها مائتى ألف متر مكعب فتنطلق بقوة قد تزيد على عدة مئات من القنابل الذريـــة ثـــم تبـــرد القشـــرة الأرضية وتنكمش .

---

(١) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٢) منبر الإسلام ذو الحجة ١٣٨٢ هـ ، ص٦٦ .

﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾[1] ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾[2] ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[3].

وتدل الإحصاءات على حدوث عشرة آلاف زلزال سنويا .

وفى عام ٦٣ م حدث زلزال يوغوسلافيا دمر مدينة " اسكوبلى" بأكملها . وفى عام ٦٦ م حدثت تسع زلازل .

وأكبر زلزال حدث في العالم عام ١٥٥٦ م في الصين بمدينة "شنس " وكان ضحاياه ٨٠٠ ألف قتيل [4].

و من ظلم النفس وإغفال التاريخ ألا نربط الماضى بالحاضر ، وأسباب الهلاك للغابرين والحاضرين وسنة الاجتماع البشرى منذ خلق الله الأرض ومن عليها لا تتغير .

ومهما يكن من شئ فقانون القصة القرآنية ينطوى على أن سر بقاء الأمم في تقوى الله وطاعته ، وأن سر هلاكها في التمرد على الأديان السماوية ، وتجاهل رسالات الأنبياء ، والكشف عن الآثار يبين بالدليل المادى صدق القرآن الكريم في ذهاب حضارات بأكملها . بسبب تمردها . فقد اكتشفت حضارة كبرى أكبر من حضارة اليوم كانت غرب البرتغال والمغرب عند "بوغاز جبل طارق" ، وقد تقدمت

---

(١) هود ١٠١ .
(٢) الزخرف ٧٦ .
(٣) سورة هود ١١٧ .
(٤) مجلة العربى عدد ١١٨ .

قص علينا أحداثا حقيقية حتى لا نقول : كيف نطبق هذه المبادئ وهى فوق طاقتنا ؟ أو كيف نضمن أن النتائج ستكون كما نـص القـرآن ؟ والجواب: الله يقول : ها هى ذى الأحداث بين أيديكم :﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[1] ، وإذا أردنا النجاة مما نحن فيه حقا فلنكن أكثـر وعيا بما يلى :-

أولاً – قياس حاضرنا على ما سلف من غيرنا مـع دراسـات لأهداف القصة القرآنية دراسة علمية منهجية ناجحة للوصـول إلـى نتائج ثابتة ، وإذا كانـت هذه الدراسات لازمة في كل عصر فإنها في عصرنا أكثر لزوماً ، ذلك لما نراه من انحدار الشعوب إلى الهاوية . وإذا كان علماء الحيوان يلفتون الأنظار إلى أسرار الـذباب والنحـل والنمل ، وعلماء النبات يدرسون أنواع الفواكه والنبات والثمار ، أفلا يجدر بنا أن نتعرف على أنفسنا . ونتأمل ماضى غيرنـا ، للوصـول إلى عظاته وعبره، وذلك مع اعتقاد إمكان إصلاح المجتمع البشرى . فكل الأشياء تتغير .

والإنسان لا يستقر على حال ، فمن الممكـن أن يتغيـر إلـى الأحسن ، إذا أنيرت أمامه سبل الحقائق ولسنا مع المتشائمين[2] مـن المحدثين الذين يرون أن الطبيعة البشرية لا تتغير ولا تقبـل التغيـر حيث يقولون : إن الإنسان في أعماقه حيوان متوحش ضار ، وكل ما

(١) سورة الإسراء ١٥ .
(٢) أمثال شوبنهاور ، وهارتمان ، وباهنس ، والمؤرخ : بويك راجع مجلة العربى عدد ١٢٦ .

والثابت عمليا أن الصخور تتحرك استجابة لقوى بطيئة تعمل فيها ، ولا يزال علمهم ظنوناً غير يقينية . والذى لا محيد عنه مهما كان التفسير العلمى للزلازل فإنها بقدرة الله ، وسكان المنطقة وجدوا في هذا المكان بقدر الله ، والوقت الذى حدد له الزالزال بقدر الله كذلك ، والثابت أن بعضها يشعر به الناس إذا أراد الله اللطف بهم فيتركون مواقعهم ، والبعض الآخر يأتى فجأة فيبتلع أو يدمر تدميراً لا يبقى فيه أحدا ولا يذر .

وقد حدث زلزال في إيران ١٩٦٨ م راح ضحيته أكثر من عشرين ألفا ، وقرية " كاخك " ومنطقة " دشت بياض " أصيبتا بتدمير كامل وخربت كل معالمهما .

وفى سنة ١٩٦٠ م كان زلزال أغادير بالمغرب راح ضحيته اثنا عشر ألفا . وتقع الزلازل كثيرا في " اليابان " وأبرزها سنة ١٩٢٣ م وقد دام ثلاثين ثانية وقتل ١٤٣,٠٠٠ ألفا وجرح ١٠٤ ، وهدم ٥٧٦ ألف منزل وقضى عليها نهائيا[1] .

والدارس لأحوال هؤلاء الشعوب يجد غالبهم العظمى لا دين له ولا يقرون بالرسالات .

إلى العلاج :-

ولو أننا ترسمنا خطى القصص القرآني . وعشنا أحداث السابقين ، ووعينا سنة الله في المخلوقين ، وتساءلنا لم أبيد قوم وبقى آخرون ؟ ووضعنا في اعتبارنا أن الله لم يجعل القرآن نظريا فقط بل

---

(١) مجلة العربى عدد ١٢٠ تحت عنوان الزلازل للدكتور أحمد زكى .

رأيت هذا الصراع الذى يدمر الإنسانية ، ويزيد من قلقها يوما بعد يوم .

ثانياً – التزام منهج السير والنظر في الكون وقد وضع القرآن علاجا للمجتمعات على أساس أن تحصيل غير المحسوس يأتى عن طريق المحسوس ، والعقل قادر بمساعدة الحواس أن يدرك أبعاد هذا المحسوس أكثر من إدراكه للمعقول .

وقد أفادنا قانون السير والنظر أن كفر النعمة يوجب زوالها: ﴿ أَلَمْ يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ (1) ، كما أفادنا أن شكر النعم يوجب حفظها والمزيد منها: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ (2) .

وقد ذكر هذا القانون أربع عشرة مرة في اثنتى عشرة سورة منها قوله تعالى :-

١- ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ ﴾ (3) .

٢- ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (4).

٣- ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ (5) .

---

(١) سورة الأنعام ٦ .
(٢) سورة الأعراف ٩٦ .
(٣) سورة آل عمران ١٣٧ .
(٤) سورة الأنعام ١١ .
(٥) سورة الروم ٩ وانظر آية ٤٢ .

تقدمه له الحضارة هى تقليم أظفار هذا الحيوان المتـوحش لا غيـر ، وقد سبقهم في هذا الرأى المعرى فهو القائل :-

لا يخدعنك أخرانا كأولنا في نحو ما نحن فيه كانت الأمم

وهو القائل :-

فلا تأمل من الدنيا صلاحاً فذاك هو الذى لا يستطاع

وكلامه منقوض بما نشاهده من عدم ثبات الأفراد والأمم علـى حال فهم يتعلمون بعد جهل ، ويصبحون أخياراً بعد أن كانوا أشراراً ، وسادة بعد أن كانوا خدما لغيرهم ، ولتغيير البيئة انطباع جديـد فـي النفس والسلوك الإنسانى كما دلت علـى ذلـك الدارسـات النفسـية والاجتماعية والشواهد أكبر دليل على هذا القول .

ويمكن عن طريق الرغبة في الحل الصـحيح التغييـر إلـى الأفضل مع معرفة حقيقة المشكلة وأن أهم أسباب ازدياد الجرائم هـو الفراغ ، وموت الضمير ، وتحدى القانون ، والإدمان على المخدرات والتفرقة العنصرية . ولو أنهم آمنوا بالقصة القرآنية بعد إثبات فشـل القصة الأدبية عندهم ووثقوا أنها من مصدر معصوم مـن الخطـأ ، لأمكن حل مشكلاتهم . فبالمعرفة التى تنهض بالإنسان والموازنة بـين هذه المعرفة ومعارف البشر ، يمكن إخراج النفس من ضلالها . وإذا لوحظ أن دعوة الرسل واحدة في أصولها ، وأنها داعيـة إلـى البـر والخير وقد سعدوا بها وسعد بهم متبوعهم لـنهجهم الراشـد بعـد أن طهروا أنفسهم من عبادة المادة ، وعاشوا مع لب الحقائق وجوهرها ، إذا لوحظ ذلك كله في مجتمعاتنا المعاصرة وعشنا كما عاشـوا لمـا

نتائج طيبة ، وستجد الجماعة مادة الدراسة بالعلم فيما يـــرون أجـــدى على البشرية من النظريات التى لا تؤيد بالواقع ، مــن حيــث تأكيــد الخبر وصدقه ، وتأثيره في النفس ، وليعلم المأمورون بالسير والنظر أنهم مطالبون من خلال هذه الآيات وأمثالها أن يراعوا :-

١- ماذا يجب أن نلاحظ ؟

٢- وكيف يلاحظ ؟

٣- ماذا يمكن أن يحصلوا عليه من نتائج ؟

٤- وكيف يتأكدون من صدق هذه النتائج ؟

٥- وكيف تكون قانونا يستفيد منه سائر البشر ؟

والملاحظة الفجة لا تكفى بحال ، ولا توصل إلى قانون حاســم بحل المشكلات ومن أجل هذا وغيره أكد القرآن قانون السير والنظر .

ونحن مع ثقتنا بصدق الخبر وتأثيره فيمن لديه الاستعداد نجــد الفائدة أكبر ، والتأثير أظهر ، إذا رأينا مساكن القوم بأعيننا ، وعشــنا مع أخبارها ونحن نراها و يكون انعكاسها على نفوســنا عــن قــرب حافزا لنا على تحقيق النتائج ويقر في أذهاننا أن " ما حدث ســيحدث وما كان لغيرنا سيكون لنا ، ذلك أن الأرض هى الأرض ، والناس هم الناس ، والمعصية واحدة والرب مهيمن لا شريك له " فمساكن عــاد

٤- ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[١] .

وبقية السور هى :- النحل[٢] والعنكبوت[٣] وفاطر[٤] وغافر[٥]

ويلاحظ أن هذا القانون ذكر في سورتى الروم وغافر مرتين .

والمراد النظر العلمى الدقيق الذى يوصل إلى كشف ما وراء الحس ، لينتفع القلب بمواطن العبرة ويحلل العقل النتائج ، ويوجد العلاقة بين المواقف المختلفة ، لدراسة سلوك الأفراد .

ولم هلكوا ؟ وحياة الجماعات ولم أبيدوا ؟ وما نسبة من آمن ممن لم يؤمن ؟ ، ولماذا لم يؤمنوا جميعا ، وهل شابههم أحد فيما حل بهم من نقمة ؟؟ والذى يستطيع الكشف عن هذه الظواهر يعرف أن جزاء الظالمين ليس ببعيد ، وعلى العالم المتأمل الدارس أن يتساءل عن أحوال الأمم وهل كلهم ظلموا ؟ وهل أبيدوا جميعاً ؟ أم نجا منهم أحد ؟ ولم كانت النجاة ؟ وكيف كانت ؟ ونلاحظ أن المشاركة في السير والنظر دعا إليهما القرآن بأمر الجماعة سيروا – فانظروا ذلك أن تبادل الرأى ، ومناقشة الموقف وإذكاء نور العقل ، يؤدى إلى

(١) سورة النمل ٦٩ .
(٢) آية ٣٦ .
(٣) آية ٢٠ .
(٤) آية ٤٤ .
(٥) آيتا ٢١ ، ٨٢ .

أ – تربية القلوب على تعميق مفهوم الإيمان لتفقه الأحـــداث ، والاتعاظ بها ، وبالتالى تربية الآذان على الاستماع والإصـــغاء إلـــى مواطن العبرة فيها .

ب– التأمل في إبادة القوة العاتية القادرة على إثـــارة الأرض وعمرانها ، والسيطرة عليها بالإمكانات ، من حيث إنهم لـــم يوجهـــوا قوتهم إلى سعادة أنفسهم بل عتوا ، وظلموا ، ودمروا أنفسهم بسببها.

جـــ – نرى من آثار الهالكين كثرة من القرى قد أبيدت بسبب بطرها بنعمة الله ، وعدم إقرارهم بشكر المنعم بها ، وعدم رضـــاهم عنها ، قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[(١)].

ونحن اليوم نشاهد آثار مدائن صالح – عليه السلام – وآثـــار قرى قوم لوط – عليه السلام – يقول الشيخ النجـــار :–" وأعتقـــد أن البحر الميت المعروف الآن ببحر لوط لم يكن موجوداً قبل هذا الحادث ، وإنما حدث من الزلزال الذى جعل عالى البلاد ســـافلها وصـــارت أخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر .

ثم قال : " وقد جاءتنا الأخبار في الســـنتين الماضـــيتين ٣٠ ، ٣١ بأنهم اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت"[(٢)] أ هـــ كلامه.

---

(١) سورة القصص ٥٨ .
(٢) قصص الأنبياء ص٩٣ ط سنة ١٩٣٢ م .

حينما ترى اليوم فإنها تحكى واقعهم ، ليكونوا عبرة قال الله تعالى :-
﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[1] .

والمؤمن الذى يستشعر عظمة الخبـــر القرآنـــى يـــرى آثـــار السابقين بعين غير ما يراها غيره من ضـــعاف الإيمـــان ، أو قســـاة القلوب ، فالمؤمن يخشى عقاب الله في كل وقت ، أما غير المؤمن فلا يقيم له وزنا .

والقرآن يلح على أن يلفت أنظارنا إلى ما حـــل بالمكـــذبين . تأمل الاستفهام الإنكارى الدافع إلى رؤية آثار السابقين ، من القـــرى المرئية ، ثم تأمل إيحاء الألفاظ التى تدفع إلى الخوف من سوء عاقبـــة المكذبين أين حلوا وكيف كانوا ؟ في قوله تعالى :-
﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾[2] .

وسترى نتيجة هذا القانون في النماذج العملية بمشاهدة آثارها.

وقانون السير في الأرض الذى نصت عليه آيـــات القصـــص القرآنى تفيدنا فيما يلـــــــــى :-

---
(١) الأحقاف ٢٥ .
(٢) الأنعام ٦ .

وموسى عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

وفى إبراهيم عليه السلام : ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] ، على الأنبياء بما وهبه الله لهم من الكمال البشرى المنشود الناشئ من الإحسان في كل شئ فهو هنا بمعناه المطلق : إحسان في التربية والسلوك ، وإحسان في الطاعة والعبادة ، وإحسان إلى اليتيم والمسكين .

ولو أن قوماً أخذوا بمبدأ الإحسان كما دعت إليه القصة القرآنية لكانوا سادة العالم ، وهذه حقيقة لو عشناها لوصلنا إلى الكمال النفسى والخلقى والاجتماعى والاقتصادى ، وتخلصنا من التناقضات التى تحول بيننا وبين الاستقرار ولذا لن ترتقى أمة – مهما ادعت من حضارة وتقدم – إلا بدراسة حياة المرسلين باعتبارهم هداة الخلق إلى الحق المعصومين من الزلل والزيغ العاملين بمبدأ الإحسان في القول والفعل وقد سماهم الله أولى العزم بقوله :– ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[3] ، على معنى صدق التوجه إلى الله ، بقوة الإرادة ، وتصحيح النية ، وطلب الكمال في كل شئ .

---

(١) القصص ١٤ .
(٢) الصافات ١٠٩ ، ١١٠ .
(٣) الأحقاف ٣٥ .

وصدق الله العظيم إذ يقول عنهم :- ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)].

كما قال :- ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾[(٢)] ، وقرى قوم " عاد " كانت بادية للعرب ، ولكنها اليوم غمرت تحت التراب ، قال تعالى في شأنهم :- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[(٣)] .

ثالثاً – السمو بأنفسنا فوق مستوى الانحراف في العقيدة والسلوك ، وذلك أمر عناه القصص القرآني ودفع الناس دفعا إليه ، فمن خلال دراسة أحوال الأنبياء والمرسلين – وهم قادة الإنسانية – نراهم في حالة رقي دائم إلى معارج الكمال .

فهذا يوسف – عليه السلام – يقول الله فيه :- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[(٤)] وفي موسى – عليه السلام – :- ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[(٥)] .

---

(١)الأحقاف ٢٢ ـ ٢٥ .
(٢)الحجر ٧٥ – ٧٧ .
(٣)يوسف ٢٢ .
(٤)الفرقان ٤٠ .
(٥) القصص ١٤ .

ناره ، فلا يحتاج إلى قدح الزناد ، حتى يرى والصابر لا بد أن يكون هناك شئ حتى يستخرج بالزند ناره "[1].

رابعاً – الصبر وتحمل الشدائد :

لا يمكن للأفراد والجماعات أن يحققوا أهـدافهم إلا بالصـبر وحبس النفس على طاعة الله عز وجل ، ومخالفة الذين هم على باطل ولو كانوا أقرب المقربين ، ونلمس من القصص القرآنى صوراً مـن تحمل المشاق قدوة لمن أراد السير على هداها فإبراهيم الإبن يتـرك أباه بل يتبرأ منه لأنه عدو لله ، وأنه عقبة في سبيل دعوته إلى خيـر البشرية .

ونجد صعوبة الرسالة من كون الرسـل – علـيهم السـلام – يغيرون العقائد والعبادات ، لا المذاهب الفكرية والعادات فحسب بـل عليهم الوصول إلى أعماق النفس ، وفهم دوافعها وأهدافها واتجاهاتها، لإمكان السيطرة عليها وتلك مهمة شاقة ، والنفس بطبعها تأبى تغييـر عقيدتها ، بل تقاتل في سبيل هذه العقيدة ولو كانت خطأ . وهذا سـر الأذى الشديد الذى لحق بالأنبياء من أقوامهم فنوح – عليه السـلام – يحكى الله عنه قوله : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾[2] ، ويمثل هذا

---

(١) علم الأولياء مخطوطة ورقة ١٦ .

(٢) سورة نوح ٢١ – ٢٤ .

وبعد هذا الأمر بالاقتداء بهم جميعا يخصص الله منهم إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب – عليهم السلام – فيطلب من الرسول أن يذكرهم لما لهم من قوة يعز على الكثيرين من البشر أن ينالوا معشارها ، ولما لهم كذلك من فكر ثاقب وبصر ناقد ، فهم يواجهون الأحداث بقـوة ، كما يجابهون الشهوات ببصر لا يخطئ النظر الصحيح.

ومن واجبنا ونحن نتابع حياة المرسلين في دراستنا للقصة القرآنية أن نلاحظ أنهم – صلوات الله عليهم – مع صبرهم ، قد بلغوا أقصى الدرجات في شكر الله عز وجل .

ذلك أنهم كانوا يرون الرسالة منحة كبرى تستوجب الشكر مع ما يلابسها من أحداث ، وقد سجل الله لبعضهم هذه الدرجة كما سجل لهم الصبر .

يقول الحكيم الترمذى في هذا المقام :

" ومن درجة الشكر أن الله تعالى أثنى على أنبيائه وأصفيائه ، كما أثنى بالشكر على نوح ، وإبراهيم عليهما السلام – فقال في قصة نوح عليه السلام : ﴿ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[1] ، وقال في قصة إبراهيم – عليه السلام : ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾[2] ، وذكر من سواهم من الرسل فقال : ﴿ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾[3] ، خصهما بالشكر مع أن الكل شاكر ، وعمهم بذكر الصبر ، مع أنهم كلهم كانوا صابرين ، والشاكر قد ظهر

---

(١) الإسراء ٣ .
(٢) النحل ١٢١ .
(٣) الأنبياء ٨٥ .

وهذه الآية تصور مدى بعد القوم عن هداية الرسل فإذا جاءهم رسول رد القوم أيديهم في فيه ليسكت ، ولا يواصل كلامه ، وهذا يتفق مع عنادهم وإصرارهم على الباطل (1) .

خامساً : الاستغفار :

من الوسائل التى يسجلها القرآن لعلاج فساد الأمم الاستغفار والرجوع إلى الله عن الضلال الذى كانوا فيه ، وهذا في أكثر من موضوع في قصص القرآن ففى قصة " نوح " وصالح " وشعيب " كل منهم يطلب الاستغفار من قومه ، فالأول يعرض التقرير على ربه ويقول فيه : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (2) ه فهو هنا – عليه السلام – يأمرهم بالاستغفار ويبين لهم النتيجة التى تترتب عليه من المغفرة لذنوبهم ، وإدرار الرزق عليهم ، والإمداد بالأموال ، والأولاد والجنات ، والأنهار ...

" وهود " أيضا يقول لقومه فيما حكاه الله عنه :﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ (3) .فهو عليه السلام يطالبهم بالاستغفار من آثامهم الماضية ، والرجوع إلى الله ، وألا يعودوا مستقبلا إلى ما كانوا فيه من الإثم والمعصية والحوافز هى : الرزق الكثير ، ومضاعفة القوة ، ثم هو يقرن الترغيب بالترهيب ، وإن أعرضوا كانوا مجرمين .

---

(1) قرطبى جـ9 ص345 .
(2) سورة نوح 10 – 12 .
(3) هود 52 .

النص الكريم مدى الصبر الذى تحمله نوح في حياته الطويلة من قومه ودعوته لهم بالليل وبالنهار ، وإبائهم وإصرارهم واستكبارهم عن هذه الدعوة وسخريتهم به واستهزائهم له.

وقد سلك معهم – عليه السلام – عامة السبل الممكنة في إيصال الدعوة إلى قلوبهم ، ولكنهم لم يلتفتوا إليه ، وما أصغوا لما جاءهم به ، بل حاربوه بكل الوسائل ، ولم يتخلوا عن عبادة الأوثان ، ويخصون بالذكر بعضها لسمعتها عندهم وهى ود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر وكانوا يوقرونها أكثر من غيرها وكانت هذه الأصنام لأقوام صالحين[1] ، وبمرور الزمن عبدوها ومن هنا حرم الإسلام الصور المجسدة ... والأحاديث في هذا كثيرة منها : ما أخرجه أحمد في المسند ومالك في الموطأ ، والشيخان عن عائشة مرفوعا ، أن أصحاب هذه الصور الذين يصنعونها يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم " أحيوا ما خلقتم[2] .

وفى سورة " إبراهيم " آية تجمع ما عاناه الرسل من قومهم هى:– ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللّهُ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[3].

---

(١) ابن كثير ٤٢٦/٤ .
(٢) سنن النسائى ٢١٥/٧ من رواية ابن عمر واللفظ له .
(٣) آية ٩ .

والاستغفار من قوانين الوجود المجربة للنجاة وكم من أقوام استحقوا العقاب وباستغفارهم ورجوعهم إلى ربهم كشف الله العذاب عنهم ، وذلك كقوم " يونس " وقوم " موسى " عليهما السلام .

ومن الجناية على الدين القول بأن الاستغفار ، ولو صدقوا القول بأن الاستغفار لا جدوى منه ، بدعوى أن من يستغفر لا يرزق ، والحق أنهم ليسوا بصادقين في الاستغفار ، ولو صدقوا القول والعمل لأمدهم الله برزقه وعطفه إن عاجلا أو آجلاً.

أليس عمر قد استسقى بالاستغفار وقال :- " لقد استسقيت بمجاديح السماء ففى الحديث " أمسكت السماء في عهد عمر فخرج الناس وما زادوا على الاستغفار ، ثم عاد الناس فقالوا له : ما نراك استسقيت لنا فقال :- " لقد استسقيت بمجاديح[1] السماء ، وقرأ : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[2] الآيات . و صدق فقد روى أنه ما أتم كلامه حتى اهتز الأفق بالماء .

سادساً – الاستقرار المالى والاقتصادى :

والقصص القرآنى يولى ذلك الجانب عناية كبيرة لا من أجل التكبر في الأرض بغير الحق ، وإنما من أجل بناء حضارة إنسانية تدعم دين الإسلام وتعلى من شأنه " فيوسف " عليه السلام يطلب من

---

(١) جمع مجدح والقياس مجادح زيدت الياء للإشباع ، والمجدح من الأنواء التى لا تكاد تخطئ ، وأراد الأنواء الصادقة والمعنى : إن الاستغفار عندى بمنزلة الاستسقاء بالانواء الصادقة عندكم . الفائق في غريب الحديث للزمخشرى جـ١ ص١٧٦ . وقال ابن الأثير المجدح من الأنواء الدالة على المطر وخاطبهم بما يعرفون وليس قولاً بالأنواء ، وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التى يزعمون أن من شأنها المطر . النهاية لابن الأثير ٢٤٣/١ .

(٢) سورة نوح ١٠ .

وهنا شرط واحد هو الرجوع إلى الله في وقت السعة والاختيار.

وكذلك " صالح – عليه السلام – يقول لقومه : ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[1] ، و" شعيب " يقول ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[2] .

ترى هؤلاء الأنبياء يلحون في طلب الاستغفار لثقتهم بأن رحمة الله تشمل التائبين ، وأنه تعالى يتفضل عليهم بخيرات كثيرة إن هم استغفروه ورجعوا إليه ، لكن أكثر النفوس مجبولة على الشر وهى لا تخضع لتنال رحمته وغفرانه وإنما تسخر من العذاب الشديد والأخذ الأليم ، والناس قديما وحديثا على هذه الوتيرة :- ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾[3].

والآية تقرر أنهم ما منعهم عن الإيمان والاستغفار إلا طلبهم سنة الأولين في قولهم :- ﴿ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[4] . فيه هلاكهم بعد تماديهم ، فذلك علاجهم من معتقداتهم التى عاشوا عليها ...

---

(١) نفس السورة ٦١ .
(٢) نفس السورة ٩٠ .
(٣) الكهف ٥٥ .
(٤) الأنفال ٣٢ .

عربية شاملة تحل بها قضايانا - التى تفرض نفسها علينا - حلا حاسما .

ثامناً : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وذلك عامل ضرورى لبناء المجتمعات على الحضارة المنشودة ، وقلما نجد اليوم من يعنى بهذا الركن الدينى الهام ، مع ضرورة البعد عن الجبر والإلزام فما عرفنا رسولا كان ذا طغيان ، أو يجبر قومه على الدخول في الدين إلا بالتى هى أحسن " فنوح " ، "وإبراهيم" ، " وموسى " ، " وعيسى " ، " وشعيب " ، وغيرهم كانوا يعاملون أقوامهم بالرفق واللين وإسداء النصح والإخلاص لهم ، خوفا عليهم من عقاب الله ، ومع ما كانوا يلاقون من السخرية والاستهزاء منهم كانوا يصبرون ويصابرون ، كى يؤدوا المسئولية الكبرى كاملة لئلا تقوم الحجة عليهم ، ولم يطلبوا منهم أجرا على تبليغ رسالة الله الخيرة إليهم إذ كانوا يعلمون أن الإكراه يورث النفرة ، ولا يحل المشكلة ، وبالتالى يورث النفاق عند من يؤمن بالظاهر ويبطن الكفر ، وكيف يرضى رسول أمة أن يقدم على ربه بقوم آمنوا وهم لا يؤمنون ؟ وهذان الركنان لا زمان للمجتمعات والأفراد في شتى بقاع الأرض في أى زمان ومكان ، ذلك أن تبصير الناس بالحقائق والقيم ونتائج الانحراف في السلوك والتمادى في المادية قد يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم . ولو أن من يعقل هذين الركنين يعلمون أن القوم لم يستجيبوا فعليهم - - والأمر كذلك -- ألا يتخلوا عن دعوتهم وإن لم يستجب لهم أحد فقد أدى العلماء ما عليهم . والعلماء رسل استودعهم الله الأمانة بعد الرسل قال تعالى :- ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ

عزيز مصر أن يجعله وزيرا للمالية ومؤهلاته هى : حفظه وعلمه ، ولذا هو جدير بالوزارة من أجلهما ، وهو بالتالى لا يقوم بها إلا لله ، فلم يقل مثلما قال قارون: ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾[1] ، وإنما : قال : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[2] .

والمال لازم لحياة البدن والروح مثل اللغات تماما لتبادل المعرفة والأخبار . وإذا لم يوجه إنفاق المال بحكمة أورد الأفراد والجماعات موارد التهلكة .

سابعاً – بناء الحضارة :-

وقد أشار القرآن إلى ذلك في صناعة السفن والدروع ، وعمارة الأرض وهنا يجب التنبه إلى أن أراضينا العربية والإسلامية الواسعة تصل مساحتها إلى تسعين مليونا من الأفدنة ويمكن أن تعطينا عائدا واضحاً يجعلنا دولة متقدمة تواكب الحضارات ولا تتخلف عن غيرها من الدول التى تتحكم في مصيرنا واستقلالنا .

وقد تعجب إذا علمت أن في العراق اثنى عشر مليونا من الأفدنة ، وفى السودان أربعين مليون " هكتار " – الهكتار عشرة آلاف متر مربع – وكذلك اليمن وسوريا والمغرب ، وكل أجزاء الوطن العربى تحتوى على مساحات واسعة تطلب من يركز فيها دعائم الحياة والمدنية ، لتحل بذلك مشكلات اقتصادية تمزق المجتمع والأفراد ، ولو استغلت هذه الأراضى لما احتجنا إلى دولة أخرى كبرت أو صغرت ، والبصر بالقصة القرآنية يحقق لنا حياة اقتصادية ووحدة

(١) نوح ١٠ .
(٢) القصص ٧٨ .

أفرادا وجماعات طيلة حياته ، حتى غير الأنبياء ممن قص الله علينـــا قصصهم من المؤمنين كانوا يعنون بهذين الركنين الأساســيين " فــذو القرنين " يغير المنكر عمليا بإقامة السد المحكم ليمنع الظلم عمن طلب منه العون ضد الظالمين ، وقد كان ملكا تقيا عادلا ذا سلطان واسع في الشرق والغرب ودليل إيمانه اعترافه بربه في قوله تعالى:- ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾[1] ، وكذلك " لقمان " يبالغ في نصح ولده فــي العقيــدة والسلوك فيقول فيما يحكيه الله عنه :- ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[2] ، ويقول ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[3] .

اقـــــتراح :

عن طريق ألوان العلاج التى ذكرتها في هذا الفصل ، والتــزام أى مجتمع بأفراده بهذه الألوان تتأكد الحضارة الإسلامية ويتجه الناس نحو الروحية الهادفة ، ويتجنبون المادية الطاغيـــة الضـــالة وأرى أن تقوم الهيئات والمؤسسات العلمية الآتية بهذا الدور :-

١- الجامعات على اختلافها باعتبارها تضم الصفوة الممتازة مـــن الأساتذة المتخصصين ، والتي تقوم بالدراسات العلمية النظرية والتطبيقية وتعمل على إيجاد حلول مشاكل الــوطن العربـــى والإسلامى على اختلافها .

---

(١) الكهف ٩٥ .
(٢) لقمان ١٣ .
(٣) نفس السورة ١٧ .

﴿ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١). ولا يظن أن الماديين قد ظفروا بالخير دون غيرهم من المؤمنين : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ ﴾ (٢) ، كما يقول : مخاطبا من يصح أن يوجه إليه الخطاب : ﴿ لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (٣) .

وهكذا فكل مجتمع يعيش في أحضان المادية الإلحادية ، والوثنية الضالة ويتعالى بما أوتى من مال وجاه ، فليس ذلك دليلا على الرضى عن هذا المجتمع ، أو أن عاقبته لا تقل عن عاقبة الآمنين . فالملازمة بين الكفر والمادية ، أو بين الكفر والإيمان غير ضرورية ، وإذا كانت الدنيا هدفا للكافرين فإنها لا تصلح هدفا للمؤمنين . ﴿ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٤).

تفيد الآية الكريمة أنه لولا كراهية أن يكون كل الناس كفاراً لأغرق الله الكفار بالمال وجعل للكافرين بيوتا وسقفا من الذهب والفضة ومتعناهم بالماديات والأموال ، ولكن ليس ذلك بالنسبة للمؤمن ضروريا فهدفه الآخرة لا الدنيا(٥) وما نعرف رسولا ترك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ولكنه يبذل النصح الخالص لقومه

---

(١) الأعراف ١٦٤ .
(٢) الأنفال ٥٩ .
(٣) آل عمران ١٩٦ .
(٤) الزخرف ٣٣ ـ ٣٥ .
(٥) المحرر الوجيز ٥/٥٣ .

الفصل الثاني
شبهات حول القصة القرآنية

الذي يثير شبهات حول القرآن الكريم واحد من اثنين :

الأول : يثير شبهات متعمدة يريد بها النيل من الإسلام في أقدس مقدساته وهو القرآن.

الثاني : يثير شبهات لا تنبعث عن غرض ديني صحيح، ولا يقصد بها الدفاع عن القرآن ، وإنما يبغى الشهرة ولفت الأنظار إليه حيث إنه جاء بما أجمع علماء المسلمين على خلافه...

والأول في قلبه مرض ذلك أنه يريد إطفاء نور الحق، ويحارب الله عن طريق كتابه العزيز الهادي للتي هي أقوم.

والثاني لا يبغى وجه الحق ، وإنما يشترى الدنيا بالدين ، عن طريق المجد الزائف والضلال المبين ، ثم لا يضيره بعد ذلك إشعال الفتنة بين المسلمين ، كما لا يضيره سخط الله وغضبه ، ويصدق فيه قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ** ﴾ (١) .

وأصحاب القلوب السليمة والعقول الراجحة لا تؤثر فيهم هذه الشبهات ، وذلك على عكس ضعاف العقول فإنهم يصغون إليها ويفرحون بها ، ويرددونها ويترتب على ذلك أوخم العواقب – من

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

٢- دور النشر والإعلام باعتبارها تملك وسائل الاتصال بـالأفراد والجماعات وتملك التأثير بالكلمة والصورة ، في عـواطفهم ومشاعرهم ، وتأخذ على عاتقها التنوير ووضوح الرؤية أمام الناس .

٣- وزارتا الثقافة والإرشاد والبحث العلمي ، فـالأولى تحمـل رسالة الثقافة والثانية تعمل علـى إنهـاض المجتمـع وبنـاء حضارته العلمية والتطبيقية .

هذه الهيئات والمؤسسات الثلاث أعتقد أنها تسـتطيع أن تقـوم بدور كبير في توجيه المجتمع نحو القصة القرآنية على أسـاس أنهـا تنطوى على إيجاد الحلول الحقيقية لمشاكله وتقوم بإيجابية نحو بنـاء حضارته وقيمه ومثله العليا ، وتبصر الناس بما يحمله القـرآن مـن قصص هادف ، يشتمل على خصائص أرقى الحضـارات ، ويبـين أسباب بقاء الأمم وأسباب فنائها .

٤- الاهتمام بدراسة القصة القرآنية في ضوء علم الاجتماع الديني والتربوى .

٥- الاهتمام بدراسة القصـة القرآنيـة فـي ضـوء التغيـرات والتطورات الاجتماعية والاقتصادية وغيرها .

٦- دراسة المشكلات الخاصة بالأفراد والجماعـات فـي الـدول العربية والإسلامية خاصة ، ودول العالم كله عامة في ضـوء القصة القرآنية ، مع النظر إلى مبـادئ الإسـلام ورسـالته العالمية لكل البشر ...

التأثير في بعض المسلمين ، فضلاً عن كونها فتحت أبواباً للطعن في القرآن ، ممن يضمرون الكيد للإسلام وأهله.

وقد أطلقت على من خرجوا على الناس بهذه الآراء الشاذة اسم (المدرسة الحديثة للشبهات) .

فقد فرعوا على شبهاتهم تفريعات ، ولهم تلاميذ يدرسون مذاهبهم ويعنون بها ، ويرددونها ، وقد ترسبت في الأذهان بعد طبعها ونشرها على الملايين من الناس ....

وأصحاب هذه المدرسة لا يدركون خطر ما يقولون ، ونتيجة ما ينشرون ، وسبب ذلك تقليد أكثرهم للغربيين ، والرغبة الجامحة في الشهرة على حساب الدين وأعمدة هذه المدرسة ثلاثة :

(١) الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا.

(٢) دكتور طه حسين .

(٣) دكتور محمد أحمد خلف الله .

وتلامذتهم كثيرون .

فالشيخ محمد عبده صرح بأن ظاهر القصة القرآنية غير مراد وأنكر المعجزات ، وأول ظاهر الآيات على خلاف ما أجمع عليه المسلمون ....

وطه حسين أنكر ما أثبتته القصة القرآنية من رحلة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى مكة والدكتور محمد احمد خلف الله قال بعدم لزوم صدق القصة القرآنية وأنها تخضع للقواعد الأدبية الحديثة والحبك الفني ...

التشكيك في النص القرآني من حيث الصدق وعدمه ، وهل هو إلهي أو بشري؟ - إن لم تجد هذه الشبهات ما يدحضها ويفندها ويقضي عليها بالبطلان.

ومن هنا كان الرد على الشبهات واجباً ، حفاظاً على دين الله وأقدس مقدساته وهو القرآن الكريم.

ولو أن هذه الشبهات تثار من أشخاص لا وزن لهم لهان الأمر، ذلك أنهم يفقدون الأتباع والنصراء ، أما والحال أنها تصدر - غالباً - من بعض القادة وأصحاب المدارس الأدبية والدينية ، ولذا يعظم ضررها ويستفحل خطرها ، وتكون أضر على الإنسان من المرض الحسي الذي يصيب الجسم أما الشبهات فإنها تصيب الدين ، وشتان بين مرض جسماني ومرض ديني.

وهؤلاء في إثارتهم للشبهات لا يخلون من ذكاء، فهم يحاولون أن يستدلوا بكلام لغيرهم من كبار العلماء يؤيدون به دعواهم تارة، أو يستدلون بنص ديني يوهمون به الناس أنه يؤيد ما ذهبوا إليه تارة أخرى، ولا يقصدون من وراء ذلك كله خدمة الإسلام ، وبيان حقيقة معدنه الأصيل.

ولا يتبادر إلى الذهن أنني أريد حصر كل ما ورد على القصة القرآنية من شبهات ، فذلك أمر يحتاج إلى بحث على حدة...

وإنما عمدت إلى إيراد بعض شبهات أثيرت حديثاً في عصرنا الحاضر ، وكانت تتسم بطابع الجرأة على كتاب الله مما يخشى منه

الجزء فقرأت فيه ما يفيد أن الشيخ رشيد كان يطلع الأستاذ الإمام على كل ما يكتب في التفسير قبل الطبع أو بعده ، وأنه كان ينقل أهم ما قاله الأستاذ الإمام ثم قال ما نصه : (اقترحت على الأستاذ أن يعيد النظر فيه (يعني الجزء الأول من التفسير) ويزيد فيه ما يسنح له من زيادة أو إيضاح ، ولاسيما ما انتقد عليه إجماله من الكلام في الملائكة والشياطين وتأويل قصة آدم ، فقرأ النصف الأول منه بعد نسخه له، وزاد فيه ما يراه القارئ معزوا إلى خطه ومميزا بوضعه بين علامتين بهذا الشكل [ ] [1].

وبهذا علمت يقينا أن هذا هو رأي الشيخ محمد عبده فعلا وليس منحولاً عليه والمعروف أنه يجعل كلا من الآية والحديث متفقا مع أفكاره ، فهو يحتج بالحديث الضعيف الذي يشايع رأيه ، ويرفض الحديث الصحيح أو يؤوله تأويلا بعيداً إن كان يخالفه في الرأي.

وهو متأثر بالمعتزلة في التمسك بالعقل وتأويل بما يتعارض مع ظاهره النص ، وقد شجعوا بذلك الناس على الطعن في نصوص القرآن والحديث حتى ضعفت ثقة العامة فيهما ، وأنكر الناس منهما الكثير.

ودعوى الأستاذ الإمام بأن مذهب السلف التفويض مسلم، لكن ذلك فيما يتعلق بصفات الله كالكلام والسمع والبصر وغيرها...

أما مذهبهم جميعاً في قصة آدم وغيرها من قصص القرآن فقد كانوا يؤمنون بها وبما جاء فيها، من وجود الملائكة والكتب والرسل،

---

(١) جـ١ ، ص ١٦.

تعجب إذا علمت أنهم مصرون على آرائهم ولم يعودوا إلى الصواب ، وقد أفحمهم العلماء في ردودهم عليهم بالحجة والبرهان.

ويمكن إجمال هذه الشبهات في اتجاهات ثلاثة :

الاتجاه الأول : شبهات تتعلق بالقصة القرآنية بزعم أنها سيقت على سبيل التمثيل والتخييل.

الاتجاه الثاني : شبهات تتعلق بالقصة القرآنية بزعم أن لها وجودا في الخارج أو ليس لها وجود فيه. بمعنى هل هي صادقة أو غير صادقة.

الاتجاه الثالث : شبهات تتعلق بالقصة القرآنية من حيث المصدر الذي اعتمدت عليه.

وقد آثرت الرد على أصحاب هذه المذاهب ، ورأيت ذلك ضرورياً دفاعاً عن القرآن وخدمة للحقيقة؛ كي لا يغتر بهذه الشبهات من لا يملكون الرد عليها بالبرهان والنقد العلمي ....

مع الشيخ محمد عبده

من الأخطاء التي يرفضها العقل والنقل ، ما ادعاه الشيخ محمد عبده في قصة آدم – عليه السلام – بأنها لم تقع كما قصها الله علينا في القرآن ، وإنما هي تمثيل وتخييل.

وقد عجبت من قول الأستاذ الإمام لهذا الكلام – وظننت وأنا أتابع الإلحاح عليه في الجزء الأول من تفسير المنار أن ذلك لا يمكن أن يكون من كلامه بل هو منحول عليه ، فرجعت إلى مقدمة هذا

النتق: الزعزعة والهز ، وقد يكون ذلك زلـزالا ، ويـرى أن الطور قد رفع فعلا ، وانتزع من الأرض ، وصار معلقاً فـي الهـواء فوق القوم [1].

ولست أدرى كيف يصرح بهذا ، ثم ينكر الملائكـة ويـؤولهم بالقوى والأرواح ، وينسى أن ذلك قول يتعارض مع اصطفاء الله منهم رسلاً . كما نص على ذلك قوله عز وجـل : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [2] كما يتعارض مع وصف جبريل عليه السلام بأنـه ذو قوة ، في قوله عز وجل : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [3] فهل القوة توصف بالقوة والكرم والمُكْنة والأمانة أم ماذا ؟

وقد نص القرآن على أن الملائكة يدخلون علـى النـاس، فقـد دخلوا على إبراهيم ، ولوط – عليهما السلام – وظهروا لهما فى صور بشرية ، غير صورهم الأصلية ثم كيـف يوصـفون بـأنهم: ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾ [4] – ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ [5] و﴿ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [6] وأنهم ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ﴾ [7]

---

(١) المنار جـ٩ ص ٣٨٥ .
(٢) سورة الحج آية ٧٥ .
(٣) سورة التكوير آية ١٩ – ٢١ .
(٤) سورة الأنبياء آية ٢٦
(٥) سورة النساء آية١٦٦ .
(٦) سورة النساء آية ١٧٢ .
(٧) سورة الشورى آية ٥.

وتكليم الله لآدم ، والملائكة وإبليس ، وتكليمه – سبحانه – لإبراهيم في قصة إحياء الطير ، وموسى الذي كلمه ربنا بنص القرآن.

أما تأويل النصوص،ودعوى أنها تمثيل ، فذلك لا يعرف للسلف أو الخلف اللهم إلا آراء شاذة ، لبعض أفراد لا وزن لهم في الدراسة والبحث والمسلمون –اليوم– يؤمنون بأن قصص القرآن حق وقد وقع، كما أخبر به الله ، وإلا كان كذبا ينزه القرآن عنه.

والتفسير الذي ذهب إليه الأستاذ الإمام قد هز قلوب المسلمين، وفتح بابا أمام ذوى النفوس المريضة ، أدى إلى ضياع قدسية النص القرآني وهيبته عندهم.

وما يقال في القصص يقال في غيره من آي القرآن الأخرى في التوحيد ، والبعث ، والأحكام ، والأخلاق ، وبهذا يكون الدين كله وهما لا حقيقة له ، وأخوف ما نخافه زلة العالَم بزلة العالِم...

ومن عجب أن الأستاذ الإمام يقول مرة بما قاله المفسرون في الملائكة ، وفي أخرى يؤول وجودهم بما ذهب إليه ، كما تراه يذهب تارة مذهب التأويل ، ويلح عليه ، وأخرى يؤكد القول بأن التزام النص القرآني واجب.

نرى ذلك في قوله تعالى:﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾[١]يقول ما نصه :

"لا حاجة لنا في فهم كتاب الله ، إلى غير ما يدل عليه بأسلوبه الفصيح فهو لا يحتاج في فهمه إلى إضافات ، ولا ملحقات" . ويقول سبحانه : ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ .[٢]

(١) سورة النساء آية ١٥٤ .
(٢) سورة النساء آية ١٥٤ .

فهو أولا يمهد للقصة ثم يقول: إن ذكر القرآن للقصة على نحو ما ذكره أهل الكتاب ، مع أن ذلك خطأ ففيها تباين كبير [1] ويقول:- قد مثل الله المعاني ، في صور محسوسة ، وأبرز الحكم والأسرار ، بأسلوب المناظرة والحوار ، كما هي سنته في مخاطبة الخلق.

يقول الشيخ رشيد : وقد ذهب الأستاذ إلى أن هذه الآيات من المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها" وعلل ذلك بقوله : "لأنها بحسب قانون التخاطب إما استشارة ، وذلك محال على الله ، وإما إخبار منه – سبحانه – للملائكة واعتراض منهم ، ومحاجة وجدال، وذلك لا يليق بالله تعالى أيضاً ولا بملائكته ، ولا يجامع ما جاء به الدين ، من وصف الملائكة ككونهم: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [2].

وبهذا النص يتضح رأى آخر في حقيقة الملائكة ارتآه الشيخ رشيد غير ما يراه الأستاذ الإمام.

وقد ذكر الشيخ رشيد أن الأستاذ ذكر مقدمة تمهيدية لفهم القصة، وشرح مذهب السلف والخلف ، في المتشابهات ، وقال: وأنا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض ، فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته وعالم الغيب " [3]

---

(١) انظر الرسالة ص١٩٢ الفصل الخامس بالكتب السابقة .
(٢) المنار جـ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ وسورة التحريم آية ٦ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٥٢ .

ثم يقال: إنهم قوى لا غير تخضع للإنسان – وقد أسهب القرآن فى وصفهم فقد ذكر – فضلا عما قلت – أنهم يتوفون الناس: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ﴾ (١)

وأنهم: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ (٢) وأنهم: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ . (٣)

ثم لماذا إنكارهم؟ فهل قدرة الله عاجزة عن إيجادهم؟ حتى يؤول القول فيهم حسب الأهواء؟ الحق أن ذلك إسراف فى التأويل.

ثم أليس وصفهم فى القرآن وصف العقلاء ؟ وقد وصف الله من أنكرهم بأنه قد ضل ضلالا بعيداً ، فقال: "﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ (٤) ولذلك فالإيمان بهم من أركان الإسلام.

استمع إلى الأستاذ الإمام بعد أن تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . الآيات إلى قوله عز وجل: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة النحل آية ٢٨ .
(٢) سورة النحل آية ٥٠ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٧ .
(٤) سورة النساء آية ١٣٦.
(٥) سورة البقرة آية ٣٠ .

مخصوص ، بنوع من المخلوقات لا يتعداه ، ثم خلـــق الله بعـــد ذلـــك الإنسان ، وأعطاه قوة التصرف ، وسخر له الأرض ، "وعبـــر عـــن تسخير هذه القوى له بالسجود ، الذي يفيد معنى الخضوع والتســـخير". وجعل الإنسان بهذا الاستعداد خليفة الله ،واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة ، عبر عنها بإبليس ، وهي القوة التي لزها الله بهذا العالم لزا[1]، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ، أو بالكامل إلى النقص" الخ ما قال.

وفى خاتمة المطاف يشير وكأنه متردد فيما ذهب إليه فيقـــول: "ولو أن نَفْساً مالت ، إلى قبول هذا التأويل ، لم تجد فى الدين ما يمنعها من ذلك"[2] .

أقول: إن فى هذا الكلام خلطا لا نقره من حيث نسبة هذا الرأي إلى الخلف وبالتالي تفسير الملائكة بما ذهب إليه ، وذلك يخـــالف رأي الشيخ رشيد المذكور آنفاً ، وكذلك يخالف رأي الأستاذ الإمام نفسه عن الملائكة فى مواضع مختلفة من تفسيره كما سنرى فى نهاية الحـــديث عنه والأستاذ الإمام لم يعترض على قائل هذا الرأي بل كـــلام الشـــيخ رشيد يفيد أنه رأي يدافع عنه الأستاذ الإمام ، ويعني به إقناع منكـــري الملائكة بوجودهم ، بتعبير مألوف عندهم ، وقد اهتدى بـــه كثيـــرون وضل آخرون.

تأمل كيف يعتبر المؤمن الحقيقي ضالا ؛ لأنه لم يقتنـــع بهـــذا الرأي المخالف لظاهر القرآن والسنة ، وما أجمع عليه المسلمون مـــع

(١) تقول : لزه لزا بمعنى: ألصقه به وألزمه القاموس المحيط.
(٢) المنار جـ١ ص ٢٥٥ ، ٢٦٩ .

والشيخ رشيد لم يذكر نص ما قاله الأستاذ الإمام فهو يحكي عنه بقوله : "فقال ما مثاله "أكثر من مرة"[1] وقد ذكر أن مذهب السلف فى الملائكة أنهم خلق من خلق الله يقومون بأعمال خاصة بهم ، ويجب علينا الإيمان بهم ، ولسنا مكلفين بمعرفة حقيقتهم فيفوض علم ذلك إلى الله ، ونستدل بذكرهم فى القرآن ، على أن فى الكون عالما آخر ، ألطف من هذا العالم المحسوس ، وأن له علاقة بنظامه ، وأحكامه، والعقل لا يحكم باستحالة هذا بل يحكم بإمكانه لذاته ، ويحكم بصدق الوحي الذي أخبر به".

ويقول الأستاذ الإمام : والتكليف بجوهرهم من باب تكليف مالا يطاق، والقلة من الناس الذين وقفوا على أسرارهم ، وذلك من فضل الله عليهم ، وفضله يؤتيه من يشاء[2].

وماتقدم هو خلاصة مذهب السلف ، وعقب الشيخ رشيد بأنه على مذهبهم ، وكذلك الأستاذ الإمام منهم.

أما عن الخلف فقد قال الإمام عنهم : "إن القصة على مذهبهم وردت مورد التمثيل ، لتقرب إلى الأفهام ما يفيد من حال النشأة الآدمية قال نصاً :

"والقصة على مذهبهم ، وردت مورد التمثيل". ولست أعلم أحدا قال بهذا الرأي ومراده أن الله خلق الأرض ، ودبرها بالقوى الروحانية، التي بها قوامها ونظامها ، وكل صنف من هذه القوى

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٢ ، ٢٥٤ .
(٢) المنار ص ٢٥٤ .

أخذ فى النهاية يقرر التمثيل فى القصة على مذهب الخلف بما لا داعي إلى تفصيله[1].

ولما كانت القصة في رأيه تمثيلاً صح أن يراد بالجنة الراحة والنعيم ، كما صح ألا يراد بآدم الذات الآدمية المشخصة بهذا الاسم، والتي هي أول البشر ، وإنما المراد بآدم نوع الإنسان ويراد بالشجرة أيضاً معنى الشر والمخالفة ، ويصح أن يكون المراد من ذكر الزوج التنبيه على بيان أن استعداد المرأة كاستعداد الرجل[2] إلى غير ذلك من التأويلات في القصة الكريمة بما لا يرضى الله ، ولا رسوله، ولا الأمة الإسلامية كلها.

حتى في عصمة آدم يرى أن مذهب السلف يجعل العصيان والتوبة من المتشابه ، كسائر ما ورد في القصة مما لا يؤخذ من الظاهر يقول ما نصه : "فإن جعلنا الكلام كله تمثيلاً فحديث الإخلال بالعصمة مما لا يمر بذهن العاقل ، وهذا يبين رأيه في معصية آدم أنها لم تكن فالحكاية تمثيل. [3]

وأرى أن الشيخ أقحم السلف والخلف في الآيات تأييدا لمذهبه في الجرأة على كتاب الله ، فلم يقل السلف أو الخلف ما قاله الأستاذ الإمام فيما أعلم.

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٢ .
(٣) المنار ص ٢٨٠ .

أن العكس هو الصحيح . فالذي يؤمن بهذا الرأي هو الضـــال، وأمـــا غيره فعلى هدى وبصيرة من أمره.

ومن عجب أن الأستاذ الإمام يرد على معارضـــية فـــى أربـــع صفحات ونصف وينقل الشيخ رشيد الجواب بنصه ، وفيـــه ســـخرية واستهزاء ، بمن لا يذهبون مذهبه من أن الروح قوة ، والقوة روحـــاً، والقصة تمثيل ، ولم يقع ما حكى فيها ويقول : إن من لا يؤمن بـــذلك فهو مقلد ليست عنده سكينة ولا اطمئنان ، وأن النور الإلهي لم يشرق في نفوسهم ، وأن من يؤمن برأي الشيخ أعلا إيماناً من غيره، وأنه من دينه فى ثقة ومن فضل ربه فى سعة[1] .

والشيخ رشيد يعقب على رده فى نحو صفحتين فيؤيده وينكـــر على عباد الألفاظ فهمهم ، مع أنه فى صدر الكلام قال: أنـــا والأســـتاذ الإمام مع السلف ويقول :- "فعلمنا أن السلف والخلف ، متفقون علـــى تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، من شـــئون المخلـــوقين ، وعصـــمة ملائكته، عما لا يليق بهم من الاعتراض ، أو الإنكار ، فلا فرق فـــى هذه النتيجة بين تفويض وتسليم ، وتأويل وتفهـــيم ، والله بكـــل شـــيء عليم"[2] .

ويقول فى موقف آخر: وأما تمثيل الآيات على طريقة الخلـــف فى التمثيل: إن القرآن كثيرا ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصـــيغة السؤال والجواب أو بأسلوب الحكاية لما فى ذلك من البيان والتأثير. ثم

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٧ .

لسان الشرع ملكاً"[١] . ويبدو من هذا الكلام أن هذا الرأي ليس رأياً للشيخ محمد عبده أو السيد رشيد رضا ، وإنما هو رأي لبعض المفسرين ونحن نتساءل أين هؤلاء الذين قالوا بهذا الرأي ؟؟!

ولعل الأستاذ الإمام يميل إليه فيقول: "يشعر كل من فكر في نفسه ووازن بين خواطره عندما يهم بأمر فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى ، فهذا يورد ، وذاك يدفع ، واحد يقول: افعل وآخر يقول: لا تفعل حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين فهذا الشيء الذي أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكرا ، وهو في الحقيقة معنى لا يُدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها ، لا يبعد أن يسميه الله تعالى ملكاً ، أو يسمى أسبابه ملائكة ، أو ما شاء من الأسماء؛ فإن التسمية لا حجر فيها على الناس فكيف يُحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة، والسلطان النافذ والعلم الواسع"[٢] وهذا النص خطأ صريح ومناقضة واضحة لحديث القرآن ، والسنة ، عن الملائكة المكرمين ، وما وكلوا به من أعمال والشيخ رشيد يقلد الإمام ، ويناقش نفسه فيقول: فإذا صح الجرى على هذا التفسير فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية تؤيد هذا الرأى. والقول بأن القصة القرآنية تمثيل يترتب عليه ما يلي:

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
(٢) المنار ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

وتحت قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ الآيات إلى قوله :
﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1] يكرر أن القصة تمثيل[2] ويعقب على الآيات بقوله : "وقد علم مما تقدم أن كل هذه الأقوال ، والمراجعات ، والمناظرات ، يفوض السلف الأمر إلى الله تعالى في معرفة حقيقتها ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها ، وقد تقدم بيان ذلك ، وأما الخلف فيلجأون إلى التأويل ، وأمثل طرقه في هذا المقام التمثيل ، وقد مضت سنة الله في كتابه بأنه يبرز لنا الأشياء المعنوية في قوالب العبارة اللفظية ، ويجلي لنا المعارف المعقولة بالصور المحسوسة تقريباً للأفهام وتسهيلاً للإعلام.[3]

ويكرر حكاية التمثيل ، وينقل الشيخ رشيد عنه بأن بعض المفسرين ذهب مذهباً آخر في فهم معنى الملائكة ، وهو أن مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلقة حيوان وحفظ إنسان ، وغير ذلك فيه إيحاء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة ، وهو أن هذا النحو في النبات لم يكن إلا بروح خاص نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص، تمت به الحكمة الإلهية في إيجاده ، فإنما قوامه بروح إلهي سمى في

(١) سورة البقرة آية ٣١ ــ ٣٣ .
(٢) المنار ص ٢٦٣
(٣) المنار ص ٢٦٤ .

منه أو لم يتكرر وأكاد أجزم بأن المتشابه في القرآن لا يكون في غير صفات الله عز وجل ، وعلى ذلك فقصة آدم لا يصح القول فيها بأنها من المتشابه ، والأدهى أن يتدرج القول بعد هذا الحكم إلى أنها تمثيل لم تقع في الخارج...

ثانياً : هذا الرأى فيه مناقضة صريحة لكتاب الله الذي سمى القصة نبأ ، والنبأ : هو الخبر الذي له شأن ، والذى قال عنها: إنها حق، وفى قصة آدم بالذات عقب الله عليها بقوله: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾(1). والحق: هو الأمر الثابت الذي لا يتطرق إليه شك قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ﴾ (2) وسواء أعدت الضمير على السورة مجتمعة أو على القصص وحدها، فالمآل واحد فالقصص جزء من السورة الكريمة ، وما ثبت لهذه السورة يثبت لغيرها من السور ، من حيث إنه خبر حق لا محل لتأويله ثم كيف يثبت الله فؤاد رسوله بكلام متخيل تمثيلي وغير واقع في الخارج ؟

ويمكن الرد عليه وعلى تلميذه ، ومن على شاكلتهم فيما يلي:

١- هذا التفسير يخالف ما أجمع عليه المسلمون قديماً وحديثاً.

٢- الزعم بأن هذا التفسير يتقرب به إلى الأفهام لنؤمن بعالم الغيب أمر لا يرضى الله ورسوله ، باعتباره يخالف نصوص القرآن،

---

(١) ص ٨٤ .
(٢) هود ١٢٠ .

أولاً : في هذا الرأي صرف للكلام عن ظاهره ، مع أن الأصل حمل الكلام على الظاهر ، فإذا تجاوزنا فيلزم القرينة والعلاقة المانعة من إرادة المعنى الأصلى ..

ولو جرينا وراء القول بالتمثيل في القصة القرآنية ، وقلنا بأن قصة آدم وتعليمه الأسماء ، وما كان من أمر الله لآدم ، ومن أمر الله لملائكته ، بل الملائكة أنفسهم ، والشجرة التي أكل منها آدم ، ثم إبليس والجنة والنار ، وغير ذلك تمثيل ، لضاعت كثير من حقائق القرآن، ثم ما المانع أن تكون القصة حقيقية ويؤخذ بظاهر النص مادامت الحقيقة غير متعذرة ، والمسلمون قد أجمعوا على حقيقتها سلفاً وخلفاً ولم يشذ منهم أحد ؟ ولماذا هذه الجرءة على كتاب الله والمجازفة برأى أصاب أكباد المسلمين ؟

وإذا كان الأستاذ الإمام يرى أن القصة من المتشابهات فنحن نرد عليه ومن الذي قال: إن القصص القرآني من المتشابه ؟ وكيف يكون الخبر الذي قصه الله علينا متشابها ، والعقل والشرع يقران بوقوعه في الخارج صراحة ، ثم هل المتشابه من التمثيل ؟ المعروف أن المتشابه هو: ما عجز العقل عن إدراك المعنى المراد منه، لخفائه أو هو: ما يحتمل أكثر من معنى ، وذلك بخلاف المحكم الذي لا يحتمل إلا معنى واحداً ، وكل قصة في القرآن من المحكم الذي لا لبس فيه ، كما أنه ليس في مجموع أي قصة من قصص القرآن قرينة مانعة من إرادة الحقيقة والواقع ، ولم يقل أحد من العلماء قديماً أو حديثاً غير الشيخ محمد عبده ، وتلميذه بأن القصص من المتشابه ، سواء ما تكرر

ويهمنا من هذه النصوص إثبات رأي الأستاذ الإمام في أحد مؤلفاته التي كتبها بنفسه وأسلوبه وتحت مسئوليته ، وهذا يجعلنا نتشكك فيما نسب إليه من تفسيره للملائكة في قصة آدم – عليه السلام– وخاصة إذا علمنا أن تفسيره لجزء عم كان في أخريات حياته، فقد فرغ من كتابته في جنيف في يوم الأحد الموافق ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٠٣ الساعة السادسة والنصف بعد الظهر وتوفى عام ١٩٠٥[(١)].

والظاهر أن للأستاذ الإمام "رأيين في الملائكة ، فهم في قصة آدم حكاية تمثيل ، وأنهم كناية عن تسخير المخلوقات للإنسان ، وفي غير هذا الموضع يتفق مع ما قاله المفسرون وعلماء الأمة ، ولسنا ندري هل الأستاذ الإمام كان مصراً على رأيه حتى لقي ربه ، أم صرح بغير ذلك؟

كتاب "الفن القصصي" ومؤلفه :

إستناداً إلى أدلة خاطئة ، واعتمادا على أفكار مسبقة ، كتب محمد أحمد خلف الله رسالة بعنوان "الفن القصصي في القرآن"[(٢)] وقدمها إلى كلية الآداب جامعة القاهرة ليكون بها دكتورا.

وقد قرأت الرسالة من أولها إلى آخرها بإمعان ، فلم أجد نفسي متفقاً معه لا فى العنوان ولا فى الموضوع ...

(١) آخر صفحة من تفسير جزء عم .
(٢) انظر كتاب الفن القصصي الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٥ مكتبة الإنجلو المصرية .

وصريح السنة ، وإجماع الأمة. والواجب أن يكون معتقد الناس تابعاً للكتاب والسنة ، وليس العكس .

٣- الرأي في الملائكة في سور النبأ ، والانفطار ، والقدر ، من تفسير الأستاذ الإمام يخالف ما نقل عنه هنا في تفسيرهم.

وفى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ (١) قال عن الملائكة: إنهم "من مخلوقات الله المغيبة عنا ، التي لا نكلف بالبحث عن حقائقها ، وقيامها ، واصطفائها على النحو الذي يليق بها" (٢)

وفى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ *كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٣) يقول (ومن الغيب الذي يجب علينا الإيمان به ، ما أنبأ نابه في كتابه ، من أن علينا حفظة ، يكتبون أعمالنا ، حسنات وسيئات الخ ما قال". (٤)

وفى قوله : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ (٥) يقول : "يخبر - جل شأنه - أن أول عهد النبي (ﷺ) بشهود الملائكة كان في تلك الليلة ، تنزلت من عالمها الروحاني ، الذي لا يحده حد ، ولا يحبط به مقدار، حتى تمثلت لبصره (ﷺ)(٦) .

---

(١) سورة عم آية ٣٨ .
(٢) تفسير جزء عم ص ٩٩ .
(٣) الانفطار آية ١٠ ـ ١٢ .
(٤) تفسير جزء عم ص ٢٩ .
(٥) سورة القدر آية ٤ .
(٦) تفسير جزء عم ص ٩٩ .

ثلاث طبعات ، ونشر على نطاق واسع ، والمؤلف مصر على رأيه، غير عابئ بخطئه ، وبالتالي قد أعيد الكلام عنه فى هذه الأيام ، فتوفيق الحكيم أخرج كتاباً فى جمادى الأولى سنة ١٣٩٠هـ بعنوان :

"قلت ذات يوم" وصدره بثماني عشرة صفحة ، يؤيد بها صاحب الرسالة ويذكر جزءاً مما دار حولها من اعتراضات.. وتأثر به كتاب آخرون حتى أعلن بعضهم أفكاراً من جنس ما ذهب إليه المؤلف فى مجلة الرسالة(١).

وأخشى كما يخشى كل مسلم غيور ، أن تثقل كفة هؤلاء ، ومن شايعهم ، فيتأثر بعض الشباب بآرائهم وأفكارهم ، عن طريق اللعب بعواطفهم، والنيل من كتاب الله. وليس من حقهم أن يستقلوا بهذا المجال وحدهم بل من حقنا أن نشاركهم فيه ، وحرام علينا أن نصمت فنحن أصحاب حق بقرآننا ودراساتنا له.

وإذا كان إسلامنا لا يبيح لنا السكوت على الصغائر فكيف نسكت على أكبر الكبائر؟ وهو القول الباطل فى القرآن بدون خجل وبدون برهان.

ظروف الرسالة

فى الوقت الذي ألفت فيه هذه الرسالة كانت ثقافة مصر تتجه إلى رفع قدر من يفد إليها بالثقافة الغربية ، أو يخرج على الناس برأي لم يعهدوه من قبل ، وقد سلك كلا الطريقين كثيرون ، حتى نادى بعضهم علنا بإيثار العقلية الأوربية على العقلية العربية والإسلامية ،

---

(١) عدد ١٠٨٩ .

فمن حيث العنوان فقد أطلق المؤلف كلمة الفن علـــى قصـــص القرآن مع أن الفن: تأليف كلام من هنا وهناك صدقا أو كذباً ، ومـــن الجرءة على الدين إطلاق هذه الكلمة على قصص القرآن ، وكان مـــن الممكن التجاوز عن كلمة الفن ، لولا أن موضوع الرسالة قد دار حول فنية القصة بالمفهوم الذي ذكرت ، وهذا يؤيد أن إطلاق هـــذه الكلمـــة بهذا المعنى غير محمود .

وقبل الخوض فى التفاصيل أقول :

الرسالة ثلاثة أقسام :

(١) مقدمة للمشرف على الرسالة .

(٢) كلمة لتوفيق الحكيم يؤيد بها صاحب الرسالة .

(٣) نص الرسالة وجوهرها .

وللرد يلزم: أولاً : الرد على المشرف .

وثانياً : الرد على توفيق الحكيم .

وثالثاً : الرد على الرسالة ذاتها .

والموضوع – كما ترى – غير عادى إذ هـــو يتعلـــق بـــرأس الإسلام كله ، وهو القرآن الكريم ، وكل من توفيق الحكيم ، وصاحب الرسالة قد خاض فيما ليس له أن يخوض فيـــه ، ولـــيس ذلـــك مـــن تخصصهما، وسنرى أن الدراسات الغربية قد أثرت فى الكاتبين تأثيراً كبيراً ، فكل منهما يحاول تطبيق المناهج البشرية على المنهج الإلهي.

وما كنت أود الخوض فى هذا الموضوع ، وخاصة أن الكتـــاب قد ألف منذ مدة وكانت الطبعة الأولى منه ســـنة ١٩٥٣ ولكنـــه طبـــع

أفكاراً كهذه هي أقرب طريق إلى الشهرة ، فخرج على الناس برسالته التي تمثل أربعين وثلاثمائة صفحة ، وكان لها وقع الصاعقة على المتدينين، حتى طالب بعضهم بحرق الرسالة أمام الأساتذة والطلبة، وطالب آخرون بفصل الطالب من الجامعة ، وعلا صوت فريق ثالث بارتداد صاحبها عن الإسلام ، وعليه أن يعلن العودة إليه ، ويجدد عقد زواجه إن كان متزوجاً[1] وكل ذلك غيرة منهم على الدين ، ورغبة فى الحفاظ على مقدسات الإسلام ، التي يمثلها كتابه الخالد ، والإسلام دين الفطرة ، والفطرة لا تقر كذب الخبر لأن الكذب نقص ، والنقص على الله تعالى محال.

وقد رأينا التقليد للغربيين من جهة ، وبغية الشهرة من جهة أخرى هما الأساس فى نشر هذه الأفكار على الناس.

كما استهوى الشرقيين ما سمعوه من الغربيين من الجرءة على القرآن والسنة ، فهذا مطران انجليزي ينكر المعجزات ، ويقول: إن قصة موسى فى سورة الكهف لا تعتمد على أصل واقعي من الحياة ، بل هي ابتدعت على غير أساس من التاريخ ، ويقول آخر فى حديث رسول الله (ﷺ): إنه غير متواتر فلا يلزم العمل به ، وقد اندفعوا بعد ذلك إلى القول بأن القصة القرآنية عموماً غير واقعية ، ولو كان القرآن من عند الله ، فليس بلازم صحة ما يقع فيها ، كما لا يلزم أن يعني القرآن بالواقع التاريخي ، وبعضهم يرى أنه من عمل محمد، صاغه بأفكاره وموهبته الفنية.

---

(١) انظر موقف العقل صفحة ٣٠٧.

وليس لذلك من سبب إلا أنها خلعت ربقة الدين ، والخلق ، ولا تـؤمن بغير المحسوس ، فانطلقت تهدف إلى الأرض وحدها، ولا تتطلع إلـى السماء ، لأن التطلع إلى السماء كفيل بإفساد الحياة، بل أكثر من هـذا كانت تكتب الرسائل من أوربا وترسل إلى مصر لهذا الغرض وتنـال إحداها الجائزة الأولى فى لجنة المباراة الصحفية تحت عنـوان "عـدة النجاح لرجل القرن العشرين"(١) . ويخرج رجل على النـاس بكتـاب ينشره تحت عنوان "لماذا أنا ملحد"؟ (٢).

وثالث يدعى أن كل ما ذكر فى القرآن من قصـص الأنبيـاء وغيرهم إنما هو خيال وتمثيل ، لا حقيقة له. ويقول: "ليس فى القـرآن ما يدل على أن حوادث هذه القصص تلتئم مع الواقـع الفعلـي، أو لا تلتئم، وأنها صادقة ، والمقصود منها سرد فكرة فقط"(٣) وقد فتح الباب لهؤلاء من أنكروا رحلة سيدنا إبراهيم ، وسيدنا إسماعيل عليهما السلام إلى الحجاز .

وقد أقبل على هذه الفكرة عدد كبير من الناس ، لكن الأزهر فى ذلك الوقت كون لجنة فندت هذه الأفكار الباطلة، ونصت فى تقريرهـا على أنها إلحاد فى الدين ، وتقليد للمستشرقين ، وأنها تخالف صـريح القرآن ، كما تخالف العقل السليم.

لكن أصحاب هذه الآراء قد نالوا شهرة ، وعرفوا عن طريقهـا بين الأوساط العلمية وغيرها ، وقد رأى مؤلف الفـن القصصـي أن

---

(١) موقف العقل للشيخ مصطفى صبري صفحة ١٥٨ جزء (١) .
(٢) موقف العقل صفحة ١٢٢ عن إسماعيل أدهم صاحب الكتاب المذكور .
(٣) انظر كتاب الفرقان لابن الخطيب طبعة ١٣٦٧ هـ الموافق ١٩٤٧م.

إن كان يقصد خدمة الإسلام فإن خدمتــه لا تكــون بالــدعاوى الباطلة ضده ، وسنبين منشأ الخطأ فى دعواه كقوله : "إن كل شىء فى القرآن لا يقتضى صحته".

وإن كان يقصد الشهرة والصيت فليكن ذلك بعيداً عن الإســلام، الذي هو أعز على المسلمين من كل ما يملكون ، وليكن الضرر عليــه وحده دون سواه ، والحق أنه يريد أن ينقض عــرى الإســلام عــروة عروة ، بما سطره فى رسالته ، وعلى ذلك يكون المقابل هو المــراد له، والشهرة على حساب الدين خطر على المسلمين ، أما الــدين فــلا ينال منه أحد : ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾ (١)

وإن كان يبغى التحقيق العلمي ، فللتحقيق العلمي منــاهج فــى مقدمتها الالتزام بنصوص القرآن ، ونصوص السنة ، وما أجمع عليــه المسلمون .

ولئن قال قائل : إن حرية القول مكفولة ، ولا حجر على عقيدة أحد أو فكره ، فلا يصح القول بأن تجــرى أقلامهــم بهــذه الأفكــار المسمومة وتنشر على الناس ، والقضية هنا ليست اجتهادية فلا اجتهاد مع النص...

والنص القرآني يبطل ما ادعاه زوراً على القرآن كما ســنرى بعد قليل.

ولو أن القرآن للعظة والعبرة فقط ، دون أن يلتزم الصدق كمــا قال لا استخدم آيات فى الترغيب والترهيب دون تعرض للقصص، مع

---

(١) سورة التوبة آية ٣٢.

وهؤلاء وأمثالهم لا يعنيهم غير الشـــهرة ، أو التعــاطف مــع الآخرين على حساب الدين ، سواء آمن الناس بما يقولون أم لم يؤمنوا، والمهم أن تتحقق النتيجة المبتغاة – وقــد تحققــت – ووصـــلوا إلـــى أغراضهم ، وعرفهم الخاصة والعامة ، عن طريـــق جـــرءتهم علـــى الكتاب والسنة ، وضرب هذا الدين من أساسه ، والعمل على استئصال جذوره، رغبة فى تحقيق هذه الشهوة النفسية ، مع أن الإيمان بـــالقرآن والسنة أصل لعقيدة الإسلام ، الذى لا يقبل الله دينا سواه ، وقد وصـــل إلينا عن طريق التواتر القطعي ، الذي يمنع العقل اشتماله على الكذب، وقد أقر القرآن بالسنة ، ولهذا يكفر من جحد بأحدهما أو بكليهما.

ومن دراسة هذا العصر ترى أن الشهرة السريعة مرتبطة برقة الدين وانكسار ما اتفق عليه علماء المسلمين..

ومن عجب أن الملحد لا يعدم من يؤيده ، ويدافع عنه بقلمـــه أو لسانه ، أو بهما معاً.

ولولا أن قيض الله لهؤلاء المارقين رجالا يذودون عـــن حمـــى الإسلام ، لسممت هذه الأفكار عقول وقلـــوب المســـلمين ، ولا يـــزال بعض الناس إلى اليوم يعاني من أثرها ، ذلك أنهـــا حـــرب معنويـــة تصيب النفوس أكثر مما تفعله الحرب المادية ..

ونحن نسأل الأستاذ خلف الله ما الهدف من الرسالة ؟ وما الغاية التي يريد الوصول إليها ؟ هل يقصد خدمة الإسلام ، أم يبغي الشـــهرة على حسابه ، أم يبغي تحقيقاً علمياً فى موضوع خاص؟

ويضيف ما نصه :

"نقول بأن عرض القرآن لأحداثه القصصية ليس إلا العرض الأدبي العاطفي ، ليس إلا العرض الفني ، وإن القصص القرآني فني"[1].

ويزعم أن ذلك ناشئ من استعمالات اللغة العربية ، وتنوع أساليبها فيقول : "إن المسألة فى القصة القرآنية ، هي بعينها مسائل الصور البيانية ، من مجاز وتشبيه ، واستعارة وكناية الخ ، وإنها من هنا لا توصف لا بتصديق ولا بتكذيب ، وإنما هي العرض الأدبي، الذي يهز العاطفة ، ويستثير الوجدان"[2] .

ب- القرآن اشتمل على أساطير ...

ويقول هنا: إن أحدا من المفسرين لم يقل بذلك ، بل تراهم ينفرون من ذكر هذا اللفظ ونسبته إلى القرآن [3] . ثم يتصيد مزاعم لغيره يحاول أن يؤيد بها دعواه ، ويعقب عليها بقوله الجرئ على نص القصة القرآنية وهيكلها فى كتاب الله يقول :

"لو كان أسطورة من الأساطير ، فإن ذلك لا يقدح فى حق القرآن الكريم" [4] ...

ثم يذكر الآيات المتعلقة بالأساطير ومما يقوله تعقيباً عليها:

---

(١) الفن القصصي ص ١٢٨ .
(٢) الفن القصصي ص ١٣٨ .
(٣) الفن القصصي ص ١٧٢ .
(٤) الفن القصصي ص ١٧٣ .

أننا لا ننكر أنها للعظة والعبرة ، ولكنها العظة والعبرة المنبثقة عن آيات القرآن التي تطابق الواقع الخارجي ، وهي لا تؤثر إلا عن طريق واقعيتها ، أما مجرد الكلام فلا يؤدى ما أمر به من أحكام ، وخاصة إذا كانت خيالية كما قالوا ، بل تضيع الثقة منها كلية إذا قال الله تعالى إنها واقعية وهي فى حقيقة الأمر غير ذلك ، وإن من يحترم نفسه لا يدعى هذا التناقض.

وبقراءة رسالة المؤلف رأيت قدرته على التعبير الملتوى ، وتشويه الحقائق ، والجرءة على القرآن ، والدوران حول أفكار يريد الوصول بها إلى نتائج سيئة ، ويتصيد لها أدلة تسعفه ، فيما ذهب إليه، من دعاوى ، ثم التجاهل المتعمد لنصوص القرآن التي تثبت صدق القصة القرآنية ، وتدل صراحة على نقيض ما ذهب إليه.

ويمكن تلخيص مزاعم الرسالة فيما يلي :

أ- كل شيء فى القرآن لا يقتضي صحته .. ويركز على أمرين :

أولهما: "حوادث وقعت من بطل لا وجود له" .

ثانيهما: "بطل له وجود ، والأحداث التي دارت حوله لم تقع"[(١)].

ويؤكد هذا الزعم بقوله :

"إن هذا اللون من قصص القرآن قصص أدبي تاريخي، يأخذ القرآن مواد القصص فيه من أحداث التاريخ ووقائعه ، لكنه يعرضها عرضاً أدبياً ، ويسوقها سوقاً عاطفياً"[(٢)] .

---

(١) الفن القصصي ص ١١٩ .
(٢) الفن القصصي ص ١٢٤.

أما ما زعمه صاحب الرسالة من أن كل شيء في القرآن لا يقتضي صحته .

وأن القصة القرآنية اشتملت على حوادث وقعت لأبطال لا وجود لهم تاريخياً دعوى بدون دليل ، وكذلك وجود البطل وإلباسه أحداثاً لم تقع أصلاً زعم باطل.

وإنك لتعجب من استدلاله بقصة ولدي آدم المذكورة فى سورة المائدة ، فهو يبعدهما أولاً عن كونهما إبنيه ، ويرفض مذهبا تصيده من أنهما أخوان من بني إسرائيل ، وينكر على المفسرين اختلافهم ليتدرج من ذلك إلى قوله بأن المفسرين لو فكروا تفكيراً بلاغياً أدبياً لعلموا أن المقصود من القصة التصور والتمثيل .

وكل ذلك من أجل الوصول إلى أنها لم تقع.

والذى ظهر لى مما رآه فى هذه القصة – كما ظهر لى فى غيرها– أن المؤلف يتجاهل النص القرآني عن عمد.

ونحن نسأل ماذا يقول فى صدر القصة من قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ [1].؟

وكلمة الحق هنا تصفع وجه كل من يدعي عدم واقعية القصة، ولو أنه تناول كتاب النسفى ليعرف معنى الحق لأراح واستراح قال النسفي فى هذه الآية : "نبأ ملتبسا بالصدق موافقاً لما فى كتب الأولين،

---

(١) سورة المائدة آية ٢٧ .

"يفهم من النظر فى هذه الآيات التي هي كل ما تحدث به القرآن عن الأساطير ، أن القرآن نفسه لم يحرص على أن ينفي عن نفسه ، وجود الأساطير فيه ، وإنما حرص على أن ينكر أن تكون هذه الأساطير ، هى الدليل ، على أنه من عند محمد – عليه السلام – وليس من عند الله[1] .

جـ- مصادر القصص القرآني هو: ما عرفته البيئة العربية قبل نزوله . يقول فى غير تحرج :

إن "ما فى الأقاصيص القرآنية من أحداث ، وأخبار لا يلزم أن يكون هو التاريخ ، ذلك لأن القرآن الكريم قد يكتفى بما تزعمه العرب، وما تعتقده فى صوره البيانية المعجزة ، وليس بخفي أن القصة صورة من صور البيان العربي ، وأن القرآن الكريم قد اكتفى فى قصص أصحاب الكهف ، وذى القرنين بما كان يعتقده المخاطبون، ومن هنا لا يصح لمعترض أن يعترض على أن فى الأقاصيص القرآنية مخالفات للحق والواقع ، أو مخالفات للتاريخ [2].

ويقول فى خاتمة كلامه :

"إن الأحداث والأشخاص فى القصص القرآني من المواد التي يكون بها البناء ، وهي مواد قد تكون تاريخية ، وقد تكون خيالية ، وقد تكون صوراً لما فى الأذهان ، أي معتقدات ومسلمات" [3].

---

(١) انظر الرسالة ١٧٧ .
(٢) المصدر نفسه ٢٥٤ .
(٣) المصدر نفسه أخر ٢٥٩ ، وأول ٢٦٠.

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (١)

والسنة الشريفة تعضد صدق القصة وواقيعتها ، روى البخارى من حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ) : "لا تقتل نفس ظلماً ، إلا كان على ابن آدم الأولِ ، كِفل من دمها لأنه أولُ من سن القتل"(٢) .

ومما يستدل به على قصة ذات بطل حقيقي ، وتلبسه أحداثا لم تقع ما قصه الله عن عيسى – عليه السلام – فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآيات(٣) .

ونحن نقول: إذا كانت القصة لم تقع فى الدنيا ، فإنها ستقع حتما يوم القيامة ، كما نص عليها القرآن.

ونحن لا نعترض على أنها لم تقع فى الدنيا ، وإنما نؤكد أن التعبير بالماضي فيها لتحقق وقوعها يوم القيامة ، بدليل الآية فى آخر السورة.

﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة آية ٣٢ .
(٢) فتح الباري ١٩١/١٢ .
(٣) سورة المائدة آية ١١٦ .
(٤) سورة المائدة آية ١١٩ .

أو تلاوة ملتبسة بالصدق والصحة" ورأى آخر للنسفى يزيح عن النفس كابوس التأويل الباطل ونصه : "أو واتل عليهم وأنت محق صادق"(١).

وكذلك كلمة إذ الظرفية التي تلفت النظر إلى تذكر الوقت الذي حدثت فيه القصة ، ثم المحاورة التي دارت بين الأخوين لا تدع مجالا للشك في واقعيتها: ﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢).

قل لي بربك إذا لم تكن هذه الآيات تنص على قصة حقيقية اشتملت على العناصر والشروط اللازمة للقصة ، فأين تكون القصة إذن؟؟!!.

وتأمل ما ترتب عليها من الحكم الإلهي الذي يتضمن أن من يعتدى على غيره بقتله ظلماً أو أفسد في الأرض ، فكأنما قتل الناس كل الناس ، وأن من أحيا نفساً بأن أبعدها عن أسباب الهلكة على اختلافها فكأنما أحيا الناس كل الناس.

قال تعالى عقب هذه القصة :

---

(١) جـ١ ص ٢٨٠ .
(٢) سورة المائدة آية ٢٧ ـ ٣٠ .

ثم إن المؤلف يتناقض من حيث لا يشعر حيث يقول عن قصص القرآن : "إنه قصص أدبي تاريخي" .

ثم يقول فى الوقت نفسه: إنه تمثيل وتصوير ... كيف يتأتى الحدث التاريخي وهو فى الوقت نفسه لم يحدث تاريخياً وإنما هو على سبيل التمثيل والتصوير؟؟ وإن الذي شجع المؤلف فيما أرى ليكتب هذه الآراء الباطلة المشرف على الرسالة حيث قال بالحرف الواحد فى مقال صدرت به الرسالة :

"للقرآن أن يقول ما يشاء ، وأن يستغل الأحداث كما يشاء، دون أن يلزمنا ذلك بشئ" [١].

ولست أدرى تفسيراً حقيقياً لهذا الكلام فنحن إذا لم نكلف عن طريق الإلزام بكتاب ربنا - تبارك وتعالى - وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فبم نلتزم ؟!!.

والمؤلف يمثل للأحداث التي أنطق القرآن بها أشخاصاً وهم لم ينطقوا بها حقيقة بقصص ولدى آدم السالفة الذكر ، وقصة الخصمين إن تسوروا المحراب على داود عليه السلام ، ومائدة عيسى ، والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف ، والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، وقصة إحياء إبراهيم الطير وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى فى نفس السورة الكريمة ، ويزعم أن الأشخاص هنا غير حقيقيين ، وذلك لا يتأتى مع نص عبارته التي يقول فيها:

"القصة هي ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تصوير القاص لأحداث وقعت من بطل له وجود ، لكنها نظمت على أساس أدبي، أو عاطفي يستأثر بعواطف القارئ أو السامع[٢].

---

(١) مقدمة الرسالة حرف هـ .
(٢) ص ١٥٢ من الرسالة

ومما يلفت النظر فى هذا أننا نرى المؤلف يتجــه إلـــى الآراء الجانبية فى القصة التي لا يمثلها إلا فرد أو أفراد قلائل لا سند لهم من العقل أو النقل ثم يدع الآراء الأخرى التي اتفق عليها جمهور العلماء، وتتفق مع سياق الآيات.

إنه يصر على الصدق الفني ، ولا يقول بالصدق الواقعي بدون برهان ولو كان منصفاً حقاً لبسط أمامنا نقول العلماء كلها فى القصص الذي ذهب فيه مذهب التمثيل. ومنذ قليل اطلعت على رأي النسفى فى آية ابنى آدم وهو من المفسرين بالرأي ذلك أنه يأخذ من الزمخشـــري وإليك أحد المفسرين بالمأثور وهو ابن كثير فى القصة الكريمة.

يقول فـــى قولـــه تعـــالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾[١] أي اقصص على هؤلاء البغاة الحسدة إخوان الخنازير والقردة ، مـــن اليهود وأمثالهم وأشباههم خبر ابنى آدم ، وهما هابيـــل وقابيـــل فيمـــا ذكره غير واحد من السلف والخلــف، وقولـــه: ﴿بِالْحَقِّ﴾، أي علـــى الجلية والأمر الذي لا لبس فيه، ولا كـــذب، ولا وهـــم ، ولا تبـــديل ، ولا زيادة، ولا نقصان، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾[٣] ..وقال: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ ﴾[٤].

---

(١) سورة المائدة ٢٧ .
(٢) سورة آل عمران ٦٢ .
(٣) سورة الكهف ١٣ .
(٤) سورة مريم ٣٤ وانظر تفسير ابن كثير ٤١/٢.

ولا يتم هذا التحدى ، وهذه الهيمنة ، وهذا العلاج إلا إذا كـــان للقرآن سلطان ، على النفوس ، وهذا السلطان لا يتأتى إلا إذا نطقـــت آياته بالحق ، الثابت بكل الجزئيات التي حكاها عن الأمم المتقدمة.

إذ لو كان غير ذلك لما أقبل عليه الأصدقاء والأعداء ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلونه بالليل والنهار فى صلواتهم وغيـــر صلواتهم ، ويطبقونه عملياً فى حيـــاتهم ، وهـــم لا يفعلـــون ذلـــك ، ويجابهون به المشركين إلا إذا كانوا على ثقة منه ، وأنه الصدق كله ، لا يتطرق إليه كذب أو خيال ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ولا يزال المسلمون إلى اليوم يجعلونـــه منهـــاج حيـــاتهم وزاد أرواحهم .

وكان الكفار أنفسهم يشهدون له بالسمو والتأثير النفســـي ، فقـــد أذعن له الوليد وغيره من عظماء قريش [1].

ولا يتفق عقلاً أن يفعلوا ذلك ، وهم يعتقدون أنه لا يقص الحق ولا ينطق بالصواب.

إذ لو كان الأمر كما ادعوا عنادا بأنه غير صادق فيمـــا يقـــول لتفرق عنه كل الناس ، ولما أقبلوا عليه ، ولما سحرهم حديثة.

ثم إن تحدى الرسول (ﷺ) لهم ناشئ عن ثقته بصدقه ، وصدق ما فيه من أنباء.

ولو أنه – عليه السلام – كان يتطرق إليه أدنى شبهة احتمـــال فى عدم صدقه ، لما صمد أمام كفار مكة وصـــناديد قـــريش ، الـــذين ناصبوه العداء من أجل دعوته.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير وغيره بروايات مختلفة جـ٤ ص ٤٤٣ .

فهناك بطل لا وجود له ، وهنا بطل له وجود ، وذلك تناقض نستدل به على أن المؤلف مضطرب في أفكاره ، وكيف يستقر والباطل يحوطه من كل جانب ؟ .. وقد تسرب الخطأ إليه من جهتين:

أولهما : جرءة على النص القرآني ، بالنزوع إلى تفسير يمس شعور وقلوب المسلمين ، جرياً وراء المستشرقين لتحقيق غرض بين.

ثانيهما : عدم إدراك لمعنى المعجزات ، وخوارق العادات ، التي يؤيد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام ، وفقدان الوعي بتأثير قدرته تعالى في خلقه ولا ينكر تأثيرها إلا جاهل بما له تعالى من سلطان مطلق وقدرة على الإيجاد والإعدام ، وعدم بصر بأن أمره تعالى: ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1]. ...

وبما تقدم نعلم أن كل ما زعمه إنكار للأمر الواقع الثابت ، وتكذيب لصريح القرآن والسنة.

أما إنكاره للأمر الواقع الثابت فنقول :

نزل القرآن الكريم تأييد لرسالة سيدنا محمد (ﷺ) وهو معجزته الخالدة ، التي تحدى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وهم أرباب البلاغة والبيان.

كما نزل مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها.

كما نزل من أجل علاج أمراض الإنسانية ، وأدوائها المختلفة، وهدايةً للعالمين بما فيه من توجيهات وعبر بأحوال السابقين.

---

(١) سورة يس آية ٨٢.

وللرد على هذه الأباطيل أقول :

نحن الآن أمام قضية قال فيها النص القرآني قوله ،وقالت فيها مدرسة الشبهات قولها ،.فإما أن نؤمن بما جاءنا فى القرآن ، أو نؤمن بما جاءت به عن هذه المدرسة ، والإيمان بالتالي يلزمه الضلال لمناقضته صريح القرآن ، ومناقضة صريح القرآن – مع اعتقاد تناقضه كفر – ولذا يجب الإيمان بالأول وهو ما أثبته القرآن الكريم.

وبذلك يكون هذا الزعم تكذيبا للقرآن وبالتالي يكون تكذيبا لصريح السنة وإجماع الأمة .

أ- فمن حيث تكذيبه للقرآن الذي ثبت لدينا بالتواتر القطعي المؤيد بالعقل السليم ، والتاريخ الصادق نقرأ قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [1].

ووجه الدلالة فى قوله : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾

والافتراء هو الكذب ، والاختلاق عن عمد ، وتأمل هنا قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾ وهم يقولون: هو حديث مفترى ويصرون على ذلك وتؤلف رسالة جامعية لينال صاحبها بها الدكتوراه.

---

(١) سورة يوسف آية ١١١ ، ١١٢ .

يضاف إلى ذلك كله أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – أكمل الناس بإجماع من بعث إليهم ، من آمن منهم ، ومن لم يؤمن .

ولم يقم دليل واحد ينقض هذه الحقيقة نظرياً أو عملياً فى القديم أو الحديث.

وقد سبق مؤلف الرسالة الدكتور "طه حسين" فنفى هجرة "إبراهيم" و "إسماعيل" – عليهما السلام – إلى مكة والفكرة أخذها من "مرجليوث" سنة ١٩٢٥ ونشرها سنة ١٩٢٦ فى كتابه "الشعر الجاهلي" وقد قال أحد المستشرقين رداً عليه: "إن السفسطة والغش فى بعض الأدلة التي ساقها "مارجليوث" أمر بين جداً" (١).

وحجته فى ذلك: أن القحطانيين أهل الجنوب تغاير لغتهم لغة العدنانيين أهل الشمال ، فلو كان إسماعيل بمكة كما حكى القرآن وصاهر قبيلة جرهم القحطانية ، لتوحدت لغتهم مع العدنانيين ، نتيجة كلامه أن القرآن اخترع قصة "إسماعيل" ، ورضى بهذا الاختراع محمد – رسول الله – ليقرب بين اليهود القحطانيين المنتسبين إلى "إسحاق" وبين العرب الذين ينتسبون إلى "إسماعيل" أخى "إسحاق" – عليهما السلام .

وقد قال فى ذلك ما نصه: "للتوراة أن تحدثنا عن "إسماعيل" و"إبراهيم" وللإنجيل أن يحدثنا عنهما ، وللقرآن أن يحدثنا ، ولكن هذا لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي بهذا الدليل (٢).

---

(١) مقدمة الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي للأستاذ محمود محمد شاكر ص ١٤ .
(٢) طه حسين حياته وفكره فى ضوء الإسلام . أنور الجندى.

قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ [١] صدقا في الأخبار ، وعدلا في الأوامر والنواهي ، وقال: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ [٢] وقال: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ [٣] ومن هذه النصوص وغيرها ، نرى أن الله قد وصف القرآن بصفات منها أنه صدق وعدل، وحق وقول فصل ، إلى غير ذلك من الصفات.

ومن هنا يخطئ كل الخطأ من يزعم أنه لا يلزم أن يكون للقرآن واقع في الخارج ، مما قصه على الناس ، بل غاية ما فيه أنه يجاري خيال العرب ، أو أنه يقوّل الناس ما لم يقولوه ، ونقول لهؤلاء: الله يقول إن القرآن صدق ، وأنتم تقولون ضد ما يقول الله ، فإما أن تكونوا أنتم الصادقين ، والله ليس بصادق ، وإما أن تكونوا أنتم الكاذبين والله هو الصادق ، فاختاروا لأنفسكم ما تشاءون ، فإن قلتم نحن الصادقون ، فقد كفرتم بالله ، وبكتبه صراحة ، وإن قلتم بغير ذلك فقد ثبت المطلوب ، وهو أن القرآن صدق كله ، وواقعي فيما قص علينا من قصص ، والذين ينساقون وراء أهوائهم ، فيدعون – زوراً – أن قصص القرآن خيال ، نقول لهم صراحة: إن دعواكم هذه تؤدى إلى واحد من اثنين لا ثالث لهما ، إما القول بأن القرآن ليس من عند الله ، وإما القول بأن أخبار الله كاذبة ، وكلاهما يؤدى إلى الكفر، ذلك

---

(١) سورة الأنعام آية ١١٥ .
(٢) سورة الحاقة آية ٥١ .
(٣) سورة الطارق آية ١٣ ، ١٤ .

وهذه الدعوى معارضة صريحة لقوله عز وجل : ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴾ (١)

وقوله: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ (٢).

وتأمل الاختصاص الذي تضمنته الآيتـان الكريمتـان ، ومـن الشواهد أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَـٰذِهِ الْحَقُّ ﴾ (٣).

أجبني بعد ذلك ماذا يكون الحكم على من يسعى جاهداً ، ويظل عامين على الأقل يدأب ويتلمس النصوص من هنا وهناك ، ليؤيد بهـا دعواه التي تناقض صريح هذه النصوص ، وتخالف المعقول وينـادي بمثل ما نادى به من قبله طه حسين.

وإذا كنتُ قد أثبتُ أن القرآن مقرون بالحق ، والحق هو الأمـر الثابت الصحيح القاطع الذى لا يتطرق إليه شك أو ارتياب ، ذلك أنـه علاج للإنسانية من أدوائها ، والعلاج لا يكون إلا بالصدق الخـالص ، الذي لا يتغير.

والله تعالى يؤكد أكثر من مرة أن القصص القرآني حق كلـه، وما يثبت للقصص يثبت لسائر أي القرآن.

---

(١) سورة ص آية ٨٤ .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٢ .

(٣) سورة هود آية ١٢٠.

ب- وأما تكذيبه لصريح السنة التي تؤكد صدق القرآن ، فمنها حديث عبدالله بن أبي أوفى عندما سئل : هل أوصى رسول الله (ﷺ) بشيء ؟ فأجاب : أوصلى بكتاب الله[1] " والمقصود التمسك به ، والعمل بمقتضاه ، عناية وتطبيقاً ، فهو أعظم وأهم ما تركه النبي (ﷺ) لأمته.

ومنها حديث زيد بن أرقم الذي أخرجه مسلم وفيه :

"يوشك أن يأتي رسول ربي ، فأجيب" وفيه :

أنا تارك فيكم ثقلين : أولهما : كتاب الله ، فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به" الحديث.

وفى رواية :

"كتاب الله عز وجل ، هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلاله" [2].

ومعنى "حبل الله " عهده الذي عاهد العباد عليه ، والسبب الموصل إلى رضاه ورحمته.

جـ- وأما من حيث الإجماع فقد اتفق العقلاء على أن القرآن الكريم صدق كله ، وأن ما اشتمل عليه حق لا ريب فيه ، ولم يشذ

---

(١) فتح الباري ٣٦١/٥ .

(٢) مسلم بشرح النووى ١٨٠/١٥ .

لأن القرآن ثبت بالدليل العقلي والنقلي أنه من عند الله ، وليس في طاقة البشر الإتيان بمثله ..

والله تبارك وتعالى يعلم أن من الناس من يقول: إن القرآن ليس من عند الله وإذا قالوا : إنه من عند الله ، قالوا: إنه ليس صادقاً ، ولا يلزم فيه الصدق . فيرد الله عليهم فيقول: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (1) وتقرير الدليل: أن الكتاب ليس من عند مخلوق ، وإنما هو من عند الله ، وأنه لم ينزل بالحديث المفترى ، وإنما نزل بالحق والميزان، وكل ذلك لوضوح الرؤية أمام الشاكين المعاندين ، حتى يتخلصوا من العماية ، ولا يتيهوا فى عمى الضلالة والغواية.

والميزان فى الآية: هو العدل الإلهي ، الذي أعطى الله به كل شيء قدره منه ، وهداه للأخذ عنه على قدر استعداده.

وكل ما يقال فى القصص من عدم واقعيته أو زعم خياله كلام لا دليل عليه ، وزعمهم طعن فى القرآن ، غير مقبول؛ إذ هو مناف للبرهان القطعي اليقيني ، وقد علمنا أننا لا نقيم وزنا لدعوى ما لم تؤيد بالبرهان قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ (2)

---

(1) سورة الشورى آية ١٧ .
(2) سورة الأنعام آية ١٤٨ .

ولو كذب بالقرآن والسنة لترتب عليه إهدار الدين من أساسه، وكان معنى ذلك عدم إثبات حقائق مقررة عقلاً ونقلاً وإجماعاً.

هـ- ولنا أن نقول كذلك الشيء إما ثابت قطعاً وإما باطل قطعاً وإما مظنون ظناً راجحاً أو ظناً غير راجح ، وكلا مهم لا يحتمل غير البطلان القطعي لمعارضته النص القطعي.

ذلك أن الرأي الشخصي الذى لا يستند إلى البرهان القاطع، هو من باب الظن ، وقد ذم الله الظن فى أكثر من آية فقال: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ [1] كمال قال: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [2] وقوله : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى ﴾ [3] وإذا كان الرأى حقاً ، فلا ينقضه حق مطلقاً ، ذلك أن الحقائق لا تتناقض ، وإذا نقض حق فى نظر أحد ، فلابد أن يكون هذا الحق باطلاً ، أو أن الخلل قد تطرق إلى النظر من طريق لا يعلمه الناظر نفسه.

وخلاصة الرأي أن حجة الخصم داحضة.

و- ولنا أن نقول أخيراً : الشيء إما حق مطلقاً ، وإما باطل مطلقاً ، وإما حق من وجه ، وباطل من وجه ، وقد أثبت فيما ذكرت أن القرآن حق بالدليل العقلي وكونه حقاً من وجه وباطلاً من وجه لا يتفق مع الكمال الإلهي ؛ لما يترتب عليه من التناقض المحال على الله،

---

(١) سورة يونس آية ٣٦.
(٢) سورة الإسراء آية ٣٦ .
(٣) سورة النجم آية ٢٣.

عن ذلك مسلم ، ومن ذهب غير هذا المذهب فقد أعلن خروجه عن الإسلام.

د- وزعمهم بأن التاريخ لم يثبت هجرة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة فيه من الجرءة على الله ورسالاته بما يخلع عن قائله ربقة الدين.

وليس هناك من سبب لهذا غير الإلحاد والاستخفاف بالله وكتبه لا يختلف في ذلك عاقل من حيث تصديق التاريخ وتكذيب القرآن ونسبة الكذب إلى الله ، مع أن هؤلاء وأضرابهم لو قال لهم أحد إنكم كاذبون فيما تقولون لأقاموا الدنيا وأقعدوها بسبب هذه الكلمة فكيف يجرءون على نسبة الكذب إلى الله تعالى؟: ﴿تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[1] .

ونقول لطه حسين : أي تلازم بين المصاهرة لقبيلة جرهم واتحاد اللغة ، فكم تمت مصاهرات بين بلاد مختلفة وأسر متنوعة ، ولم تختلف اللغة بهذا الزواج بل يظل كل من الطرفين محتفظاً بلغته على أنه لا اختلاف فى اللغة بين القحطانيين والعدنانيين ، وإنما الاختلاف فى اللهجات لا غير.

ودعوى أن اليهود من قحطان دعوى باطلة لا يؤيدها واقع تاريخي وهذا الزعم يكذب ما رواه البخاري بسنده ثبوت هجرة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة وسبب هذه الهجرة وقائل هذا الحديث هو محمد رسول الله (ﷺ) أصدق البشر بالدليل العقلي والنقلي ورواة الحديث ثبتت عدالتهم بما لا اعتراض عليه لمعترض.

---

(١) سورة الإسراء ٤٣ .

يقول تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (1) .

فالآيات صريحة فى إطلاقها وهي تنعي عليهم عدم الإذعان للقرآن ، وعدم فقه ما فيه ، وعدم إيمانهم به،وادعائهم بأنه أكاذيب الأولين.

وهم بفعلهم وقولهم يهلكون أنفسهم ، دون شعور منهم ، ويوم القيامة يندمون حسرة على تكذيبهم لآيات الله ، وادعائهم بأن القرآن أساطير.

يقول الزمخشري:"وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون:﴿ إِنْ هَـذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (2) فيجعلون كلام الله، وأصدق الحديث خرافات وأباطيل. (3)

وتأمل آيات المطففين التي يزعم أنها لا تهددهم على زعمهم يقول تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (4).

---

(1) سورة الأنعام الآيات ٢٥ ــ ٢٨ .
(2) سورة الأنفال آية ٣١ .
(3) جـ٢ ص ١٣ .
(4) سورة المطففين الآيات من ١٠ ــ ١٤ .

وبذلك يكون القرآن قد اشتمل على الواقع الثابت ، دون غيره من الأباطيل والخيالات ...

يقول التهانوي في سورة طه في قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾[1] اعلم أنه سبحانه وتعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام أتبعه بقوله: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾ من سائر أخبار الأمم وأحوالهم تكثيراً لشأنك وزيادة في معجزاتك ، وليكثر الاعتبار والاستبصار ، للمكلفين بها ، في الدين"[2]

وهل يكون الاعتبار والاستبصار بغير الحق المطابق للواقع الخارجي ؟؟!!

أما فيما يتعلق بأسطورية القصة فإن المؤلف يذكر الآيات المتعلقة بالأساطير.

ويقول: إن القرآن لم يحرص على أن ينفي عن نفسه وجود الأساطير فيه ، وقد سبق لك نصه في ذلك ثم يقول عن آيات الأنعام والمطففين: إن تهديد القرآن يقوم على إنكارهم البعث ، أو على صدهم الناس عن اتباع النبي ، وليس فيه التهديد على قولهم بأن الأساطير قد وردت في القرآن.

وهنا أسأله : لماذا يقصر التهديد في الآيات على ما ذكر ، ولم يجعله عاماً على إنكارهم البعث – وصدهم الناس عن دعوة الرسول (ﷺ) وادعائهم بأن القرآن أساطير؟

لنقرأ ما في السورتين لنر أي السبيلين أهدى وأقوم.

---

(١) سورة طه آية ٩٩ .

(٢) سبق الغايات في نسق الآيات ص ٨٨ ط حجر بالهند .

ويضيف: لعل الثاني أوضح ، ومعنى ذلك أنه غير جازم برأي فى المسألة ، وهو فى هذه الدعوى كغيرها متردد من الإقدام على مثل ما قاله الكافرون فى القرآن ، وهو لا يرتضي إجابة القرآن عن زعمهم.

ونقول: الآية التي ساقها عليه لا له . ففيها من الرد عليه وعليهم ما هو أبلغ من التصريح به ، لأن الذي يعلم السر لا يكذب ، ولا يختلق، ولا يقول الأساطير ؛ لأنه لا يعجز عن إيصال الحقائق إلى الغير.

وسياق الآيتين ينفي ما ادعاه إذ ما قبلها ينعى الله فيه على من يدعي لله ولدا ، ويتخذ له شريكاً ، ويعبد آلهة قام الدليل العقلي على بطلانها ، كما ينعي على الكفار زعمهم بأن القرآن إفك مفترى من قبل محمد وقد تعاون مع غيره فى افترائه ، ويصفهم الله لهذا القول بأنهم جاءوا بالظلم ، حيث قد وضعوا الشيء فى غير موضعه ، وبالزور الذي هو الباطل ، من حيث إن قولهم كذب لا يطابق الحق والواقع ، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ (1).

---

(1) سورة الفرقان الآيات ١ ـ ٤ .

فهنا تهديد صريح للمكذبين بيوم القيامة ، الذين تجاوزوا الحد وكثرت آثامهم ، وكلما تليت عليهم آيات القرآن التي نزلت بالحق ، ودعت إلى الصدق انصرفوا عنها، وزعموا أنها خرافات عن السابقين، وكذبوا – فلو أنهم آمنوا بها – واهتدوا بهديها لعلموا أن يوم القيام حق، ووثقوا أن هذه الآيات رأس كل فضيلة ، ومن هنا يعلل القرآن تكذيبهم به ، وادعاءهم الباطل فيه ، بأن قلوبهم محجوبة عن التعرف على مصدر الخير وهو القرآن ، وسبب حجبها تكذيبهم به، وعدم العمل بمقتضاه.

يقول أبو السعود : "كلا ردع وزجر ، أي للمعتدي الأثيم ، عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه"[1].

وعن آيتي سورة الفرقان وهما : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ ٥ ﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [2]

يقول مؤلف رسالة الفن القصصي ما نصه :

فهل هذا الرد ينفي ورود الأساطير فى القرآن ، أو هو إنما ينفي أن تكون هذه الأساطير من عند محمد يكتبها ، وتملي عليه، ويثبت أنها من عند الله" [3].

---

(١) آيتاه ٥ ، ٦ .
(٢) سورة الفرقان الايات ٥ ، ٦ .
(٣) ص ١٧٩ من الرسالة.

وعذر أصحاب الدعاوى أنهم لا يعرفون أساليب القرآن ، فيطلقون دعواهم بغير علم ولا هدى ، وتكون النتيجة الإلحاد والزيغ.

٢- وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (١).

أفلا تجد جوابا شافياً في قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ ﴾ إلى آخره؟ أم يكون الجواب عندك هو أن المرتد ضال وعقابه عذاب أليم..

إن القرآن إلهي له أسلوبه وخصائصه التي لا تقاس على أساليب وخصائص البشر ، يعرفها من ذاقها ، ويحرم منها من انحرف عنها.

وتلي هذه الآية آية أخرى ، ولا يفصل بينهما غير آية واحدة، تأخذ نفس الحكم والجواب بطريق غير مباشر ، وهي قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (٢).

٣- وقوله تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (٣)

---

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .
(٢) سورة المائدة آية ٥٦ .
(٣) سورة العنكبوت الآيات ١٦ -١٨ .

ثم ذكر الله بعد هذه الآيات الآيتين المذكورتين ، وبهذا السـياق يتضح أن الله يبطل دعواهم وظلمهم وزورهم وزعمهم بـأن القـرآن أساطير الأولين .

على أننا كثيرا ما نرى فى القرآن الكريم الإجابة غير المباشرة على الدعاوى الباطلة منها قوله تعالى :

١- ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ* مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (١).

هل يمكن القول هنا بأن الله لم يرد على أعداء جبريل – عليـه السلام – قال أبو السعود فى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ تعليـل لجـواب الشرط قائم مقامه ، والضمير الأول لجبريل ، والثاني للقرآن ، ثم قال "وفيه تلويح" بكمال توجيه جبريل – عليه السـلام – إلـى تنزيلـه ، وصدق عزيمته – عليه السلام(٢) .

إن الآية هنا تسجل الكفر على أعداء الله وملائكته ورسله بدون أن تقول: إنهم كافرون ، وهذا أبلغ رد ، لأن لفظ الكافر وضع للظاهر موضع الضمير إذ هو يؤدى ما يؤديه الضمير ، فلو قال تعالى : (فإن الله عدو لهم لم يفد أنهم كافرون ، ففى هذا اللفظ تسجيل للكفر علـيهم وهذا أبلغ كما ترى.

---

(١) سورة البقرة الآيات ٩٧ ، ٩٨ .
(٢) جزء ١ ص ١٠٤ .

أساسه، وتجاهله الرد الصريح الواضح عليهم مثل قوله : "وهـذا هـو الذي يدل عليه أيضاً ما ذكره القرآن من قيلهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [(١)] يقول : "ذلك لأنهم كانوا يتخيلون استبعاد أن يصدر مثل هذا القصص الأسطوري عن الله" وتجاهل قوله تعالى بعـد هذه الآية مباشرة.

﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [(٢)].

والتهديد صريح بأن قائل هذا القول يحمل إثمـه ، وإثـم مـن يطاوعه على ضلاله ، فهما يشتركان فى الجريمة ، وهـم جميعـاً لا يعلمون عاقبة ما يقولون وهذا سبب ضلالهم وبعدهم عن الحق ، هـم ومن على شاكلتهم ممن يسلكون مسلكهم.

وهذه اللام تسمى لام العاقبة ، ذلك أنهم لما وصفوا القرآن بمـا وصفوه به كانت عاقبتهم أن يحملوا ذنوب أنفسهم ، وذنـوب غيـرهم كاملة غير منقوصة.

تأمل تعقيبه الآثم على هذه الآية الكريمة "إنـا لا نتحـرج مـن القول بأن فى القرآن أساطير ، لأننا فى ذلك لا نقول قـولا يعـارض نصاً من نصوص القرآن"[(٣)].

---

(١) سورة النحل آية ٢٤ .
(٢) سورة النحل آية ٢٥ .
(٣) ص ١٨٠.

وهل معنى ذلك أن القوم قد تأثروا بدعوة "إبـــراهيم" – عليـــه السلام – إليهم ، ونصيحته لهم ، لأنهم لم يجيبوه بالإثبات أو بـــالنفي؟ كلا فلك أن تقول: إن القوم قد أصموا آذانهم عن سماع الحـــق ، ولـــم يجيبوه – عليه السلام – بكلمة واحدة حيث هم – عند أنفســـهم – فـــى غنى عنه وعن دعوته ، ثم أجابوه فى نفس السورة بعد خمس آيات فى قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ (١).

وهذه الآيات الخمس تشير إلى أن القوم لم يجيبوه مباشرة بـــل أجابوه بعد مهلة.

وإن كان المؤلف يريد أن يقول : مادام الله لم يرد علـــيهم فهـــم صادقون فى دعواهم بأن القرآن أساطير ، فنرد عليه بأننا لـــو ســـلمنا بهذا القول لكان معناه أن القرآن أسطورة يتلهى بها ، ولا يكون قد جاء لإقامة الدين العالمى وهو الإسلام ...

ولهذا كله كانت دعواه باطلة ، وقد بنيت على باطل .

أما كونها باطلة فلمخالفتها صريح القرآن ، وإجماع المسلمين.

وأما بناؤها على باطل فإن تخريجه للآية غير صحيح على مـــا ذكرت .. ونقول له: لماذا تصـــر علـــى أن القـــرآن مشـــتمل علـــى الأساطير، وأنها من عند الله لا من عند محمد؟ هـــل معنـــى ذلـــك أن محمداً عاجز عن تأليف الأساطير أم أنه لا يليق به الإتيان بها مثلمـــا يفعل قومه .؟

الحق أنه يدور فى دائرة ضيقة ، لا مهـــرب منهـــا ولا نجـــاة بزعمه أن القصة القرآنية أسطورة ، لنزع الثقة منه وهدم الـــدين مـــن

---

(١) سورة العنكبوت آية ٢٤ .

وقد اعتمد المؤلف علـــى آراء شخصـــية لـــبعض المفســـرين واعتماده على هذه الآراء لا ينهض بحجته لمخالفته ما أجمـــع عليـــه المسلمون وصريح القرآن ، وهل ندع رأى جمهور العلمـــاء المؤيـــد بالدليل القاطع ، ثم نأخذ برأى من لا ينهض كلامه حجة لما ذهب إليه المؤلف ..

والنص الصريح هو المعيار الذي نزن به قضايانا، ولا التفـــات إلى ما يخالفه أياً كان هذا المخالف ، مادام الرأى يتعارض مع العقـــل والنقل والإجماع والفطر السليمة ، ولو كان رأيهم سديداً لما اختلف فيه العقلاء.. وكلامهم باطل فى ذاته لما تضمنه من التناقض الصريح مـــع النص القاطع ، وكل ما يخالف القرآن نقطع بكذبه لأنه قول الله ، والله لا يحكي لنا غير الواقع ، وأما قول البشر فرأى غير معصوم مـــن أن يتطرق إليه الخطأ والتناقض والهوى ، ولذلك لا يعتمد على هذه الآراء فى الاحتجاج بها ، ولو شايعهم فى ذلك الرأى طائفة من الناس مـــادام رأيهم لم يؤيد عن طريق معصوم من الخطأ...

وأنت إذا عرضت قضية على جماعة فإنك واجد حتما اختلافـــاً فى الرأي فكيف تصلح آراء الناس بعد ذلك للحكم على نص قرآنـــي، وخاصة إذا كان الدليل صريحاً ضد ما ذهبوا إليه من القرآن أو السنة أو كليهما.

مع أن نصوص القرآن كلها شاهدة ، على التهديد والوعيد لمن يقول بالأساطير فى القرآن.

وهو بذلك يكذب القرآن برده عليهم ، ويجعل الثابت غير ثابت، وفى هذا إلحاد ، وميل بالنص القرآني عن منهجه الراشد.

ومن الأساطير عنده ما ذكره من قصة الذى مر علـــى قريـــة، وإحياء إبراهيم الطير ، وأصحاب الكهف ، وقصة موسى فـــى نفـــس السورة الكريمة ، وقصة إلياس عليه السلام ، ويوهم القارئ بعد ذكره لهذه الأنواع بأن القول بالأساطير مسلم.

"وإذا ما قال المستشرقون: إن بعض القصص القرآني كقصـــة أصحاب الكهف ، أو قصة موسى ، فى سورة الكهف قد بنيـــت علـــى الأساطير ، قلنا: ليس فى ذلك على القرآن من بأس فإنما هذه السبيل ، سبيل الآداب العالمية ، والأديان الكبرى "[1] الخ هذا التخبط والخلط.

وهو بهذا النص قد صرح بأنه قد انضم إلـــى الطـــاعنين فـــى القرآن السالكين مسلك أهل مكة الغابرين.

ولو أنصفوا لعلموا أن أهل مكة أنفسهم سألوا رســـول الله (ﷺ) عن قصة أصحاب الكهف. وقد أجابهم عنها ، كما شـــرح (ﷺ) ســـبب التقاء موسى بالخضر عليه السلام ، فى حديث ذكره الإمام البخارى – رحمه الله – . ورسول الله – كما أسلفت – تاريخه كله صدق ، وحياته كلها كمال ، وما نطق عن هوى ، وما كان من شأنه أن يخوض فـــى باطل الأساطير.

(١) الفن القصصي ص ١٨٠ .

وقوله: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (١).

ويزعم الكاتب أن القرآن جارى عواطف العرب ليضمن لنفسه النجاح ، ولا حرج عليه بعد مجاراته لما ألفوه أن يصوغ ما ذكر في عمل أدبي وحبك فني ، دون أن تكون له حقيقة في الخارج ، وله أن يبث فيها من المبادئ ما يريد ، وذلك أجدى من حيث اختياره لما هو معروف عندهم ، فنراه مثلاً يردد كلمة "الإسلام" أكثر من مرة على ألسنة السابقين ، مع أن الإسلام لم يكن معروفاً من قبل فيقول على لسان إبراهيم :

﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (٢)

ويقول على لسان يعقوب: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣).

وبهذا الوهم يقول: إن مصدر القرآن هو ما شاع عن العرب من قصص ، وما تردد في خيالاتهم من أنواع الحيوانات، والطيور ، والغيلان والأساطير ، ولا وجود لذلك كله في الخارج.

وفي شأن استغلال الإسلام للقصة لنشر مبادئه يقول الكاتب نصاً : "أشك في أن هذا الموقف قد حصل بقضه وقضيضه ، فلم يكن

---

(١) سورة النمل آية ١٧.
(٢) سورة البقرة آية ١٣٢
(٣) سورة البقرة آية ١٣٣

أما فيما زعمه عن مصادر القصص القرآني فقد سلك هذا المسلك بعض الكتاب ، متأثرا بمؤلف الفن القصصي حيث ادعى أن قصص موسى ، وعيسى ، وسليمان ، وداود ، وغيرهم لم يقع ، وأن هذا القصص كان فاشياً عند العرب قبل ظهور الإسلام ، وفشى ذلك بين اليهود والنصارى والعرب ، ودعوة كل طرف منهم غيره للدخول فى دينه ، مما ساعد على الحديث عن الجن والغيلان والسعالى والهواتف ، وحكايات الحيوان : كالظليم [1] والهدهد والأساطير كلقمان الحكيم.

يقول ما نصه: "عرفنا أن العرب قد عرفوا قصص الحيوان، فيسير القرآن فى هذا الاتجاه ، ويجعل بعض الحيوانات تنطق بمبادئ إسلامية ، فمثلاً شخصية الهدهد حيكت حولها أساطير جاهلية ، فليختره القرآن ، وليجعله ينطق بلغة المؤمن ، وحرارة صاحب العقيدة بقوله يخاطب "سليمان": ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [2].

ومفاد كلامه أن القرآن يلفق الأحداث ويحكي عن الغير مالم يقع، ويذكر شخصيات وهمية يؤسس عليها مبادئه ، ولا يوجد رسول اسمه "سليمان" وبالأولى لا معجزة له وصريح القرآن كما يشهد بمعجزته فى قوله تعالى: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [3].

---

(١) هو الذكر من النعام جمعه ظلمان بالكسر والضم ، القاموس المحيط جـ٤ صفحة ١٤٦.
(٢) سورة النمل آية ٢٤ .
(٣) سورة النمل آية ١٦.

لا يزال أعداء الإسلام قديماً وحديثاً ينفثون هذه السموم حقداً وكراهية للإسلام ، ونبي الإسلام ، مدعين أن القرآن الكريم مزيج من الأباطيل مصدرها الأمم السابقة ، بل زعم بعضهم أنه من صنع البشر وليس وحياً منزلاً من السماء .

وإن أعداء الإسلام وأخص منهم كثيرا من المستشرقين والمبشرين لم يفكروا يوما فى الوصول إلى الحق ، وإنما يجردون أقلامهم ويسخرون كل ما يملكون من قوة مادية ومعنوية ، ليظهروا الإسلام أمام الناس فى إطار من الباطل ، ويدعوا أنه مجموعة من الأكاذيب والخرافات يلزم البعد عنها ، وعدم الانتساب إليها.

وحرصاً منا على من يقرأ لهم ويعجب بهم ويعد نفسه من تلامذتهم أثبت هنا ما يكشف حقيقتهم ويبين سوء غرضهم ، برد مستشرق منصف هو "اميل درمنغم" الفرنسي فى كتابه "حياة محمد" يقول : "وظلت الأحقاد والخرافات تحاك حول محمد والقرآن ، حتى قالوا عنه إنه نسيج من الأباطيل[1] وبذلك يقرر أن ما يقوله أعداء الإسلام هو الخرافات التي يتفوهون بها ، وتسيل بها أقلامهم ، أما الإسلام نفسه فهو الصدق المصفى وجوهره الحق الصراح.

وإن أعداء الإسلام ينكرون ماله من قيم دينية وخلقية ، ويتجاهلون المقومات التاريخية والثقافية والحضارية لهذا الدين ، وهم بالإضافة إلى ذلك يقطعون أواصر المودة بين الشعوب العربية

---

(١) ص ١٤١

الإسلام قد ظهر أيام إبراهيم وأبنائه حتى يوصى الآباء الأبناء ، لكنه التصوير الأدبي الرائع الذي يتخذ فيه شخصية مشهورة ، وسيلة لبث أهدافه ومبادئه[1] .

ويضيف ما يفيد أن كل نص فيه كلمة "إسلام" يأخذ هذا الحكم ومثال ذلك: ما أجرى على لسان الحواريين فى قول الله حكاية عن "عيسى" :

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [2].

وكذلك إبراهيم ، وإسماعيل ، فى قولهما فيما يحكيه الله عنهما :

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [3].

وقول "سليمان" – عليه السلام – لملكة سبأ :

﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [4]

والغرض من تكرار هذه الكلمة على ألسنة هذه الشخصيات المشهورة ، والتركيز عليها بذاتها أمر واحد ، هو نشر الإسلام ومبادئه.

ومن حيث كون اليهود والنصارى مصدرا للقرآن نقول :

---

(١) انظر مجلة الرسالة عدد ١٠٨٩ بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢٦

(٢) سورة المائدة آية ١١١.

(٣) سورة البقرة آية ١٢٨ .

(٤) سورة النمل آية ٣١ .

وهذه نماذج لا غير من الذين جندوا أنفسهم لخدمة الاستعمار عن طريق الكيد العلني للإسلام ، وردد أنصاف المثقفين أفكارهم وأفكار أشباههم فى بلادنا.

وكل هذه أخطاء متعمدة متهافتة أمام الحقائق التالية :

أولاً : جاء الرسول (ﷺ) بالقرآن فصحح العقائد التي سبقته، وقد كان أهل الديانتين اليهودية والنصرانية يحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ويكتمون ما أنزل الله من هذه الشرائع وكتبهم متناقضة مما يدل على عبثهم بها.

فكيف – بعد ذلك – يصح فى الأذهان أن يعد المصوب المرشد ناقلا عن المخطئ المبطل ؟! والله يقول: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (1).

وقد سوى القرآن بين الناس وأكد هذه التسوية ، وقرر الكمال المطلق لله وأثبت عصمة الرسل ، على نحو ما بينت فى فصل سابق، وذلك على غير ما عهد فى التوراة.

وفيما يتعلق بالوحدانية أبطل القرآن التثليث ، ونفى قتل المسيح وصلبه على عكس ما عرف فى الإنجيل.

وبهذا يكون القرآن قد صحح هذه العقائد ، ورد عليها بحجته الدامغة وبرهانه القاطع ، بمثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ

---

(1) سورة المائدة آية ٤٩ .

والإسلامية ، ويضعفون سمعتها بين دول العالم بتوهين شأن القرآن فى نفوس بعض المسلمين الضعفاء.

وهم على هذه الدعائم لا يزالون يمارسون نشاطهم المحموم بطرق متعددة وأساليب مختلفة ، وراءها غايات تستوجب التأمل والتفكير.

ولما التقت أهدافهم مع أهداف الاستعمار ، أخذ الأخير يجهزهم بالعون المالي والثقافي ، ويرسلهم إلى العالم العربي والإسلامي حيث تلتقي مصالحهم مع أهدافه.

إنهم يكتبون تقريرات منظمة يحرفون فيها سير التاريخ ويشوهون بها سمعة الإسلام.

ومن حقنا أن نعرف نماذج من أولئك الذين يعملون على تمزيق وحدة المسلمين ومنهم :

أ- "ب .لويس" الإنجليزي له كتاب يسمى: "الهيكل الاجتماعي للإسلام" يفيض حقداً وكراهية له ولأهله.

ب- "أرثر جفرى" له عدة مؤلفات يقصد بها النيل من هذا الدين، ومنها: "مصادر تاريخ القرآن" ، "والكلمات الدخيلة فى القرآن" ومن هذين العنوانين نرى مدى بغضه وحقده على كتاب الله.

جـ- "جولد تسيهر" الذى يزعم صراحة أن محمدا استقى معلوماته من الرومان ، والفرس ، والهنود ، ومزجها بمشاعره حتى كون دينا استطاع به أن يقنع الناس بأنه صاحب رسالة للعرب [1].

---

(١) العقيدة والشريعة ص ١٢ .

فى هذا الزعم فهل قبل الله منهم ذلك ؟ كلا وإنما رد عليهم بما يفحمهم فى آية ملزمة ، مبيناً أنه لا فضل لهم على غيرهم من الناس وأن أمرهم موكول إلى ربهم وحده يفعل بهم وبغيرهم ما يشاء ، تقرأ ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [1].

وبهذا يتبين لك كيف يرد القرآن عليهم ويصحح عقائدهم ومعارفهم فكيف يقول عاقل بعد ذلك: إن هذه الكتب كانت مصدرا للقرآن ولنقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [2] وكيف يكون الخطأ مصدرا للصواب ومتى كان الظلام يوماً مصدراً للنور ؟ .

ثالثاً : أما دعوى أن القرآن جارى عواطف العرب فهي متهافتة لما يلي :

أولاً : جاء القرآن بالحق المطابق للواقع على ما بينت قبل قليل.

ثانياً : لو فعل القرآن ذلك – وحاشاه – لناقض نفسه حيث كانت رسالته لهداية البشر، فكيف يجارى ما انطوت عليه نفوسهم من باطل وضلال ؟!!

---

(١) سورة المائدة آية ١٨ .
(٢) سورة النمل آية ٧٦ .

﴿ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١).

ومع هذه الأخطاء الشنيعة وتصحيح القرآن لهـا ، وهـي فـي العقائد وغيرها كما ترى ، يطلب القرآن منهم في نقاش هادئ وأسلوب فريد ، أن يخلصوا أنفسهم من الباطل وينطووا تحت لواء خير أمة أخرجت للناس ، وإن لم يستجيبوا فقد مالوا عن الدين الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

ثانياً : مما زعمه اليهود أن الدار الآخرة خالصة لهم مـن دون الناس فهل جاء القرآن بمثل ما زعموا ؟ لقد رد الله عليهم هذا الـزعم في آية قوية واضحة هي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣).

ويؤكد سبحانه أن هذا التمني لن يكون بسبب مـا قـدموا مـن فظائع ومنكـرات فيقـول: ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ ﴾ (٤) وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وقد شاركهم النصـارى

---

(١) سورة التوبة آية ٣٠ .
(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .
(٣) سورة البقرة آية ٩٤ .
(٤) سورة البقرة آية ٩٥ .

وفي شأن الأنبياء من عهد موسى ومن بعده يقول : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾ (١).

وفى شأن الحواريين يحكي الله عنهم قولـه تعـالى رداً علـى عيسى – عليه السلام– : ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

وفى آية أخرى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (٣). إلى غير ذلك من الآيات.

وأقول لهذا الكاتب وأمثاله : "إن على من يصدر حكماً أن يتثبت منه ولا عيب فى السؤال فإن شفاء الجهل السؤال.

ونقول أخيراً: إن هذه الدعوى تتنافى ومفهوم العرب الذين نزل القرآن بلغتهم عن القصة ، والقص هو القطع ، والقصة لا تكون قصة حقيقية إلا إذا اشتملت على الصدق الخالص والحق المطـابق للواقـع الخارجي لا ما يتصوره الناس، وذلك بخلاف الأسطورة التي تشـتمل على الخرافات والأباطيل ، ومن هنا كان القرآن ينص علـى صـدق القصة القرآنية فى معرض الثناء ونفى وجـود الأسـاطير فيـه فـى معرض الذم ، ولم يقل الله : نحن نقص عليك أحسن الأساطير ، وإنما قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ٥٢ .
(٣) سورة المائدة آية ١١١ .
(٤) سورة يوسف آية ٤ .

ثالثاً : نص القرآن فى أكثر من آية أن الرسول (ﷺ) ما كان يعلم ما أنزل إليه من ربه قبل نزوله ، وذلك كقوله عز وجل فى شأن مريم: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (١).

وقوله فى شأن يوسف: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (٢).

أما من حيث كلمة الإسلام أعود فأقرر بأنها بمعنى الاستسلام والإذعان لله رب العالمين وهي قديمة قدم الدين والرسالات الإلهية ، ودعوات الأنبياء جميعاً ما جاءوا بها إلا من أجل إسلام الوجه لله.

ففى شأن إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – يقول تعالى حاكياً عنهما دعاء هما: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (٣) كما يقول عنهما : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (٤).

ويقول عن إبراهيم – عليه السلام – وحده: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٤
(٢) سورة يوسف آية ١٠٢ .
(٣) سورة البقرة آية ١٢٨ .
(٤) سورة الصافات آية ١٠٣ .
(٥) سورة البقرة آية ١٣١ .

ومما زاد الطين بلة أنه أثنى على "مطران انجليزي" لأنه يؤيد مؤلف الرسالة ، وهو بهذا قد خالف أساتذة جامعة لندن حيث قالوا: إن هذا المطران يستحق أن يحرق حياً" (١).

يقول الأستاذ الحكيم نصاً : "ما الذي حدث الآن بالضبط فى عقول الناس؟ رجال العلم الروحي ، يريدون الخروج إلى نور المنطق العقلي ، ورجال العلم العقلي يريدون الدخول إلى معبد النور الإلهي ، إنه ولا شك عصر الجشع كل طائفة لا تقنع بما فى يدها وتنظر إلى ما في يد الآخرين حتى فى المسائل العقلية والدينية" (٢).

ويضيف : "إني أفهم موقف علماء الإسلام ، فهم يفتون طبقاً لقواعد مقررة فى هذه الرسالة الجامعية ، وشاء لهم اتساع الأفق أن يضيئوا لنا النصوص القديمة بأضواء جديدة ، دون أن يحيدوا عن روح الدين وجوهر العقيدة ، ولكن الذي لست أفهمه هو موقف أساتذة الجامعة العصرية الذين يحكمون بالكفر على طالب ويطفئون بأيديهم الجامدة ، مشعل الحرية الفكرية الذي هو صلب عملهم ومحمود رسالتهم" (٣).

تأمل كيف يتهم رجال الجامعة بالجشع ، وبأنهم يقحمون أنفسهم فيها لا حق لهم فيه ، يرى أنه من الخير أن يضاء النص القرآني بنور جديد ، والنور الجديد فى نظره: هو القول بأن القصص القرآني لا يلزم أن يكون صادقاً يا أستاذ حكيم : "أنت تزعم أن رجال الجامعة

---

(١) المصدر نفسه ص ٧ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٠ .
(٣) قلت ذات يوم ص ١٠.

ولا يخفى أن القول بأن القرآن جاري ما في صدور العرب هو نفس القول بأنه مشتمل على الأساطير ، وقائله ظالم لنفسه.

يقول البيضاوى فى سورة الفرقان ردا على مدعى الأساطير فى القرآن:﴿ فَقَدْ جَاؤُوا ظُلْمًا ﴾ ، وهو: جعل الكلام المعجز إفكا مختلقا متلفقا من اليهود ،﴿ وَزُورًا ﴾ بنسبة ما هو برئ منه إليه".

ومن عجب أننا رأينا من يؤيد هذه الرسالة ، فقد قال الأستاذ المشرف عليهما : "إنها لحق ، ألقوا بى في النار" .

وعنوان مقال المشرف الذي صدر به المؤلف رسالته يدل على أنه موافق على ما كتب فيها ، وبهذا يكون الرد على المؤلف متضمناً الرد على المشرف..

وقد لجأ المؤلف إلى الأستاذ توفيق الحكيم ، ليقف بجانبه أمام المعضلة التي مست قلوب المسلمين بداء جديد ، فكان رأيه أن شهادة الأستاذ المشرف خطيرة ، وقال : "إني أحب أن ألفت النظر إلى نقطة الخطورة فيها ، تلك هى قوله : "إن الأستاذ الإمام محمد عبده ، انتهى إلى مثل هذه الآراء ، منذ اثنين وأربعين عاماً"[1] . ولما رآى أنه قد انضم إليهم بعض أساتذة الأزهر قال : "الأزهر متحرر ، وأن رجال الجامعة رجعيون" .

---

(١) قلت ذات يوم للأستاذ توفيق الحكيم ص ١٧.

الفرصة، وهم الذين يعتقدون أن القرآن وحده هو الذي يحول بينهم وبين ما يبتغون.

وقد بذل الأستاذ الحكيم كل جهد لكسب القضية حتى طالب باستقالة رئيس الحكومة ولو كان ذلك لهدم الدين.

والأستاذ الحكيم لم يسق دليلاً واحداً على صحة ما ذهب إليه صاحب الرسالة وإنما يستعمل أسلوب القوة والتهديد.

يقول الشيخ مصطفى صبرى : "وكسب القضية هي التضحية بالدين والقرآن والعقيدة" ثم يضيف ساخراً : "إنهم يكسبون القضية فعلاً، لأن الاستعمار سيخرج من البلاد لأنه ضمن أن الالحاد فشا فيها ولا رجعة للقيم والمبادئ بعد "وقد قال . "غلاد ستون" مثلما قال "كرومر": (لا بقاء للإنجليز مادام المسلمون يؤمنون بالقرآن) .

ويضيف الشيخ مصطفى صبرى : "إن الإنجليز لا يريدون القرآن لأنه :

أولاً : كلما قرأه المسلمون وجلت قلوبهم ، خوفاً من الله: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[1] .

ثانياً : ما يصرح به القرآن من أن انتصار السابقين كان من الله و: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[2] .

ثالثاً : المسلمون يقدسون القرآن وحروفه ، وذلك يزعج الإنجليز ولو انتزع القرآن من قلوبهم هان عليهم اقتحام الإسلام.

---

(١) سورة الأنفال آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩.

يقحمون أنفسهم فيما ليس من حقهم مع أنك أنت الذي تقحم نفسك فيما ليس من حقك.

بهذا اشترك الأستاذ المشرف والأستاذ الحكيم والأستاذ خلف الله فى تفسير القصص القرآني حسب الهوى والغرض، والعجب أنهم يزعمون أن الحق معهم والخطأ مع غيرهم مع أن العكس هو الصواب.

ولا أعتقد أبداً أن رجال الجامعة أو رجال الأزهر يؤيدون أمثال هذا الكلام الذي أجمع المسلمون على خلافه ، ولا اعتبار لمخالف أياً كان فالحق لا يعرف بالرجال ، وإنما يعرف الرجال بالحق ومن شذ شذ إلى النار والحكم عندنا هو البرهان من الكتاب والسنة.

وليس الاعتماد على قول أحد. ويحمل الأستاذ الحكيم على الأستاذ الشايب فاحص الرسالة ويدعى أنه رجعي وأن خلف الله متحرر ، ويوهم رئيس الحكومة بأن هذه الرجعية خطر على الإسلام وهي من مصلحة الإنجليز ذلك أن الحرية الفكرية التي يمثلها المؤلف هي الخطر الحقيقي على الاستعمار ، يقول فى هذا الصدد :

"ولكن الذي يخيف الإنجليز ، هو هذه النهضة الفكرية التي اعتقدوا أنها تضيء من الجامعة ، وهذه النهضة الروحية التي اعتقدوا أنها سرت فى الشرق من مصباح الأستاذ الإمام[1].

وهذه مغالطات ظاهرة ؛ إذ كيف يكون التحلل من الإسلام خطرا على الإنجليز وهم الذين يحاربون الإسلام كلما سنحت لهم

(١) المصدر السابق ص ٢٣.

وأي عاقل بل أي مسلم يرجح رأي الأستاذ الإمـــام إذا خـــالف صريح المعقول والمنقول ، وعلى كل الناس أن يعلمـــوا أن الأســـتاذ الإمام يخطئ ويصيب ، وكرامة القرآن فوق كرامة أي إنسان ....

وقد أوصانا رسول الله (ﷺ) بكتاب الله ، قبل أن يلحق بربـــه ، ولا يحفظ هذه الوصية إلا مسلم ، ولا ينتهك حرمتها إلا مـــارق ، ولا يكون المسلم قد أدى ما عليه إزاء هذه الوصـــية إلا بـــإجلال الـــنص القرآني واعتقاد قدسيته ، روى البخاري بسنده عن طلحة بن مصرف قال : سألت عبدالله بن أبي أو في أوصى النبي (ﷺ) ؟ قال : لا فقلت: كيف كتب على الناس الوصية ؟ أمروا بها ولم يوص قـــال : أوصـــى بكتاب الله عز وجل"[١]

---

(١) صحيح البخاري مع فتح البارى كتاب فضائل القرآن باب الوصاة بكتاب الله عز وجل ٦٧/٩.

رابعاً : يهم الاستعمار جداً هذه الدعاوى لأنهم يحاولون جاهدين تخفيف أثر العقيدة من نفوس المسلمين ، وبهذا يمكن كسب قضية مصر، لأن الاستعمار قد حقق أغراضه "واشترى الدنيا بالدين ، واستبدل عداوة الله بعداوة الدول أعداء الإسلام، "ولا بارك الله في نهضة أمة مسلمة تتنازل فيها عن إيمانها بصدق القرآن لتكسب صداقة الدول غير المسلمة".[١]

والذي أريد الوصول إليه أن يعلم من قرأ الرسالة ، ومن تسنح له فرصة قراءتها أن ما يهدف إليه المؤلف من دعاوى باطلة يتنزه عنها القرآن الكريم.

إذ لو جاز الكذب فى القصة القرآنية لجاز الكذب في القرآن كله، وإذا جاز كذب القرآن الذي هو عماد الإسلام جاز الكذب فى كل كتاب نزل من السماء ، وتكون النتيجة أن الأديان كلها باطلة ، وتنزع الثقة من جميع رسل الله وأنبيائه ، فلا تكون ثمت كتب ولا تكون رسالات...

يقول الأستاذ الشيخ مصطفى صبرى : "وحسبنا أن سند المتهمين للرسالة مخالفتها لكرامة القرآن ، وسند الأستاذ الخولى المتهم للمتهمين موافقة الرسالة لآراء الأستاذ الإمام.[٢]

(١) موقف العقل ٤١١ .
(٢) موقف العقل ص ٣٢٠ .

ومن هنا كثـر الوضـع فـي التفسـير بالمـأثور، ودخلـت الإسرائيليات ، وكان أول ظهور ذلك عن اليهود ، وازداد شيوعاً لدى الشيعة والخوارج .

والخطر من هذه النصوص جاء بعد صـدر الإسـلام ، فقـد أضاف المتأخرون إليها كثيرا ، واسندوه إلى الأوائل زورا ، وعرفت هذه الإسرائيليات بعد سنة ٤١هـ في الوقت الذي تفرق المسلمون فيـه ويؤيد كل فريق منها مذهبه، وبانتشار الأتباع لكـل فرقـة زاد هـذا الدخيل ، وكان للشيعة على وجه الخصوص النصـيب الأوفـر مـن الوضع على عليّ وابن عباس ذلك أنهما من أهـل البـت ، وينظـر المسلمون إليهما بالتكريم والإجلال .

ويجب التنبيه هنا إلى أن بعض المفسرين كان يعتمد الروايـات الصحيحة ، وينقد الباطلة منها ويردها ، وخير مثال لذلك تفسير ابـن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ فهو ينكر الإسرائيليات الدخيلـة ويعقب عليها . ومن الجلي أن الرواية إما أن تكون ذات سـند أولا ، والثانية لا نعنى بها ، والأولى إما أن تكون صحيحة السـند والمـتن معا، أو ضعيفة السند والمتن ، أو صحيحة أحدهما دون الآخـر ، ولا يعنينا من هذه الروايات كلها إلا ما يحتج به أهل الاختصـاص وهـذه أمور مفصلة في علوم الحديث .

ولخطورة هذا الدخيل على نصوص الإسلام المقدسة ، أرى أنه من الضروري بسط القول في الإسرائيليات ، بشئ من الإيجاز حتـى

مناهج المفسرين في القصص القرآني

للمفسرين على اختلافهم قديماً وحديثاً مناهج مختلفة ، في فهم القصص القرآني وتفسيره ، يمكن الكلام عنها فيما يلي :-

أولاً : التفسير بالمأثور

ويقصد به ما فسر فيه القرآن بالقرآن ، أو فسره النبي ﷺ أو الصحابة ، أو التابعون ، ذلك أن التابعين قد أخذوا عن الصحابة في أغلب الأحيان، وقد اعتبر تفسير ابن جرير الطبري المتوفى ٣١٠ هـ من المأثور مع كثرة ما فيه من آراء التابعين (١) .

وهو أول كتاب اشتهر بجمع التفسير المأثور ، الصحيح منه وغير الصحيح . وإن كانت هناك كتب أخرى سبقته لكنها لم تَشْتَهِرْ بين الناس ، مثلما اشْتُهر هذا التفسير. ثم تلاه كثير من المفسرين ، وبعضهم كان يعشق نقل الغرائب والإكثار منها ، وكل همه أن يجمع لا أن ينقد ، ولعل عذره في هذا أنه أراد ترك النقد لمن بعده .
فيجمع كل ما عن له بسلامة صدر ، ولعله كان يرى أنه ما دامت القصة لا تعارض نصاً صريحاً للقرآن ، فلا حرج في إثباتها .

وتفسير الخازن ، والدر المنثور للسيوطى ، والثعالبي خير نموذج لما ذكرت . فقد كان كل منها لا يهتم بسند الرواية من حيث الصحة أو الضعف ، وإن كان الخازن ينبه في بعض الأحيان على درجة الرواية ولا ينبه في كثير منها مع أنه ظاهر الوضع مثل ما ذكره عن داود وأيوب عليهما السلام مما يتنافى وعصمة الأنبياء .

---

(١) التفسير والمفسرون الشيخ الذهبي جـ١ ص ١٥٢ .

وصدق الكثير من المسلمين هذا الدخيل ، ومع ذلك كله كان الصحابة يقرأون التوراة والكتب الأخرى بغية الشرح والتفسير ، وحجتهم في ذلك قول الرسول ﷺ : " بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج " (١)

أما قوله عليه الصلاة والسلام: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " (٢) فمحمول على ما يمكن صدقه أو كذبه ، وذلك كلون كلب أهل الكهف ، والبعض الذي ضرب به القتيل في سورة البقرة ، ومن أى الشجر كانت عصا موسى ، ونوع الطيور التى أحياها الله لإبراهيم الخليل ، ونوع الشجرة التى كلم الله موسى عندها ؟ إلى غير ذلك ، ويمكن القول بأن المراد من الحديث : لا تصدقوهم إن كذبوا ما عندكم ، ولا تكذبوهم إن صدقوا ما عندكم .

ونحن نحسن الظن بالصحابة رواة الإسرائيليات ، ذلك أنهم لا يروون ولا ينقلون إلى الناس إلا ما يوافق الكتاب والسنة ، وما يذكر للعظة والاعتبار لا للبرهان ، وأما ما يخالف الكتاب والسنة ، فإنهم كانوا لا يروونه ، وكذلك مالا يفيد الناس ، ولا يقصد به غير التسلية، وقتل الوقت ، إذ كانوا رضوان الله عليهم بعيدين كل البعد عما لا يعود عليهم ، وعلى الناس بالفائدة ، فالوقت أثمن من أن يضيع في هذه الترهات والأباطيل وإن رووا من ذلك شيئا ووافق عندنا قبلوه وإن لم يوافق ما عندنا ردوه ورفضوه .

---

(١) البخاري : فتح المبارى جـ ٧ ص ٣٠٩ . باب أحاديث الأنبياء .
(٢) البخاري : فتح الباري جـ ٩ ص ٢٣٧ عن أبى هريرة رضي الله عنه

نحيط خبرا بحقيقتها وأثرها في كتب التفسير وأسباب وضعها ، وأنواعها ، وحكم روايتها .

فالإسرائيليات جمع إسرائيلية ، نسبة إلى إسرائيل ، الذي هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .

وقد أطلق هذا اللفظ على كل مختلق من الروايات الدخيلة في التفسير والحديث ، سواء كان ذلك من المسلمين ، أو ممن يكيدون للإسلام ، وما دام الإسرائيليون هم الأصل في رواية هذا الدخيل ، وهم الذين سنوا هذه السنة السيئة ، وَمَنْ أتى بعدهم كان على شاكلتهم ، فلا حرج إذا أطلقنا على الكل اسم الإسرائيليات .

وقد نشأت هذه الإسرائيليات بمخالطة المسلمين لليهود في المدينة ، وكان اليهود يرون أن بقاء المسلمين يهدد وجودهم فيها بإقبال الناس عليهم ، وبكثرتهم يوما بعد يوما ، فأرادوا الانتقام من المسلمين عن طريق إفساد دينهم فدخل بعضهم في الإسلام من أجل هذا الغرض نفاقا [(١)] وبتخطيطفني منظم دسوا في الإسلام ما ليس منه عن طريق ما أضافوا إليه مما لا أساس له من الصحة ، ومما تقبله العقول الضعيفة ، وتعشقه القلوب الفارغة ويضيع بذلك البحث العلمي في النصوص الإسلامية التى بنى الإسلام عليها ، وهدفهم صرف النظر عنها إلى هذه الأباطيل والمفتريات التى تشغل الوقت ، وتسمم العقيدة ، ونجحوا في غرضهم ، فانصرف الكثيرون عن جوهر الدين،

---

(١) من هؤلاء سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى وغيرهم وكانوا يجتمعون في المسجد ويكيدون للإسلام وأهله . سيرة ابن هشام مجلد ٢ ص ١٤٩ .

بدء الخليقة ، وما يرجع إلى الحدَثان[1] ، والملاحم وأمثال ذلك ، هؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم ، فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم من أمثال هذه الأغراض أخبارا موقوفة عليهم .[2] إلى آخر ما قال من تساهل المفسرين فيها ونقلهم من الكتب التى امتلأت بها .

ومن هذا النص نرى أن المنقول عنهم كانوا أهل بداوة لا يعرفون التحقيق العلمي ، وقد أسلموا على ما هم عليه فنقلوا ما يعرفون مما لا يزيد على معرفة العامة .

ويضيف ابن خلدون : إن ابن عطية أبو محمد كان من المحققين فقد رفض ما لا يقبل الصحة ، وتحرى ما هو أقرب إلى الصواب منها ، وألف في ذلك كتابا ، وتبعه القرطبي [3] .

ولولا أن الله يغار على دينه ، فهيأ للإسلام فئة ممتازة من علماء الحديث كشفوا الستار عن هذا المكر المقصود ، لكان لهذه الإسرائيليات أثر أسوأ مما لها الآن .

ذلك أن غرضهم الأساسى هو النيل من مقدسات الإسلام وكتابه الخالد ، وقد كان النصيب الأوفر من هذه الإسرائيليات فى القصص القرآني والكتب الخاصة بالتفسير .

والذين اشتهروا برواية الإسرائيليات من اليهود ثلاثة هم :

---

(١) الحدثان محركة الليل والنهار تاج العروس ٦١٢/١ .
(٢)المصدر نفسه .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٠٤

ومعظم ما نسب إليهم من الإسرائيليات غير صحيح ، وقد كان ذلك أيام عصر التدوين لما اضطربت الروايات ، واختلط الصحيح بالمكذوب ، وظهرت الفرق وكل فرقة تتصيد الأخبار التى تؤيد مذهبها وتعارض غيرها ، وضعاف النفوس والعقول من القصاصين يروون الأخبار استرضاء للعامة ، وجذباً للقلوب ، بغية السمعة الزائفة وجمع المال ، وكان بعضهم يذكرها مسندة لتكون ذات قيمة لديهم فينسبونها إلى بعض الصحابة الأجلاء .

ولابن خلدون رأى فيما يتعلق بسبب رواية الصحابة الإسرائيليات يقول : " والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا تشوقوا إلى معرفة شئ مما تشوق إليه النفوس البشرية ، في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدونه منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى "[١] .

ثم يقول : " أهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير[٢] الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بَقُوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التى يحتاطون لها ، مثل أخبار

---

(١) جـ ٦ ص ٤٠٤ تحت فصل في علوم القرآن من التفسير والقراءات .
(٢) المعروف تاريخيا أن حمير لم يكن فيها يهود .

ومن هو كعب الأحبار ؟ إنه أبو إسحاق كعب بن ماتع بالتـاء أحد أحبار اليهود أسلم في عهد عمر رضى الله عنه يروى عنه وعـن صهيب ويروى عنه أبو هريرة ومعاوية وابن عباس وجماعـة مـن التابعين ، توفى في خلافة عثمان ودفن بحمص سـنة ٣٢ هـ روى البخاري أن معاوية قال عنه :" كنا نبلو عليه الكذب " (١)

ومن الإسراف في النقد رفض مروياته لما قيل عنه ، فالرجـل كان حبرا فاضلا يروى له البخاري والزهري وغيرهما من أفاضـل السلف الصالح ، فضلا عن الصحابة المذكورين وهذا ما دعـا ابـن حبان إلى أن يقول في كتاب الثقات: " أراد معاوية أنه يخطئ أحيانـا فيما يخبر به ولم يرد أنه كان كذابا " ويقول ابن الجوزى : " المعنـى أن الكتاب الذي نقل عنه كعب يكون كذبا ، لا أنه يتعمد الكذب ، وإلا فقد كان من أخيار الأحبار (٢). والصحابة الذين عرفوا بالأخذ عـنهم هم :

عبد الله بن مسعود من أوائل المسلمين كان سادس ستة أسلموا وعبـد الله بن عباس وكانا مما رويا كثيرا من الإسرائيليات عن حسـن نيـة ومما تجوز روايته. ونرى تفسير إسماعيل بن عبد الرحمن المعروف بالسدى الكبير محشوا بمرويات ابن عباس وابن مسـعود مـن هـذه الإسرائيليات .

---

(١) انظر عمدة القارئ جـ ٥ ص ٧٤ البداية والنهاية ٢٧٦/٩

(٢)المصدر نفسه .

عبد الله بن سلام ، ووهب بن منبه ، وكعب الأحبار .

فمن هو عبد الله بن سلام ؟ كان حبرا عالما من اليهود أسلم لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرا بقباء ، لما كان يعلم من اسمه وصفته في التوراة ، وقد أسلم أهل بيته معه [1] .

قال عنه ابن الأثير : إنه من بنى قينقاع ، سماه الرسول : عبد الله ، بعد أن كان يسمى " الحصين "[2] ؛ نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾[3] ؛ وقوله : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[4] .

وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم " عاشر عشرة في الجنة "[5] . وقال هو عن رسول الله : " عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب "[6] .

أثنى عليه اليهود قبل أن يعلن إسلامه ،ولما أسلم آذوه ، فقال عنهم : " إنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور" توفى سنة ٤٣هـ .

ومن هو وهب بن منبه ؟ هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الصنعانى الأخبارى ، التابعى الجليل . قال عنه النسائى : ثقة ، وقال عنه عبدالرزاق : كان يرى الرؤيا فتتحقق كما يراها[7].

---

(١) سيرة ابن هشام مجلد ٣ ص ١٣٨

(٢)أسد الغابة جـ ٣ ص ١٧٦ وأنظر البداية لابن كثير جـ ٣ ص ٢١٠ وجـ ٦ ص ٢٢٤ .

(٣) الأحقاف ١٠

(٤) الرعد ٤٣

(٥) البداية والنهاية ٩/ ٢٧٦ . المستدرك ١٧٨/١ صحيح الحاكم ووافقه الذهبى .

(٦) المستدرك ١٤/٣ صحيح الحاكم ، ووافقه الذهبى .

(٧)

وكيف دخل الشيطان الجنة ، إلى غير ذلك مما جعل كثيرا من المسلمين لا يستطيعون تمييز النصوص الإسلامية قبل تجريدها من هذا الدخيل .

وقد اختلط الدخيل بالأصل ، فضاع كثير من الصحيح نتيجة لذلك ، وعدمت الثقة بكثير من المرويات ، واتهم الرواة بالتخبط ، إذا ذكروا ما يحتمل أن يكون إسرائيليا ، كما اتهم المسلمون بأن في تراثهم ما لا يقبل عقلا ، وأنه لا يمثل شرعا مستقلا ،كما أن مصدره كثير مما في التوراة من إسرائيليات ، ولذا اتهم بعض من أسلم من أهل الكتاب ، وحسن إسلامه ، ظنا منهم بأنه قام بترويج هذه الإسرائيليات بين المسلمين . والحق أن الرواة لم يحدثوا بكل ما نسب إليهم .

ويمكن إجمال أسباب وضع الإسرائيليات فيما يلي :ـ

(أ) أسباب دينية : فالتعصب يحمل المتطرفين إلى الوضع كالشيعة والخوارج ، وكل يؤيد ما يتفق مع مذهبه .

(ب) أسباب سياسية : كتأييد لخلافة معينة ، أو لشخص بذاته تملقا له وحبا فيه أو رغبة في ترويج مبادئه .

(جـ) الكيد للإسلام من الذين دخلوا فيه ظاهرا ولم يسلموا باطنا وعمدوا إلى الدخيل ليشوهوا به معالمه .

(د) استغلال القصاص لها والإتيان بالغرائب منها بغية النفع المادي .

(هـ) اتجاه جماعة من الصالحين إليها للتقرب بها إلى الله .

وممن أكثروا من رواية الإسرائيليات عبد الله بن عمرو بن العاص حيث قد أصاب زاملتين يوم اليرموك ، من كتب أهل الكتاب فقرأها ورواها للناس . بما فيها من خلط وغلط وتحريف وتبديل بدون نقد لها، ويحسن الظن بها بعض الناس ويرفضها البعض الآخر [١].
وروايته للإسرائيليات لا يتطرق إليها شك ، وقد بشره النبي عليه الصلاة والسلام بأنه يقرأ القرآن والتوراة [٢] .

وغير خاف أن هذه الإسرائيليات قد أورثت بعض المسلمين الشك في تراثهم فتراهم ينظرون إلى التفاسير والأحاديث بعين الحذر والحيطة. وتعجب إذا علمت أن الروايات قد تنقل عن الصحابي الواحد متناقضة ، ومثال ذلك ما نقل عن " ابن عباس " أن الذبيح إسماعيل ، كما نقل عنه أيضا أنه إسحق ، ولا شك أن الرأي الأخير من وضع اليهود، حيث هم أول من ابتدع هذه الفرية حسدا منهم لإسماعيل جد العرب . وابن عباس كان يروى أنه إسماعيل بل يجزم بهذا الرأي ، بدليل قوله المفدى إسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحق وكذبت يهود [٣]

وقد أشرت إلى أن كتب اليهود تعنى بالتفصيلات الجزئية في القصص بخلاف القرآن الذي يعنى بالعظة والاعتبار ، من القصة ، فكتبهم تذكر موضوع الجنة التى كان فيها آدم ، وتاريخ حياته ، ونوع الشجرة التى أكل منها ، وتفاصيل أخرى عن زوجه ،

---

(١)البداية والنهاية جـ ٦ ص ٦١ ، ٦٢
(٢)البداية والنهاية جـ ٦ ص ٦١ ، ٦٢
(٣) ابن كثير جـ ٤ ص ١٧

(جـ) طريق الضحاك بن مزاحم ؛ لأن الضحاك لم يلق ابن عباس فروايته منقطعة .

(د) طريق بِشْر بن عبادة ؛ لضعف بشر .

(هـ) طريق عطية العوفى وطرقه غير مرضية؛ لأنه ضعيف.

خامسا – أوهى الروايات وهى ما جاءت عن طريق الكلبي ، عن أبى صالح ، عن ابن عباس ، وإن انضم إليهم محمد بن مروان السدى الصغير وتعرف السلسلة بسلسلة الكذب .[1]

وإليك مثالا واحدا من الطرق الواهية الغريبة التى ضَعُفَ سندُها ، ولا يصح إثباتها في كتب التفسير ، وذلك ما قالوه في وصف الحجر الذى ضَرَبَه موسى ، فقد قيل إنه : ١- كرأس الثور ، ويُحمل على ثور ، فكلما نزلوا مكانا وضعوه فيه ، ويضربه موسى فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا . ٢- كان من الطور ، وكانوا يحملونه معهم ، وكان مربعا على قدر رأس الشاة [2]. ٣- كان مثل رأس الإنسان . ٤- كان من الجنة ، طوله عشرة أذرع كطول موسى، له شعبتان تتقدان في الظلام ، وقد أهبطه الله مع آدم من الجنة . ٥- هو الحجر الذي فر بثوبه حين اغتساله [3] وكان يظهر على كل ضربة مثل ثدي المرأة [4].

وهذه الآراء كلُها منتحلة ، ولا لزوم لها ، ولماذا لا يقال : إنه حجر غير معين فلو أن موسى عليه السلام – ضرب حجرا صادفه في

---

(١) التفسير والمفسرون جـ ١ ص ٧٧ .
(٢) القرطبي جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٣) القرطبي جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٤)القرطبي جـ ١ ص ٤٢١ .

أنواع الإسرائيليات

يراد بهذه الأنواع مضمون الإسرائيليات ، والحكم عليها من حيث سندها و متنها وهي من حيث السند خمسة أنواع :

أولا – رواية موثوق بها غاية الوثوق ، مثل مارواه على بن طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ذلك أنه ثقة ، وقد أخذ ما رواه عن مجاهد ، وسعيد بن جبير .

ثانيا – رواية جيدة ، ومنها : طريق قيس بن مسلم الكوفي ، الذي روى عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وجودتها أنها على شرط الشيخين .

ثالثا – رواية أقل جودة من الثانية ومثلها ما جاء :

(أ) عن ابن إسحق ، عن محمد بن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة ، عن ابن عباس .

(ب) الطريق المذكور في (أ) ولكن عن زيد بن ثابت ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، إذ كلاهما حسن وسعيد ، لم يرو إلا الثابت الصحيح وكان ابن عباس يثق في علمه ، قال عنه الطبرى: ثقة حجة، وقد أجمع عليه أصحاب الكتب الستة ، قتله الحجاج صبراً سنة ٩٥هـ

رابعا – رواية واهية مثل ما جاء عن :

(أ) طريق جويبر ؛ لأنها متروكة شديدة الضعف .

(ب) طريق مقاتل ؛ لأنه ضعيف ، حتى قيل مقاتل أضعف من الكلبي ، وقد توفى سنة ١٥٠ هـ .

ومع جواز هذه الروايات إن صح سندها نقول : العلم بها لا يفيد والجهل بها لا يضر .

الثاني : نوع مردود وإن صح سنده وذلك لأسباب ثلاثة :

(أ) أنه يتنافى مع العصمة .

(ب) أنه يخالف ظاهر القرآن والسنة .

(جـ) أن العقل يحكم ببطلانه .

١. **مثال الأول** ما رُوى في شأن سليمان أنه تزوج امرأة وكانت تعبد صنَماً في بيته بغير علمه ، وأن مُلكَه كان في خاتمه فنزعه ، ووضعه عند زوجه التى تدعى أمينة فجاءها جنى في صورة سليمان وأخذه منها وقعد على كرسيه وجاء سليمان فأنكره الناس ، ثم وجد الخاتم في بطن سمكة ، فرجع إليه ملكه. روى هذه القصة النسائي في التفسير من طريق المنهال ابن عمر بن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال الحافظ : الإسناد قوى لكن ابن عباس تلقاها عن كعب فهي من الإسرائيليات وهى باطلة لما يلي :ـ

١. الجن لا يستطيع أن يتصور في صورة نبي لما يترتب على ذلك من المفاسد .
٢. لو تمكن الجن من ذلك لتمكن من الزنا بزوجاته ـ عليه السلام وذلك لا يجوز عقلا ونقلا .

الطريق لتفجرت منه المياه ، وقد رأى هذا الرأي الحسن البصري ويقول :وهذا أظهر في المعجزة وأبين في كمال القدرة .[1]

أما من حيث المتن فهى نوعان :ـ

الأول : نوع لا يُصَدَّق ولا يُكذب ، والشارع قد أذن في نقله ، لأنه لم يخالف الكتاب والسنة ، بل يشرح الموجز ، أو يوضح المبهم الذي ورد في شرعنا ولا فائدة في تعيينه ولا يُحتج به ، وليس عندنا من الأدلة ما يصدق ما ورد فيها أو يكذبها ، ولهذا تجوز روايتها إن صح سندها ، وسلمت من الطعن ، ودليل ذلك قوله ﷺ : " وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج[2] " .

ومثال النوع الذي لا يصدق ولا يكذب ما قيل في البعض الذي ضرب به القتيل إنه : ١- اللسان . ٢- عَجْب الذنَب[3].

٣- لحم الفخذ . ٤- لحم مابين الكتفين[4] وكذلك ما قيل فى الطير الذي ذبحه الخليل إنه :

١. الطاووس ، الديك ، الحمام ، الغراب .
٢. الثلاثة الأولى ، ومكان الغراب الكركى .
٣. نفس الرواية السابقة لكنَّ النَّسر بدل الحمام .[5]

وغير ذلك من الروايات .

---

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٠ في بسط هذه الآراء ىلآية رقم ٦٠.
(٢) فتح الباري جـ ٧ ص ٣٠٩ باب أحاديث الأنبياء .
(٣) العَجْب : بالسكون : العظم الذى أسفل الصلب عند العجُز . النهاية لابن الأثير .
(٤) قرطبي جـ ١ ص ٤٥٧ وانظر ابن كثير جـ ١ ص ١١٢ .
(٥)المصدر نفسه جـ ٣ ص ٣٠٠ .

المقام[1] وهو الحق وأدنى الناس لو صيح به في هذا المقام لرجَع فكيف بيوسفَ لا يرجع بعد رؤيته لأبيه ؟ وهو الذى قال فيه ربـــه: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[2]

وأثر الوضع والتكلف ظاهر في هذه الآراء ، وهذا يخالف المعقـــول ، إذ لم يكن القرآن قد نزل بعد وكيف يعاودُ يوسفُ الأمرَ ثلاث مـــرات بعد أن سَمِعَ ما سمع ، ورأى ما رأى ، وهو الذي حكي الله عنه قوله: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[3] وقد اعترفت امرأة العزيز بأنها هى التى راودته عـــن نفسه فاستعصم ، وهددته بالسجن إن لم يستجب لها .

وسؤالنا الآن: ما الذي أتى لكم بهذه الأخبار ؟ وما ذكرته مـــن هذه الإسرائيليات يتنافى مع عصمة الأنبياء ، كما يخالف ظاهر القرآن والسنة ، وقد جرت حول الأنبياء عليهم السلام إسرائيلياتٌ تَذكر أنهـــم يرتكبون محرمات مُنعوا منها ، وكل إسرائيليات من هذا النوع باطلة.

يقول الفخر الرازي المُعتَبَرُ عنـــدنا عصـــمة الأنبيـــاء علـــيهم السلام[4].

ومن هنا لا يصح إطلاقُ اللسان في حقهم وبالأخص حال النبوة، وذلك كقول بعضهم في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾[5]: إنهم بشر ، ومعنى ذلك أنهم ظنوا أنهم كُذِّبوا ممَّـــن

---

(1) الكشاف جـ ٢ ص ٤٥٦/ ٤٥٧ .
(2) يوسف : ٢٤
(3) يوسف : ٣٣
(4) التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ١٢٨
(5) يوسف : ١١٠ على قراءة التخفيف والتشديد . والتشديد قراءة متواترة . حجة القراءات ٣٦٧.

٣. هذه القصة لا عبرة فيها ، وذلك مناقض للقرآن الذي يقول فيه : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١)

٤. سليمان عليه السلام لا يَقبَل عبادة الأصنام في بيته حيث ذلك يتنافى مع ما جاء به .

ومثل هذه الرواية ما روى في تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام حينما هم بامرأة العزيز بأنه سمع صوتا يقول : إياك وإياها فلم يكترث له ، فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا : أعرض عنها فلم ينجع فيه ، حتى مُثِّلَ له يعقوبُ عاضا على أنملته ، وقيل : ضرب بيده في صدره فخرجت شهوتُه من أنامله ، وقيل صيح به يا يوسف : لا تكن كالطائر كان له ريشٌ فلما زنا قعد لا ريش له ، وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم ، فيها آيات من القرآن وأغرب من كل ذلك : ما روى أن امرأة العزيز قامت إلى صنم لها كان هناك فسترته ، وقالت : أستحى منه أن يرانا فقال يوسف : " استحيت ممن لا يَسمع ولا يُبصر ، ولا استحى من السميع العليم بذات الصدور "

وهذه الآراء كلها إسرائيليات باطلة ، وقد ردها الزمخشرى فقال : ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلةٍ لعاتبه الله عليها ، وذُكرت توبته واستغفاره ، كما نبه على آدم ، وعلى داود ، وعلى نوح ، وعلى أيوب ، وعلى ذي النون ، وذُكرت توبتُهم واستغفارهُم، كيف وقد أُثنى عليه ، وسُمِّى مخلصا فعُلم بالقطع أنه ثَبَتَ في ذلك

---

(١) يوسف ١١١ .

السلام فعلوا المنكرات - كما نقلوا - لما سكت عنهم قومهم ، بل شنعوا عليهم ولم يثبت ذلك ، ولو أن رسولا ارتكب مثل هذه المعاصي لم يصلح أن يكون قدوةً لغيره ، ولما وثق به أحد ، وبالتالي لما حققت رسالته غرضها في هداية الخلق ، ولو تم ذلك لما قامت لهم دعوة .

قال مؤلف الحصون الحميدية: "الأمانة من صفات الرسل، ويستحيل عليهم الخيانة ،لأنهم لو خانوا بفعل أو قول لكنا مأمورين به لأن الله أمرنا باتباعهم في القول والفعل والحال من غير تفصيل ، والله لا يأمر بالمعصية "(١).

ومما يخالف السنة الصحيحة من هذه الإسرائيليات ما روى عن أهل الكتاب أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى بنى إسرائيل ، وإنما هو موسى بن يوسف بن يعقوب بن إسحق عليه السلام ، وروى أن نوفا البكالى هو الذي قال هذا القول وذكروا عنه أن أمه كانت زوجا لكعب الأحبار الذي أسلم ومعه الكثير من أخبار أهل الكتاب فيها الصدق وفيها الكذب وردنا على ذلك أن ظاهر القرآن يعارض هذا الرأي ، وقد روى البخاري بسنده إلى سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس : إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل فقال ابن عباس : "كذب عدو الله" ثم سرد حديث أبى بن كعب في قصته ونص فيه على أنه موسى بنى إسرائيل .(٢)

---

(١) ص ٣٧ للشيخ حسين الجسر .
(٢) فتح الباري جـ ١ ص ٢١٧ ، ٢١٨ والبكالى بكسر الباء وفتح الكاف منسوب إلى بكال بطن من حمير يقال أنه ابن امرأة كعب الأحبار .

كلفهم بالرسالة ، وذلك غير جائز بحال لأنهم معصومون من ارتكاب الكبائر والصحيح فى معنى الآية : إذ يَئِسَ الرسل من إيمان قومهم وظنوا أن قومهم كذبوهم[1] ، ولا يقال : إنّ مظاهر الحس تتغلب عليهم أحيانا باعتبارهم بشرا ويحمل عليه قوله تعالى :﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾[2] باعتبارها نوازع نفسية لا تذم إلا إذا دفعتهم للمعصية فعلا لأننا مأمورون باتباعهم ، ولا نؤمر باتباعهم في المعاصي لأن ذلك يتنافى ومقام الرسالة المقصود به هداية البشر .

ولهذا فما نقل عن سليمان عليه السلام بأنه ترك العصر انشغالا بالخيل باطل ، وغير لائق به أن يفعله . ومعنى الآية : أن يونس كان مغاضباً قومه حيث لم يستجيبوا لدعوته ، وأما سليمان عليه السلام فقد ذكر الفخر الرازي أنه أراد الغزو فأمر بإحضار الخيل ، وقال : إني أحبها لأجل ربى لا للدنيا ولا للنفس ، وإنما لله وطاعته . وهذا هو المراد بقوله : ﴿ عَن ذِكْرِ رَبِّي ﴾وقد أعدها سليمان ليختبرها ويرى مدى صلاحيتها للغزو ، وقد سارت أمامه حتى توارت بالحجاب وغابت عن بصره ، فقال:﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ ﴾ ، فلما ردت طفق يمسح السوق والأعناق بيده .[3]

وهذا هو اللائق في حق الرسل عليهم السلام تمشيا مع النص القرآني وبعدا عن الدخيل من الإسرائيليات ، ولو أن الرسل عليهم

---

(١) القرطبى ٩/ ٢٧٦ .
(٢) الأنبياء : ٨٧
(٣) سورة ص ٣٣ وانظر الفخر الرازي في تفسير الآية الكريمة .

ذلك أنها تخالف العقل والنقل حيث لم يثبت أن قوم موسى دخلوا على الجبارين ، ولو صح هذا لكان لهم العذر في موقفهم إذا رفضوا دعوة موسى إليهم لدخول هذه البلاد .

ويمكن القول هنا أخيرا بأن ما يوافق ظاهر القرآن والحديث قبل ، وما لا يوافقه ، فإن كان يحتمل الصدق والكذب لا نصدقه ولا نكذبه , وكل مالا سند له أو له سند ضعيف أو يخالف العقل فهو مرفوض .

وهناك أحكام عامة تفيدنا فى هذا المقام منها : أن كل ما ورد فى هبوط آدم وزوجه من السماء ، وتعيين مكانهما لا سند له ، وكذلك ما اشتهر عن أيوب عليه السلام فيما أصابه فى مرضه كل ذلك لا أصل له .

قال الشيخ حسين الجسر " وما كان بأيوب من البلاء فقد كان ألما تحت الجلد ليس منفرا وما اشتهر فى قصته من الحكايات المنفرة فهي باطلة [١]

حكم رواية الإسرائيليات

فى الأحاديث الصحيحة ما يفيد الحظر لروايتها وفيها ما يفيد الإباحة .

فمن الأول ما رواه جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ قال: فغضب وقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد

---

(١) الحصون الحميدية ص ٣٨ .

ومثال ما يحكم العقل ببطلانه ما روى في " دائرة المعارف الإسلامية " مادة إسرائيل عن ميلاد يعقوب وعيصو الأخوين ما نصه: " ولما جاء أوان الوضع اقتتل الغلامان في بطن أمهما إذ أراد يعقوب أن يخرج قبل عيصو فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعترضن فأتأخر في بطن أمي فأقتلها ، فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله ، ومثله: ما روى أن آدم عليه السلام كان مع نوح في السفينة ، وقد حمله معه ليكون حاجزا بين الرجال والنساء . و نقل بعض المفسرين هذا الرأي عن مقاتل .(١)

وهو يخالف المعقول ؛ لأن نوحا عليه السلام لا يقدم على إهانة أبيه بهذه الصورة ، وهو يعلم يقينا أن إكرام الميت في مواراته تحت التراب ذلك فضلا عن طول المسافة بين آدم ونوح عليهما السلام .

ولنا أن نقول : من أين حصلتم على هذه الأخبار ؟؟!

ومما يخالف العقل ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية أن رسل موسى لما قدموا على الجبارين تلقاهم رجل من رسلهم ، فجعل يأخذهم واحدا واحدا ويلفهم في أكمامه وحجره ، وفي سراويله ، وكانوا اثني عشر رجلا ، وجاء بهم ونثرهم بين يدي ملك الجبارين ، وقد بعث الملك إليهم عنبا كل عنبة تكفى الرجل (٢)

وقد عقب ابن كثير على هذه الرواية بالبطلان (٣)

---

(١) معالم التنزيل للبغوى جـ ٢ ص ٢٣٣ . والخازن جـ ٢ ص ٢٣٢ .
(٢) جـ ١ ص ٢٧٨ .
(٣) وقال : وقد ذكر كثير من المفسرين ههنا آثارا فيها مجازفات كثيرة باطلة .

أولا – الاعتماد على الخبر الصحيح سندا ومتنا ، وكذلك ما يتفق مع العقل السليم وظاهر القرآن والسنة .

ثانيا– أرى ضرورة إنشاء قسم خاص بدراسة القصة القرآنية، ويتولى الإشراف عليه كبار أساتذة علم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر والجامعات الأخرى .

ثالثا– كل كتاب اشتهر بكثرة الإسرائيليات فيه " كالدر المنثور " و"الثعلبي " و" الخازن " ، تلحق به مذكرة إيضاحية تبين ما اشتمل عليه من زيف وباطل ، وتوضح علة زيفة وباطله ، أو يحقق الكتاب للأمانة العلمية ، وهذا أفضل إذا كان التحقيق العلمى وافيا بالغرض .

رابعا– تقوم لجنة من هذا القسم بحذف الإسرائيليات التى اشتملت عليها هذه الكتب ، وطبع الكتب من جديد ، بعد تجريدها وتطهيرها من هذه الإسرائيليات ، والتنبيه على أنها مجردة من الدخيل وتحث الناس على أن ينهلوا من لب العلم ، وأن يتمسكوا بالنص القرآني وما يدور حوله من صحيح الحديث ، وذلك ضنا بضياع وقت الأفراد والجماعات فيما لا يفيد من هذه الإسرائيليات ، كما يلزم التنبيه على أن النص القرآني ذاته زاخر بالكنوز والتوجيهات .

جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شئ ، فيخبروكم بحق فتكذبونه أو بباطل فتصدقونه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا اتباعي [1]

ومن الثاني " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " [2]

ففي الأخير أباح الشارع الأخذ عنهم ، قراءة لكتبهم ، أو أخذا من أفواههم والجواز مقصور على ما فيه عظة وعبرة وقام عليه البرهان، ويمكن القول بأن ما حسن من روايتهم فهو حسن ، ما قبح منها فهو قبيح .

وأما حديث عمر فيحمل على الحظر فى أول الإسلام خشية اختلاط نصوص القرآن بغيره ، أو أن المراد إباحة الحسن وترك رواية غيره كالمدسوس والمشبوه .

(توجيه ونصح)

وبعد هذا البيان المتعلق بالإسرائيليات أرى أن المشتغلين بقصص القرآن عليهم ألا يأخذوا الخبر بدون تمحيص ودراسة ، بل يبحثوا عن دَرَجَتِهِ فما لم يصح سنده ومتنه يرفض ، وما صح سنده ومتنه يقبل ، كما يرفضون ما يتنافى مع العقل وظاهر القرآن الكريم والسنة النبوية.

والمنهج العلمى الذي أراه لتقنيته القصص القرآن من الإسرائيليات هو كما يلى :

---

(١) ابن كثير ص٤٦٧ . والحديث رواه أحمد فى مسنده (٣٨٧/٣) وفيه مجالد بن سعيد وللحديث شواهد وإسناده حسن . إروا الغليل جـ ٦ رقم ١٥٨٩ ,

(٢) فتح الباري جـ ٦ ص ٤٩٦ كتاب أحاديث الأنبياء .

١- وقد مر بك جانب من تفسير الأستاذ الإمام لقصة آدم عليه السلام.

٢- أما المعتزلة فإنهم لا يقدمون على العقل نقلا ، وبذلك يهدرون النقل ويؤولون النص القاطع ليتفق مع العقل ، وينكرون الحديث الصحيح الذي لا يتفق مع ما ذهبوا إليه ومن ذلك حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام مع أن الحديث رواه البخاري بسنده إلى أبى هريرة عن النبي ﷺ قال : " حاج موسى آدم عليهما السلام فقال له : أنت الذي أخرجت الناس بذنبك من الجنة وأشقيتهم ، قال آدم يا موسى: أنت الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، أتلومني على أمر كتبه الله على قبل أن يخلقني ، أو قدره الله على قبل أن يخلقني ، قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى ". والحديث كذلك فى مسلم عن عمرو الناقد والنسائي عن محمد بن عبد الله بن يزيد ، عن أيوب بن النجار ، وفى مسند أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن همام ، عن أبى هريرة بألفاظ أخرى كلها تتفق مع جوهر الحديث وهو فى الترمذي : عن الأعمش ، وفي مسند البزار عن أبى سعيد ، ورواه الجماعة إلا ابن ماجه من عشر طرق ، كلها عن أبى هريرة رضي الله عنه .[1]

وقد خلت كتب المعتزلة من الإسرائيليات مثل تفسير القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ المسمى " تنزيه القرآن عن المطاعن" ، وتفسير الكشاف لجار الله الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨هـ .

(١) فتح البارى ٤٣٤/٨ كتاب التفسير باب " فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى " وانظر البداية والنهاية جـ١ ص ٨١ ، ٨٢ " كردستان " .

ثانيا – المفسرون بالرأي

لم يلتزم كثير من المفسرين بظاهر النص ، كما لم يعتمدوا على الحديث الصحيح وسبب النزول وآراء الصحابة ، وما أجمع عليه المسلمون ، وقد يذكر بعضهم إسرائيليات لا أساس لها من الصحة ، ولا يعقب عليها ، بالنفي ، وذلك كتفسير أبى السعود المتوفى سنة ٩٥١ هـ المسمى : " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم " فهو يروى عن الكذابين مثل الكلبي ، والكلبي متهم بالكذب فى روايته عن أبى صالح مع أن المتبادر إلى الذهن أن المفسر ما دام مفكرا فإنه يبطل الزائف من الروايات بدراسة الحديث وعلومه .

المتطرفون فى التفسير

خرج بعض الطوائف عن ظاهر القرآن خروجا وصل بهم إلى درجة التطرف ، وهم أربعة أقسام :

١- قسم جانب التطرف والخروج عن دليل أقل كتفسير الشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا ، ومن على شاكلتهما[١].

٢- قسم بين التطرف والاعتدال كالمعتزلة[٢] .

٣- قسم معتدل كبعض الروافض [٣].

٤- قسم وصل إلى درجة الإلحاد كالباطنية[٤] والبابية والبهائية[٥] والقاديانية[٦] .

---

(١) ص ٥٨٥ .
(٢) ص ٦٧٤ .
(٣) ص ٦٧٥ .
(٤) ص ٦٧٥ .
(٥) ص ٦٨٢ .
(٦) ص ٦٨٦ .

ملئ بالخرافات والأباطيل ، ونحمد الله الذي لم يوفق فيه لتفسير القرآن كله ، بل فسر منه سورة الفاتحة ومعظم سورة البقرة لا غير [1] يقول عند قولـــه تعـــالى : ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [2] قال الله عزوجل : واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقا ينقطع بعضه من بعض ، فأنجبناكم هناك وأغرقنا فرعون وقومـــه ، وأنـــتم تنظرون إليهم ، وهم يغرقون وذلك أن موسى لما انتهى إلـــى البحـــر أوحى الله عزوجل إليه : قل لبنى إسرائيل جددوا توحيدي ، وأمـــروا بقلوبكم ذكر محمد سيد عبادي ، وأعيدوا على أنفسكم الولايـــة لعلـــى أخي محمد ، وآله الطيبين ، وقولوا اللهم بجاههم جوزنا على متن هذا الماء ، فإن الماء يتحول لكم أرضا إلى غير ذلك مما هو بعيـــد عـــن تفسير الآية الكريمة من الأباطيل التى لا يؤيـــدها الـــدليل ويرفضـــها العقل...

والباطنية أصلاً مزيج من المجوس واليهود أردوا الكيد للإسلام وكان أول ظهورهم أيام المأمون المتوفى سنة ٢١٨ هـــ بزعامة "عبد الله بن ميمون القداح " الذي كان بالكوفة سنة ١٧٦ هـــ وهو يهـــودي المعتقد ، ولكنه يظهر الإسلام ، وكان مولى لجعفر الصادق .[3]

وقد شيد الباطنية مذهبهم الباطل ، ونشروا ضلالهم على الناس بعد أن أسسوا جمعية سرية لهذا الغرض .

وهم يتسترون بالإسلام ، ويتخذونه أصلا يبنون عليه مزاعمهم الفاسدة ، وسموا باطنية لأنهم قالوا بباطن القرآن دون ظاهره ، حيـــث

---

(١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢٧٥ تفسير التيمورية .

(٢) سورة البقرة ٥٠

(٣) قواعد عقائد الباطنية للفقيه المؤرخ محمد بن الحسن الديلمى اليماني ص ١٣

٣- أما القسم المعتدل من الرافضة[1]

فمنهم الفضل بن الحسن الطبرسى ، من علماء الإمامية في القرن السادس الهجرى وكتابه " مجمع البيان في تفسير القرآن [2]" جمع فيه بين المأثور والمعقول وينتقد بشدة من يزعم الزيادة والنقصان في القرآن ويقول عنهم : حشوية العامة[3] ، كما ينتقد آراء أهل الأهواء المضلة[4] وفى الكتاب علم كثير ، ولا يخلو من الملاحظات .

ومنهم محمد بن على الشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ وكتابه: " فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير " ومنهجه من عنوانه . وهو زيدى معتدل .

٤- أما الباطنية فهم يعتقدون أن للقرآن ظهرا وبطنا , ويحرفونه كما يشاء لهم هواهم , ويدعون أن كلا من الظاهر والباطن مراد لله ، وأن ظاهره التوحيد والنبوة والرسالة وأن باطنه الدعوة للإمامية . وما يتعلق بها ، ولهذا الاتجاه انحرفوا عن الطريق السوي بادعاء ما ليس لهم أن يدعوه ، من تحميل للألفاظ على غير معناها كتفسير الأرض بالقرآن وأهم كتبهم: " مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار " للنجفى المولى عبد اللطيف الكازرانى [5] ، ومن كتبهم: تفسير الحسن العسكري الذي

---

(١) الرافضة : أتباع زيد بن على بن الحسين . طلبو منه أن يطعن في أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فرفض ، ورفضوه ، وهو أول من أطلق هذا اللقب وقد يطلق على الشيعة عموما ، ما عدا الزيدية .

والشيعة هم أتباع وأنصار على وآل بيته رضى الله عنهم ، ومنهم الإثنا عشرية ، ويطلق عليهم الإمامية ، وهم اثنا عشر إماما ، أولهم على ، وآخرهم محمد المهدى . انظر : الفرق بين الفرق ص٢١ . للبغدادى والموسوعة العربية الميسرة ص١٥٤ جـ١ ، وموسوعة الفلسفة والفلاسفة د/ عبدالمنعم الحفنى ٨٩/١ .

(٢) يقع في عشرة أجزاء .

(٣) ص ١٥ جـ١ من تفسيره .

(٤) ص٢ جـ١ من تفسيره .

(٥) مطبوع بطهران سنة ١٣٠٣ هـ .

إشارة إلى رموز خفية. ولا يقرون بها أصلا . ولهم حـــول الظـــاهر والباطن تأويلات فاسدة ، ومؤلفاتهم فى مـــذهبهم وخاصـــة المتعلقـــة بتفسير القرآن لا تقف عند حد ومنها:

"البلاغ الأكبر" لأبى القاسم القيرواني ، و"الحسام البتار" لحميـــد المحلى و"الرضاع" ، و"الجامع" ، و"العلم المكنون والسر المخـــزون" ، لأبى يعقوب السجستانى ، وكتاب "دعائم الإسلام" ، و"المبتدأ والخبر" ، و"المحصول" للملقب : بالمعز لدين الله .

تأمل تفسيرهم الغريب لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (1) يقولون : فالنون من هذه الكلمة، آخرة الأمر ، وآدم أول الخلق ، وانتهاء آخر الأمر إليه ، فلذلك دلـــت النون عليه ، والمعجمة التى فوق النون دلالة علـــى أن آدم أول مـــن نطق بإظهار شريعة الله ، ثم هجاء النون نـــون واو نـــون ، فرجـــع الحرف الثالث إلى أوله ، فذلك كان حجة آدم ابنـــه "شـــيث" ، فـــذلك معنى: رجوع الحرف إلى أوله ، فصار "لآدم" وابنه رتبتان ، ليســـت لغيرهما من النطقاء والأوصياء ، وذلك معنى العجمة على النون دون الحروف السبعة ، والواو تدل على نوح ، وآخرها يرجع إلى أولهـــا ؛ لأن ابنه "إسماعيل" حجته بعده . والكاف تدل على "موسى" ، وآخرها غير أولها ، لأن وصيه بعده " يوشع بن نون " ولم يكن لموسى ولد ، والكاف إنما غيرت فى الكتابة إذا كانت فى آخر حرف ، تغييرا غيـــر

---

(1) آل عمران : ٥٩

يعتبرون الظاهر قشورا ، والباطن لب الشئ وحقيقته ، وهم بذلك ينكرون البعث ويفسرون القيامة بأنها: قيام قائم الزمان ، وهو خروج إمامهم ، والمعاد هو : عود كل شئ إلى أصله من الطبائع الأربع ،[1] ويقولون عن نار يوم القيامة : المقصود بها تكاليف العباد . أما نار إبراهيم عليه السلام – فهي : غضب النمرود عليه ، وذبحه لإسحاق أخذه العهد عليه ، وعصا موسى التى تنقلب ثعبانا معناها : غلبته عليهم وانفلاق البحر معناه افتراق علم موسى فيهم إلى عدة أقسام . والبحر هو : العلم ، وإظلال الغمام : أمره فيهم والمن والسلوى : علم نزل من السماء بداع من دعاتهم وتسبيح الجبال لداود معناه : تسبيح رجال شداد فى الدين والجن المسخرون لسليمان : هم باطنية ذلك الزمان ، ومعنى أن عيسى لا أب له : أنه لم يأخذ العلم من إمام وإنما من نائب إمام وله أب حقيقي هو "يوسف النجار" ، وأمه مريم [2] ومعنى إحيائه الموتى : تعليمه الجهال بالباطن وإبرائه للأعمى : تعريفه الضلال ، والبرص : هو الكفر . [3]

وهكذا جعلوا لكل آية تفسيرا خاصا بها ، وكلامهم فى القرآن الكريم كفر صريح ، حيث قد زعموا أساسا أنه من عند محمد ﷺ ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[4].

وينكرون الوحي بحجة أن جبريل عليه السلام لا يرى ويقولون: الكتب المنزلة من كلام الأنبياء ، ويؤولون المعجزات : بأنها

---

(١) وهى الصفراء والسوداء والبلغم والدم .
(٢) قواعد عقائد آل محمد الباطنية ص ٩٠ .
(٣) نفس المصدر ص ١٨ .
(٤) التكوير : ١٩

وقد قام الدليل العقلى والنقلى عليه إذ القادر على الخلق من جديد قادر على الإعادة ، والإعادة أهون من البداية ، والعقل لا يقر بأن يخلق الله الناس ثم يتركون سدى كالحشرات تموت ثم تهمل .. قال تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ (١)

وهذا دليل على أن للبعث يوما يحاسب الناس فيه بعد خروجهم من القبور على أعمالهم ، التى قاموا بها فى الدنيا ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

وآيات القرآن كثيرة دالة على حقيقة البعث ، للأجساد والأرواح والجنة والنار يوم القيامة على ظاهرهما . ففي الجنة النعيم كما وصفه الله ، وفى النار العذاب الأليم كما حكاه الله فى مثل قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (٢)

وهذا كلام ظاهر لا لبس فيه ، ولا يحتاج إلى مزاعمهم

أما العصا فهي حسية قطعا لظاهر القرآن وقد أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام معجزة له ، والمعجزات تصديق للأنبياء على دعواهم الرسالة .

(١) المؤمنون ١٠١- ١٠٣.
(٢) الهمزة ٥-٩ .

مخالفة لمعناها ، فذلك دلالة على انتقال "موسى" إلى رتبة الكليم الذى كلمه الله تعالى كما قال : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ولم يقل ذلك فى غيره من النطقاء واللام تدل على "عيسى" ، وآخرها غير أولها ، وذلك لأن وصيه كان "شمعون الصفا" ولم يكن له ولد ، والميم تدل على "إبراهيم" ، فمعنى ذلك أن أمر الله بعد "عيسى" والأئمة من بعده ، انتقل إلى ولده "إسماعيل" فى "محمد" و"المهدي" لأن الميم صارت تدل على "إسماعيل بن إبراهيم" لما رجع أمره إليه ، كما دلت على "إبراهيم"[1] إلى أخر هذا الهذيان الذي لا يعقل ، ولا يتفق مع النص القرآني ، وإنما يشوه معالمه ، ويخرج به عن هدايته للعالمين ، وكل غرضهم الكيد للإسلام والمسلمين .

وأكثر من هذا إلحادا وميلا بالقرآن عن ظاهره قولهم : إن "محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق" إله ، وهو الذي كلم "موسى" ، وهو القائل : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[2].

وهذا كفر صريح باتخاذ شريك لله ، وإلباسه حقا لله تعالى لا يتعدى إلى غيره.

وإليك ردا على مزاعمهم الباطلة فى البعث ، والعصا ، والخروج بهما عن ظاهر القرآن فالبعث : إخراج الله الناس من القبور للحساب أمام الله رب العالمين .

(١) المصدر السابق ص ٧٠
(٢) طه ١٢ .

و"كان الناموس الأعظم التلبيس على هذا العالم المنكــوس ، ألا تــرى أنهم لما اختلفوا فى الناموس جعلوه غاية لا تدرك ، وشيئا لا يعقــل ، وأمر لا يفهم ، حتى خرج عن العقل والمعقول[1] "

وهاتان العبارتان توضحان ما ينطوي عليه مذهبهم من تفسير لظــاهر القرآن الكريم وخروج العقائد والشرائع عما أجمع عليه المســلمون ، وما اتفق عليه العقلاء .

وإذا كان المسلمون عندهم فى عالم منكوس ، لأنهــم يحملــون النصوص على ظاهرها فالحق أنهم الذين نكسوا على رؤسهم برفض هذا الدين الواضح الذي تركنا عليــه رســول الله ﷺ وهــو المحجــة البيضاء ليلها كنهارها .

أما البابية والبهائية ، ورأسهم (ميرزا على محمد) الملقب بالبــاب وقد نشأ فى " شيراز" جنوبي إيران ، وادعى أنه " المهدي المنتظــر" أعدم سنة ١٢٦٥هــ ١٩٤٩م بتبريز ، وقام بــالأمر بعــده (ميــرزا حسين على) الملقب " ببهاء الله " وقد لقب أتباعه بالبهائية ، وهم من مصادر الفتن والقلاقل بين المسلمين ، بسبب زعمهم فى القرآن ، مما يرفضه الدين الحنيف ، وقد هلك البهاء بعكا بفلسطين سنة ١٣٠٩هــ ١٨٩٢م ومن كتبهم " الحجج البهية " لأبى الفضل الجرفادقــانى كلــه ضلال وبهتان ، ومن عجب قوله : كل من فسروا كتــاب الله علــى باطل وضلال وفساد .

ومع ذلك يزعم " أنه يكشف عن مخبآت الآيات ويفتح رموزها" ويدعى أن " الكتب السماوية ومن أنزلت عليهم تدعو إلى مجئ البهاء

---

(١) المصدر السابق ص ٨٧ .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (١)

ولا تصرف ظواهر الألفاظ عن مدلولاتها .

وما قالوه من صرف لها عن ظواهرها فاسد هدفهم منه إبطال الإسلام بالدس والتلبيس على الناس ، ومرادهم من الظاهر والباطن : التدرج بهم لطمس معالم الشرع الحنيف والدخول في الكفر الصريح .

ونحن نقول لهم :

علام اعتمدتم على هذه التأويلات الباطنية ؟

إذا كان ذلك بنص شرعي فأين هو ؟

وإذا كان بدلالة عقلية قلنا لكم : العقلاء لا يقولون بهذه التأويلات الفاسدة والضرورة تبطل ما ذهبتم إليه ، لما يترتب عليه من إنكار المعجزات وسقوط التكاليف الشرعية .

وإن قالوا : ذلك من المجاز قلنا : أين قرينة المجاز التي تصرفه عن ظاهره ؟ والحق أن القوم قد بينوا هدفهم من مذهبهم صراحة .

فقد قال صاحب "البلاغ الأكبر" لأحد تلاميذه :

" فذلك مما يعينك على تسهيل التعطيل لله ، والإرسال للبشر ملائكة وعلى الرجوع إلى الحق ، والقول بقدم العالم" . (٢) كما قال :

---

(١) طه ١٧ – ٢١ .

(٢) المصدر السابق قواعد آل محمد الباطنية ص ٨٧ .

انظر إلى إلحادهم فى آيات الله وهم يصرفونها عن ظاهرها فى قصة " يوسف " عليه السلام فى قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1] يقولون : إن يوسف هو " الحسين بن على بن أبى طالب " والشمس " فاطمة " ، والقمر محمد ، والنجوم أئمة الحق ، الذين يبكون على " يوسف " سجدا .

كما يقولون فى قوله تعالى : ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[2] ما نصه :

" إذ قال على يابنى لا تخبر مما أراك الله من أمرك إخوتك ترحما على الفهم وصبرا لله العلى ، وهو الله كان عزيزا حكيما ، إن كنت تخبر من أمرك فى بعض مما قضى الله فيك ، فيكيدوا لك كيدا بأن يقتلوا أنفسهم فى محبة الله من دون نفسك الحق شهيدا " وغير ذلك من الأباطيل كقولهم : الجنة هى الحياة الروحية ، والنار هى الموت الروحاني .

وهذا التفسير يخالف العقل وظاهر القرآن يعارضه وفيه طمس لمعالم الإسلام الحقيقية وهؤلاء لا يريدون غير النيل من القرآن باعتباره كتاب الإسلام الأول ويريدون هدم الدين ، وهم وأمثالهم يجب الحذر من دسائسهم الباطلة ، كقولهم : جميع الديانات السماوية وغير

---

(١) يوسف آية ٤ والمفسر ميرزا على المسمى بالباب

(٢) يوسف ٥ .

والمسيح نفسه لم يقل : إنه الله ، بل ذكر أنه ابن الله ونصه : " وأما المسيح له العز والمجد ، فما ادعى أن ظهوره هو ظهور الله بل ذكر أنه ابن الله ، وقال : " إنه مبشر لمجئ يوم الله " ، ويوم الله ، في نظره هو " اليوم الذي يظهر فيه الباب ".

ويوم القيامة فى نظره خيال لا حقيقة له يقول ما نصه: "فالمقصود من الرجفة ، رجفة ظهور تلك الحقيقة المقدسة ، ومن القيامة : مقام مظهرها ومطلعها بين الخليقة ، ومن الساعة ساعة طلوعها وإشراقها بعد الغيبة ، وأما الرجفة والقيامة بالمعنى الذي تعتقده وتنتظره الأمم : فهي أمر غير معقول إذ هو مخالف للنواميس الطبيعية ، ومباين للسنن الإلهية ، ولن يجدوا لسنة الله تبديلا ، ولن يروا للنواميس التى طبع الله الخليقة عليها تغييرا ولا تحويلا[1]

والرجل كما ترى بهذه الدعوى ملحد ، مغرق فى الإلحاد إذ كل من زعم استحالة يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين لا يفرق بينه وبين الذين يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ولا هم لها غير اللذة العاجلة وفى الآخرة النار مثوى لهم . حيث كفروا بما يتنافى مع الفطرة وتدعو إليه الكتب السماوية ومن أنزلت عليهم هذه الكتب .

يقول عن القصص القرآني : إنه غير واقع ، ولا يمكن للمؤرخ أن يستمد معارفه التاريخية ، من آيات القرآن وأن الأنبياء تساهلوا فى معارفهم التاريخية وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات .

(١) الكتاب المذكور ص ٣٠ ، ٣١ . ويلح على إنكار البعث فى مواضع مختلفة من الكتاب المذكور انظر ص ١٦٨ وغيرها

والمذاهب ، ومتساوية فى جميع المشارب ، لا ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، ولا فى إيجاد الأديان من تغاير وتباين .[1]

ولا يخفى ما فى هذا الكلام من تخبط وافتراء وهذيان ودعـوة سافرة إلى الزيغ حيث يسوى بين الحق والباطل ، والضلال والهدى " وذلك ما لا يقول به عاقل .

والقاديانية : نسبة إلى " قاديان " بالهند ، وزعيم الطائفة يدعى "غـلام أحمد " ١٨٣٦-١٩٠٨ ، وقد خرجوا على الإسلام بمبادئهم المنحرفـة كادعائهم جريا وراء بعض اليهود . أن المسيح بن يوسـف النجـار ، كما يقولون فى قوله تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[2] هذه بشارة بظهور " غلام أحمد القادياني" وأنه يكون فى هذه الأمة ، رجل فى درجة " مريم " الصديقية ، ثم يخـرج مـن هذا الرجل " عيسى " بمعنى أنه يكون ذا صفات مريمية ، ثم ينتقل إلى صفات عيسوية وبهذا يسمى ابن مريم .

وهذه التفاسير كما ترى إلحادية ، تخـالف مـا أجمـع عليـه المسلمون، فليكن الشباب المسلم على بينه من دينه والاعتصام بكتـاب الله وسنة نبيه ولا ينخدع بهذه الآراء الضالة التى تنطوي على الإلحاد والكفر بالله ورسالاته .

وأرى أن الأوهام قد سيطرت على عقول دعاة هذه المـذاهب الهدامة ، ففقدوا إيمانهم بعد أن فقدوا عقولهم .

---

(١) الكتاب المذكور ص ٥٦- ٥٧ .
(٢) التحريم ١٢ .

السماوية واحدة من ناحية العقيدة ، وإن اختلفت في الأحكام والفروع ويفسرون قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [1] بقولهم : "فانظروا وفقكم الله كيف اعتبر في الآية الكريمة ديانات الصابئة ، والزردشتية ، والموسوية ، والنصرانية ، والإسلامية دينا واحدا ، كما اعتبر مؤسسها ، وشارعها ، إلها واحدا على اختلافها في الأحكام والآداب " [2] ويركز على هذه الدعوى فيكررها بقوله :

"ولو تمسك أصحاب دين من الأديان ، بما عندهم من الكتب السماوية على حسب معتقداتهم ، يرونه في سائر الأديان أيضا ، فكما اعتقد اليهود بالتوراة ، والنصارى بالإنجيل ، والمسلمون بالقرآن ، واتخذوها عندهم كتبا سماوية ، وصحفا إلهية ، كذلك الهنود تمسكوا بكتاب "بيد " والزردشتية بكتاب " أوستا وزند " والبوذية بكتاب "كنفوشيوس " ، فاتخذوها كتبا نازلة من السماء ، وعباراتها عبارات أوحيت ، وألهمت على الأنبياء ولو تمسكوا بما عندهم من الأحكام ، والحدود ، والشرائع ، والطقوس مما يرجع إلى العبادات الروحانية ، والفوائد الاجتماعية ، ليرونها أيضا موجودة في كل الأديان ،

---

(١) الشورى ١٣ .
(٢) الحجج البهية ص ٢٨ والكتاب مطبوع في مطبعة السعادة سنة ١٣٤٣هـ الطبعة الأولى على نفقة شخص يدعى محي الدين صبري الكردي ويزعم أنه رحالة بحادثة عن الأسفار النفيسة ولا يدرى أنه يبث سموما مهلكة بين الناس .

قل لي بربك ، ما المانع أن تقول مريم بلسانها : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ﴾ ؟ ويكون سبب هذا القول ، أنها رأت ببصـــيرتها أن النـــاس يتقولون عليها ، وفى قولهم فتنة كبرى ، فأرادت ألا تكون سببا لهـــذه الفتنة ، فنطقت بما حكاه القرآن عنها ، وأمثال هـــذه الآراء شـــجعت الناس على أن يقولوا فى القرآن أنه لا يلتزم الصدق .

ومن قبل الشيخ شلتوت قال محمد أحمد خلف الله ما فصلته عنه فى رسالته وقال محمد محمد عبد اللطيف ما قال فى كتابه " الفرقان " وقد أشرت إليه ، فى الفصل الخاص بالشبهات .

ومن قبل هؤلاء جميعا ، وفى أواخر دولة بني أمية قال رجـــل يدعى " الجعد بن درهم " أخذا عن يهودي يدعى: " طالوت " إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ، ولم يكلم موسى تكليما ، وهذا تكـــذيب لصـــريح القرآن ، وكفر بالله وبكتابه ، وإهدار لقيمة العقل الذي ثبت لديه صدق القرآن ، ونحمد الله الذي وفق خالد بن عبـــد الله القَسْـــرى ، فحســـم الموقف ، وضحى بالرجل فى عيد الأضحى نحو سنة ١٢٤ هـــ . (١)

كما يلحق به ما قاله مطران انجليزي وشاع رأيه فى القـــاهرة من أن السيدة " مريم " كانت غير عذراء ، وقال : إن كل أمثال هـــذه المعجزات إشاعات عامية سخيفة ، وإن الفن القصصي يقـــوم بـــدور خطر فى فنية صياغة هذه القصص (٢) .

كما يلحق ما قاله الملاحدة :

إن فرعون أكمل موسى ، ودليلهم فى ذلـــك : أن الوجـــود : فاضـــل ومفضول والفاضل يستحق أن يكون ربا للمفضول ، لـــذلك ففرعـــون

(١) مقدمة مالك بن بني الظاهرة القرآنية للشيخ محمد شاكر ص ٣٩
(٢) قلت ذات يوم ص٧ .

ومثلها فى الإلحاد ما زعمه طبيب مصري كان يعنى بالمسائل الدينية من أن " مريم " كانت خنثي ، ويستدل على ذلك بأن أم مريم قالت ما حكاه القرآن عنها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى ﴾ [1] فرد الله كلامها وقـــال: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ [2] ومعنى ذلك فى نظر هذا الطبيب : أنهـــا ليست أنثى كما تزعمين ، بل هى خنثي ، وقد بعث الله إليها جبريل ، وعلمها الاستمناء ، والنفخ فى الفرج كناية عما ذكر. وهذا كلام باطل لقول الله تعالى على لسان الملائكة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [3] وكيف يتأتى الإصطفاء والتطهيـــر مـــع العمـــل القبيح الذي زعمه هذا الطبيب المصري الجاهل . والاصطفاء اختيار ولا تكون بهذا الوصف خنثي بحال. ويلحق بهذا التفسير ما قاله الشيخ شلتوت فى قوله تعالى:﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ ﴾ [4] قال هذا مـــن خـــواطر النفس ، ومن هذا الباب قوله : إن خواطرها قد زادت فقالت ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [5] .

وذلك قول باطل إذ الآيات على ظاهرها ، وقـــد تـــأثر بهـــذا التفسير الأستاذ " عبد الكريم الخطيب " ، وقد أشبعت الرد على ذلـــك فى الفصل الخاص بالتكرار .

---

(١) سورة آل عمران ٣٦ انظر بدع التفاسير ص ٨٥ .
(٢) سورة آل عمران ٣٦ انظر بدع التفاسير ص ٨٥ .
(٣) آل عمران ٤٢ .
(٤) مريم ٢٠ انظر من هدى القرآن للشيخ شلتوت ص ٨٨ .
(٥) مريم ٢٣ .

ومثل هذه التفاسير ما قاله بعضهم متأثرا بما فى التوراة : إن فرعون الذي بعث إليه موسى كان غير الذي فر منه[1] ففي نص التوراة : " فلما عاد ، لم يجد إلا فرعونا آخر " وينقض ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون فى قوله لموسى بعد أن كلفه ربه بالذهاب إليه يدعوه للإيمان بربه وتوحيده : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ [2] الآيات .

ومنه: ما يراه الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد رضا فى قصة البقرة أن معنى إحياء الميت : حفظ الدماء التى كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف فى قتل النفس . والمعنى على ذلك : إحياؤها بالأحكام التى كانت لديهم،والآيات سيقت لبيان حكم تشريعي لا لبيان قصة وقعت [3]

مع أن الآيات وألفاظها تنص على خلاف ما ذهبوا إليه. تأمل منها قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ [4] والضرب على حقيقته ، ولا مجاز فيه ، وليس فى النص إشارة إلى غسل أهل الحي براءة لذمتهم كما زعموه. فالمراد إحياء حقيقي بعد موت حقيقي.

كما قال فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [5] .

---

(١) البداية لابن كثير ص ٣٥٠
(٢) الشعراء ١٨
(٣)المنار جـ ١ ص ٣٥١
(٤) البقرة ٧٣
(٥) سورة البقرة : ٢٤٣ .

صادق فى قوله : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [1] ولذا قال بعضهم : إنه مات كامل الإيمان ، وكان تغريقه ليغتسل غسل الإسلام[2].

وهذا ادعاء لا دليل عليه ، وما صاغوه فى صورة الدليل ليس بدليل . فكيف يفضلون " فرعون" على " موسى " ويصدقونه فى قوله؟ مع أن الله توعده بشديد العذاب فى الدنيا بالإغراق وفى الآخرة النار ، فقال : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [3] ؟

وذلك بعكس " موسى " عليه السلام الذي اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه ، وتعارض هذا الاتجاه مع ظاهر النصوص القرآنية ظاهر ، وحسبنا دليلا على كفر فرعون وتحديه للإله القادر قوله فيما حكاه الله عنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [4] كما يتعارض مع الحديث الصحيح الذي أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ لما أغرق الله فرعون قال : ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ [5] قال جبريل يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر ، فأسده فى فيه مخافة أن تدركه الرحمة [6] .

---

(١) النازعات ٢٤ .
(٢) إيمان فرعون ص ١٣٠ .
(٣) النازعات ٢٥ ، ٢٦ .
(٤) القصص ٣٨ .
(٥) يونس ٩٠ .
(٦) مستدرك الحاكم ٢٧٨/٤ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا و قال الحاكم : صحيح وله شاهد . وقال الذهبى صحيح .

فهؤلاء لعلو نفوسهم أريتهم بالمعاينة ، وأنا أمرت محمدا أن يقتدي بهم فقلت : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[1] "

وهذا غير مقبول إذ هو خروج عن ظاهر النص وتحميل له ما لا يحتمل ، وما فى السورة لا يصلح دليلا على ما ذهب إليه ، والخروج على الظاهر بنحو ما ذكر لا يليق بالكتاب العزيز ، المتعبد بلفظه ، الواضح دلالته ، ولقد غالى بعض الناس فأسرف فى التفسير حتى قال : إن أهل الكهف كان أحدهم يسمى بالكلب لملازمته للحراسة [2] وهذا باطل ولا يصح صرف اللفظ عن ظاهره بدون قرينة ، وقد ضعف القرطبي هذا الرأي وكان عليه أن يرفضه .

قال الشيخ الغمارى : إن ماحكاه الله عن الأمم السابقة ، يجب حمله على الحقيقة لا المجاز : ذلك أن اللغة العربية اتصفت بالاتساع والتجوز بخلاف اللغات الأخرى . [3]

ونقرأ فى " العقائد النفسية : " والنصوص على ظواهرها ، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد : وقال سعد الدين التفتازانى فى شرحه : " وأهل الباطن هم أهل الملاحدة وسموا باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها ، بل لها معان باطنة " لا يعرفها إلا المعلم. وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية . [4]

---

(١) سورة أنعام ٩٠ وانظر جـ ١ ص ٧٧ من جواهر القرآن .
(٢) القرطبى : ١٠ ص ٣٧٢
(٣) بدع التفاسير ص ٦٨
(٤) ص ١٤٨

الموت هنا معناه : الاحتلال ، والإحياء معناه : الاستقلال فالمعنى أن الله سلط عليهم قوما استعبدوهم ، واحتلوا بلادهم ، ثم هيأ لهم أسباب الدفاع عن أنفسهم وبلادهم حتى استقلوا ، وهذا هو معنى الإحياء والإماتة .[(١)]

ذلك خروج عن الظاهر ، وقد نزل القرآن بلغة العرب ، ولم يعرفوا عن الموت والحياة غير المعنى الحقيقي لكل منهما قال الزمخشرى فى تأويل الألفاظ على غير ما تعهد العرب : إنه " ادعاء على العرب ما لا تعرفه ، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها .[(٢)]

ومثل هذه التفاسير فى الخروج عن ظاهر القرآن ما يراه الشيخ طنطاوى جوهرى فى كتابه " جواهر القرآن " فى قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [(٣)] . يقول : أشار القران الكريم إلى قصة العزير ، وإحياء إبراهيم الطير ، وتكلم عن تحضير الأرواح ، وجعل ما ذكر فى السورة رمزا إليه (التحضير) ويضيف :

" كأنه يقول : إذا قرأتم ما جاء عن بنى إسرائيل فى إحياء الموتى ، فى هذه السورة عند أواخرها فلا تيأسوا من ذلك ، فإني قد بدأت بذكر استحضار الأرواح فاستحضروها بطرقها المعروفة ، واسألوا أهل الذكر ، إن كنتم لا تعلمون ، ولكن ليكن المحضر ذا قلب نقى خالص على قدم الأنبياء والمرسلين ، كالعزير وإبراهيم ، وموسى ،

---

(١) المنار جـ ٢ ص ٤٥٨

(٢) الكشاف جـ ١ ص ٣٣٢ " مصطفى الحلبي ١٣٨٥ ، ١٩٦٦

(٣) سورة البقرة ٦٧ .

المـــراجع

الطريقة المثلى فى تفسير القصص القرآني

****

قارئ القصة القرآنية يحتاج إلى فطنة وذكاء ، وقدرة على التمييز ، بين صحيح الآراء وباطلها، لاستخلاص الحكم من النص القرآني بعيدا عن الإسرائيليات والإلحاد والخروج عن الظاهر .

وليس لأحد أن يفصل فى قصة من قصص القرآن ولا يحكم على حادثة إلا بالدليل ، وله أن يرجح إن اقتضى الأمر ، وله أن يتوقف إذا لم يستبن الحكم ، وخير الطرق لتفسير القصة القرآنية ما كان على النحو التالي : —

__أولا__ : جمع الآيات القرآنية المتعلقة بالقصة موضوع الدراسة .

__ثانيا__ : بيان معاني الكلمات اللغوية .

__ثالثا__ : النظر فى أسباب نزول الآيات إن وجدت .

__رابعا__ : مراعاة المقام الذي قيلت فيه القصة .

__خامسا__ :النظر فى المعنى الحقيقي , والمعنى المجازى ، وتفسير كل آية بما يليق بها .

__سادسا__ : يؤخذ بظاهر النص ، إلا إذا كان المعنى الظاهري مستحيلا، فيحمل على أقرب مجاز فى لغة العرب .

__سابعا__ : النظر فى الأحاديث النبوية الصحيحة المتعلقة بالنص القرآني إن كان ثمت أحاديث متعلقة به .

__ثامنا__ : النظر فى أراء الصحابة لاحتمال أنهم سمعوها من رسول الله ﷺ . حيث هم قد عاصروه وشاهدوه وسمعوا منه واتصفوا بالنباهة وذكاء القلب بما لم يتحقق لغيرهم.

والحمد لله رب العالمين .

١٣٧٩هـ، ١٩٥٩م .

* الراغب الأصفهاني (المتوفي ٥٠٢هـ)
- المفردات فى غريب القرآن.
- تحقيق محمد سيد كيلاني.
- ط مصطفى الحلبي.

* البغوى: الحسين بن مسعود الفراء (المتوفي ٥١٠هـ)
- معالم التنزيل .
- الطبعة الثانية .

* الزمخشري : محمود بن عمر (المتوفي ٥٣٨هـ)
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل.
- مطبعة الاستقامة ١٣٦٥هـ ، ١٩٤٦م.

*الرازي : الفخر محمد بن عمر الإمام (المتوفي ٦٠٦هـ)
- التفسير الكبير.
- ط عبدالرحمن محمد، المطبعة الخيرية .

*القرطبي : محمد بن أحمد أبو عبدالله (المتوفي ٦٧١)
- الجامع لأحكام القرآن.
- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م.

* البيضاوي: عبدالله بن عمر ناصرالدين (المتوفي ٦٩١هـ)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل.
- مكتبة القاهرة .

* الخازن: على بن محمد البغدادي (المتوفي ٧٤١هـ)
- لباب التأويل فى معاني التنزيل
- الطبعة الثانية.

* النسفي : عبدالله بن أحمد بن محمود (المتوفي ٧٠١هـ)
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل
- عيسى البابي الحلبي .

القرآن الكريم

(١) المطبوعات

(أ) فى التفسير وعلوم القرآن

*** إبن قتيبة : عبدالله بن مسلم** (المتوفي سنة ٢٧٦هـ)
- تأويل مشكل القرآن .
- تحقيق سيد أحمد صقر
- ط عيسى البابي الحلبي

*** الطبرى : محمد بن جرير** (المتوفي سنة ٣١٠هـ)
- جامع البيان عن تأويل القرآن.
- تحقيق محمود محمد شاكر
- راجع الأحاديث أحمد محمد شاكر

*** الجصاص : أبو بكر أحمد بن على الرازي** (المتوفي سنة ٢٧٠هـ)
- أحكام القرآن.
- المطبعة البهية المصرية ١٣٤٧هـ

*** الإسكافي:أبوعبدالله محمد بن الخطيب** (المتوفي سنة ٤٢١)
- درة التنزيل وغرة التأويل
- مطبعة السعادة ١٩٠٨م

*** الشريف الرضى** (المتوفي ٤٣٦هـ)
- تلخيص البيان فى مجازات القرآن .
- تحقيق وتقديم محمد عبدالغني حسن .
- ط عيسى الباب الحلبي ١٩٥٥.

*** الواحدى: أبو الحسن على بن أحمد النيسابوري** (المتوفي ٤٦٨هـ)
- أسباب النزول.
- ط مصطفى الحلبى

(ابن الخطيب).
- المطبعة المصرية.

* **التهانوى : محمد علي بن علي محمد** (من علماء أوائل القرن الرابع عشر الهجرى)
- سبق الغايات فى نسق الآيات
- ط الحجر بالهند ١٣١٢هـ

* **محمد عبده (المتوفي ١٩٠٥م)**
- تفسير جزء عم.
- الطبعة الثالثة – مطابع الشعب

* **رشيد رضا**
- تفسير المنار.
- مطبعة المنار ١٣٤٦هـ

* **مصطفى صادق الرافعي**
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية
- الطبعة الثالثة–مطبعة المقتطف

* **طنطاوي جوهرى(المتوفي ١٣٥٨هـ)**
- جواهر القرآن.
- ط مصطفى الحلبي محرم ١٣٤١هـ

* **عبدالوهاب النجار**
- قصص الأنبياء.
- مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع

* **محمد عبدالله دراز (فضيلة الدكتور)**
- النبأ العظيم.
- مطبعة السعادة ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م.

* **محمود شلتوت (الإمام الأكبر)**
- من هدى القرآن.
- دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

* **محمد أحمد خلف الله (دكتور)**
- الفن القصصي فى القرآن الكريم
- الطبعة الثالثة

* **ابن كثير : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (المتوفي ٧٧٤هـ)**
- القرآن العظيم .
- عيسى البابي الحلبي

* **الفيروز آبادى: أبو يعقوب (المتوفي ٨١٧هـ)**
- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز.
- تحقيق الأستاذ محمد على النجار.
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٤هـ

* **السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر (المتوفي ٩١١هـ)**
- الإتقان فى علوم القرآن.
- المطبعة الأزهرية .
- الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ ١٩٢٥م.

* **أبو السعود العمادي (المتوفي ٩٥١هـ)**
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم .
- ط صبيح .

* **الجمل: سليمان العجيلي (المتوفي ١٢٠٤هـ)**
- الفتوحات الإلهية .
- ط مصطفى الحلبي

* **الألوسي : شهاب الدين محمود البغدادي (المتوفي ١٢٧٠هـ)**
- روح المعاني فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.
- المطبعة الأميرية ببولاق. الطبعة الأولى.

* **جلال الدين الدواني**
- إيمان فرعون .
- تحقيق محمد محمد عبداللطيف

- ط مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٩م .

* مسلم بن الحجاج النيسابورى (الإمام) (المتوفي ٢٦١هـ)
- الجامع الصحيح .
- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
- ط عيسى البابي الحلبي

* أبو داود السجستاني : سليمان بن الأشعث (الإمام) (المتوفي ٢٧٥هـ)
- السنن .
- تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.
- ط مصطفى محمد

* ابن ماجه : أبوعبدالله محمد القزويني (المتوفي ٢٧٥هـ)
- السنن.
- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
- ط عيسى البابي الحلبي ١٣٧٣هـ ، ١٩٥٣م .

* النسائي : أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب على (المتوفي ٣٠٣هـ)
- السنن .
- المطبعة المصرية الأزهرية

* الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى (المتوفي ٢٨٩هـ)
- السنن.

* ابن حِبَّان : أبو حاتم محمد الإمام الحافظ (المتوفي ٣٥٤هـ)
- السنن .

* الحاكم : أبوعبدالله محمد بن عبدالله الإمام (المتوفي ٤٠٥هـ)
- المستدرك .
- مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض.

* ابن عبدالبر : أبو عمر يوسف بن عبدالله الإمام (المتوفي ٤٦٣هـ)
- الاستيعاب فى أسماء الأصحاب.
- على هامش الإصابة .

* عبدالله محمد الصديق الغمارى
- بدع التفاسير.
- مكتبة القاهرة ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٥م .

* عبدالكريم الخطيب
- القصص القرآني فى منطوقه ومفهومه .
- دار الفكر العربي ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٥م

* محمد حسين الذهبي
- التفسير والمفسرون .
- مطبعة السعادة ١٣٨١هـ ، ١٩٦١م .

* عبدالغني عوض الراجحي (فضيلة الدكتور)
- النهج القويم فى علوم القرآن الكريم .
- مطبعة دار التأليف ١٩٦٥م.

* مالك بن نبي
- الظاهرة القرآنية .
- تقديم الشيخ محمد شاكر
- مطبعة دار الجهاد ، الطبعة الثانية ١٩٦١م.

(ب) فى الحديث الشريف وعلومه

* أحمد بن حنبل (الإمام) (المتوفي ٢٤١هـ)
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.
- تحقيق أحمد عبدالرحمن البنا. الطبعة الأولى

* البخارى: محمد بن إسماعيل (الإمام) (المتوفي ٢٥٦هـ)
- فتح الباري .
- شرح الحافظ ابن حجر العسقلاني

- المطبعة السلطانية محرم ١٢٨٤هـ.

* أبو الفضل الجرفادقاني
- الحجج البهية .
- مطبعة السعادة ١٣٤٣هـ الطبعة الأولى.

* محمد بن الحسن الديلمي اليماني
- قواعد عقائد آل محمد الباطنية
- دار الكتب-بعنوان كتب نادرة.

* رشيد رضا
- شبهات النصارى.
- ط دار المنار ١٣٦٧هـ.

* جولد تسيهر
- العقيدة والشريعة.
- مطابع دار الكتاب العربي.

* أحمد أمين
- فجر الإسلام .
- ط دار التأليف .

* محمود شلتوت
- الفتاوى .
- دار القلم .

(د) فى الفلسفة والتوحيد

* أبو الحسن الأشعري
- مقالات الإسلاميين.

* سعد الدين التفتازاني
- شرح العقائد النسفية.

* أبو جعفر الطحاوى
- شرح الطحاوية العقيدة السلفية.
- تحقيق أحمد محمد شاكر .
- ط دار المعارف.

* محمد عبده
- رسالة التوحيد.
- دار المنار ١٣٦٨هـ.

* حسين الجسر (فضيلة الشيخ)
- الحصون الحميدية.

* الزمخشري :
- الفائق فى غريب الحديث.
- الطبعة الأولى ، عيسى البابي الحلبي ١٣٦٤هـ.

* إبن الأثير : أبو الحسن عزالدين الجزرى (المتوفي ٦٣٠هـ)
- أسد الغابة فى معرفة الصحابة.
- المطبعة الإسلامية .
- النهاية فى غريب الحديث والأثر .
- عيسى البابي الحلبي

* إبن حجر : الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (المتوفي ٨٥٢هـ)
- الإصابة فى تمييز الصحابة.
- المطبعة الشرفية ١٣٢٥هـ، ١٩٠٧م .
- تقريب التهذيب .

* العراقي والهيتمي (الحافظان)
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.
- مكتبة القدس ١٣٥٢هـ.

(جـ) فى الديانات

* الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)
- الطبعة الكاثولوكية ١٩٥١م.

* سفر أيوب
- جمعية التوراة الأمريكية

* من التلمود
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

* إبن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر (المتوفي ٧٥١هـ)
- هداية الحياري .

* رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى
- إظهار الحق .

* الجوهري
- الصحاح .
- تحقيق أحمد عبد الغفورعطار.
- دار الكتاب العربي.

* الزبيدي : السيد محمد مرتضى الإمام
- تاج العروس .
- ط بيروت ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م.

(ز) فى الأدب والنقد والبلاغة

* الجرجاني : أبو الحسن علي بن عبدالعزيز (ولد سنة ٢٩٠هـ)

* إبن جني : أبو الفتح عثمان (المتوفي ٣٩٢هـ)
- الخصائص .
- تحقيق محمد على النجار.

* الآمدى (القرن الرابع الهجري)
- الموازنة .

* الجرجاني : الإمام عبدالقاهر بن عبدالرحمن (المتوفي ٤٧١هـ)
- دلائل الإعجاز .

* السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن على (المتوفي ٦٢٦هـ)
- مفتاح العلوم .
- مطبعة الاتحاد .

* إبن سنان
- سر الفصاحة.

* عباس العقاد
- بين الكتب والناس.

* عمر الدسوقي
- فى الأدب الحديث .
- دار الفكر العربي – الطبعة الثالثة ١٩٥٤م .

* أ . م . فورستر
- أركان القصة .
- ترجمة كما عياد.

- المطبعة المليجية ١٣٢٨هـ.

* مصطفى صبري (شيخ الإسلام) – موقف العقل والعلم والعالم من رب العاليمن وعباده المرسلين الجزء الأول.
- ط عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٥٠م.

(هـ) معارف عامة

* البداية والنهاية – إبن كثير.
- ط بيروت ، وكردستان العلمية

* إبن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) – المقدمة .
- مطبعة التقدم ، ودار الشعب.

*دائرة المعارف الإسلامية
*دائرة المعارف الفرنسية(غير مترجمة)
* دائرة المعارف البريطانية (غير مترجمة)
* الموسوعة العربية الميسرة

(و) موسوعات لغوية

* أحمد بن محمد بن علي المقرى – المصباح المنير .
- المطبعة الأميرية ١٩٣٩م.

* محمد بن أبي بكر الرازي – مختار الصحاح .
- ط الأميرية،الثانية ١٢٥٥هـ ، ١٩٣٧م.

* الفيروز أبادى – القاموس المحيط .
- الطبعة الخامسة ، التجارية .

(ط) فى التراجم والسير

* إبن هشام
- السيرة النبوية .
- ط دار التحرير .

* إميل درمنغم
- حياة محمد .
- ترجمة عادل زعيتر .
- الطبعة الثانية ، عيسى البابي الحلبي.

(ى) عدد من مجلتي القصة والعربي

(٢)

المخطوطات

* الطبراني : أبو القاسم سليمان ابـن أحمد الإمام (المتوفي ٣٦٠هـ)
- المعجم الكبير.
- نسخة "ميكرو فيلم" غير كاملة بجامعة الدول العربية ، فـن حديث ومصطلح .
- أرقام ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠.

* العراقي : عبدالرحيم بـن الحسـين الحافظ
- الباعث على الخلاص من حوادث القصاص.
- بدار الكتب المصرية رقم ٢٩٠ حديث تيمور.
- البرهان في متشابهات القرآن.
- بدار الكتب رقم ٤٥ ق .

* الكرماني : برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة المعروف بتاج
- البرهان فى توجيه متشابه القرآن ، لما فيه من الحجة

- دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع .

* عبدالله عنان
- قصص اجتماعية ونماذج من أدب الغرب.

* فتحي الأبياري
- فن القصة عند تيمور .
- مطبعة الاستقامة .
- تيمور والأقصوصة .

* يوسف السباعي
- نائب عزرائيل.
- مكتبة الخانجي ، الطبعة الثانية

* توفيق الحكيم
- قلت ذات يوم .
- مؤسسة أخبار اليوم .

(ح) فى علم النفس والاجتماع

* جوستاف لويون
- روح الاجتماع .
- ترجمة أحمد فتحي زغلول.
- المطبعة الرحمانية، الطبعة الثانية .

* مصطفى فهمي (دكتور)
- سيكولوجية التعلم.
- دار مصر للطباعة.

* عبدالباسط محمد حسن (دكتور)
- أصول الاجتماع .
- مطبعة لجنة البيان العربي.

* حلمي المليجي (دكتور)
- سيكولوجية الابتكار.
- ط دار المعارف ١٩٦٨.

* أخبار الزمان ، ومن أباده الحـــدثان وعجائب البلدان والعامر بالمـــاء والعمران
- أبو الحسن المسعودي المتوفي ٣٤٦هـ .
- ط عبدالحميد أحمد حنفي

* عرائس المجالس
- أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي متوفي (٤٢٧هـ) .
- ط عيسى البابي الحلبي

* الكامل
- ابن الأثير متوفى (٦٣٠هـ)
- إدارة الطباعة المنيرية.

* أخبار الدول وآثار الأول
- أحمد بن يوســف الدمشــقي القرماني متوفى (١٠١٩هـ)
- على هامش الكامل لابن الأثير برقم ٤٧٨٩ تاريخ دار الكتب.

* قصص القرآن
- محمد أحمد جاد المولى وغيره
- مطبعة الاستقامة

* منهج الفرقان فى علوم القرآن
- محمد على سلامة (المرحــوم الشيخ)

* تفسير سورة يوسف
- رشيد رضا
- مطبعة المنار

* متشابه النظم فى قصص القرآن
- عبدالغني عــوض الراجحــى (فضيلة الدكتور)

* المناهج الجديدة فى آيات الله المجيدة
- عبدالغني عــوض الراجحــى (فضيلة الدكتور)

* قصص القرآن
- علي محمود خليل (فضيلة الدكتور)
- مؤلفان بنفس العنوان .

القراء (من علماء أوائل القرن السادس الهجري)

والبرهان.

- مكتبة الأزهر رقم ١٠١٠ علوم قرآن

* الترمذى : الحكيم

- علم الأولياء .
- دار الكتب مجاميع طلعت رقم ٦٩٤ .

* البقاعي : برهان الدين (المتوفي سنة ٨٥٥هـ)

- نظم الدرر فى تناسب الآى والسور .
- دار الكتب رقم ١٥٥ الخزانة التيمورية .

* الحسن العسكري

- تفسير .
- دار الكتب رقم ٢٧٥ التيمورية

(٣)

الكتب التي تعرضت لقصص القرآن قديما وحديثا وتناولتها بالكلام عنها فى التمهيد

* التيجان فى ملوك حمير

- أبوعبدالله الأَبْنَاوي الصنعاني "وهب بن منبه .
- دار المعارف النظامية بالهند ١٣٤٧هـ

* تاريخ الأمم والملوك

- الطبرى .
- تحقيق محمود محمد شاكر ومراجعة أحمد محمد شاكر.
- دار المعارف ١٣٧٤هـ.

أصل هذه النسخة رسالة الدكتوراة فى التفسير
وعلوم القرآن من كلية أصول الدين جامعة
الأزهر بالقاهرة بمرتبة الشرف الأولى
وذلك سنة ١٩٧١م

* آدم ، إدريس ، نوح
- عبـــدالله محمـــد الصـــديق الغمارى.
- مطبعة دار التأليف .

* أبو الأنبياء
- عباس محمود العقاد .

* الأنبياء فى القرآن
- محمود الشرقاوى.
- دار الشعب ١٣٩٠هـ

* آدم
- البهي الخولي.



شكر وتقدير

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله (ﷺ) :

"من لم يشكر الناس لم يشكر الله"

رواه الترمذي . كتاب البر والصلة . باب ما جاء فى الشكر لمن أحسن إليك" وقال : هذا حديث حسن صحيح .

والفضل كل الفضل لله عز وجل ، ثم لوالدي ، ثم لأساتذتي فى القاهرة وخارج القاهرة.

وخالص الشكر ، وخالص الدعاء لأساتذتي أصحاب الفضل والفضيلة بكلية أصول الدين بالقاهرة :

أ. د / عبدالحليم محمود

أ. د / عوض الله جاد حجازى

أ. د / الشيخ محمد أبو العيون

أ. د / أحمد السيد الكومي

أ. د / على محمود خليل

أ. د / محمود عبدالغفار سليمان

أ. د / عبدالغني عوض الراجحي

أ. د / محمد عبد الوهاب بحيري

أ. د / موسى شاهين لاشين

أ. د / عبدالحميد عبدالشافي

فقد أفادوني بكمال خلقهم ، وغزير علمهم ، وحسن توجيههم أسأل الله بنور وجهه الكريم أن يجزيهم عني وعن العلم وأهله أحسن الجزاء .

عبدالباسط إبراهيم بلبول